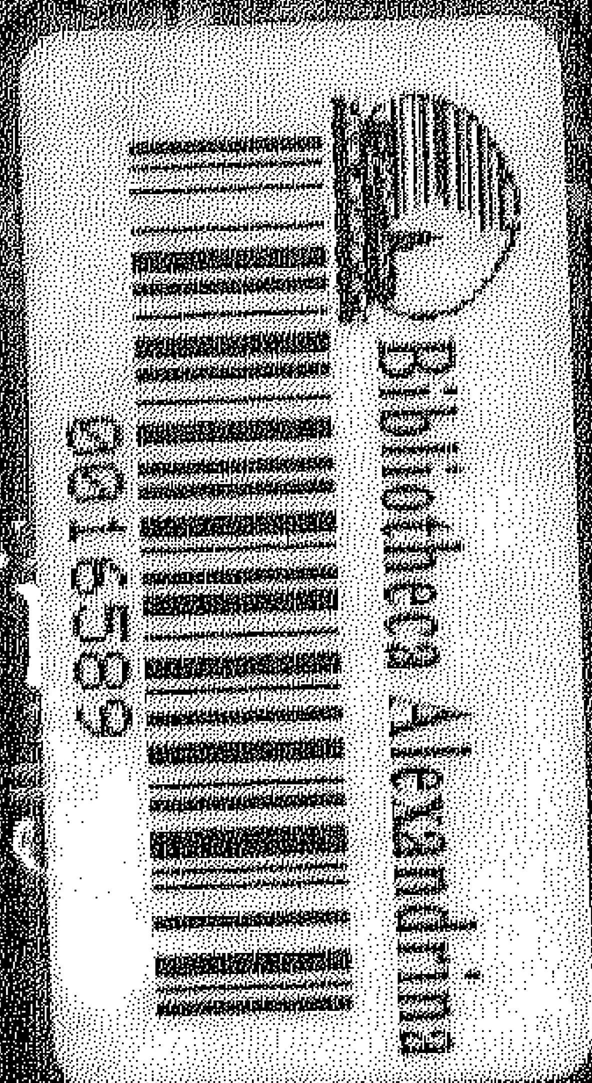
تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

رسائل يعقوب وبطرس

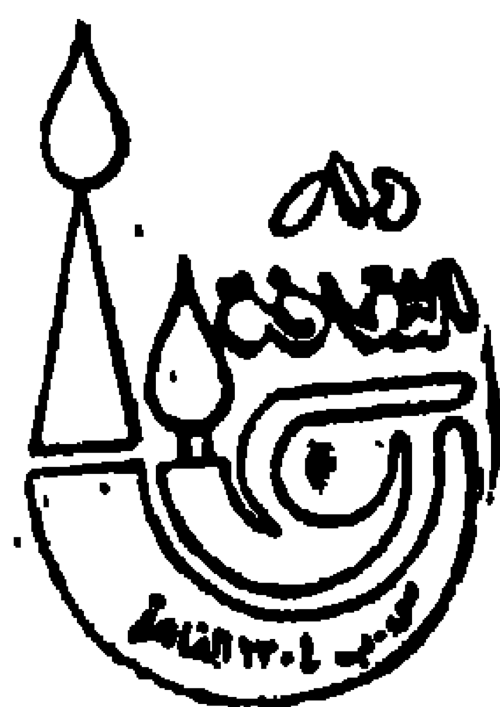


رسائل

يعقوب وبطرس

نقلها الى العربية

إدوارد وديع عبد المسيح



(طبعة ثانية)

صـــدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ ـــ القاهرة

ط ٢ / [redacted]

رقم الايداع بدار الكتب : ٤١٧٤

[redacted]

طبع بمطبعه : دار الطباعة القومية بالفجالة .

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلي

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

● يشترك عـــدد كبير من المترجمين فى اصـــدار هذه السلسلة .

● وتقوم بنشرها :

— دار الثقافة المسيحية .

— ودار التاليف والنشر الأسقفية .

تمهيد :

تعرضت رسالة يعقوب لهجوم شـديد من مارتن لوثر ، فنحن لم ننس مادعاها به من أنها « رسالة مملوء بالقش » ، ثم اعلانه بأنه لم يجد المسيح فيها (فى المقدمة التى كتبها عن رسالة يعقوب المتضمنة فى «كتابات الاصلاح» لمارتن لوثر ، فى المجلد الثانى الذى ترجمة برترام لى وولف) .

وقد يظن من يقرأ هذه الرسالة أنها ليست بذات شأن كبير فى العهـد الجديد . ولكن كلما أكثرت من قراءتها أحسست بقيمة تلك الرسالة القصيرة يقتبس ى . س بلاكمان قول (مارتى) بخصوص الرسـالة فيقول : « ان الرسالة تحفة فى البساطة التى تضفى احتراما ومهابة » قد يبـدأ القارىء دراسـة رسالة يعقوب كنوع من القيام بالواجب ، ولكنه بعـد أن ينتهى من الدراسـة يجد أنها نوع من المتعة .

ان رسالة يعقوب حظيت بتفسيرات قيمة . منها التفسيرات على النص اليونانى ، ومنها التعليق الذى كتبه ج . ب مايور والذى يعـد من أعظم التعليقات فى اللغة الانجليزية ، وما كتبه ج. هـ. روس الذى يعتبر نموذجا للدراسـة الدقيقة الوفية . ثم تعليق أوسترلى وهو خير معين لفهم الفـكر والعقيدة اليهودية الكامنة وراء الحرف . ثم تعليق (أ . كار) الذى وان فى دائرة أضيق من سابقية ، الا أنه مفيد للغاية .

ثم التعليقات التى كتبت على النص الانجليزى . ففى تعليق « موفات » كتب جيمس موفات بحثه عن الرسائل العامة ، ونعتبر رسالة يعقوب احداها انه مفيد ولكنه مبسط جدا .

ومن التعليقات الحديثة ماكتبه (ر . ف . ج تاسكر) باسم « تعليقات تندل » ، وهى نوع من الدراسة المحافظة التى نعتبر خير معين فى البحث ، وكتاب ا . س بلاكمان من الكتب البارزة أيضا فى هـذا السبيل . وتعليق ب . س ايستون كذلك خير حافز ومنير لطريق الدراسة .

أما عن نفسى فانى أعتقد أن رسالة يعقوب كانت بالنسبة لى اكتشافا جديدا ، وانى لآمل ان يعين هذا التعليق الآخرين لا كتشاف هذه الرسالة .

أما رسالتا بطرس الأولى والثانية فمختلفان تماما .

فرسالة بطرس الأولى أحب رسائل العهد الجديد ، ولكننا كثيرا ما نهمل رسالة بطرس الثانية (مع رسـالة يهوذا التى ترتبط بهـا ارتباط وثيقـا) ولا نعيطهما حقهما من الدراسة . فرسالة بطرس الثانية ورسـالة يهوذا تتحدثان عن عالم غريب بالنسبة لنا ، وغريب أيضا على طالب اللاهوت الذى يدرس الكتاب المقدس ، فالصور والأفكار والايضاحات المتضمنة فيهما ليست من العهد القديم ، بل من الأدب الذى كتب فى الفترة ما بين العهدين القـديم والجديد ، وهو غير معروف لنا كله ولكنه كان شائعا فى عصره . ولهـذا السبب نجد أن تفسير رسالة بطرس الثانية يطول الى حد ما ، وانى أعلم أن دراستها تحتاج لبذل جهد أكثر ، ولكنى أعلم أيضا أن ذلك الجهد سوف يكون مجزيا ومفيدا فى النهاية .

ان رسالتى بطرس الأولى والثانية ورسالة يهوذا عادة تدرج جميعها سويا فى معظم التعليقات ، كما فى تعليق س . يج ، ويعتبر هذا التعليق نتاج الدراسة المنصفة السليمة ، وكذلك تعليق (أ . هـ بلمبتر) الذى كان قديما ،

الا أنه منير لسبيل الدراسة المستفيضة .

وقد جمع هذه الرسالات الثلاثة معا كذلك «جيمس موفات» فى كتابه عن « الرسائل العامة » فى (تعليق موفات) .

. .

وهنـــاك تعليقان بارزان على رســـالة بطرس الأولى ، أولهما المؤلف الضخم الذى كتبه ا . ج سلوين فى سلسلة « تعليقات ما كميلان » وهى من أعظم التعليقات فى اللغة الانجليزية ، ثم تعليق ف. و. بيير الذى يحتل مكانة بارزة .

وانى لمدين بالشكر لتفسير س . أ . ب كار نفيلد الذى وان كان صغيرا الا انه تحفة فى الشرح المختصر الوافى ، وان كل صـــفحة من صفحات كتابى هذا تشهد بفضل ذلك الكتاب على .

ويعتبر تفسيرا . م هنتر مفيدا بصفة خاصة ، ويقدم ج . و بلنكن فى تفسيره لرسالة بطرس الأولى خير عون يفيد الدارسين فى الأمور الدينية .

ولكن ماكتب عن رسالة بطرس الثانية أقل من ذلك ، ففى « تعليقات ما كميلان » هناك المؤلف الذى كتبه ج . ب مايور على رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا أيضا ، وهو يعد أثرا خالدا وتحفة رائعة فى الدراسة والبحث فى العهد الجديد وهو مساو لما كتبه نفس المؤلف عن رسالة يعقوب . ثم نجد أيضا كتابا ممتازا كتبه م . ر جيمس بهذا الخصوص .

ليس هناك ما يقلل من أهمية رسالة بطرس الأولى ، وقد يحق لنا أن نقول أن رسالة بطرس الثانية لاتحمل نفس الأهمية ، ولكن تلك الرســـالة تنفرد دون غيرها من كتب العهد الجديد بأنها ترينا الهجوم الذى شن فى أيام الكنيسة الأولى على التعليم المسيحى والآداب المسيحية ، والذى تصدى له كتاب العهد الجديد ، ولهذا السبب فان الرسالة تعد غاية فى الأهمية .

وانى لآمل واطلب من الله ان يكون هذا التفسير معوانا للقــراء حتى يقدروا تلك الرسائل حق تدرها ويحبوها أكثر .

وليم باركلى
كلية الثالوث
جلاسجو

محتويات الكتاب

رسالة يعقوب

صفحة

الأصحاح الثانى :

الأصحاح الثالث :

صفحة

الأصحاح الرابع :

الأصحاح الخامس :

رسالة بطرس الأولى

صفحة

الأصحاح الثالث :

الأصحاح الرابع :

صفحة

الأصحاح الخامس :

رسالة بطرس الثانية

الأصحاح الأول :

رسالة يعقوب

مقدمة الرسالة

ثار جدل عنيف حول ادراج رسالة يعقوب ضمن أسفار العهد الجديد ، وحتى بعد أن أعتبرت من الكتب الموحى بها ، تحدث عنها كثيرون بنوع من التحفظ وعدم اليقين بوحيها ، فحتى القرن السادس عشر كان لوثر على استعداد أن يقصيها من العهد الجديد كلية .

شكوك الآباء :

فلم تبرز رسالة يعقوب فى كتابات الآباء فى الكنيسة اللاتينية حتى منتصف القرن الرابع ولم يدرج اسم الرسالة فى أول قائمة بكتب العهد الجديد التى صدر بها مرسوم كنسى يعرف باسم « مرسوم موراتوريان » ، والذى يرجع تاريخه الى سنة ١٧٠ م ، ويعتبر ترتليان من أشهر الكتاب فى منتصف القرن الثالث ، وقد اقتبس من الكتاب المقدس مايربو على الـ ٧٢٥٨ اقتباسا كلها من العهد الجديد ، ولكن لم يرد منها نص واحد من رسالة يعقوب، وقد ظهرت رسالة يعقوب أول ماظهرت فى اللاتينية فى مخطوطة لاتينية للكتاب المقدس تسمى « مخطوط كوربينيس » « Codex Corbiensis » ، ويرجع تاريخها الى حوالى ٣٥٠ م .

وهذه المخطوطة تنسب رسالة يعقوب الى يعقوب بن زيدى وتدرجها ليس مع كتب العهد الجديد المعروفة على نطاق واسع آنئذاك ، بل مع مجموعة من كتابات دينية دونها الآباء الأوائل .

لقد برزت رسالة يعقوب ، كما رأينا ، واكن بشيء من التحفظ .

ان أول كاتب لاتينى يقتبس رسالة يعقــــوب مستعملا نفس كلمات الرسالة هو هيلرى من (بويترز) فى مؤلف له عــن التثليث ، وقد كتــب حوالى سنة ٣٥٧ م .

فان كانت رسالة يعقوب قد تأخر ظهورها فى الكنيسة اللاتينية ، وعندما ظهرت عوملت بشيء من التحفظ وعدم اليقين التام بها ، فكيف أدرجت اذن فى العهــد الجديد .

ان الفضل الأكبر فى ذلك يرجع « لجيروم » الذى أدخلها دون تردد فى طبعته عن العهد الجــــديد . ومع ذلك فهنـــاك ظن من الشك . فقد كتب جيروم فى كتابه عن « مشاهير الرجال » قائلا : « ان يعقوب الذى يدعى أخا الرب . . . كتب رسالة واحدة فقط ، وهى احدى الرسائل السبع العــامة ، والتى يقول بعض الناس عنها انها كتبت بيد شخص آخر غير يعقوب ولكن تحت اسم يعقوب » .

أن جيروم كان يعتقد بصحة وحى الرسالة تماما ، ولكنه كان يشك فى نسبة الرسالة الى يعقوب .

كيف اذن قضى على هذا الشك فى الكنيسة اللاتينية ؟

قضى على الشك تماما عندما أعلن اغسطينوس عن قبوله لها ، وأنه لم يكن فى شك من أن يعقوب هذا هو أخو الرب .

لقد تأخر ظهور رسالة يعقوب فى الكنيسة اللاتينية ، وكانت هنـــاك علامة استفهام كبيرة حيالها ، ولكن الـكنيسة اعترفت بهـا اعترافا صريحا وسوى الأمر نهائيا عنـدما أدخلها جيروم فى طبعة العهد الجــديد اللاتينية المسماة بالفولجات « Vulgate » ، وعندما اعترف بها اغسطينوس .

الكنيسة السورية :

قد يظن أن الكنيسة السورية هى أول من قبلت رسالة يعقوب ان كانت

كتبت حقا فى فلسطين وان كان كاتبها هو يعقوب اخو الرب ولكن ما حدث فى الكنائس الأخرى بخصوص الرسالة حدث أيضا فى كنيسة سوريا .

أن طبعة العهد الجديد فى الكنيسة تسمى « بيشيتو » Peshitto وأهميتها بالنسبة للكنيسة السورية كأهمية « الفولجات » بالنسبة للكنيسة اللاتينية . وقد قام بتلك الطبعة للكتاب المقدس فى السريانية (رابيولا) أسقف اديسه حوالى سنة ٤١٢ ،حيث ترجمت رسالة يعقوب لأول مرة الى السريانية ، فلم تكن هناك طبعة سريانية لرسالة يعقوب حتى فى ذلك التاريخ ، وليس هناك اى أثر لرسالة يعقوب فى الأدب الدينى فى السريانية حتى سنة ٤٥١ م . أما بعد ذلك التاريخ فقد عرفت الرسالة على نطاق واسع ، ولكن حتى سنة ٥٤٥ م . كان بولس الذى من (نيسيبس) يشك فى الرسالة ويتساءل عما اذا كانت تستحق أن تدرج ضمن أسفار العهد الجديد أم لا ، وكان يعتبرها ضمن الكتب المتنازع عليها ، ولكن ما قام به اغسطينوس فى الكنيسة اللاتينية ، قام به كذلك حجة الكنيسة السورية يوحنا الدمشقى فى منتصف القرن الثامن .

الكنيسة اليونانية :

مع أن رسالة يعقوب ظهرت فى الكنيسة اليونانية بأسرع مما ظهرت فى الكنيستين اللاتينية والسورية ، الا انها مع ذلك برزت متأخرة وكان أول كاتب استشهد برسالة يعقوب هو أوريجانوس « Origen » ذلك الباحث العظيم ومؤسس مدرسة الاسكندرية ، والذى كان يكتب كتاباته الشهيرة فى منتصف القرن الثالث تقريبا وهو يقول : « ان كان الايمان يمكن أن يوجد بدون أعمال فهو ايمان ميت ، كما قرأنا فى الرسالة التى ينسبها الكثيرون الى يعقوب»وان كان فى مؤلفات أخرى لذلك الكاتب نجد أنه يقتبس من الرسالة مع نسبتها بلا أدنى شك الى يعقوب ويبين أنه يؤمن أن يعقوب هو أخو الرب الا أننا أحيانا أخرى نلحظ لهجة الشك فى كتاباته .

ويكتب ايوسيبيس ، الباحث العظيم من قيصرية فى معرض بحثه عن أهمية مختلف كتب العهد الجديد فى العصر الذى عاش فيه فى منتصف القرن الرابع ، معتبرا رسالة يعقوب من الكتب المتنازع عليها اذ يقول : « ان

اولى الرسائل المدعوة بالعامة يقال انها رسالة يعقوب ، ولكننا يجب أن نذكر أن البعض لا يؤمن بوحى تلك الرسالة ، وانه لمن الحقائق المؤكدة أن عددا قليلا جدا من الكتاب القدامى استشهد بها » وهنا نلحظ أيضا لهجة الشك، أن يوسيبوس نفسه اعترف بالرسالة،ولكنه كان يدرك جيدا أنه كان يوجد من ينكرها . ولكن نقطة التحول بخصوص الرسالة حدثت فى الكنيسة اليونانية سنة ٣٦٧ م ، ففى تلك السنة أصدر أثناسيوس رسالته الشهيرة فى عيد القيامة فى مصر ، وكان الهدف من هذه الرسالة أن يخبر الناس بالكتب الموحى بها ، لأنه قد كثرت فى ذاك الوقت الكتب التى آمن كثيرون بوحيها . وفى رسالة أثناسيوس هذه نجد رسالة يعقوب ضمن الكتب المقدسة ، وبهذا دعم مركزها .

ومع أنه لم ينكر أحد فى الكنيسة الأولى قيمة واهمية رسالة يعقوب ، الا أنه فى كل أنحاء الكنيسة ظهرت الرسالة متأخرة ، ومرت بفترة كان التساؤل فيما عما اذا كانت تستحق أن تدرج ضمن كتب العهد الجديد أم لا .

ونستطيع أيضا أن نعرف تاريخ رسالة يعقوب من الموقف الذى اتخذته الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ازاها . ففى سنة ١٩٤٦ أقر مجمع (ترنت) بصورة نهائية الكتاب المقدس الذى تسير بموجبه الكنيسة الرومانية اذ اقر المجمع قائمة بأسماء الاسفار التى لا يمكن أن يضاف اليها أو يحذف منها شىء.وهذه القائمة موجودة فى الطبعة اللاتينية فقط (الفولجات) وقد قسمت تلك الكتب الى طائفتين ، طائفة منها لا يدور حولها أى جدل وقد قبلت من البداية دون أى نقاش وهى المسماة باسم الكتب القانونية الاولى « proto - canonical » والطائفة الاخرى أدرجت ضمن أسفار العهد الجديد بالتدريج وسميت باسم الكتب القانونية الثانية deutro canonical ومع أن الكنيسة الرومانية لم تبد أى شك حيال رسالة يعقوب الا أنها أدرجتها ضمن الطائفة الثانية من الاسفار المقدسة .

لوثر ويعقوب :

وقد يحق لنا أن نقول فى هذا العصر كذلك ، أن رسالة يعقوب لا تحتل المكانة الاولى فى العهد الجديد فى نظر الكثيرين .

فقليلون من يضعونها فى نفس مرتبة انجيل يوحنا أو الرسالة الى اهل رومية أو انجيل لوقا أو الرسالة الى اهل غلاطية مثلا .

وكثيرون يتحدثون عنها بشىء من التحفظ أو كأنه يعوزها الادلة الكافية لتدرج ضمن كتب العهد الجديد . لماذا هذا اذن ؟

لا يمكن أن يكون ذلك مرتبطا بما ساور الكنيسة الاولى من شـــك فى الرسالة ، لان تاريخ كتب العهد الجديد فى تلك الايام الغابرة غير معروف لكثير من الناس فى كنيسة العصر الحديث ، بل أن سبب ذلك يتضح فيما يلى : ان موقف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من رسالة يعقوب قد تقرر نهائيا فى قرار مجمع ترنت ، ولكن تاريخ الرسالة فى الكنيسة البروتستانتية قد مر بفترة اضطراب زادت على مر الايام ،وذلك لان لوثر هاجم الرسالة ، وكان يفضل الا يدرجها ضمن كتب العهد الجديد كلية . وفى الطبعة الالمانية التى عملها للعهد الجديد ، كان يدون كتب العهد الجديد فى صفحة المحتويات مع وضع رقم مسلسل أمام كتاب ، ولكـــن فى آخر القائمة وضع مجمـــوعة صغيرة منعزلة عن بقية الكتب وبدون أرقام مسلسلة أمامها ، وتلك المجموعة تحوى رسائل يعقوب ويهوذا والرسالة الى العبرانيين وسفر الرؤيا ، فتلك الكتب كان يعتبرها لوثر أقل شأنا من بقية كتب العهد الجديد .

كان لوثر قاس بصفة خاصة على رسالة يعقوب ، وحكم قاس كهذا يصدر من شخص عظيم على أى كتاب يعد بمثابة حكم بالاعدام على ذلك الكتاب وأننا نجد حكم لوثر على رسالة يعقوب فى ختام مقدمته للعهد الجديد اذ يقول :

وبالاجمال ، فان الانجيل ورسالة يوحنا الرسول الاولى ورسائل القديس بولس وخاصة الرسائل الى أهل رومية وغلاطية وأفسس ، ورسالة القديس بطرس الاولى ، هى الكتب التى تقدم لكم المسيح ، وهى تعلمكم كل ما يختص بخلاصكم حتى ولو لم تقع عيونكم أو تسمع آذانكم أى كتاب آخر أو تعليـــم آخر . وأما رسالة يعقوب فهى رسالة « مملوءة بالقش » ، لانها لا تحوى التعاليم الانجيلية ، وسوف اوضح ذلك أكثر فى مقدمات أخرى .

وقد بر لوثر بوعده ، ففصل ذلك الاتهام فى مقدمة لرســـالتى يعقوب ويهوذا فقال : « انى أقدر رسالة يعقوب وأحترمها واعتبرها عظيمة القـــدر بالرغم من عدم اعتراف الآباء بها . انها لا تقدم تعاليم بشرية ، ولكنها تهتم اهتماما كبيرا بالناموس ، ولكى أعلن رأيى بصراحة بدون تحيز ، فانى لا أعتبرها ذات أصل رسولى » .

ويستمر لوثر بعد ذلك فى تقديم الاسباب التى تؤيد موقفه من الرسالة.

أولا : ان الرسالة بخلاف رسائل بولس وباقى الكتاب المقدس تعزو التبرير الى الاعمال مع الاستشهاد بابراهيم كالشخص الذى تبرر بالاعمال . وهذا فى حد ذاته يعد دليلا على أن الرسالة ليست ذات أصل رسولى .

ثانيا : انها لا تقدم للمسيحيين أى تعليم عن آلام المسيح أو قيامته أو عن روح المسيح . انها تذكر المسيح مرتين فقط . ثم يستمر لوثر فى تقديم المبدأ الذى يمتحن به أى كتاب « ان المحك الحقيقى لاختبار أى كتاب هـــو تقديم المسيح بصورة بارزة . فأى كتاب لا يعلم بالمسيح فهو ليس رسولى ، حتى ولو كان كاتبه بطرس أو بولس . ومن الناحية الاخرى فان أى كتاب يقدم المسيح يعتبر رسوليا حتى ولو كان كاتبه يهوذا الاسخريوطى أو حنانيا أوبيلاطس أو هيرودس » وقد فشلت رسالة يعقوب فى أن تجتاز ذلك الامتحان بنجاح .

ويستمر لوثر قائلا : « ان رسالة يعقوب ترجـــع بنا الى الناموس وأعماله ، وأن كاتبها يأتى بشىء من هنا وهناك لدرجة أنى اشك فى أن يكون كاتب الرسالة هو أحد الاتقياء الذى قد جمع بعض الاقوال التى فاه بها بعض تلاميذ الرسل ثم دونها على القرطاس ، أو أن يكون كاتب الرسالة شخصا كان يدون بعض الملاحظات على عظة من عظاته ، فهو يسمى الناموس ناموس الحرية (يعقوب ١ : ٢٥ ، ٢ : ١٢) مع أن الرسول بولس يدعوه ناموس العبودية والغضب والموت والخطية » (غلاطية ٣ : ٢٣ ، رومية ٤ : ١٥ ، ٧ : ١٠) . ويختم لوثر حديثه بالقول : « وبالاختصار ، فاننا نجد أن كاتب الرسالة يريد أن يهاجم الذين يعتمدون على الايمان بدون الاعمال ، ولكنه لا يمتلك القوة أو الفكر أو البلاغة التى تمكنه من القيـــام بتلك المهمـــة . انه يتحدى الكتب المقدسة ، ولذا نراه يعارض بولس والباقين. انه بتأكيداهمية الناموس يريد أن يبرز ما قدمه الرسل،ولكن بطريق آخر اذ أنهم أكدوا عنصر

المحبة كأساس لجذب الانسان . ولهذا فانى أرفض أن أفسح له مكانا بين كتاب الوحى ، ولكنى مع ذلك لا أعارض أى انسان يود أن يرفعه أو يضعه فى أى مكان يريد لان الرسالة تحوى فقرات ممتازة . ان شخصا واحدا لا يعدله قيمة أمام بقية أهل العالم ، فكم وكم اذا كان هذا الشخص يقف وحيدا ككاتب تلك الرسالة — معارضا بولس وباقى كتاب الكتاب المقدس أجمعين ؟ ! » .

والحق يقال ان لوثر كان قاسيا بلا هوادة على رسالة يعقوب ، وانه اذا نحن درسنا الرسالة جيدا ، فاننا سنرى كيف أن الهوى الشخصى قد تغلب على الحكم الصحيح لدى لوثر على الرسالة .

هذا هو اذن تاريخ رسالة يعقوب المملوء بعدم الاستقرار ، والآن سنحاول الاجابة على الاسئلة المتعلقة بكاتب الرسالة وتاريخ كتابتها .

شخصية يعقوب :

لنتأمل أولا فى كاتب الرسالة ، انه لا يقدم لنا أى معلومات عن نفسه ، فهو يدعو نفسه ببساطة « يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح » (يعقوب ١ : ١) فمن هو يعقوب اذن ؟

يوجد فى العهد الجديد ، على الاقل ، خمسة اشخاص يحملون نفس الاسم .

١ — فهناك يعقوب والد أحد الاثنى عشر وهو يهوذا ليس الاسخريوطى (لوقا ٦ : ١٦) ولا يمكن أن يكون له صلة بالرسالة اللهم الا تشابه الاسماء .

٢ — ويعقوب بن حلفى أحد الاثنى عشر (متى ١٠ : ٣ ، مرقس ٣ : ١٨ ، لوقا ٦ : ١٥ ، أعمال ١ : ١٣) وبمقارنة متى (٩ : ٩) ، ومرقس (٢ : ١٤) نجد أن متى ولاوى اسمان لشخصية واحدة ، ولاوى هو أيضا ابن حلفى ، ولذلك فان متى ويعقوب هذا لابد أن يكونا أخوين ونحن لانعرف

شيئا عن يعقوب بن حلفى ، ولذلك فهو أيضا لا علاقة له بالرسالة التى نحن بصددها .

٣ — ثم يوجد أيضا يعقوب الصغير الذى ورد ذكره فى مرقس (١٥ : ٤٠) انظر (متى ٣٧ : ٥٦ ، يوحنا ١٩ : ٢٥) وهذا لايعرف عنه شىء أيضا ولا يمكن أن تربطه بالرسالة صلة .

٤ — ثم يعقوب أخو يوحنا بن زبدى ، وهو أحد الاثنى عشر (متى ١٠ : ٢ ، مرقس ٣ : ١٧ ، لوقا ٦ : ١٤ ، أعمال ١ : ١٣) .

ولم يرد ذكر يعقوب هذا بمعزل عن يوحنا أخيه فى البشائر الاربع (متى ٤ : ٢١ ، ١٧ : ١ ، مرقس ١ : ١٩ و ٢٩ ، ٥ : ٣٧ ، ٩ : ٢ ، ١٠ : ٣٥ و٤١ ، ١٣ : ٣ ، ١٤ : ٣٣ ، لوقا ٥ : ١٠ ، ٨ : ٥١ ، ٩ : ٢٨ و٥٤ . ان يعقوب هذا كان اول جماعة الرسل الذين استشهدوا اذ قطعت رأسه بناء على أوامر هيرودس أغريباس الاول فى سنة ٤٤ م . انه ذو صلة بالرسالة ، ففى المخطوطة اللاتينية للكتاب المقدس « مخطوطة كوربينيسس» cobex corbeiensis التى وجدت فى القرن الرابع ، وفى نهاية رسالة يعقوب توجد ملحوظة تنسب فيها الرسالة صراحة الى يعقوب بن زبدى . وقد كانت الكنيسة الاسبانية تعتقد بصحة نسبة الرسالة الى يعقوب بن زبدى حتى نهاية القرن السابع . وهذا نسبة الى أن القديس يعقوب من مدينة (كومبوستيلا) compostella بأسبانية كان ذا مكانة عظيمة فى أسبانيا وهو يمثل هناك يعقوب بن زبدى ، فمن الطبيعى اذن أن ترغب الكنيسة الاسبانية فى أن يكون قديسها رمزا لكاتب احدى رسائل العهد الجديد ، ولكن استشهاد يعقوب المبكر لم يسمح له بكتابة الرسالة ولايوجد أى مصدر آخر غير مخطوطة كوربينيسس ينسب الرسالة الى يعقوب هذا .

٥— وأخيرا يوجد يعقوب المدعو اخا يسوع ، ان اوريجانوس فى النصف الاول من القرن الثالث هو أول من نسب الرسالة الى يعقوب هذا ، ومع ذلك فالرسالة دائما تنسب اليه . والكنيسة الرومانية الكاثوليكية أيضا تنسب الرسالة اليه ، لان مجمع ترنت سنة ١٥٤٦ قرر أن رسالة يعقوب موحى بها وقد كتبها يعقوب الرسول الذى نحن بصدده الآن .

ولنتأمل الآن فى شخصية يعقوب هذا لنجمع الأدلة بخصوصه .

اننا نعرف من العهد الجديد أنه واحد من أخوة يسوع (مرقس ٦ : ٣، متى ١٣ : ٥٨) وسوف نبحث فيما بعد المقصود بكلمة أخ . يتضح لنا ايضا ، أنه خلال خدمة يسوع ، كان أهله ضده ، فلم يقدروا رسالته أو يعطفوا عليه وكان بودهم لو منعوه من تأدية رسالته ; متى ١٢ : ٤٦ — ٥٠ ، مرقس ٣ : ٢١ و ٣١ — ٣٥ ، يوحنا ٧ : ٣ — ٩) . ويقول يوحنا بوضوح « لان اخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به » (يوحنا ٧ : ٥) . وهكذا ، فانه أثناء خدمة يسوع على الارض ، كان يعقوب يعد من ضمن معارضيه ، ولكن فى سفر الاعمال نجد تغييرا فجائيا دون مقدمات ، ففى بداية السفر نجد أن مريم أم يسوع واخوته يواظبون على الصلاة مع نفر قليل من المسيحيين (أعمال ١ : ١٤) .

ثم يتضح بعدئذ أن يعقوب قد أصبح قائدا لكنيسة أورشليم . كيف حدث هذا ؟ اننا لا نجد جوابا على ذلك ، ولكن مركز يعقوب فى كنيسة أورشليم كقائد لها يبدو واضحا . فبطرس يرسل الى يعقوب خبر خروجه من السجن (أعمال ١٢ : ١٧) . وقد ترأس يعقوب مجمع أورشليم الذى وافق على دخول الامميين الى الكنيسة المسيحية (أعمال ١٥) . وقد قابل بولس يعقوب وبطرس عندما ذهب لأورشليم لاول مرة ، وقد تناقش بولس مع بطرس ويعقوب ويوحنا اعمدة الكنيسة فى اختصاصات ودائرة عمله (غلاطية ١ : ١٩ ، ٢ : ٩) . وجاء أيضا بولس مع رفقائه من كنائس الامم الى يعقوب فى زيارته الاخيرة الى أورشليم والتى ادت به الى السجن (أعمال ٢١ : ١٨ — ٢٥) والحادثة الاخيرة فى هذا الجزء هامة لانها ترينا عطف يعقوب على اليهود الذين كانوا لا يزالون يحفظون الناموس واهتمامهم البالغ بألا تمس عوائدهم بسوء ، ثم تحريضهم لبولس بأن يظهر ولاء للناموس بأن ينفق على الاربعة الرجال اليهود الذين كانوا يتممون النذر . ويبدو واضحا من ذلك أن يعقوب كان يشغل منصب رئيس كنيسة أورشليم ، وهذا ماتناقلته الرويات ، فيقول هيجسيسبوس المؤرخ القديم أن يعقوب كان أول اسقف على كنيسة أورشليم ،ويقول أكليمندس الاسكندرى ان بطرس ويوحنا قد اختاراه لهذا المنصب .

ويقول جيروم فى كتابه عن « مشـــاهير الرجال » : « بعد موت الرب نصب الرسل يعقوب أسقفا على أورشليم .. واستمر أسقفا على الكنيسة لمدة ثلاثين عاما حتى السنة السابعة منحكم نيرون » .

وفى كتاب « اعترافات أكليمندس » نجد خطوة أخرى فى تعزيز القصة لان ذلك الكتاب يقول بأن يسوع نفسه هو الذى رسم يعقوب أسقفا على أورشليم . ويدون أكليمندس الاسكندرى حادثة غريبة فيقول : « ان الرب يسوع بعد القيامة قد أسر ببعض المعلومات الى يعقوب ويوحنا وبطرس وهم بدورهم قد أبلغوها لباقى الرسل ثم ابلغ الرسل أيضا هذه المعلومـــات الى السبعين رسولا » .

ويبدو أن الاحاديث والاساطير المتداولة عن مركز يعقوب فى كنيســـة أورشليم كثرت وتنوعت ، ولا حاجة بنـــا لقبولها جميعـــا ، ولكن الحقيقـــة الاساسية وهى أن يعقوب كان دون جدال يشغل المنصب الذى لم يجرؤ على منافسته فيه أحد ، وهو رياسة كنيسة أورشليم .

يعقوب ويسوع :

أن تغييرا كهذا حدث فى حياة يعقوب يتطلب تفسيرا . فما الذى غير يعقوب خصم المسيح الى يعقوب رئيس كنيسة أورشليم ؟ وفى النهاية شهيد المسيح ؟ ! (١) قد نجد تفسيرا لذلك التغيير فى عبارة وجيزة وردت فى العهد الجديد ذاته ، ففى كورنثوس الاولى والاصحاح الخامس عشر يعدد بولس الاشخاص الذين ظهر لهم المســيح بعد القيامة ، ثم نجد هـــذه الكلمات : « وبعد ذلك ظهر ليعقوب » (١ كورنثوس ١٥ : ٧) . وهناك أيضا اشارة غريبة عن يعقوب وردت فى (انجيل العبرانيين) الذى يعد من أقدم الاناجيل والذى لم يدرج ضمن كتب العهد الجديد ، وأننا نستطيع أن نحكم مما تبقى منه أنه ذو قيمة عظيمة .

فى ذلك الانجيل وردت الفقرة التالية ، وقد وصـــلت الينا عن طريق جيروم : « وعندما أعطى الرب قطعة الكتان الى عبد رئيس الكهنة ذهب فى الحال الى يعقوب وظهر له (لان يعقوب كان قد حلف أن لا يأكل خبزا مـــن

تلك الساعة ــ حيث أنه قد شرب من كأس الرب ــ حتى يرى يسوع المقام من الاموات) ، وبعد قليل قال الرب « أحضروا لى منضدة وخبزا » وبعد أن أحضروهما « أخذ خبزا وبارك وكسر وأعطى ليعقوب العادل وقال له : « أخى ، خذ كل خبزى لان ابن الانسان قد قام من بين الراقدين » .

وبالرغم مما فى هذه الفقرة من صعوبات ، الا أن بدايتها تظهر بأن يسوع بعد أن قام من الاموات وخرج من القبر أعطى الكتان الذى كان قد كفن به الى عبد رئيس الكهنة ، وذهب لمقابلة أخية يعقوب . وهى تتضمن أيضا أن يعقوب كان حاضرا فى العشاء الاخير . ومع أن الفقرة غامضة بعض الشىء الا أن هناك شيئا واضحا بها ، وهو أن شيئا ما ، فى حياة يسوع وخاصة فى الايام والساعات الاخيرة من حياته على الارض . قد أثر فى قلب يعقوب حتى أن يعقوب قد اقسم أن لا يأكل خبزا حتى يقوم يسوع ، ولذا فان يسوع جاء اليه ليؤكد له قيامته التى كان يعقوب يتوقعها . فاجتماع المسيح المقام ويعقوب شىء مؤكد ، وان كنا لا نعرف ما دار فى تلك المقابلة الشخصية . ولكننا نعرف بعدها أن يعقوب تحول من شخص معارض ومعاند ليسوع الى يعقوب الخادم للمسيح طوال حياته وشهيد المسيح .

يعقوب شهيد المسيح :

أن التقليد يؤكد لنا باستمرار استشهاد يعقوب ، ولكن بالرغم من أن روايات ظروف موته تختلف ، الا أن حقيقة استشهاده تظل ثابتة .

ان رواية يوسيفوس المؤرخ اليهودى مختصرة جدا وهى تقول : « واذ كان حنانيا يظن انه قد واتته الفرصة الملائمة ، لان فستوس كان قد مات ، والبينوس لم يكن قد وصل بعد ، عقد مجلسا قضائيا أحضر فيه أخا يسوع الذى يدعى المسيح ــ وكان اسمه يعقوب ، وأحضر معه آخرين وذلك بتهمة كسر الناموس ،وقد سلموا جميعا للرجم بالحجارة » .

كان حنانيا رئيس كهنة يهودى ، وكان كل من فستوس والبينوس واليين على فلسطين . ومغزى الرواية أن حنانيا قد انتهز الفترة القصيرة ، ما بين موت احدهما ومجىء الثانى ليخلفه ، لكى يقضى على يعقوب وبعض القادة

الآخرين للكنيسة المسيحية .

وهذه حقيقة تتفق مع ما نعرفه عن شخصية حنانيا . وهذا يعنى أن استشهاد يعقوب قد حدث سنة ٦٢ م .

ولكن هناك رواية أخرى وردت فى التاريخ الذى دونه هيجيسيبوس أن الحوادث التاريخية التى دونها هيجيسبيوس نفسه قد فقدت ، ولكن روايته عن موت يعقوب قد حفظها لنا ايوسيبس (التاريخ الجامعى ٢ : ٢٣) ، ومع انها مطولة ، الا اننا يجب أن ننقلها بنصها للحوادث المثيرة التى تحتوى عليها. الى الكنيسة والرسل الذين خلفوا اخا الرب ، يعقوب . والذى يلقب من وقت الرب الى يومنا هذا ، « بيعقوب العادل » ، حيث أن كثيرين كانوا يلقبون بهذا الاسم (يعقوب) . لقد كان مقدسا من بطن أمه ، وخمرا ومسكرا لم يشرب ، ولا اكل لحما ، ولم يعل موسى رأسه ، ولم يدهن نفسه بزيت . وقد سمح له بدخول القدس لانه لم يلبس صوفا بل كتانا . ودخل الهيكل وحده وكان يركع على ركبتيه ليطلب الغفران للشعب حتى أن ركبتيه من طــول الركوع أمام الله وطلب الغفران للشعب قد تورمتا . وبسبب حياة البرارة التى سلكها لقب بالعادل والبار وحامى حمى الشعب .

ولذلك فقد سأله فريق من الشعب من بين السبعة مذاهب قائلين له : « من هو يسوع ؟ » فأجاب بأنه المخلص فقبل بعضهم الايمان بأن يســـوع هو المسيح . وأما السبعة مذاهب السابق ذكرها فلم يكن احد من أتباعها يؤمن بالقيامة أو بأى شخص آخر يعطى كل واحد كما يكون عمله ، لكن ان كان أحد قد آمن بيسوع فذلك يرجع الى كرازة يعقوب . وبسبب ايمان كثير من الحكام سرت شبه ثورة بين اليهود والكتبة والفرنسيين لانهم قالوا انــه يوجد خطر متزايد من قبول الشعب من الانسياق وراء يســـوع مؤمنا بأنه المسيح ، فنرجوك أن تحرضهم ضد يسوع عندما يأتون فى يوم الفصح ، لان كلمتك مسموعة ، ونحن نشهد لك بأنك عادل ولا تحابى بالوجوه ، قف على جناح الهيكل حتى تكون ظاهرا للجميع ويمكن لهم أن يسمعوك بوضوح ، لان الجميع قادمون بسبب الفصح » ولذلك فان الكتبة والـــفريسيين قد وضعوا يعقوب على جنـــاح الهيكل وقالوا له : يا يعقوب العـــادل ، يامن يجب أن نسمع له ، حيث أن الشعب قد ضل وراء يسوع المصلوب ، اخبرنا من هـــو

يسوع ؟ » ، فأجاب يعقوب بصوت عال : « لم تسألونني عن ابن الانسان ؟ انه جالس فى السماء عن يمين العظمة ، وسوف يأتى فى سحب السماء » .

وعندما اقتنع كثيرون ، وأعطوا مجـدا لله من اجل شهادة يعقوب ، وقالوا « أوصانا بن داود » قال الكتبة والفريسيون بعضهم لبعض : « لقـد أخطأنا فى أن نجعل شخصا كهذا يقـدم هذه الشهادة للمسيح ، ولكن لنذهب ونلقيه الى أسفل حتى يخاف الشعب ولا يؤمنوا بيسوع » وصاحوا قائلين : « آه .. حتى العادل قد ضل » ، وبذلك تمت فيهم نبوة اشـعياء « قولوا للصديق خير ، لأنهم يأكلون ثمر افعالهم » (اشعياء ٣ : ١٠) « وقاموا والقوا به الى الارض ، وقال بعضهم لبعض « لنرجم يعقوب العادل » ، واخـذوا يرجمونه ؛ لأنه لم يكن قد مات بسبب القائه ولكنه قام وركع وصلى قائلا : « أطلب اليك يا الله الآب أن تغفر لهم لأنهم لايدرون ماذا يفعلون» ، وبينمـا كانوا يرجمونه صاح احد الكهنة ــ هو من أبناء راحاب ابن راحابيم المذكور فى نبوة ارميا ــ صاح قائلا : « كفوا . . ماذا تعـملون . . أن العـادل يصلى من أجلكم » .

ثم اخذ الواقفين عصاه وضرب بها يعقوب على راسه ، فأسلم الروح ، ثم دفنوه هناك فى نفس البقعة بجوار الهيكل . لقد كان شاهدا أمينا للمسيح أمام اليهود واليونانيين . وبعد استشهاده جاء حصار فاسباسيان » .

ان الجملة الأخيرة من حديث هيجسيبوس ترينا أن تاريخ موت يعقوب حسب روايته تختلف عن رواية يوسيفوس ، فيوسيفوس يقول ان يعقوب استشهد سنة ٦٢ م ، ولـكن اذا كان استشهاد يعقوب قبـل حصـار فاسباسيان فتاريخ استشهاده يكون حوالى سنة ٦٦ م .

قـد تكون كثيرا من الحـوادث التى تلاها هيجيسيبوس خرافية ، ولكننا نستخلص منهـا شيئين هامين . أولهما ، أن الرواية نفسها تعد دليلا على استشهاد يعقوب . وثانيهما ، أنه حتى بعد أن أصبح يعقوب مسيحيا ، فانه ظل فى ولاء تام للناموس حتى أن اليهود اعتبروه واحدا منهم .

والحق ، أن يعقوب كان كذلك ، واننا نلاحظ ذلك عنـدما جاء بولس

الى أورشليم مع رفقائه الى الكنيسة هنـــاك (أعمال ٢١ : ١٨ ـ ٢٥) . لأننا رأينا كيف أن يعقوب قد حث بولس الا يتحـدى الناموس بل ينفق على الرجال الذين كان عليهم النذر .

أخو الرب :

قبل الانتهاء من دراسة شخصية يعقوب ، يبقى لنا سؤالا يجدر الاجابة عليه . ففى غلاطية (١ : ١٩) يتكلم بولس عن يعقوب كأخى الرب ، وفى متى (١٣ : ٥٥) ومرقس (٦ : ٣) نجـد يعقوب ضمن اخوة يسوع ، وفى أعمال (١ : ١٤) لم يذكر أى أسماء الا أنه مكتوب ان اخوة يسوع كانوا من اتباع المسيح فى الكنيسة الأولى . والسؤال المطـــروح للبحث الآن هو : ما المقصود بكلمة أخ ؟ .

ان الكنيســة الرومانية الكاثوليكية تعلق أهميــة كبرى على الاجابة عن هذا السؤال . وكذلك القسم الكاثوليكى من الكنيسة الانجيلكانية .

فقد كان هذا السؤال مثار جدل فى الكنيسة منذ وقت جيروم .

هناك ثلاثة نظـــريات بخصوص صلة هؤلاء الاخوة بيسوع ، سوف نستعرضها هنا جميعها .

نظرية هيرونيميان :

ان نظرية هيرونيميان تستمد اسمها من جـيروم الذى يعنى فى اليونانية (هيرنيموس) ، فهــو صاحب هذه النظرية اذ أنهــا لم تظهر من قبـــل جيروم . ان هذه النظرية تعلن أن اخوة يسوع فى الواقع أبناء خالته ، وترجع أهمية النظرية فى أن الكنيسة الرومانية الـــكاثوليكية تعتبرها مادة من مواد الايمان ، وتأخذ بها . قدم جيروم هذه النظرية سنة ٣٨٣ ، ولكى يسهل علينا فهمها سنفصلها فى نقاط متتابعة .

١ ـ ان يعقوب أخا ربنا مذكور ضـــمن الرسل . فبـــولس يقول : « ولكننى لم أر غيره من الرسل الا يعقـــوب أخا الرب » (غلاطية ١ : ١٩) فهنا نجد الدليل على أن يعقوب رسول .

٢ — يصر جيروم على أن كلمة رسول لا تطلق الا على الاثنى عشر وأن لقب رسول يقتصر عليهم وعليهم وحدهم .

فان كان الأمر كذلك فيجب أن يكون يعقوب من بين الاثنى عشر . ولا يمكن أن يكون يعقوب اخا يوحنا وابن زبدى الذى بغض النظر عن أى اعتبار آخر ، كان قد استشهد وقت كتابة بولس لما ورد فى (غلاطية ١ : ١٩) وبمقارنة (أعمال ١٢ : ٢) بذلك نجد أنه لابد اذن أن يكون هو يعقوب بن حلفى ، ولذا فيعقوب أخو الرب ويعقوب بن حلفى هما اسمان لشخصية واحدة .

٣ — ويستمر جيروم فى عرض نظريته نيخبرنا بأن (مرقس ٦ : ٣) يقول : « اليس هذا هو ابن النجار ابن مريم واخو يعقوب ويوسى » ، وفى (مرقس ١٥ : ٤٠) نجد بجوار الصليب مريم أم يعقوب الصغير ويوسى . فيعقوب الصغير اذن أخو يوسى وابن مريم ،ويجب أن يكون لذلك هو نفس يعقوب المذكور فى مرقس (٦ : ٣) . ويعقوب المذكور فى مرقس (٦ : ٣) هو يعقوب أخو ربنا ، ولذلك فجيروم ينادى بأن يعقوب أخا ربنا ويعقوب ابن حلفى ويعقوب الصغير أسماء مختلفة لشخصية واحدة .

٤ — ويأتى جيروم الى نهاية جدله « فيعمل تعديلا فى قائمة السيدات اللاتى كن عند صلب المسيح وسنذكر الآن قائمة بهؤلاء السيدات حسب كتاب الاناجيل الذين ذكروهن ، ففى (مرقس ١٥ : ٤٠) يذكر أن تلك القائمة هى :

مريم المجدلية أم يعقوب ويوسى وسالومة .

ويذكر (متى ٢٧ : ٥٦) القائمة كما يلى :

مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وأم ابنى زبدى .

واما فى (يوحنا ١٩ : ٢٥) فالقائمة كما يأتى :

أم يسوع واخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية .

والآن نجد بالتأمل فى تلك القوائم أن مريم المجـدلية مذكورة فى جميع القوائم بالاسم وايضا سـالومه وأم ابنى زبدى . ولكن قائمة يوحنا تثير جدلا ، فكم من النساء مذكور فى تلك القائمة ثلاث أم أربع ؟ هل يمكن قراءة القائمة هكذا :

(١) أم يسوع
(٢) اخت أم يسوع
(٣) مريم زوجة كلوبا
(٤) مريم المجدلية . أم نقرأ القائمة هكذا :

(١) أم يسوع (٢) أخت أم يسوع مريم زوجة كلوبا «٣» مريم المجدلية . ان جيروم يصر على أن القراءة الثانية صحيحة ، وأن هناك ثلاث نساء فقط ، وأن اخت أم يسوع هى نفسها مريم زوجة كلوبا .فان كان الأمر كذلك ،فتكون أخت أم يسوع هى نفسها مريم أم يعقوب ويوسى المذكورة فى باقى البشائر . ويعقوب هذا هو نفسه يعقوب الصغير ، ويعقوب بن حلفى ويعقوب الرسول اخو ربنا أو هكذا اشتهر .

وهذا يعنى أن يعقوب هو ابن أخت مريم اى ابن خالة يسوع .

هذا هو رأى جيروم ، ويمكن أن يوجه اليه أربعة انتقادات :

ا ــ ان يعقوب يذكر مرارا وتكرارا على أنه أخو يسوع أو أنه يعد دائما من اخوة يسوع . وكلمة اخ تعنى دائما فى اليونانية « adelphos » ، صحيح انه يمكن اطلاق كلمة « adelphis » على من يعيشون فى رابطة متينة معا كاخوة كما يسمى المسيحيون الواحد منهم الآخر بكلمة اخ وصحيح أن الكلمة يمكن أن تكون تعبيرا عن المودة ، فقـد ندعو شخصا تربطنا به رابطة قوية بكلمة اخ . ولكن عندما تستعمل الـكلمة عن علاقة جسدية أى صلة قرابة دم ، فمن غير المحتمل أن يكون التعبير القصد به «ابن خالة» أو « ابن عم » ، فلو كان يعقوب ابن خالة يسوع ، فمن غير المحتمل بل من المستحيل أن يدعى أخا يسوع .

٢ ـــ ان جيروم كان مخطئا فى ادعائه بأن كلمة « رسول » لا تطلق الا على الاثنى عشر فقد كان بولس رسولا (روميه ١ : ١ ، ١ كورنثوس ١ : ١ ، ٢ كورنثوس ١ : ١ ، غلاطية ١ : ١) وكان برنابا رسولا (أعمال ١٤: ١٤ ، ١ كورنثوس ٩ : ٦) ، وسيلا كان رسولا (أعمال ١٥ : ٢٢) ، وكذلك كان اندرونكوس ويونياس رسولين (روميه ١٦ : ٧) فمن الخطأ اطلاق كلمة « رسول » على الاثنى عشر فقط ، وحيث ان الامر كذلك فلا داع لأن يكون يعقوب أخو الرب ضمن الاثنى عشر ، وهذا وحده كفيل بدحض نظرية جيروم .

٣ ـــ ان قائمة النساء المذكورة فى (يوحنا ١٩ : ٢٥) أكثر احتمالا أن تكون أربع نساء من أن تكون ثلاث فقط ، لأنه اذا كانت مريم زوجة كلوبا هى حقا أخت مريم أم يسوع ، فهذا يعنى أن أختين فى عائلة واحدة تحملان نفس الاسم ، وهذا أمر بعيد الاحتمال .

٤ ـــ ثم ان الكنيسة لم تعرف شيئا عن هذه النظرية حتى أبرزها جيروم سنة ٣٨٣ م ، وانها لم تظهر الا لتدعيم الاعتقاد بدوام عذراوية مريم ، فالنظرية أساسها أن مريم لم يكن لها أطفال سوى يسوع .

وبالرغم من أن هذه النظرية هى العقيدة الرسمية للكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وبالرغم من أن بعض البروتستانت يتمسكون بها ، الا انها لا تقوم على حقائق ثابتة .

نظرية ابيفانس :

ان النظرية الثانية الخاصة بالعلاقة بين يسوع واخوته تسمى نظرية (ابيفانس) وهى تنادى بأن أولئك الذين يدعون « أخوة يسوع » ليسوا سوى اخوة غير اشقاء، وانهم أبناء يوسف من زواج سابق . وهى تنسب لأبيفانس الذى أكدها سنة ٣٧٠ م . ان أبيفانس ليس واضع هذه النظرية التى تحمل اسمه ، انها قد وجدت من قبل ، بل يمكن القول انها تمثل الرأى السائد فى الكنيسة الأولى .

واساس هذه النظرية يوجد فى كتاب من كتب الأبوكريفا أى الاسفار الغير قانونية ، وهو « سفر يعقوب » أو كما يسمونه Protevangelium ويرجع تاريخه الى منتصف القرن الثانى . وقد ذكر فى هذا السفر أنه كان يوجد زوجان مكرسان لله هما يهوياقيم وحنه ، وكان حزنهما عظيما لأنهما لم يرزقا أطفـالا ، ولكنهما سرا سرورا عظيما عندما ولد لهما طفل فى مقتبل العمر ، وكما يبدو من القصة ، ولد هذا الطفل ميلادا عذراويا . وكان هذا الطفل بنتا سميت باسم مريم التى أصبحت فيما بعد أم يسوع .

ولقد نذر يهوياقيم وحنه بنتها للرب ، فلما وصلت الثالثة من العمر أخذاها الى الهيكل وتركاها هناك فى رعاية الكهنة ، ونمت البنت فى الهيكل ، ولما وصلت سن الثانية عشرة فكر الكهنة فى تزويجها فدعوا الرجال الذين سبق لهم الزواج ، واخبروا كل رجل منهم أن يحضر عصاه معه ، وكان بينهم يوسف النجار ، فأخذ رئيس الكهنة العصى وكانت عصا يوسف هى الأخيرة ، ولم يحدث شىء لباقى العصى ، أما عصا يوسف فقد طارت منها حمامة واستقرت على رأس يوسف . وهكذا عرف أن يوسف سيأخذ مريم كزوجة . كان يوسف فى أول الأمر غير راض عن هذا قائلا : « ان لى ابناء وأنا رجل كبير ولكنها بنت صغيرة ، ولئلا اصبح مادة لسخرية فى عيون بنى اسرائيل » (سفر يعقوب ٩ : ٨) ، ولكنه أخذها فى نهاية الأمر اتماما لارادة الله ، وفى الوقت المناسب ولد يسوع . ان ما جاء فى هذا السفر خرافى طبعا ، ولكنه فى منتصف القرن الثانى أصبح نظرية شائعة تحمل اسم ابيفانس .

انا نقول عن تلك النظرية لأول وهلة ، انه ليس ثمة دليل مباشر لتدعيمها ، فاذا ما أيدت يكون ذلك عن طريق غير مباشر .

فما هى اذن الأدلة الغير مباشرة من الوحى والتى يمكن أن تذكر لتدعيمها ؟ .

١ — قد يسأل أحدهم هذا السؤال : هل كان يسوع يسلم أمه لرعاية يوحنا عند الصلب لو أن لها ابناء آخرين غيره (يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧)

ويمكن اجابة على هذا السؤال ان نقول أن أخوة يسوع لم يكونوا على وفاق معه ولم يظهروا أى عطف عليه ، فلم يكن ممكنا والحالة هذه أن يسلم امه لرعايتهم .

٢ — يقولون ان تصرف أخوة يسوع معه كان بمثابة تصرف أخوة كبار نحو أخيهم الأصغر ، فقد قالوا انه مختل العقل وارادوا أن يأخذوه للمنزل (مرقس ٣ : ٢١ ، ٣١ — ٣٥) ولم يكن أخوته يؤمنون به بل كانوا فى عداء معه (يوحنا ٧ : ١ — ٥) . ولكن يمكن القول ان سلوكهم هذا نحوه يرجع لأنهم وجدوه مضايقا لعائلتهم ، بغض النظر عن فارق السن .

٣ — ثم يقول مؤيدو هذه النظرية ان يوسف كان اكبر من مريم ، ولذلك فلا نجد ذكره فى رواية الأناجيل بعدئذ ، فلابد اذن أنه مات قبل بداية كرازة يسوع . وقد ورد ذكر مريم فى عرس قانا الجليل مع عدم ذكر يوسف (يوحنا ٢ : ١) ، ويذكر يسوع أحيانا على أنه ابن مريم ، وهذا يوحى بأن يوسف مات ، وأن مريم أصبحت أرملة (مرقس ٦ : ٣) وقارن أيضا (متى ١٣ : ٥٥) . ثم أن اقامة يسوع الدائمة فى الناصرة حتى بلوغه الثلاثين من العمر (لوقا ٣ : ٢٢) يمكن تفسيره على أساس أن يوسف مات وأن يسوع أصبح مسئولا عن رعاية الأسرة ، ولكن حقيقة أن يوسف أكبر من مريم لا يمكن أن تتخذ برهانا على أنه لم يرزق بأطفال من مريم ، وحقيقة أن يسوع مكث فى الناصرة ، وعمل فيها كنجار ليعول العائلة تبين ان يسوع كان أكبر الأبناء وليس أصغرهم . ويضيف لايتفوت Lightfoot الى ذلك رأيين ، أولهما أن هذه النظرية هى نظرية التقليد المسيحى وثانيهما أنه يدعى أن أى شىء بخلاف ذلك يعد متناقضا مع الفكر المسيحى .

ولكن هذه النظرية ونظرية هيرونيميان لهما أصل واحد . والغرض منهما تدعيم الاعتقاد بدوام عذراوية مريم . انهما من ميل الكنيسة لتمجيد حياة التبتل والرهبنة والاقلال من قيمة الحياة الزوجية . ليس ثمة دليل مباشر على صحة نظرية أبيفانس ولم يكن احد ليفكر فى نظرية كهذه لولا وجود فكرة دوام عذراوية مريم أم ربنا .

نظرية هلفيدس :

النظرية الثالثة بهذا الصـــدد تسمى النظرية الهيلفيديانية ، انها تقرر بكل بساطة ان اخوة يسوع واخواته هم كذلك بكل معنى الكلمة،انهم «اخوة رحم» حسب الاصطلاح المعروف اى انهم يشتركون فى نفس الرحم مع اختلاف الأب . ولا يعرف شىء عن هلفيدس هذا الذى تنسب اليه النظرية ، وكـــل ما يعرف، عنه أنه دون بحثا لتأييد هذه النظـــرية التى عارضها جـــيروم بقـــوة .

فما هى اذن الأدلة التى تستند عليها ؟

١ ــ يحق لنا القول ان اى شخص يقرأ العهــد الجديد دون أن يكون مؤمنا بأفكار لاهوتية معينة ، لابد له أن يؤمن بصحة هذه النظرية ، فرواية العهــد الجديد لا تشتمل على أى آراء اخرى بخصوص اخوة المسيح غـــير انهم أخوته واخواته بكل معنى الكلمة .

٢ ــ ان رواية الميـــلاد فى (متى) و (لوقا) توحى بأن مريم رزقت بأطفال آخرين . ففى متى نقرأ القول « فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنهـــا البـــكر » (متى ١ : ٢٤ و ٢٥) فهذا ايحاء تام بأن يوسف بدأ علاقته الزوجية العادية مع مريم بعد ميـــلاد يسوع . وقد استغل ترتليان هذه الفقرة ليثبت أن كـــلا من حياة التبتل والحياة الزوجية مقدسة فى المسيح على اساس أن مريم كانت عذراء فى البداية ثم أصبحت زوجة بكل معنى الكلمة . وقـــد استعمل لوقا فى حديثه عن ميلاد يسوع نفس العبارة . فولدت ابنها البكر .. (لوقا ٢ : ٧) فتسمية يســـوع بالابن البكر يوضح أنه كان هناك أطفال آخـــرين بعـــده . فرواية الميلاد اذن فى متى ولوقا لا تؤيد الا الراى القائل ان اخـــوة يسوع وأخواته هم أبناء يوسف ومريم .

٣ ــ وكما ذكرنا سابقا ، أن بقـــاء يسوع فى الناصرة كنجـــــــــار القرية حتى بلوغه الثلاثين من العمر على الأقل يوضح ان لم يكن يثبت انه

كان الابن الأكبر الذى أخذ على عاتقـــه مسئولية رعاية الاسرة بعد موت يوسف .»

نحن نؤمن أن أخوة يسوع وأخواته هم فى حقيقة الأمر اخوته وأخواته .» وأى نظرية أخرى خلاف ذلك منشؤها تمجيــد التبتل واعتبار مريم عــذراء الى الأبد . ولكن من الافضل ان نؤمن بطهـــارة الحياة العائلية من أن نؤمن بأن حياة العزوبة أحسن من الحيــاة الزوجية القائمة على الحب المتبادل . ولذا ، فان يعقوب المدعو أخا ربنا ، هو فى الواقع أخو يسوع .

يعقــوب كاتب الرسالة :

هل يعقوب أخو ربنا هو أيضا كاتب الرسالة ؟

كلما ازددنا بحثــا فى كاتب الرسالة وتاريخ كتابتها ، كلما وجدنا أنفسنا نجابه صعوبات جمة ، لأننا سنجد أن الآراء المؤيدة أن يعقوب أخا ربنا هو كاتب الرسالة تكاد تساوى الآراء المعارضة لأن يكون هو كاتبها . ولنحاول الآن أن نجمع الأدلة المؤيدة .

١ ــ لو أن يعقوب هذا كتب الرسالة فلابد أن تكون الرسالة عامة ، وهذا هو الحال بالنسبة للرسالة . ان يعقــوب لم يكن كبولس رجل أسفار ومحافل مختلفة فقد كان يعقوب يترأس القسم اليهودى من الكنيسة ، ولابد اذن أن تكون الرسالة التى كتبها رسالة عامة لأنهـــا موجهة بنوع خاص لجميع اليهــود المسيحيين .

٢ ــ كل مافى الرسالة تقريبا مقبول لدى أى يهــودى أرثوذكسى ، حتى أن كثيرين اعتقدوا بأن الرسالة من الآثار الأدبية اليهودية التى أفسح لهـــا مكان فى العهد الجديد . يقول ا . ه ماكنيل انه كثيرا ما تصادفنا فى الرسالة عبارات يمكن تأويلها لتناسب الفكر اليهودى ، كمـــا يمكن تفسيرها لتناسب العقيدة المسيحية .

فمثلا عبارة « الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات » (١ : ١) يمكن أن يفهمها أى يهودى على أنها تخص اليهـــود المشتتين فى العالم ، ويمكن أن

ان الصبغة اليهودية المضفاة على الرسالة تتفق تماما مع شخصية يعقوب .

٣ ــ هناك شيئان متشابهان فى كل من رسالة يعقوب ، وكتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم الى كنائس الامم . فكلاهما يبدأ « باهداء السلام » (يعقوب ١ : ١ ، أعمال ١٥ : ٢٣) ، والكلمة المستعملة هى «Chairein» وهى كلمة التحية المألوفة فى اليونانية التى يبدأ بها أى خطاب . ولكنها مع ذلك لم ترد فى أى مكان آخر من كتب العهد الجديد سوى فى بداية كتاب الامير الشاب (كلوديوس ليسياس) الى حاكم الولاية (أعمال ٢٣ : ٢٦) ، فهى حقيقة غريبة نوعا ما أن نجد أن وثيقتين فقط من وثائق العهد الجديد هما اللتان تستعملان نفس البداية وكلاهما ترتبط باسم يعقوب والتشابه بينهما هو انه فى (أعمال ١٥ : ١٧) نوجد عبارة وردت فى كتاب الرسل والمشايخ يتكلم فيها عن الاميين « الذين دعى اسمى عليهم » . ولا تتكرر هذه العبارة مرة أخرى فى العهد الجديد سوى فى (يعقوب ٢ : ٧) حيث وردت عبارة « الاسم .. الذى دعى به عليكم » ، ومع اختلاف العبارتين فى الطبعة الامريكية الا أن العبارة الواردة فى اليونانية فى كلتا الحالتين واحدة . فمن الغريب أن نجد فى كتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم عبارتين لم تردا سوى فى رسالة يعقوب ، وأن هذا الدليل بأن كتاب أورشليم قد كتبه يعقوب، وبالتالى فهو دليل أيضا على أن رسالة يعقوب قد كتبها يعقوب أخو ربنا ورئيس كنيسة أورشليم

ولكن هناك أدلة اخرى معارضة لفكرة كتابة يعقوب أخو ربنا للرسالة وهى :

١ ــ ان كان كاتب الرسالة هو أخو ربنا ، فاننا كنا ننتظر منه أن يشير الى تلك الحقيقة ، ولكن كل ما يدعو به نفسه هو « عبد الله والرب يسوع المسيح » (١ : ١) ، فلو أشار يعقوب الى أنه أخو ربنا لكان فى ذلك ، تدعيم للرسالة وليس لمجده الشخصى على الاطلاق . لو أشار يعقوب الى ذلك لكان فى تلك الاشارة تأكيد لاهمية الرسالة خارج فلسطين ، فى بلاد لا

رسالة يعقوب تمثل مسيحيـة كانت فى بداية عهدها ، وهـذا هو السبب فيما يأتى :

(أولا) نجد تكرار تعاليم العظة على الجبل فى الرسالة فيمكننا مرات كثيرة أن نقـارن بين ما جاء فى (يعقـوب ٢ : ١٢ ، متى ٦ : ١٤ و ١٥ ، يعقوب ٣ : ١١ — ١٣ ، متى ٧ : ١٦ — ٢٠ ، يعقـوب ٥ : ١٢ ، متى ٥ : ٣٤ — ٣٧) .

ان أى معتنق للمسيحية من اليهود يجد متعة كبيرة فى دراسة التعاليم الأدبية المتضمنة فى الايمان المسيحى .

(ثانيا) التناقض الظاهرى بين هذه الرسالة وبين تعاليم بولس .

فعند قراءة (يعقوب ٢ : ١٤ — ٢٦) لأول وهلة يظهر لنا وكأن هـذا الجزء هجوم صريح على المبادىء البولسية . فالرسالة تنادى انه « بالأعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده » ، يظن لأول وهلة أن ذلك يناقض التعاليم التى ينادى بها بولس عن التبرير بالايمان . ولكن ما يهـاجمه يعقوب هو الايمان الذى ليست له ثمار ادبية ، وأن اى شخص يتهم بولس بأنه ينادى بايمان كهذا لا يمكن أن يكون قد قرأ رسائل بولس ، فرسائله مملوءة بالمطالبة بمثل هذه الثمار ، فيكفى أن تقرأ اصحاحا واحدا كرومية (١٢) مثـلا لترى كيف أن بولس كان ينادى بايمـان له الثمار المتكاملة . ان يعقوب قد مات سنة ٦٢ م . فلم يكن قد قرأ لذلك رسائل بولس ، لأن تلك الرسائل لم تكن تقرأ على نطاق واسع فى كل أنحاء الكنيسة حتى سنة ٩٠ م على الأقل ، ولذا فهى لم تكن منتشرة وشائعة ، وقتئذ . ولذا فيبدو أن هجوم يعقوب هذا اما أن يكون موجهـا ضد من أساءوا فهم قصـد بولس أو ضد تحريف ما قاله بولس . وليس هناك مكان يمكن أن يساء فيه فهم بولس أو تحريف ما قاله كاورشليم ، حيث اكد بولس مرارا وتكرارا اهمية الايمان والنعمة . هذا وان هجوم بولس على الناموس فى أورشليم ، كان لابد أن يثير كثـيرا من سوء الفهم والشكوك اكثر من اى مكان آخر أيضا . فمن الأمور البعيدة الاحتمال أن يهـاجم يعقوب بولس ، اذ أن ما يهاجمه يعقوب هو التفسير الخاطىء لأقوال بولس ، وليس هناك مكان آخر يلائم جو الرسالة اكثر من أورشليم .

ان الصبغة اليهودية المضفاة على الرسالة تتفق تماما مع شخصية يعقوب .

٣ ــ هناك شيئان متشابهان فى كل من رسالة يعقوب ، وكتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم الى كنائس الامم . فكلاهما يبدأ « باهداء السلام » (يعقوب ١ : ١ ، أعمال ١٥ : ٢٣) ، والكلمة المستعملة هى «Chairein» وهى كلمة التحية المألوفة فى اليونانية التى يبدأ بها أى خطاب . ولكنها مع ذلك لم ترد فى أى مكان آخر من كتب العهد الجديد سوى فى بداية كتاب الامير الشاب (كلوديوس ليسياس) الى حاكم الولاية (أعمال ٢٣ : ٢٦) ، فهى حقيقة غريبة نوعا ما أن نجد أن وثيقتين فقط من وثائق العهد الجديد هما اللتان تستعملان نفس البداية وكلاهما ترتبط باسم يعقوب والتشابه بينهما هو انه فى (أعمال ١٥ : ١٧) نوجد عبارة وردت فى كتاب الرسل والمشايخ يتكلم فيها عن الاميين « الذين دعى اسمى عليهم » . ولا تتكرر هذه العبارة مرة أخرى فى العهد الجديد سوى فى (يعقوب ٢ : ٧) حيث وردت عبارة « الاسم .. الذى دعى به عليكم » ، ومع اختلاف العبارتين فى الطبعة الامريكية الا أن العبارة الواردة فى اليونانية فى كلتا الحالتين واحدة . فمن الغريب أن نجد فى كتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم عبارتين لم تردا سوى فى رسالة يعقوب ، وأن هذا الدليل بأن كتاب أورشليم قد كتبه يعقوب، وبالتالى فهو دليل أيضا على أن رسالة يعقوب قد كتبها يعقوب أخو ربنا ورئيس كنيسة أورشليم

ولكن هناك أدلة اخرى معارضة لفكرة كتابة يعقوب أخو ربنا للرسالة وهى :

١ ــ ان كان كاتب الرسالة هو أخو ربنا ، فاننا كنا ننتظر منه أن يشير الى تلك الحقيقة ، ولكن كل ما يدعو به نفسه هو « عبد الله والرب يسوع المسيح » (١ : ١) ، فلو أشار يعقوب الى أنه أخو ربنا لكان فى ذلك ، تدعيم للرسالة وليس لمجده الشخصى على الاطلاق . لو أشار يعقوب الى ذلك لكان فى تلك الاشارة تأكيد لاهمية الرسالة خارج فلسطين ، فى بلاد لا

تعرف عن يعقوب شيئا يذكر . ان كان يعقــوب هذا هو أخو ربنا فمن المستغرب الا يشير الى هذه الحقيقة عن طريق مباشر أو غير مباشر .

٢ ـــ كنا ننتظر أيضا ان نجد فى الرسالة اشارة من يعقوب الى أنه رسول ، ان كان يعقوب أخو ربنا هو كاتب الرسالة . فليس من شك فى أنه رسول . لقد كانت من عادة بولس ان يبدأ رسائله بالاشارة الى ذلك ؛ لان ذلك ليس مجدا شخصيا ، ولكنه تأكيد لاهمية ما يكتب وضمان لصحته . فان كان يعقوب هذا حقا هو اخو الرب ورئيس كنيسة أورشليم وواحد من الرسل، فاننا ننتظر منه اشارة على الاقل فى بداية الرسالة الى هذه الحقيقة .

٣ ـــ ولكن اغرب من هذا كله ، والشيء الذى جعل لوثر يشك حيال ادراج الرسالة ضمن كتب العهد الجديد ، خلو الرسالة من أية اشارة الى يسوع المسيح ، فلم يرد ذكر المسيح فيها سوى مرتين مع عدم ذكر أيــة حوادث متعلقة بذلك (١ : ١ ، ٢ : ١) .

وليس فى الرسالة اشارة الى قيامة المسيح ، ونحن نعرف جيد المعرفة أن الكنيسة الاولى قد بنيت على أساس الايمان بالمسيح المقام . لو أن يعقوب هو كاتب الرسالة تكون الرسالة معاصرة للاحداث التى ذكرت فى ســـفر الاعمال ، وقد ذكرت القيامة فى سفر الاعمال بمـــا لايقل عن ٢٥ مرة ، ومــــا يزيد الامر دهشة هو أن يعقوب قد ظهر له الرب بعد القيامة وأن ذلك كان السبب فى تغيير اتجاه حياته . لابد أن يعقوب لم يكتب عن ظهور المسيح له لسبب خاص وشخصى . من المستغرب أن يكتب أى شخص شيئا فى ذلك الوقت عن تاريخ الكنيسة دون اشارة الى قيامة يسوع ، والاغرب من ذلك أن يكون ذلك الشخص هو يعقوب أخو ربنا .

ثم أن الرسالة لم تشر الى يسوع كالمسيا ان كان يعقوب رئيس القسم اليهودى من الكنيسة يكتب الى مسيحيين كانوا يهودا ، فاننا نعتقد أن غرضه لابد أن يكون تقديم المسيح لهم كالمسيا أو أن يبرز ايمانه بتلك الحقيقة على الاقل ، ومع ذلك فالرسالة خلو من كل هذا .

٤ ـــ واضح أن كاتب الرسالة ملم المـــاما تاما بالعهد القديـــم ، ومن

المعروف أيضا أنه يعرف « أدب الحكمة » جيد المعرفة ، وهذا ما لا غرابة فيه بالنسبة ليعقوب . ثم ان الرسالة تحوى ٢٣ اقتباسا من العظـــة على الجبل ، وهذا أمر عادى أيضا لانه حتى قبل كتابة الاناجيل كانت هناك أجزاء من العظة على الجبل متداولة بين الناس . قال بعضهم انه لابد أن يعقوب قد اطلع على رسائل بولس الى أهل رومية وغلاطية حتى انه استطاع أن يكتب ما كتب عن الايمان والاعمال ، وقيل أيضا وهذا حق ان اليهودى الذى لم يخرج عن نطاق فلسطين والذى قد مات سنة ٦٢ م لا يمكن أن يكون قد قرأ تلك الرسائل ، ولكن كما رأينا فانتقاد يعقوب لتعاليم بولس لا يمكن أن يصدر الا عن شخص لم يقرأ رسائل بولس ثم أنه من ناحية أخرى يعالج اما سوء فهم أو تحريف للرسائل البولسية ، ولكن ما ورد فى (١ : ١٧) « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة » مقتبس من قصيدة يونانية وواضح أنها اقتباس من أحد شعراء اليونان ،والعبـــارة الواردة فى (٣ : ٦) « دائرة الكون » مأخوذة أيضا من الاساطير القديمة . فكيف استطاع يعقوب الذى لم يخرج عن نطاق فلسطين أن يقتبس اقتباسات كهذه ؟

فهناك اذن أشياء يصعب فهمها اذا كنا نريد أن نقتنع بأن يعقوب أخا ربنا هو الكاتب لتلك الرسالة .

وقلنا قبل ذلك انه عند فحص الادلة بخصوص كاتب الرسالة وتاريخ كتابتها ، نجد أنفسنا أمام وجهتى نظر متباينتين ، وكل وجهة لها أدلتها التى تدعمها ، ولذا فاننا سنترك الموضوع قليلا ، لنحـــاول الاجابة على أسئـــلة أخرى بخصوص الرسالة .

تاريخ كتابة الرسالة :

عندما نتجه للكتابة عن تاريخ الرسالة نجد نفس هذا التباين ، فمـــن الممكن أن يقال ان الرسالة قديمة الاصل ومن الممكن أن يقال أيضا انها ظهرت مؤخرا . فلنفحص الادلة اذن بخصوص الرأيين .

١ ــ فى وقت كتابة يعقوب للرسالة ، كان توقـــع مجىء الرب الثانى على أشده (٥ : ٧ ــ ٩) ، حقا أن انتظار المجىء الثانى لم يفارق الكنيسة أبدا ، ولكنه ضعف الى حد ما بعد ذلك حتى أنه لم يصبح الفكر الشاغل

للكنيسة كما كان من قبل . ولذا فعلى هـذا الاساس يمكن أن يقـال ان الرسالة ظهرت فى وقت مبكر من تاريخ الكنيسة .

٢ — فى الاصحاحات الاولى من سفر الاعمال وفى رسائل بولس نجد مادار من نزاع وجدل حول قبول الامم فى الـكنيسة على أساس أن الايمان والنعمة وحدهما لايكفيان لقبول الأمم فى الكنيسة ، ولكن بعد مضى الـوقت لم يعد قبول الامم بالامر الذى يحتاج الى معركة حاميـة الوطيس ، وكان اليهود يتبعون بولس اينما سار . ولكننا لا نجد فى رسالة يعقوب ظلا لهذا النزاع بين الامم واليهود ، وهذا شىء مستغرب عندما نتذكر أن يعقوب أخا ربنا قام بدور هام فى تصفية النزاع بين الامم واليهود فى مجمع أورشـليم (أعمال ١٥) ، ومن هنا نستنتج أنه اما أن تكون الرسالة قد كتبت فى وقت مبكر جدا قبل ظهور هذا النزاع أو فى وقت متأخر بعد اخماد جذوة النزاع ، وبعد أن صار دخول الامم الى الكنيسة أمرا عاديا ان عدم ذكر أى شىء عن هذا الجدل بين الامم واليهود ممكن أن يؤخذ على محملين ، فهذا يعنى أن الرسالة قد كتبت اما فى وقت مبكر أو متأخر .

٣ — هناك دليل مأخوذ من نظام الكنيسة الوارد بين ثنايا السطور فى الرسالة . فمكان اجتماع الكنيسة كان يسمى بالمجمع « Sunagogé » (٢ : ٢) ، وهذا يشير الى وقت مبكر فى تاريخ الكنيسة ، لان اجتمـاع المسيحيين بعد ذلك كان يسمى « الكنيسة » « ekklésia » ، لان التعبير اليهودى كان قد أبطل . « وشيوخ الكنيسة » مذكورين فى الرسالة (٥ : ١٤) ، ولكن لم يرد ذكر شمامسة أو أساقفة ، وهذا ايضا يعنى وقتا مبكرا لان اقامة الشيوخ كان نظاما يهوديا قبل أن يصبح طقسا مسيحيا . وقد أظهر يعقوب استياءه لوجود معلمين كثيرين (٣ : ١) .

وهذا يدل على وقت مبكر قبل أن تنظم الكنيسة طرق الخدمة المختلفة ، أو قد تعنى بالمثل وقت متأخر حين كثر المعلمون الكذبة المضلين فى الكنيسة ولكن هناك حقيقتان أساسيتان ممكن أن تعنيا أن رسـالة يعقوب قد كتبت فى وقت متأخر . فالرسالة كما رأينا تكاد تخلو من ذكر اسم المسيح . اذ أن موضوع الرسالة ينصب فى الواقع على أخطاء وعثرات وضعفات ونقص اعضاء الكنيسة .

وهذا يبين بوضوح أنها كتبت فى وقت متأخر . فقد كان التبشير فى أول عهد الكنيسة مليئا بالحماسة عن قوة ومجد المسيح المقام ، ولكنه بعد ذاك — كما هو الحال اليوم — يهاجم نقصات وعثرات اعضاء الكنيسة .

والحقيقة الثانية هى مهاجمة الاغنياء (٢ : ١ — ٣ ، ٥ : ١ — ٦). فظاهر من الرسالة أنه من ضمن المشاكل البارزة فى الكنيسة وقتئذ مشكلة زهو الاغنياء وتعاليهم على الفقراء . وفى بداية عهد الكنيسة لم يكن هناك اغنياء أو قل قلة منهم (١ كورنثوس ١ : ٢٦ و ٢٧) .

ورسالة يعقوب كما يبدو تتعامل مع كنيسة تهددها الروح العالمية بين أعضائها ،وذلك حدث فى وقت متأخر منتاريخ الكنيسة ، وهذا يرجح أن تكون الرسالة قد كتبت فى وقت متأخر من تاريخ الكنيسة .

مبشرو العالم قديما :

أين مكان تلك الرسالة ومكانة كاتبها بالنسبة للعالم وقت كتابتها ؟ تنسب العظات غالبا للكنائس المسيحية ، ولكن العظات لم تظهر فى بادىء الامر فى الكنيسة المسيحية . فتاريخ العظة يضرب بجذوره فى أعماق التاريخ الهلينى (اليونانى القديم) واليهودى . وعند مقارنة رسالة يعقوب بعظات الهلينيين واليهود نجد تشابها بينهما .

١ — لنتأمل أولا فى معلمى اليونان وعظاتهم . فالفيلسوف اليونانى المتجول كان شيئا مألوفا لديهم .قد يكون الفيلسوف رواقيا أو من المنادين بضرورة حرمان النفس من اللذات الحسية . وقد كان هؤلاء الفلاسفة أو المعلمون يذهبون الى حيث يتجمع الناس ليدعونهم للفضيلة .

ويمكن أن تجدهم على نواصى الشوارع أو فى الميادين العامة أو فى حلبات السباق أو المصارعة ، وأحيانا يخاطب الواحد منهم الامبراطور موبخا اياه على تنعمه وعلى طغيانه داعيا اياه للفضيلة والعدالة . فقد كان الواعظ القديم ، الفيلسوف المرسل ، ظاهرة مألوفة فى ذلك العهد الغابر . لقد كان

هناك وقت كانت الفلسفة فيه قاصرة على مدارس معينة ، ولكن صـــوت الفلسفة صار بعدئذ يسمع يوميا وسط زحمة الناس وضجيجهم وفى مكان البيع والشراء . وقد كانت عظات هؤلاء الفلاسفة تمتاز بصفات معينة . فقد كانت طريقة عرض العظات دائما واحدة وهى الطريقة التى اثرت على بولس فى تقديمه للانجيل ، وعلى يعقوب أيضا . هناك بعض الصفات التى تميز عظات هؤلاء المبشرين القدامى لنرى كيف أنها تشـــابه ما ورد فى رســــالة يعقوب ثم لنفكر أيضا فى الطريقة التى يكتب بها بولس للكنائس . ان الغرض الرئيسى لمعلمى الاغريق القدامى لم يكن اكتشاف حقائق جديدة ، بل تنبيه الخطاة ليعرفوا خطأ طرقهم التى يسلكونها ولتذكيرهم بالحقائق التى يعرفونها ولكنهم قد أهملوها عمدا أو نسوها . لقد كان هدفهم تعريف الناس بالحياة الفضلى برغم الانحلال الذى يعيشون فيه ونسيانهم للآلهة .

١ ــ كانوا كثيرا ما يعقدون محادثات وهمية مع خصوم وهميين . فقد كانوا يتحدثون بشكل حوار مقتضب ، ويستخدم يعقـــوب أيضا هـــذه الطريقة فى (٢ : ١٨ ، ٥ : ١٣) .

٢ ــ كانوا ينتقلون عادة من جزء من العظة الى جزء آخـــر أو من موضوع الى آخر عن طريق تقديم سؤال يمهد للموضوع الجديد . ويعقوب يفعل ذلك أيضا كما فى (٢ : ١٤ ، ٤ : ١) .

٣ ــ كانوا يحبون القاء الاوامر التى يطلبون فيها من سامعيهم تجنب الاخطاء واتباع طريق الصواب . توجد فى رسالة يعقوب ١٠٨ أعداد . منها ما يقرب من ٦٠ أمر .

٤ ــ كانوا أيضا مغرمين بالقاء الاسئلة الايحائية الى ســـامعيهم . ويعقوب يستخدم تلك الاسئلة (٢ : ٤ و ٥ ، ٢ : ١٤ ــ ١٦ ، ٣ : ١١و١٢ ، ٤ : ٢٤) .

٥ ــ كانوا يوجهون كلامهم الى نفر من السامعين . وهكذا وجـــه يعقوب كلامه الى التجار لتكالبهم على الربح ، وكـــذلك للاغنيـــاء المتكبرين

(٤ : ١٣ ، ٥ : ٦) .

٦ — كانوا أحيانا يجسمون الفضائل والرذائل ، آلخطية والنعمة ، كما نجد فى يعقوب حيث يجسم الخطية (١ : ١٥) والرحمة (٢ : ١٣) ، والغنى (٥ : ٣) .

٧ — كانوا يثيرون التفات السامعين بصياغة صور وتشبيهات من واقع الحياة كصورة اللجام والدفة والنار التى تشتعل فى الغابة (٣ : ٣ — ٦) ثم يستخدم يعقوب ايضا التشبيه المستمد من الفلاح الذى يكدح بصبر(٥:٧)

٨ — كانوا يقدمون للسامعين أمثلة حية عن رجال ونساء مشهورين كمثل أعلى . وهكذا أيضا يعقوب يقدم مثل ابراهيم (٢ : ٢١ — ٢٣) ، وراحاب (٢ : ٢٥) ، وأيوب (٥ : ١١) ، وايليا (٥ : ١٧) .

٩ — لقد كانت عادة قدماء الوعاظ أن يبدأوا عظاتهم ببعض المتناقضات التى تجذب التفات السامعين ، وذلك بعبارة غريبة تجعلهم يصيخون السمع وكان يعقوب يعمل كذلك ، حين قال اننا يجب أن نحسبه كل فرح حين نقع فى تجارب متنوعة (١ : ٢) ، وبالمثل كان قدامى المبشرين يشيرون الى الصلاح الحقيقى بعبارات غير مألوفة فى عصرهم . وهكذا فان يعقوب يصر على وجوب اتضاع الاغنياء حتى يكونوا سعداء (١ : ١٠) ، وقد استخدموا أيضا سلاح التهكم كما استخدمه يعقوب أيضا (٢ : ١٤ — ١٩ ، ٥ : ١ — ٦) .

١٠ — كان المبشرون فى العهود الغابرة يتكلمون الى السامعين بقسوة وغلظة ، وهكذا يخاطب يعقوب قارئه بالقول : « أيها الانسان الباطل » ويدعو مستمعيه بالزنا والزوانى (٢ : ٢٠ ، ٤ : ٤) . لقد استخدم الوعاظ القدامى سياط الاسلوب الجارح ، وهكذا يعقوب أيضا .

١١ — كان للمبشرين القدامى أنماط معينة يبنون على اساسها عظاتهم .

(أ) فكانوا ينهون حديثهم بنوع من المقارنة بين الخطأ والصواب ، ونجد أن يعقوب يتبع تلك الطريقة (٢ : ١٣ ، ٢ : ٢٦) .

(ب) كانوا يصلون الى الهدف عن طريق سؤال فاحص يوجه للسامعين

وهكذا يعقوب أيضا (٤ : ١٢) .

(ج) كانوا يقتبسون بعض الاقوال فى عظاتهم ، وينهون النقاش بسرد اقتباس أخير ، وهذا ما كان يفعله يعقوب أيضا (٥ : ٢٠ ، ١ : ١١ و ١٧ ، ٤ : ٦ ، ٥ : ١١) .

حقا اننا لا نجد فى رسالة يعقوب التوبيخ العنيف أو القسوة المرة أو المرح الزائد الذى استخدمه مبشرو الاغريق ، ولكن يعقوب استخدم معظم الأساليب التى كان يستخدمها وعاظ اليونان الاقدمين ليؤثروا فى نفوس وعقول السامعين .

١٢ ــ وقد كان لليهود أيضا تقليدهم الخاص فى الوعظ . فكان الوعظ على أيدى المعلمين فى المجامع ، وكان يشبه الى حد كبير وعظ فلاسفة الاغريق المتجولين . فقد كان فيه نفس الاسئلة البديهية ونفس القاء الاوامر ونفس الاستعارات والصور ونفس الاقتباسات وضرب الامثلة بأبطال الايمان . ولكن الوعظ اليهودى كان يمتاز بخاصة غريبة ، فقد كان هذا الوعظ غير متماسك أى انه لم يكن وحدة متصلة ، وقد كان ذلك بقصد فمعلمو اليهود كانوا يلقنون تلاميذهم الا يطيلوا التحدث فى أى موضوع ، بل ينتقلوا من موضوع الى آخر بسرعة حتى يضمنوا عدم تشتت فكر السامعين . ومن هنا كانوا يسمون الوعظ Charaz التى تعنى حرفيا (حبات المسبحة) ، فقد كانت العظة اليهودية عبارة عن سلسلة من الفضائل تترى الواحدة تلو الاخرى .

وهذا هو بالضبط ما نلمسه فى رسالة يعقوب ، فيصعب بل يستحيل أن تستخرج من الرسالة وحدة متماسكة متصلة ، فأجزاء الرسالة يعوزها الارتباط الذى يوحد بينها ويقول « جود سبيد » بهذا الصدد : « لقد شبه بعضهم الرسالة بسلسلة متصلة الحلقات ، كل حلقة ترتبط بما قبلها وبما بعدها وشبهها البعض الآخر بمسبحة ... وقد لا تكون الرسالة سلسلة من الافكار المتصلة أو كحبات المسبحة المتتابعة بقدر ما هى حفنة من اللآلىء يتأملها القارىء واحدة فواحدة » .

ولذلك فلو تأملنا رسالة يعقوب من وجهة النظر الهلينية أو اليهودية ، فانها خير مثل للعظة القديمة.ومن هنا قد نجد المفتاح الذى تحتاج اليه لمعرفة كاتبها . لنتجة الآن للتساؤل عن كاتب الرسالة .

من هو كاتب رسالة يعقوب :

هناك خمسة احتمالات بخصوص ذلك .

١ ـ نبدأ أولا بنظرية (مير) meyer التى أوضحها بالتفصيل منذ اربعين سنة تقريبا ، وقد أحياها « ايستون » فى مؤلفه « مفسر الكتاب المقدس » Interpreter's Bible تقول النظرية : انه قد جرت العادة قديما أن تنشر كتب كثيرة تحت أسماء مستعارة لعظماء الرجال فى الماضى ، فالأدب اليهودى فى الفترة ما بين العهد القديم والجديد حافل بكتب كهذه فهناك كتب تحمل أسماء مختلفة كموسى ، والاسباط الاثنى عشر وباروخ وأخنوخ واشعياء وكثيرين غيرهم . لقد أراد كثير من المؤمنين تشجيع وتقوية ايمان الناس فى ذلك الوقت ، فأودعوا ما يريدون أن يقولوه فى كتاب تحت اسماء أبطال الايمان ، وقد كان ذلك تقليدا معترفا به لدى اليهود ، ومن كتب الابو كريفا المشهورة كتاب « حكمة سليمان » الذى ينسب فيه كاتبه بعض الحكمة المستحدثة الى احكم الملوك ولنذكر ثلاثة أشياء عن رسالة يعقوب :

(أ) ليس فى الرسالة شىء يرفضه اليهودى الارثوذكسى اذا ما حذفنا ما ورد فيها عن يسوع فى (١ : ١) ، (٢ : ١) .

(ب) ان يعقوب James تعنى باليونانية lakobos وهى مترجمة James ، ولكنها فى العهد القديم « Jacob »

(جـ) ان الرسالة موجهة الى « الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات » فهذه النظرية تنادى بأن رسالة يعقوب ليست الا مؤلفا يهوديا كتب تحت اسم يعقوب Jacob وقد كان الهدف منه تقوية وتشجيع اليهود الذين تشتتوا من فلسطين الى أقصى الارض ، كان القصد تقويتهم فى الايمان وسط التجارب التى مروا فيها فى أرض غريبة ،ويستمر عرض النظرية كما يلى : فى سفر التكوين (٤٩) نجد حديث يعقوب الاخير مع أبنائه وخطابه اليهم يتكون من

فقرات تحوى وصفا مبسطا عن شخصية كل واحد منهم . ويقول (ميير) انه يمكنه أن يستخرج من رسالة يعقوب بعض الأجزاء والرموز التى تعــود بذاكرتنا الى خطاب يعقوب الذى يصف فيه أبناءه أى الأسباط الاثنى عشر . وهاك بعض تلك الاوصاف مع الاشــــارة الى رسالة يعقوب ، ومكان تلك الاوصاف من سفر التــكوين .

اشير يمثل الرجل الغنى البعيد عن الله .
(يع ١ : ٩ — ١١ ، تك ٤٩ : ٢٠)

يساكر يشير الى فاعل الخير المحتمل للتجربة .
(يع ١ : تك ٤٩ : ١٤ و ١٥)

راوبين يعنى باكورة (يع ١ : ١٨ ، تك ٤٩ : ٣)

سمعان يمثل الغضب (يع ١ : ١٩ ، و ٢٠ تك ٤٩ : ٥ — ٧)

لاوى هو السبط الوثيق الصلة بالدين والمشار اليه فى
(يعقوب ١ : ٢٦ و ٢٧)

نفتالى يمثل السلام (يع ٣ : ١٨ ، تك ٤٩ : ٢١)

جاد يمثل الحرب والنزاع (يع ٤ : ١ و ٢ ، تك ٤٩ : ١٩)

دان يشير الى انتظار الخلاص (يع ٤ : ١ و ٢ ، تك ٤٩ : ١٨)

يوسف يشير الى الصلاة
(يع ٥ : ١٤ — ١٨ ، تك ٤٩ : ٢٢ — ٢٦)

بنيامين يمثل الميلاد والوفاة
(يع ٥ : ٢٠ ، تك ٤٩ : ١٧)

ان هذه النظرية تأتى بأشياء مبتكرة ، ولا يمكن لأحد أن يثبت أو يبطل صحتها . انها تفسر ما ورد عن الأســــباط الاثنى عشر للمشتتين فى (١ : ١) تفسيراً مقبولا . انها تنادى بأن أحد المسيحيين وجد ذلك المؤلف اليهـــــودى

المكتوب تحت اسم يعقوب والموجه الى جميع اليهود فى الشتات ، وبعد أن اقتنع بفائدته الروحية والأخلاقية ، عمل فيه بعض التعديلات وأضاف اليه بعض الاشياء ثم أصدر كتراث مسيحى . انها فى الواقع نظرية جذابة ، ولكن قد يكون فيها من الابتكار الكثير ما اشتط بها عن الحقيقة .

٢ — وكما فعل اليهود ، هكذا كتب المسيحيون أيضا كتبا تحت أسماء أبطال الايمان المسيحى ، فهناك اناجيل بأسماء بطرس وتوما ويعقوب نفسه وهناك رسالة تحمل اسم برنابا ، وأناجيل بأسماء نيقوديموس وبرتولماوس ، ثم يوجد أيضا أعمال يوحنا وبولس واندراوس وبطرس وتوما وفيلبس وآخرين غيرهم .

فقد كان من المألوف أن يكتب المسيحى كتبا تحمل أسماء عظماء رجالات الكنيسة والاصطلاح الفنى لهذه الكتب هو Pseudonymous اى الكتب المدونة تحت أسماء غير حقيقية . فقيل ان هذه الرسالة بالمثل كتبت تحت اسم يعقوب أخى ربنا . ويبدو أن هذا هو ما كان جيروم يعنيه حين قال « ان الرسالة اصدرها شخص تحت اسم يعقوب » ، ولكن لا يمكن أن يكون هذا الرأى صحيحا ، لأنه ان قام أحد بعمل ذلك ، فلا بد أنه كان يوضح شخصية ذلك الذى استعار اسمه ، كان من الاولى أن يظهر حقيقة هذه الشخصية جيدا . فلو كانت الرسالة مكتوبة تحت اسم وهمى ، لأزال كاتبها كل شك بأنه يعقوب (أخو ربنا) ، كان الأجدر حينذاك أن يؤكد تلك الحقيقة المزعومة ، ولكن الواقع على خلاف ذلك ، اذ أن كاتب الرسالة لم يفعل شيئا من ذلك ، ولذا كان هذه النظرية لا أساس لها .

٣ — يميل « موفات » الى الأخذ بالنظرية القائلة : ان كاتب الرسالة شخص يدعى يعقوب ، ونحن لا نعرف عنه شيئا . فيعقوب هذا ليس هو يعقوب أخو ربنا أو أى يعقوب آخر نعرفه ، ولكنه بكل بساطة معلم يدعى يعقوب ، لم تصل الينا عن حياته أو قصته أية معلومات .

وهذا شىء يستحيل حدوثه لأن اسم يعوب كان شائعا وقتئذ ، كما هو الحال اليوم ، فكيف اذن يدرج ضمن أسفار العهد الجديد ، وكيف يرتبط اسمه بلقب أخى الرب ؟ .

٤ ــ الاعتقاد الشائع بأن تلك الرسالة كتبها يعقوب أخو الرب . قد رأينا من قبل أنه يبدو غريبا أن يكون يعقوب هو كاتب الرسالة مع عدم الاشارة الى يسوع أكثر من مرتين فقط ومع عدم الاشارة الى القيامة أو الى يسوع كالمسيا المنتظر ، هناك ما هو أغرب من ذلك . فالرسالة قد كتبت باليونانية وبلغة يونانية سليمة . يقول « روبز » انه لابد أن تكون اللغة اليونانية هى اللغة الأصلية لكاتب الرسالة . ويقول « مايور » وهو من أعظم علماء اليونان : « انى أعتقد أن الرسالة كتبت بلغة يونانية سليمة تقترب من درجة الكمال ، لا تدانيها فيها سوى الرسالة الى العبرانيين من أسفار العهد الجديد » .

ومن المؤكد أن لغة يعقوب الأصلية هى اللغة الآرامية وليست اليونانية، فلو كتب الرسالة كان من شبه المؤكد أن يكتبها بالآرامية ، ثم أنه لا يمكن أن يكون قد أتقن اللغة اليونانية القديمة هذا الاتقان الذى كتبت به الرسالة . هذا وأن نشأته اليهودية الصميمة تحتم عليه أن يحتقر ويتجنب اللغة اليونانية ، كلغة أممية ملعونة . فيكاد من المستحيل اذن أن نعتقد أن يعقوب هو حقا كاتب الرسالة .

٥ ــ وهذا يأتى بنا الى الاحتمال الخامس . ولنذكر أن الرسالة تشبه العظة الى حد كبير ، فهناك احتمال اذن أن تكون الرسالة فى مضمونها عبارة عن عظة ليعقوب ، ثم دونها شخص آخر ، وترجمها لليونانية ، وأضاف اليها قليلا من التحلية اللفظية ، ثم وزعها على الكنائس حتى يستفيد منها أكبر عدد من الناس . وهذا يفسر لنا الشكل الذى كتبت به الرسالة ، وكيف أنها نسبت ليعقوب ، وقلة الاشارات الواردة فى الرسالة عن المسيح وعن القيامة وعن المسيح كالمسيا . لأنه لا يمكن ليعقوب أن يجمع كل الحقائق اللاهوتية فى عظة واحدة ، لأن همه الشاغل فى العظة كان أن يلفت نظر السامعين الى الواجبات الروحية المفروضة عليهم ، لا أن يتحدث عن حقائق لاهوتية .

يبدو لنا أن هذه النظرية تفسر لنا الحقيقة بكاملها ، فالرسالة عبارة عن عظة ليعقوب دونها شخص ما . وأحب ما جاء فيها ولم تبرح ذاكرته ، ثم حررها بعناية تامة ، وأضاف اليها قليلا ثم أصدرها أخيرا الى سائر الكنائس . وقد نقرب هذه الرسالة معتقدين انها من الأسفار القليلة الشأن فى العهد الجديد . ولكن ، اذا درسناها بدقة ، فاننا نشكر الله على أنها وصلت الى أيدينا لتعليمنا وتهذيبنا .

التفسير

الأصحاح الأول

رسالة يعقوب

التحيـــــــة

يَعْقُوبُ عَبْدُ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ يُهْدِي السَّلاَمَ إِلَى الاثْنَيْ عَشَرَ سِبْطاً الَّذِينَ فِي الشَّتَاتِ .

(١ : ١)

يلقب يعقوب نفسه فى بداية الرسالة باللقب الذى ينيله فخرا وكرامة . فهو يلقب نفسه « عبد الله والرب يسوع المسيح » ، انه الـكاتب الوحيد فى العهد الجديد الذى يلقب نفسه هـذا اللقب باستثناء يهـــوذا . نكلمة doulos تعنى (عبد) ، وهو يلقب نفسه هكذا دون أية مؤهلات أخرى . فبولس يلقب نفسه « عبد يسوع المسيح ، ورسول المسيح » (رومية ١ : ١ ، فيلبى ١ : ١) ، فهو يضيف لقب رسول الى كلمة عبد ، ولكن يعقوب لا يلقب نفسه بأكثر من عبد الله والرب يسوع المسيح . ان هذا اللقب يتضمن أربعة أشياء على الأقل .

١ ــ ان هذا اللقب يعنى طاعة تامة ، فالعبد ليس له ناموس سوى ما يقوله سيده ، والعبد ليست له حقوق ذاتية ، فهو ملك لسيده ويجب أن يقدم لسيده طاعة تامة غير مشروطة .

٢ ــ انه يعنى أيضا اتضاعا تاما ، وهو صادر عن شخص لا يفكر فى الامتيازات الممنوحة له بل فى الالتزامات المطـــلوبة ، ولا يضع نصب عينيه

الحقوق التى له ، بل الواجبات المفروضة عليه . ان ذلك اللقب يصدر عن شخص نسى نفسه فى خدمة الله ، وأنكر نفســـــه تماما ، ورفض أن يجيب مطالب الذات ، ليتمم ارادة الله فى حياته .

٣ ــ انه يتضمن أيضا ولاء تاما . ان الشخص الذى يدعو نفســـــه « عبد الله » يعنى أنه ليس له مصلحة ذاتية ، لأنه مكرس لله بالتمام . ان كل ما يعمله لله . فلا يدخل فى حسابه نفع ذاتي أو اية اهواء فردية . فولاؤه التـــام لله .

٤ ــ ومع ذلك فتلك الكلمة تعنى أيضا افتخارا من نوع خاص . فلم يكن ذلك اللقب فى العهـــد القـــديم عارا ، بل كان يلقب به عظماء الرجال ، فقد كان موسى عبدا لله (١ ملوك ٨ : ٥٣ ، دانيال ٩ : ١١ ، ملاخى ٤ : ٤)، وكذلك كان يسوع وكالب (يشوع ٢ : ٨ ، عدد ١٤ : ٢٤) ، وهكذا أيضا لقب الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب (تثنية ٩ : ٢٧) ، وهـــكذا كان أيوب (أيوب ١ : ٨) ، واشعياء (اشعياء ٢٠ : ٣) ، وهو أيضا اللقب الذى كان يطلق على الأنبياء (عاموس ٣ : ٧ ، زكريا ١ : ٦ ، ارميا ٧ : ٢٥) .

ان يعقوب يضع نفسه فى قائمة أولئك الذين كانت حريتهم ، وسلامهم ومجدهم فى الطاعة التامة لارادة الله .

ان أقصى عظمة ، يتمنى المسيحى أن يحصل عليها هى عظمة العبودية لله . اننا نجد فى التحية التى يكتبها يعقوب لقرائه شيئا غير عادى ، فالكلمة المستعملة لذلك هى « Chairein » أى « يهدى ســـلاما » ، وهى الـــكلمة المستعملة دائما فى التحية فى الخطابات العادية المكتوبة باليونانية ولكن بولس لا يستخدم هذه التحية أبدا ، انه يستخدم تحية مسيحية « نعمة وســـلام » أفسس ١ : ٢ ، فيـــلبى ١ : ٢ ، كولوسى ١ : ٢ ، ١ تسالونيكى ١ : ١ ، ٢ تسالونيكى ١ : ٢ ، فليمون ٣) . فى كل رسالة نجد أن بولس يتجنب التحية العادية ويستخدم تحية مسيحية بارزة . ولكن يعقوب يستخدم التحيـــــــة العادية ، وهذه التحية لا نجدها فى باقى أسفار العهـــد الجديد سوى مرتين فقط ، الرسالة التى كتبها كلوديوس ليسياس ، الأمير الرومانى الشاب الى فيلكس ليضمن سلامة وصول بولس (أعمال ٢٣ : ٢٦) ، ثم فى الرسالة التى

اصدرها مجمع الرسل والمشايخ بأورشليم بعد السماح للأمم بالدخول الى الكنيسة (اعمال ١٥ : ٢٣) ، وهذا الكتاب له اهميته وذلك لأن يعقوب كان يرأس ذلك المجمع (أعمال ١٥ : ١٣) ، وقد يكون ذلك لأن يعقوب أراد أن يستخدم أكثر تعبيرات التحية شيوعا ، لأن الرسالة كانت موجهة الى جمهور كبير .

اليهود فى العالم

ان الرسالة موجهة الى « الأسباط الاثنى عشر الذين فى الشتات » ، أمامنا هنا عبارة يصعب فهمها ، فعلينا أن نقف قليلا لنتأملها . فالتحية موجهة الى الاسباط الاثنى عشر الذين فى الشتات أى « Diaspora » وتلك الكلمة تعنى اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين ، فجميع اليهود الذين كانوا خارج « أرض الميعاد » لسبب أو لآخر ، هم اليهود الذين (فى الشتات) ، ويجدر بنا أن نتمهل قليلا لنرى كيف تشتت اليهود فى العالم ، وتعدادهم فى مختلف الأنطار التى نزحوا اليها . فان هذا التشتت اليهودى كان ذا اهمية عظمى بالنسبة لانتشار المسيحية ، لان تشتتهم كان يعنى وجود مجامع يهودية ، وقد استطاع المبشرون المسيحيون أن يبدأوا خدمتهم من تلك المجامع . وكان اليهود وهم ملمون بالعهد القديم جيدا ، مدعاة لاهتمام الناس من الامم بعقيدتهم ، فقد كان تشتت اليهود جزءا من البرنامج الالهى ، لانه مهد الطريق أمام المبشرين المسيحيين اذ قدم لهم الفرصة السانحة للتبشير بالانجيل ، فى كل مدينة من مدن العالم تقريبا ، ولكن كيف حدث هذا التشتت ؟ .

لقد بدأ ، باجبار اليهود على ترك بلادهم ، وارغامهم على أن يعيشوا منفيين فى بلاد غريبة ، فقد حدث ذلك ثلاث مرات .

١ ـ عندما هزم الأشوريون مملكة الشمال التى كانت عاصمتها « السامرة » ، ثم سبى اسرائيل الى أشور (٢ ملوك ١٧ : ٢٣ ، أخبار الأيام الاول ٥ : ٢٦) هؤلاء الذين سبوا الى أشورهم الأسباط العشرة الذين لم يرجعوا : ان اليهود أنفسهم كانوا يعتقدون أنه فى النهاية سوف يتجمع كل اليهود فى أورشليم ، ما عدا هؤلاء الأسباط العشرة فانهم لن يعودوا حتى

نهاية العالم . وقد أسس اليهود اعتقادهم هذا على تفسير وهمى لنص ورد فى العهد القديم فمعلموا اليهود يقولون « ان هذه الأسـبـاط قد قيل عنهم « والقاهم الى أرض أخرى كما فى هذا اليوم » (تثنية ٢٩ : ٢٨) فكمـا أن هذا اليوم رحل ولن يعود ، هكذا هم أيضا رحلوا ولن يعودوا ، وكما أن اليوم قد انتهى واتت الظلمة ثم جاء النور بعد ذلك ، هكذا أيضا سيحل النور بدل الظلام على الأسباط العشرة .

فالسبى الأول اذن كان الى أشور .

٢ ــ وقد حدث السبى الثانى حوالى ٥٨٠ ق . م عندما هزم البابليون مملكة الجنوب التى كانت عاصمتها « أورشليم » ، واخذوا خيرة الشعب الى بابل (٢ ملوك ٢٤ : ١٤ ــ ١٦ ، مزمور ١٣٧) وقد كان سـلوك اليهود فى بابل متميزا عن البابليين ، فقد رفضوا باصرار أن يندمجوا مع بقية الشعب ويفقدوا قوميتهم . وقد قيل انهم تجمعوا بصفة خاصة فى بلدتى (نيهارديا) nehardia و (نيسيبس) nisibisi ، وقد وصل التقدم اليهودى الى مداه فى بابل ، فقد ظهر هناك (التلمود) البابلى وهـو عبارة عن ستين مجلـدا لشرح الناموس اليهودى وعندما أصدر (يوسيفوس) كتـابه عن (حروب اليهود) لم تصدر الطبعة الأولى باليونانية بل كانت بالآرامية لتفى بحـاجة علماء اليهود فى بابل ، وهو يخبرنا فى كتابه بأن اليهود بلغوا ذروة قوتهم فى بابل ، حتى أن اقليم (ميسوبوتاميا) mesopotamia بأكمله كان تحت سيطرتهم ، وكان يحكمه اثنان من اليهود همـا « أسيدايوس » asidaeus و « انيلاوس » anilaeus وقد قيل انه عنـد موت « انيلاوس » حدثت مذبحة قتل فيها ما لا يقل عن ٥٠٫٠٠٠ يهوديا . فالتشتت اذن كان هذه المرة الى بابل ، وقد رفعهم الى مكان الصدارة هناك .

٣ ــ أما السبى الثالث ، فقد حدث بعد ذلك بكثير . فعندما هزم القائد الرومانى « بومباى » Pimpey اليهود . واحتل أورشليم سنة ٦٣ ق . م ، أخذ معه الى روما كثيرا من اليهود كعبيد ، ولـكن تمسكهم الشديد بطقوس ناموسهم وحفظهم التام ليوم السبت ، قد جعل من الصعوبة بمكان الاحتفاظ

بهم كعبيد ، فتم تحرير معظمهم . وقد استقروا فى أحد الأحيــــاء المترامية الأطراف على نهر التيبر ، ولم يمض وقت طويل حتى كثر عددهم وتغلغلوا فى جميع أنحاء المدينة وقد قال عنــهم « ديوكاسيوس » انه بالرغم من قمعهــم المستمر الا أنهم كانوا يزدادون حتى أنهم كانوا يمارسون تقاليدهم وعاداتهم بكل حرية . وقــد كان يوليوس قيصر أكبر مدافع عنهم ، حتى أننا نقرأ عنهم أنهم كانوا يندبون طول الليل عند التابوت الذى وضع فيه جثمانه ، وقد توافد عدد كبير منهم لسماع دفاع « شيشرون » Cicero عن « فلاكوس » Flaccus كما تحكى كتب التــاريخ . وقد طرد جميع اليهود من روما فى سنة ١٩ م . بتهمة أنهم نهبوا احدى السيدات الثريات ، وكانت قد آمنت باليهودية . وبحجة ارسال النقود الى الهيكل . وفى ذاك الوقت جند منهم ٤٠٠٠ يهوديا لمحاربة فلول قطاع الطرق والقراصــــنة فى جزيرة سردينيا ، ولكنهم عادوا مرة ثانية ، وعندما أرسل يهود فلسطين مندوبا عنهم الى روما للشكوى من حكم « أرخيلاوس » ، قيل انه انضم اليه حوالى ٨٫٠٠٠ يهوديا من اليهود المقيمين فى المدينة ، وأن الادب الرومانى ملىء بالاحداث التى ذكر فيها اليهود بازدراء ، لان العــداء لليهودية ليس شيئا مستحدثا ، وكثــرة الحوادث التى ورد فيهــــا ذكر اليهود كفيل باثبات الدور الذى لعبه اليهود فى روما .

ومن ذلك نرى ، أن اليهــود قد سبوا الى بابل والى روما ، وأن ذلك السبى شمل الآلاف منهم ولكن عــــددا اكبر من ذلك قـــد غادر فلسطين بارادته وذهب الى بلاد أكثر ثروة وأوفر راحة . وهنـــاك بلدان استوعبت الآلاف منهم ، فقد كانت فلسطين محصورة بين قوتين كبيرتين آنئذاك وهمـــا سوريا ومصر ، ولذلك فان فلسطين كانت معرضة فى أى وقت أن تــكون مسرحا لمعارك طاحنة بين هاتين القوتين ، ولهـــــذا السبب ترك كثيرون فلسطين ، واستقروا اما فى مصر أو فى سوريا .

ففى أيام نبوخذ نصر غادر كثير من اليهود بلادهم الى مصر بارادتهم (٢ ملوك ٢٥ : ٢٦) ، ويقــــال انه فى ســـنة ٦٥٠ ق . م استخدم الملك الفرعونى ابسماتيك جنودا مرتزقة من اليهود فى جيشه . وعندما أسس

الاسكندر الاكبر مدينة الاسكندرية ، قدم امتيازات خاصة للساكنين فيها ، فجاءت أفواج كبيرة من اليهود اليها »

وقد كانت الاسكندرية مقسمة الى خمس مناطق ، وكان اليهود يشغلون اثنتين منها ، فقد كان فى الاسكندرية وحدها أكثر من مليون يهوديا ، وقد استمر استقرار اليهود بمصر حتى أنه فى سنة ٥٠ ق . م بنى معبد يهودى على طراز هيكل أورشليم فى (ليونتو بوليس) Leontopolis ليصلى فيه اليهود المصريون .

ونزح اليهود أيضا الى سوريا ، وقد تركزوا فى مدينة انطاكية ، حيث بشر بالانجيل لاول مرة للامم ، وحيث دعى المسيحيون لاول مرة بهذا الاسم . وقد قرأنا انه قتل حوالى ١٠٫٠٠٠ يهودى فى دمشق فى هجوم شن عليهم .

اذا ، فمصر وسوريا كانتا آهلتين بعدد كبير من اليهود ، ولكنهم انتشروا فى بلاد أخرى ايضا . فاننا نقرأ أن سكان « سيرين » فى شمال أفريقيا كانوا مقسمين الى مواطنين أصليين ، وزراع ، واجانب ويهود ، ويقول مومسين Momsen المؤرخ الرومانى : « قد كان غالبية اليهود يقطنون بابل وسوريا وآسيا الصغرى ومصر والاقلية فى فلسطين » وأن ذكر آسيا الصغرى تقودنا الى توضيح مناطق أخرى كثر فيها عدد اليهود .

فعندما انفرط عقد امبراطورية الاسكندر عند موته ، كانت مصر من نصيب البطالسة ، وأخذ سلوق Seleucus وخلفاؤه سوريا والمناطق المجاورة ، وكان هؤلاء الخلفاء يعرفون باسم السلوقيين .

وكان السلوقيون يتميزون بطابعين مميزين ، فقد كانوا يتبعون سياسة ادماج مختلف الجنسيات فى بعضها واذابة الفوارق بينها ، فقد ظنوا أنه بالقضاء على القومية ، يضمنون تثبيت أقدامهم فى الحكم . ثم أنهم أيضا ذوى خبرة فى تأسيس المدن ، كانت المدن فى حاجة الى مواطنين ، فكانوا يقدمون امتيازات وتسهيلات كبيرة لكل من يسكن فيها . فقبل اليهود أن يسكنوا تلك المدن بالآلاف فنرى اليهود ينتشرون بكثرة فى جميع أنحاء آسيا الصغرى وفى المدن الكبرى على شاطىء البحر الابيض ، وفى المراكز التجارية

الهامة . هذا ، وقد تم أيضا نقل عائلات كاملة ، كما فعل انتيوخس الاكبر Antiochus اذ أخذ ٢٫٠٠٠ أسرة يهودية من بابل وجعلهم يستقرون فى ليدية وفريجية وقد كانت موجة الهجرة من فلسطين ، فى الواقع ، كبيرة حتى أن يهود فلسطين شكوا من اخوانهم الذين تركوا ضيق فلسطين للتمتع بالعزائم والولائم والحمامات فى آسـيا وفريجية ، ويحكى لنا ارسـطو طاليس عن مقابلته ليهودى فى آسيا الصغرى « كان يونانيا بكل معنى الكلمة ليس فقط فى لغته ومظهره بل فى جوهره أيضا » .

فقد انتشر اليهود فى كل مكان فى العالم . ويقول سترابو العالم الجغرافى اليونانى « من الصعب أن نجد مكانا فى العالم كله لم يسكنه أو يسيطر عليه اليهود » . ويكتب المؤرخ اليهودى يوسيفوس قائلا : « لا يمكن أن نجد مدينة أو قبيلة سواء كانت يونانية أم بربرية لم تتغلغل فيها العادات اليهودية أو الناموس اليهودى » .

وفى نبوات الرومان القديمة Sibylline Oracles المكتوبة حوالى ١٤٠ ق . م ذكر أن اليهود منتشرون فى كل أرض وفى كل جزيرة . ويقال انه فى الخطاب المرسل من (أغريباس) الى (كاليجولا) والذى اقتبسه (فيلو) ، ذكر أورشليم ليست عاصمة اليهودية فقط ، بل عاصمة معظم الاقطار على أساس العدد الكبير من اليهود الذى يقيم فى الاقطار المجاورة ، كمصر وفينيقية وسوريا وكوليسيرية Coelesyria واقطار أبعد من ذلك مثل بمفيلية وكيليكية ، ومعظم أنحاء آسيا مثل بيثينية ، ومعظم أنحاء بنطس ، وفى أوربا أيضا وتسالونيكى وبيوتية Boeotia ومقدونية وأتوليا واليونان وآرجوس وكورنثوس ، ومعظم انحاء بيلوبونيس Peloponnese ولم يقتصر انتشار اليهود على جميع أنحاء القارة وحدها بل شمل أيضا الجزر الهامة مثل ايبوية وقبرص وكريت ؛ هذا عدا أراضى ما بعد الفرات لانها كانت مأهولة باليهود . فالتشتت اليهودى اذن شمل العالم كله على اتساعه، وأن ذلك له أهميته العظمى لانه كان عاملا هاما فى انتشار المسيحية .

لمن كتبت الرسالة

يكتب يعقوب اذن للاسباط الاثنى عشر الذين فى الشتات أى المشتتين فى جمع أنحاء العالم . فمن كان فى مخيلته ترى حين كان يكتب ؟ لمن كان يوجه الرسالة ومن كان يقصد بالحديث ؟ ، ان الاسباط الاثنى عشر الذين فى الشتات قد يقصد بهم فئة من الفئات الثلاث الآتية :

١ — جميع اليهود الذين خارج فلسطين ، هذا وقد علمنا أن هؤلاء يبلغ تعدادهم الملايين . فقد كان عدد اليهود المنتشرين فى سوريا ومصر واليونان وروما وآسيا الصغرى وجميع بلدان البحر الابيض المتوسط وبابل، اكثر من يهود فلسطين . فلم يكن ممكنا فى العهود الماضية أن يكتب أحد رسالة تصل الى مثل هذا العدد الضخم المنتشر فى جميع أنحاء العالم ، قد يكون ذلك ممكنا الآن مع وجود التسهيلات الكبيرة فى الطباعة الحديثة وطرق المواصلات والاذاعة ولكن هذا كان مستحيلا فى العصر الذى عاش فيه يعقوب .

٢ — قد تكون الرسالة موجهة الى اليهود المسيحيين خارج فلسطين . وبالنسبة ليعقوب ، فان ذلك يعنى اليهود الموجودين فى الاقطار المتاخمة لفلسطين ؛ ربما على الاخص اليهود الموجودين فى سوريا وبابل وهذا رأى معقول ، لانه ليس من يكتب لهؤلاء اليهود سوى يعقوب اذ أنه الرئيس الروحى لجميع المسيحيين اليهود .

٣ — ولكن العبارة قد تعنى شيئا آخر . فالمسيحيون يعتبرون الكنيسة المسيحية « اسرائيل الحقيقى » . ففى نهاية الرسالة الى غلاطية ، يبعث بولس بسلامه الى اسرائيل الله (غلاطية ٦ : ١٦) فمن العقائد الشائعة لدى جميع المسيحيين ، العقيدة التى تنادى بأن الكنيسة هى اسرائيل الجديد. فقد كانت الامة الاسرائيلية قديما تمثل شعب الله المختار ،ولكن الاسرائيليين لم يثبتوا ورفضوا القيام بالدور المعد لهم ، فعندما جاء ابن الله رفضوه ، ولذلك فان جميع الامتيازات الممنوحة لهم قد انتقلت الى الكنيسة لان الكنيسة هى شعب الله المختار ، ولقد دعم بولس تلك الفكرة (أنظر رومية ٩ : ٧و٨) ،

فقد كان من رأية أن نسل ابراهيم الحقيقى ، اسرائيل الحقيقى ، ليس أولئك الذين ينتسبون لابراهيم حسب الجسد ، بل أولئك الذين يؤمنون كما آمن ابراهيم أيضا . ان اسرائيل الحقيقى لا يعنى أية أمة أو جنس ، بل هم جميع الذين قبلوا يسوع المسيح بالايمان . ولذلك فان تلك العبارة تشمل الكنيسة المسيحية بأسرها .

ونحن نفضل الرأيين الاخيرين ، فكلاهما معقول . فان يعقوب قد يكتب للمسيحيين اليهود المنتشرين فى الاقطار المجاورة ، أو قد يقصد اسرائيل الحقيقى اسرائيل الجديدة ، كنيسة الله فى كل مكان .

الذين جازوا الامتحان بنجاح

اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْراً . وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ .

(١ : ٢ — ٤)

لم يقل يعقوب أبدا للمسيحيين الذين كان يكتب اليهم ، أن المسيحية طريق سهل ، بل انه يخبرهم بأنهم قد يجدون أنفسهم محاطين بتجارب متنوعة ،والكلمة اليونانية المترجمة تجارب هى peirasmos ،ولابد أن نلم بمعنى هذه الكلمة الماما تاما ان كنا نريد فهم جوهر الايمان المسيحى .

فكلمة (peirasmis) ، تعنى (امتحان) فكلمة («peirasmos) هى التجربة والاختبار والامتحان الذى يهدف الى غاية ، وتلك الغاية هى أن يخرج الانسان من الامتحان أقوى وأنقى مما كان . والفعل peirazein (يجرب) له نفس المعنى ، فليس القصد هنا هو الايقاع فى الخطية ، بل القصد منه التقوية والتنقية واجتياز الامتحان بنجاح . فمثلا يقال ان الطائر الصغير يجرب peirazein أجنحته . وقيل ان ملكة سبأ قد جاءت لترى أو لتختبر peirazein حكمة سليمان ، وقيل ان الله امتحن peirazein ابراهيم،

عندما طلب منه تقديم ابنه اسحق كذبيحة (تكوين ٢٢ : ١) .

وعندما جاء الاسرائيليون الى أرض فلسطين ، لم يطرد الله الامم الذين كانوا هناك ليمتحن peirazein بهم اسرائيل . وأن التجارب التى أتى بها الله على ذلك الشعب كان القصد منها أن يخلق منه شعبا له (تثنية ٤ : ٣٤ ، ٧ : ١٩) .

فهنا نجد مقاصد الله النبيلة من نحونا ، فالهدف منها رفعتنا وتقويتنا ، يقول هورت Hort : « ان المسيحى لابد أن يصطدم فى طريقه بعقبات متنوعة » اننا نقابل تجارب مختلفة .

فهناك تجارب الآلام واليأس التى تحاول انتزاع ايماننا منا ، وهناك الاغراءات التى تحاول أن تبعدنا عن الطريق الصحيح وهناك المخاطر والتضحيات والشعور بالعداء الذى يكنه لنا الآخرون . ولكن القصد من جميع تلك التجارب ، أن نسمو ونرتفع لا أن نسقط ونتعثر . ليس المقصود أن تهزمنا التجارب بل أن نقهر نحن التجارب . ان الله لم يرسل لنا التجارب ليضعفنا بل ليقوينا ، ولذلك فاننا يجب أن نفرح ونبتهج لا أن نبكى ونندب حظنا . فالمسيحى كالرياضى ... فكلما كان الحمل الذى يلقيه المدرب فوق كاهل الرياضى ثقيلا ، كلما كانت فائدته أكبر ، وكلما سر الرياضى لانه يعلم أن ذلك يؤهله للقيام بمجهود اعنف . كما قال براوننج Browning اننا يجب أن نرحب بكل ضائقة تجعل طريقنا أكثر وعورة لان كل صعب يقودنا خطوة الى العلا .

نتيجة الامتحان

ان يعقوب يعبر عن كلمة « امتحان » بكلمة Dokimion ، وهى كلمة ذات مغزى ، فهى تعنى « عملية أصلية » أى نقود غير زائفة . فالغرض من الامتحان هو تنقيتنا من كل زغل والقضاء على كل خبث فى شخصياتنا ، لكى نخرج من الامتحان مطهرين وأنقياء .

فان كنا ننجح فى الامتحان فذلك ينشىء « ثباتا دائما » والكلمة اليونانية

المستعملة لذلك هى Hupomoné وقد ترجمت فى العربية « صبرا » ولكن كلمة « صبر » تقصر عن أداء المعنى الحقيقى . فكلمة Hupomoné هى ليست ببساطة القدرة على تحمل الاشياء ، ولكنها القدرة على تحويلها لتكون سبيلا للمجد والعظمة .

ان الشىء الذى أذهل الوثنيين فى عصور الاضطهاد هو أن الشهداء لم يستشهدوا فى هلع وخوف بل ماتوا وهم يهللون .

وقد كان احدهم يبتسم وهو يحترق ، فلما سئل عن الشىء الذى يجعله مبتسما قال « لقد رأيت مجد الله ففرحت » فكلمة Hupomoné تعنى الصفة التى تجعل الانسان قادرا ، ليس على مجرد تحمل الصعاب ، بل على الترحيب بها وقهرها . ان نتيجة تحمل التجربة هى تزويدنا بالقوة اللازمة للتغلب على مصاعب أكبر ، والانتصار فى معارك اشد ضراوة . ان ذلك الثبات الدائم أمام التجربة يجعل الانسان قادرا أن يكون :

أ ـــ « تاما » ، والكلمة اليونانية لذلك هى Teleios وهى تعنى التمام من أجل هدف معين ان الذبيحة تكون تامة Teleios اذ كانت صالحة كتقدمة لله . والطالب يكون تاما فى المعرفة اذا كان ناضجا فى فكره وقد اجتاز المراحل التعليمية الأولى بنجاح ، ويكون الشخص تاما Teleios اذا كان جسمه اكتمل نموا واصبح ناضجا .

ولذلك فان الثبات الدائم الذى يولده اجتياز التجارب بنجاح ، يجعل الانسان تاما أى يجعله صالحا لاداء العمل الذى من أجله ارسله الله للعالم ، ولتتميم ارادة الله . فهى اذن فكرة نبيلة . ان صلاحيتنا أو عدم صلاحيتنا فى اتمام العمل الذى قصد الله أن نؤديه ، يتوقف على طريقة استجابتنا لتجارب الحياة .

٢ ـــ انه يجعله أيضا (كاملا) والكلمة اليونانية لذلك هى Holokléros وهى تعنى الاكتمال فى كل جزء وقد تستخدم للتعبير عن الذبيحة التى تصلح كتقدمة لله ، وعن الكاهن الذى يصلح لخدمة الله وهذا يعنى أن الذبيحة أو الشخص ليست به أية عيوب أو تشويه وأن الثبات الدائم الذى نخرج به من

اجتياز التجربة بنجاح ، يزيل الضعفات والنقائص من شخصياتنا شيئا فشيئا . وهذا يمكننا من الانتصار على خطايانا القديمة كل يوم ، ويمكننا من التدرج فى سلم الفضائل الروحية ، حتى نصبح فى النهاية صالحين لخدمة الله وخدمة الآخرين .

٣ — ان ذلك يجعله (غير ناقص فى شىء) ان الفعل المستعمل لذلك هو Leipesthai والكلمة تستعمل للتعبير عن هزيمة جيش ، وعن الكف عن استمرار الجهاد أو للتعبير عن الفشل فى الوصول الى مستوى كان يجب الوصول اليه . فان كان احد يجتاز الامتحان بنجاح ، وان كان يصل الى الثبات الدائم يوما بعد آخر ، فانه يستطيع حينئذ أن يكون منتصرا وأن يقترب يوما بعد يوم من الوصول الى المستوى الذى يريده الله ، الى قياس قامة ملء المسيح .

عطية الله وطلب الانسان

وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ فَسَيُعْطَى لَهُ. وَلَكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرَ مُرْتَابٍ الْبَتَّةَ لِأَنَّ الْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجاً مِنَ الْبَحْرِ تَخْبِطُهُ الرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ. فَلاَ يَظُنَّ ذَلِكَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ. رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ .

(١ : ٥ — ٨)

هناك صلة وثيقة بين هذه الفقرة ، وبين ما ذكرناه من قبل . فان يعقوب يخبر قراء الرسالة ، أنهم ان واجهوا تجارب الحياة بصدر رحب ، فانهم يخرجون منها وقد اتشحوا بالثبات الدائم الذى يعتبر أساسا لجميع الفضائل . ولكن هناك سؤال ملح هو : كيف يمكننى استخدام تلك التجارب ؟ ومن أين أحصل على الحكمة والفهم اللازمين لمواجهة التجارب مواجهة صحيحة ؟ ويرد يعقوب بالقول : « ان كان احد تعوزه حكمة ليستطيع بها مواجهة تجارب الحياة — وليس من انسان يمتلك هذه الحكمة — فليطلب من الله »

(وهنا يبرز شيء هام) فان يعقوب ، المعلم المسيحى ذا النشأة اليهودية ، يعتبر أن الحكمة شيء عملى . فالحكمة تصورات فلسفية أو معرفة عقلية ، انها الحكمة من أجل الحياة .

ان الرواقيين عرفوا الحكمة بأنها (معرفة الامور البشرية والالهية) ويعرف روبز ropes الحكمة بأنها (الجانب السامى الالهى من النفس البشرية به يستطيع الانسان معرفة البر والحق والسلوك فيهما) ويعرفها « هورت » Hort بأنها : (الهبة التى يمنحها الله للانسان لتوجيه عقله وقلبه الاتجاه الصحيح فى الحياة) ، فالحكمة المسيحية تشمل بالطبع المعرفة بأمور روحية عميقة وهى تعنى أيضا العقل الباحث المتعطش للمعرفة ، ولكنها تهتم بنوع خاص بما هو عملى ، انها المعرفة المستخدمة فى ميدان الحياة العملية وفى مجالات العلاقات الشخصية فى الحياة العامة فعندما يطلب أحدهم الحكمة من الله ، فانه يجب أن يضع فى اعتباره أمرين :

١ — يجب أن يتذكر الكيفية التى يعطى بها الله . « ان الله يعطى بسخاء ولا يعير » ، يقول يشوع بن سيراخ « ان كل حكمة هى من قبل الرب وهى معه الى الدهر « (حكمة يشوع ١ : ١) ، ولكن حكماء اليهود كانوا يدركون بأن أفضل عطية فى العالم يمكن أن تفقد قيمتها لو لم تقدم بطريقة مناسبة فقد قالوا الشيء الكثير عن كيفية تقديم الجاهل للعطية ، « يابنى فى الخيرات لا تعط تبكيتا وفى كل عطية أقوال غم .. أليس القول أجدر من العطية وكلاهما مع الرجل المبرر . الجاهل يعيب شديدا وعطية الغير المتأدب تفسد البصر » . (أى تجلب الدموع) (حكمة يشوع ١٨ : ١٥ — ١٨) . « عطية الاحمق لا تنفعك ان تأخذها وكذلك الشحيح عند الحاجة اليه . لان أعينه كثيرة عند أخذك منه الحاجة الواحدة . يعطى قليلا ويعير كثيرا ويفتح فاه كالمنادى . اليوم يقرض وغدا يطالب فانسان هكذا يكون مبغوضا من الله والناس . » (حكمة يشوع ٢٠ : ١٤و١٥) ونفس الكاتب يحذر من تعيير الاصدقاء (حكمة يشوع ٤١ : ٢٢) فهناك المعطى الذى يعطى من اجل أن يحصل على أكثر مما قدم ، والمعطى الذى لا يعطى سوى لاشباع غروره ولكى يجعل مستلم العطية تحت التزام لا يستطيع معه

النسيان مطلقا بما قدم اليه ، وهناك المعطى الذى يعير دائما المعطى اليه بما قــدم له ، ولكن الله يعطى بســخاء . ان الشــاعر اليونانى فليمون Philemon كان يدعو الله (محب العطايا) ، ليس بمعنى انه يجب أن يأخــذ العطــايا ، بل بمعنى انه يحب أن يهب العطــايا وأن الله لا يعــير بالعطية ، ولكنه يعطى بكل ما فى قلبه من حب جليل ، ان طبيعته السامية هى العطاء .

٢ ـــ ويجب أن نعرف ايضا الطريقة التى يجب على السائل أن يتبعها عند السؤال . ان الســـــائل يجب أن يكون (غير مرتاب) ، فانه ان كان مرتابا ، فان فكره يكون مضطربا (كموج البحر الذى يدفعه الريح) حيث شاء . يقول مايور mayer انه فى هذه الحالة يشبه قطعة من الفلين على سطح المياه ، فتارة تكون قريبة من الشاطىء ، وتارة تدفعهـــــا الأمواج بعيدا . ان رجلا كهذا يكون مقلقلا فى طرقه ويقــول هورت Hort ان الانسان اذا كان كذلك ، فيمكن تشبيهه بسكير يترنح فى الطريق هنا وهناك ، دون أن يصل الى هدف معين .

وان يعقوب يستعمل هنا كلمة معبرة . فيقول انه يكون ذا رايين ، أى «dipsuchos» التى تعنى حرفيا (رجل ذو نفسين ، وعقلين بداخله) فبأحد العقلين يؤمن ، وبالعقل الآخر لا يصــــدق ، فلذلك تضطرم فى داخله أوار حرب مشتعلة بين الثقة بالله وعدم الثقة به .

اننا يجب أن نطلب الحكمة من الله ، لنستطيع مواجهة تجارب الحياة التى نخرج منها ونحن ظافرين ، وقد اكتسبنا شخصية ثابتة وقوية .

وعندما نطلب من الله ، يجب أن نتذكر سخاء الله وكرمه ، ويجب أن نطلب من الله مؤمنين اننا سننال منه كل ما هو لخيرنا وصالحنا .

حاجة كل انسان

وَلْيَفْتَخِرِ الأَخُ الْمُتَّضِعُ بِارْتِفَاعِهِ . وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَبِاتِّضَاعِهِ لأَنَّهُ كَزَهْرِ الْعُشْبِ يَزُولُ . لأَنَّ الشَّمْسَ أَشْرَقَتْ بِالْحَرِّ فَيَبَّسَتِ الْعُشْبَ

فَسَقَطَ زَهْرُهُ وَفَنِيَ جَمَالُ مَنْظَرِهِ . هٰكَذَا يَذْبُلُ الْغَنِيُّ أَيْضاً فِي طُرُقِهِ .

(١. ١. : ٩ — ١١.).

ان يعقوب يرى أن المسيحية تقدم لكل واحد ما يحتاجه . (فكما أن الأخ الفقير يتعلم احترام الذات ، فكذلك الغنى المتكبر يتعلم الاتضاع وانكار الذات) .

١ — ان المسيحية تشعر الشخص الفقير بقيمته وترفعه من الاحساس بالضعة الى الاحساس بقيمته واهميته .

(أ) فهى تعلمه بأنه ذو شأن فى الكنيسة . فلم تكن الفوارق الطبقية موجودة فى الكنيسة الاولى ، فكان يحدث مثلا ، أن يكون العبد هو خادم الكنيسة الذى يعظ ويقدم للناس من الفريضة الربانية بينما يكون سيده مجرد عضو متواضع . فلم تكن فى الكنيسة أية فوارق اجتماعية تفصل بين الناس ، وليس لأى عضو فضل على الآخر .

(ب) وهى تعلمه أيضا أنه ذو شأن فى العالم . فالمسيحية تعلمنا أن كل شخص فى العالم يتعين عليه عمل ليقوم به ، وأن الله لم يبقه فى العالم الا لغرض وأنه ما من شخص عديم النفع فى نظر الله ، حتى ولو كان طريح الفراش ، لأن صلواته تستطيع أن تحقق الكثير فى تغيير مجرى الامور .

(ح) ثم أن المسيحية تعلمه أنه مهم فى نظر الله . قال ميورتيوس Muretus « لا تصف أى شخص مات المسيح لاجله ، بأنه عديم القيمة » فكل شخص ذو قيمة فى نظر الله

٢ — ان المسيحية تجعل الغنى يمارس الاتضاع وانكار الذات ، فمن مآسى الغنى أنه يوهم الانسان بأنه فى أمان ، ولكنه أمان كاذب فالغنى يحس أنه فى أمان لأنه يمتلك الموارد التى تمكنه من التغلب على كل العقبات ، فهو يستطيع شراء كل ما يريد ، وهو يستطيع بواسطة نفوذه أن يهرب من أى مأزق أو موقف حرج .

ولكن يعقوب يرسم لنا صورة ناطقة ، مألوفة لأهل فلسطين . ففى

الاماكن الصحراوية ، حيث ينزل رذاذ المطر ، نجـــد أن بعض الأعشاب الضعيفة تنمو ، ولكن حالما تطلع الشمس بوهجهـــا اللافح ، فانها تقضى على تلك الاعشاب وكأنها لم تكن . والحر اللافح تعنى باليونانية «Kauson» الذى يأتى نتيجة هبوب رياح جنوبية شرقية نسمى السموم وهى تأتى من الصحراء مباشرة وتهب على فلسطين كاللفح الســـاخن من الافران وهى تستطيع فى ساعة واحدة أن تأتى على كل ما هــو أخضر بحرارتها اللافحة . هذه صورة تمثل الشخص الذى يتكل على غناه . صورة الشـــخص الذى يضع كل ثقته فى ثروته التى هى عرضة لظروف الدهر وتقلباته ، فالحيــاة ذاتها ليست مضمونة . وكأنى بيعقوب وهو يعرض ذلك ، يفكر فى قــول اشعياء : كل جسد عشب وكل جمـــاله كزهر الحقـــل . يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخـــة الرب هبت عليه . حقا الشعب عشب » (اشعياء ٤٠ : ٦ و ٧) ، (أنظر مزامير ١٠٣ : ١٥) ان يعقوب يقــول انه اذا كانت الحياة غير مضمونة ، وان كان الانسان معرضا لوقوع الحوادث ، وان كانت كل مباهج الحياة معرضة للزوال ، وان كانت النـــكبات قد تحل بالانسان فى أى لحظة ، فمن الجهل اذا بالانسان أن يضع كل ثقته فى أشياء ، كالثروة مثلا ، قد يفقدها فى لحظة ، ولكنه يكون عاقلا لو وضع ثقته فى أشياء غير معرضة لأحداث الدهر وتقلباته . ان يعقوب يحث الاغنياء ألا يضعوا ثقتهم فيمـــــا يستطيعون تكديسه من أموال ، ويناشدهم أن يقروا بعجزهم وضعفهم ، وأن يأتوا باتضاع الى الله ويؤمنوا به وهو وحده القـــادر أن يمنحنا الأشياء الباقية الى الدهر . انه يطلب من الناس أن يفتخروا باتضاعهم أمام الله ، ذلك الاتضاع الذى يعنى الاتكال الكلى على الله .

اكليل الحيـــاة

طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَحْتَمِلُ ٱلتَّجْرِبَةَ . لِأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ إِكْلِيلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلَّذِي وَعَدَ بِهِ ٱلرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ .

(١ : ١٢)

ان الشخص الذى يتغلب على التجارب ، يفرح هنا وفى الأبدية .

١ — ففى هذه الحياة يصبح ذا قيمة عظمى ، كالمعدن النفيس الذى

تمت تنقيته وتصفيته من كل شائبة . فنقصاته قد أزيلت ، وأخطـاؤه قـد محيت وبذلك يخرج من التجربة موفور القوة ، تام النقاوة .

٢ ــ وفى الحيـاة الأبدية ينال اكليل الحياة . تعوزنا هنـا ايضاحات كثـيرة ، قديمـا كان الاكليل Stephanos يلبس فى اربعـة مواقف على الأقـل .

١ ــ اكليل الزهور ، وكان يلبس وقت الفرح ، وفى الأفراح والولائم (اشعياء ٢٨ : ١ و ٢ ، نشيد الانشاد ٣ : ١١) فكان الاكليل رمزا للبهجـة والسعادة .

٢ ــ كان الاكليل رمزا للملك ، وكان يلبسه الملوك وذوو السلطة . وقد كان هذا الاكليل من ذهب أو عبارة عن قـلادة تلبس على الرأس (مزامير ٢١ : ٣ ، ارميا ١٣ ، ١٨) .

٣ ــ وكان المنتصر فى الالعاب قديما ينال اكليلا من الغار ، وهو الاكليل الذى يسعى كل رياضى أن يحصل عليه (٢ تيموثاوس ٤ : ٨) .

٤ ــ كان الاكليل رمزا للكرامة والشرف . فنصائح الوالدين هى اكليل نعمة لمن يسمعها من الأبناء (أ مثال ١ : ٩) ، والحكمة تاج جمال ومجـد للانسان (أمثال ٤ : ٩) ، وفى وقت الحزن والعار يمكن أن يقال «سقـط اكليل رأسنا » (مراثى ارميا ٥ : ١٦) .

وأن كل تلك المعانى السابقة يتضمنها اكليل المسـيحى . فالمسيحى يتمتع بفرح لا يمكن لأحد أن يحصل عليه ، فهو فى وليمة دائمة والمسيحى يتمتع بسلطة عظمى لا يدركهـا الآخرون ، لأنه ابن الله بغض النظر عن ظروفه المعيشية فى الارض وما يعـانيه من شظف العيش هنا . والمسيحى أيضـا ينتصر فى معارك لا يمكن أن يكسبها الآخرون ، لأنه يجـابه الحياة بقـوة يسوع المسيح الذى يسير برفقته . ان الله نفسه هو الذى يهبنا النصر . والمسيحى يحس بكرامة عظمى ، لأنه يدرك كيف أن الله قـد أرسل يسوع الى العالم ليموت لأجله . ولا يمكن لانسان يؤمن أن المسيح مات لاجله أن يشعر بحقارته .

قد يكون الشيطان هو الذى وضع تلك النزعة فى الانسان ، وقد يكون الملائكة الساقطون هم الذين وضعوها ، وقد يكون الانسان هو الذى أوجدها ولكن من أين جاءت فى النهاية ؟ ، وللاجابة على هذا السؤال انزلق معلمو اليهود الى منزلق خطر . فقالوا : حيث أن الله خلق كل شىء ، فلابد أنه خلق النزعة الشريرة أيضا . قال معلمو اليهود : ان الله قد أحزنه أنه خلق الميل الشرير فى الانسان ، لانه لو لم يعمل ذلك لما عصى الانسان خالقه، ولكن الله يقول : « كما خلقت الميل الشرير ، أوجدت كذلك الناموس لشفاء الانسان . فلو اتبع الانسان الناموس ، لما سقط فى الشر » « ان الله قد خلق الميل للصلاح عن يمين الانسان ، والميل للشر عن يساره » .

ويبدو خطر هذا الرأى فى أنه يعنى أن الانسان يمكنه أن يلوم الله ، كلما وقع (أى الانسان) فى الخطية ، أو قد يقول كما قال بولس : « لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى » (رومية ٧ : ١٥ — ٢٤) فمن أغرب التعاليم أن يقال ان الله هو المسئول الاول عن وجود الخطية .

التهرب من المسئولية

أنه لشىء غريزى فى الانسان منذ البدء ، أن يلقى باللوم على الآخرين عندما يخطىء . ان الكاتب الذى سجل قصة أول خطية ارتكبت فى العالم قديما فى جنة عدن ، كان ملما بخبايا النفس البشرية الماما تاما اذ سجل أنه عندما واجه الله آدم بخطيته ، كان جوابه : « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » وعندما خاطب الله حواء بخصوص خطيتها قالت : « الحية غرتنى فأكلت » . (تكوين ٣ : ١٢ و ١٣) فآدم يقول لله : « لا تلمنى ، لم حواء وحواء تقول : لا تلمنى . لم الحية . فالانسان كان منذ البدء خبيرا فى فن التهرب من المسئولية » .

ويقول روبرت برنز Robert Burns فى هذا الصدد :

أنت تعرف أنك جبلتنى
جاعلا فى دوافع قوية جامحة
وعندما أستمع لصوتها المغرى
كم أضل الطريق بعيدا

ولكن هذا لا يحل المشكلة ، بل يشرحها فقط . لان ذلك لا يبين من أين جاءت الرغبة الشريرة . ولذا فقد حــاول الفكر اليهودى أن يعرف من أين جاءت الرغبة الشريرة هذه .

لقد أظهر كاتب « حكمة يشوع » مقدار الدمار الذى تحدثه تلك الرغبة الشريرة حين قال : « ياأيتها المجاسرة الخبيثة من أين خلقت لتغطى اليابسة بالمكر ؟ » (حكمة يشوع ٣٧ : ٣) وهو يعتقد أن النزعة الشريرة قد أتت من الشيطان ، وأن الانسان يحارب ضدها بارادته : « الله منذ البدء صنع انسانا (وتركه بيد من حاول أن يجعـــله فريسة) ولكنه تركه أيضـــا بيد مشورته . ان أردت أن تحفظ الوصايا فاحفظ مرضاة الامانة » (حكمــة يشوع ١٥ : ١٤ و ١٥) فبناء على ذلك ، يكون الشيطان هو الذى زرع النزعة الشريرة فى الانسان ، وأن الانسان يستطيع أن يتغلب عليها بارادته . أن بعض الكتاب اليهود يرجعون تلك الرغبة الشريرة الى زمن جنة عدن . ففى احدى كتب (الابوكريفا) وهو كتاب « حياة آدم وحواء » نجد القصة كاملة . تقول القصة ان الشيطان قد اتخذ صورة ملاك ؛ وتكلم فى الحية واضعا فى حواء الرغبة للاكل من الفاكهة المحرمة ، وجعلها تقسم أن تعطيها لآدم كذلك . وقالت حواء : « وعندما جعلنى أقسم بذلك ، تركنى وصعد الى شجرة ، ولكنه وضع فى الفاكهة التى أعطاها لى سم الشر أو شهوته ، لان الشهوة هى بداية الطريق الى الخطية . ثم نـــزل من على الشـــجرة الى الارض ، فأخذت الفاكهة منه وأكلتها » . نرى من ذلك أن الشيطان نفسه هو الذى نجح فى أن يزرع الميل الشرير فى الانسان ، وذلك الميل هو شهوة الجسد . وتنتهى القصة بأن مصدر كل خطية ، يرجع فى الواقع ، الى تلك الشهوة التى دسها الشيطان فى الفاكهة التى أكلتها حواء .

وفى كتاب (أخنوخ) نجد نظريتين : النظرية الاولى تنسب الخطية الى الملائكة الذين سقطوا (أصحاح ٨٥) ، والنظرية الثانية تعتبر مســئولية وجود الخطية والنزعة الشريرة على الانسان نفسه « ان الخطية لم ترسل الى الارض ، ولكن الانســان نفسه هو الذى أوجدها (٩٨ : ٤) ولكن هاتين النظريتين لا تحــلان المشكلة ، بل أنهما يزيدانها تعقيدا . فمن أين جاءت النزعة الشريرة فى النهاية ؟

قد يكون الشيطان هو الذى وضع تلك النزعة فى الانسان ، وقد يكون الملائكة الساقطون هم الذين وضعوها ، وقد يكون الانسان هو الذى أوجدها ولكن من أين جاءت فى النهاية ؟ ، وللاجابة على هذا السؤال انزلق معلمو اليهود الى منزلق خطر . فقالوا : حيث أن الله خلق كل شىء ، فلابد أنه خلق النزعة الشريرة أيضا . قال معلمو اليهود : ان الله قد أحزنه أنه خلق الميل الشرير فى الانسان ، لانه لو لم يعمل ذلك لما عصى الانسان خالقه، ولكن الله يقول : « كما خلقت الميل الشرير ، أوجدت كذلك الناموس لشفاء الانسان . فلو اتبع الانسان الناموس ، لما سقط فى الشر » « ان الله قد خلق الميل للصلاح عن يمين الانسان ، والميل للشر عن يساره » .

ويبدو خطر هذا الرأى فى أنه يعنى أن الانسان يمكنه أن يلوم الله ، كلما وقع (أى الانسان) فى الخطية ، أو قد يقول كما قال بولس : « لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى » (رومية ٧ : ١٥ — ٢٤) فمن أغرب التعاليم أن يقال ان الله هو المسئول الاول عن وجود الخطية .

التهرب من المسئولية

أنه لشىء غريزى فى الانسان منذ البدء ، أن يلقى باللوم على الآخرين عندما يخطىء . ان الكاتب الذى سجل قصة أول خطية ارتكبت فى العالم قديما فى جنة عدن ، كان ملما بخبايا النفس البشرية الماما تاما اذ سجل أنه عندما واجه الله آدم بخطيته ، كان جوابه : « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » وعندما خاطب الله حواء بخصوص خطيتها قالت : « الحية غرتنى فأكلت » . (تكوين ٣ : ١٢ و ١٣) فآدم يقول لله : « لا تلمنى ، لم حواء وحواء تقول : لا تلمنى . لم الحية . فالانسان كان منذ البدء خبيرا فى فن التهرب من المسئولية » .

ويقول روبرت برنز Robert Burns فى هذا الصدد :

أنت تعرف أنك جبلتنى
جاعلا فى دوافع قوية جامحة
وعندما أستمع لصوتها المغرى
كم أضل الطريق بعيدا

فكأن هذا الشـاعر يقول ان سـلوكه المعوج ، يعزى لان الله خلقه هكذا ، أى أنه يلقى اللوم على الله . ونجد بعض الناس يلومون زملاءهم ، ويلومون ظروفهم ، ويلقون اللوم ايضا على ما فيهم من غرائز وميول .

ان يعقوب يهاجم ذلك الراى بشدة ، فهو يعتبر الانسان مسئولا عن رغباته الشريرة . فالخطية تقف عاجزة اذا لم تجد فى الانسان ميلا لارتكابها . فلو أن التجربة لم تجد من يلق اليها بالا ، ما عادت تجربة ولفقدت قوتها . فالرغبة اذن تحتاج لمن يغذيها ويلهبها ، والانسان يستطيع أن يكبح جماح ذاته ، ويقمع نفسه ، وبقوة الله يمكنه ايضا أن يسـتأصل شأفة الرغبة الشريرة . ولكنه يستطيع ايضا أن يحلق بأفكاره بعيدا فى أجواء الخطية ، ويسمح لنفسه بالذهاب الى أماكن معينة ، ويسير فى صحبة رفقاء سوء ، ويجول ببصره هنا وهنـاك فى النظر الى أشياء محرمة ، ويستطيع أن يقضى حياته خادما لرغباته الشريرة ، فيجعل فكره وقلبه وعينيه ورجليه وشفتيه طوع أمر تلك الرغبة العارمة . ويمكنه من الناحية الاخرى أن يسلم ذاته للمسيح ، وبروح المسيح يصير مطهرا من كل رغبة خبيثة ، فيقطع جل وقته فى عمل أشياء نافعة ، فلا يتبقى وقت يقضيه فى الاصغاء لصوت الرغبات الشريرة . فالايدى العاطلة هى التى يستخدمها الشيطان والعقل الغير مدرب هو الذى يتسلى بأوهام الميول ، والقلب الغير مكرس لله هو الذى ينخدع وينجذب وراء الشهوة .

واذا ما استسلم الانسان لرغباته ، فالنتيجة التى لا مفر منها ، أن تتحول الرغبة فتضحى عملا . فاذا فكر الانسان طويلا فى شىء ما ، ورغب فى الحصول عليه ، ففى أغلب الاحيان نجد أنه ينزع للحصول على ذلك الشىء. فالرغبة فى القلب هى أم كل خطية . ثم أن التعليم اليهودى ينادى بأن الخطية تلد الموت وفى قصة آدم وحواء التى ذكرناها من قبل ، يذكر أنه فى اللحظة التى اكلت فيها حواء من الفاكهة ، رأت الموت . والكلمة التى يسـتعملها يعقوب فى (عـدد ١٥) والمترجمة (تنتج موتا) لاتستعمل الا عن تـوالد الحيوانات ، ولا تستعمل للتعبير عن نسل الانسـان ، وهذا يعنى أن الخطية تفقس موتا . فالخطية اذ تتملك على الانسان حواسه ، تصيره أدنى مـن البشر ، وتهبط به الى مستوى الحيوانات الدنيا .

ان أهمية هذه الفقرة ترجع الى أنها تذكر الانسان بالمسئولية الملقاة على عاتقه تجاه الخطية . ان كل انسان يولد وبه ميول خاطئة ، ولا نقصد بذلك الرغبة الجنسية فحسب ، فالانسان توجد به كثير من الرغبات والميول الخاطئة . وأن الاشياء المحرمة تخلب لب الانسان ، فاذا الهب الانسان تلك الرغبات التى تجعل الانسان يسعى للحصول على أشياء محرمة ، فان ذلك يؤدى الى أن تنمو الرغبة الشريرة ، وتكبر حتى تضحى عملا ، أى خطية ، وهذا هو الطريق المؤدى للموت .

ان تلك الفكرة التى تدعمها كل الخبرات البشرية ، يجب ان تقودنا الى نعمة الله القادرة وحدها على أن تحفظنا أنقياء من غير دنس ، وهى تستطيع أن تغير حياة الكثيرين .

عدم تغير الله

لاَ تَضِلُّوا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ . كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ . شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ .

(١ : ١٦ — ١٨)

يؤكد يعقوب ثانية حقيقة هامة ، وهى أن كل عطية صالحة مصدرها الله . ويمكن أن نترجم عدد (١٧) هكذا : « كل العطايا صالحة » أى أن كل شىء يأتى من الله يكون صالحا .

ثم نلحظ ظاهرة غريبة فى النص اليونانى للرسالة ، فالعبارة المترجمة « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة » ، هى فى الواقع مأخوذة من قصيدة شعرية يونانية فاما أن يعقوب كانت له اذن موسيقية مدربة على الاستماع لتوافق الشعر ، واما أنه اقتبس تلك العبارة من كتاب لا نعرف عنه شيئا .

ان يعقوب يؤكد هنا عدم تغير الله ، ولذلك فانه يستخدم اصطلاحين

فلكيين . فالكلمة المستخدمة للتعبير عن (التغيير) هي كلمة Parallagé والكلمة المستخدمة (لظل الدوران) هي tropé ، والكلمتان لهما صلة بالتغيير في الاجرام السماوية ، واختلاف الليل والنهار ، ومدار الشمس ، والتغير والافول الذي يعترى الكواكب والنجوم ، واختلاف تألقها ولمعانها . فالتحول والتغير صفتان متلازمتان لجميع الاشياء المخلوقة . والله هو خالق الانوار والسماء ، الشمس والقمر ، والنجوم .

والصلاة الصباحية عند اليهود تقول : « مبارك الرب الاله الذي خلق الانوار » . ان الانوار تتغير ، ولكن خالقها لا يعتر به ظل تغيير .

ثم أن الله له مقاصد طيبة من جهتنا . فكلمة الحق هي الانجيل ، وأن الله اذ يرسل لنا (كلمة الحق) فانه يريدنا أن نولد ثانية لكي نحصل على حياة جديدة . فعندما نسمح للانجيل بأن يتخلل جو حياتنا ، فان الحياة الجديدة تسري فينا ، فتنعدم الظلال ، وتضيء فينا كلمة الحق الثابتة . وأن ذلك الميلاد الثاني يؤهلنا لان ننضم الى شعب الله وأن نكون من أهل بيت الله . لقد كان الناموس قديما ينادي بضرورة تقديم الباكورات لله ، فكانت الباكورات تقدم بشكر على مذبح الله ، لانها ملك الله . وهكذا نحن ، فعندما نولد ثانية بكلمة الحق ، فاننا نصبح ملكا لله مثل باكورات الحصاد .

ولذا فان يعقوب يصرح بأن عطايا الله كلها صالحة ، وأنها لا يعتريها تغيير بالرغم من تقلب العالم الذي نعيش فيه . وأن هدف الله الاسمى أن يخلقنا من جديد بكلمة الانجيل ، حتى يعرف الجميع أننا ملك شرعي لله .

متى نسرع ومتى نبطيء

إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاسْتِمَاعِ مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ مُبْطِئًا فِي الغَضَبِ . لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ لا يَصْنَعُ بِرَّ اللهِ .

(١ : ١٩ و ٢٠)

توجد قلة من الحكماء الذين يبطئون فى التكلم ، ويسرعون فى الاستماع وانه لمن الاهمية بمكان أن نعمل قائمة بالاشياء التى يجب الاسراع فيها ، والاشياء التى يجب أن نبطىء فى تنفيذها . فى أقوال اليهود القدامى نجد تلك العبارات : « هناك أربعة أصناف من التلاميذ ، صنف منهم يسرع فى الاستماع ، يسرع فى النسيان ، وهذا الصنف يضيع ما استفاد ، وصنف آخر يبطىء فى الاستماع ولا ينسى بسرعة ،وهذا الصنف يضيع قليلا ويستفيد كثيرا . وصنف ثالث يسرع فى الاستماع وينسى ببطء وهذا هو الحكيم . وصنف رابع يبطىء فى الاستماع ويسرع فى النسيان وهذا أشرهم » .

وينصح أوفد Ovid الناس الا يتسرعوا فى القاء اللوم على الآخرين وتوقيع العقاب عليهم ، بل يسرعوا فى مدحهم والثناء عليهم . ويأمر فيلو philo الناس أن يسرعوا فى افادة الآخرين ، وأن يبطئوا فى ايذائهم . وقد أكد الحكماء ضرورة الابطاء فى التكلم وقد قال المعلم سمعان Simeon « لقد نشأت وسط الحكماء ، ووجدت أنه ليس خير للانسان من أن يصمت . . فالذى يكثر من الكلام يعرض نفسه للوقوع فى الخطية » . ويقول يشوع بن سيراخ : « صر مسرعا فى سماعك ... ان كان لك فهم جاوب قريبك والا فلتكن يدك على فمك . (حكمة يشوع ٥ : ١١ و ١٢) .

وسفر الامثال ملىء بتوبيخ أولئك السريعو التكلم . « كثرة الكلام لا تخلو من معصية . أما الضابط شفتيه فعاقل (أمثال ١٠ : ١٩) «من يحفظ فمه يحفظ نفسه . من يشحر شفتيه فله هلاك » (أمثال ١٣ : ٣) « الاحمق اذا سكت يحسب حكيما ومن ضم شفتيه فهيما » (أمثال ١٧ : ٢٨) « أرأيت انسانا عجولا فى كلامه . الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به . » (أمثال ٢٩ : ٢٠) .

يقول هورت Hort ان الشخص الصالح يفضل أن يستمع الى كلمة الله بشغف من أن يجاهر بآرائه بكل افتخار . وقدامى الكتاب كانوا يقولون نفس الشىء . فقد قال زينون Zeno : « للانسان أذنان وفم واحد حتى يكثر الاستماع ويقلل التكلم . » وقال باياس Bias « ان كنت تكره العجلة فى الحديث ، فنادرا ما تخطىء . »

لقد اثنى على أحد الادباء مرة ، لانه يستطيع أن يصمت مع المامه بسبع لغات مختلفة . فيجدر بنا ان ننتظر وننصت جيدا من أن نندفع فى الكلام .

وينصحنا يعقوب أيضا أن (نبطىء فى الغضب) . ومن الجائز أن يعقوب يرد على بعض الناس الذين يؤيدون ثورة غضب التوبيخ ، وهذا النوع من الغضب فى محله ، فالعالم يفتقر دائما الى أولئك الذين يؤيدون ثورة مقدسة ضد الظلم والطغيان والفساد الناجم عن الخطية . ولكن كثيرا ما يتخذ ذلك ذريعة للغضب القائم على الانانية والاهواء الفردية ، وليس الغضب المقدس .

فالمعلم قد يجد نفسه مندفعا بثورة الغضب على الطالب البطىء الفهم البليد ، ولكنه بالتشجيع والثناء ينتج أكثر بكثير من سياط الاسلوب الجارح، الا فى الاحوال النادرة . والواعظ قد يميل للتوبيخ ، ولكن احسن نصيحة تقدم للوعاظ هى : لا تستعملوا أسلوب التأنيب ، فالواعظ يخسر كثيرا من التأييد اذا لم يبين للشعب بكل حركة وكلمة ، انه يكن له الحب والمودة . فأسلوب الغضب اذ يحمل فى طياته الكراهية ، والتعالى على السامعين ، يفشل فى ان يحرك النفوس لكى تطلب التجديد . والاب كذلك قد يميل للغضب ولكن غضب الاب يأتى بنتائج عكسية ، اذ أنه يلقى اصرارا وعنادا ومقاومة لهو أقوى بكثير من أسلوب الغضب لان الغضب يعبر عن الضيق ونفاذ الصبر والضجر ، فيضر اكثر مما ينفع . فأحسن نصيحة تقدم لنتبعها فى الحياة هى أن نبطىء فى التكلم ونبطىء فى الغضب وأن نسرع فى الاستماع .

قبول التعليم بوداعة

لِذَلِكَ اطْرَحُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ وَكَثْرَةَ شَرٍّ فَاقْبَلُوا بِوَدَاعَةٍ الْكَلِمَةَ الْمَغْرُوسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُخَلِّصَ نُفُوسَكُمْ .

(١ : ٢١)

ان يعقوب يستعمل هنا سلسلة متتابعة من الصور والتعبيرات

الناطقة . فهـو يطلب من قرائه أن يطرحوا عن أنفسهم كل شر ونجاسة . والكلمات المترجمة (اطرحوا) تعني حرفيا (خلع الملابس) ، فهـو يأمر سامعيه ان يتخلصوا من كل نجاسة كمـا يتخلص الانسان من ثوب نظيف نخلعه أو كما ينسلخ الثعبان من جلده .

والكلمتان المستعملتان فى التعبير عن النجاسة واضحتان . فالكلمة التى ترجمت (نجاسة) هى باليونانية ruparia ، وهى تستعمل للتعبير عن الأقذار التى تلطخ الملابس أو تلوث الجسم . ولكن لها استعمال آخر يجذب الالتفات ، فهى مشتقة من كلمة rupos . وعندما تستعمل كلمة rupos كاصطلاح طبى فانهـا تعنى (صماخ الأذن) ونحن يمكن أن نحتفظ بذلك المعنى هنا ، فان يعقوب يقول لسامعيه أن يتلخصوا من كل ما يعيق آذانهم عن الاستماع لكلمة الله .

فعندما يتجمع الصماخ فى الاذن فانه يجعل الشخص لا يسمع وبالمثل فان خطايا الانسان تجعله أصما روحيا لايستطيع أن يسمع كلمة الله .

ويتحدث يعقوب أيضا عن « كثرة الشر » perisseia ، ويعتبر الشر كنمو عائق يجب أن يستأصل أو كنمو سرطانى فى الجسم . فالشر هو نمو خبيث دنس وقبيح فى النفس البشرية ، يجب أن يستأصل .

وهو يأمرهم أن يقبلوا « الكلمة المغروسة » بوداعة . « والـكلمة المغروسة » باليونانية emphutos ولها معنيان : (أ) « مغروسة » قد تعنى فطرية بعكس مكتسبة فلو كان يعقـوب يقصد هـذا المعنى ، فان ذلك يكون مماثلا لما قصده بولس عندما يتـكلم عن الأمم الذين يفعلون بالطبيعة ما هو فى الناموس لأنهم يظهرون عمل الناموس مكتوبا فى قلوبهم (رومية ٢ : ١٤ و ١٥) ، ونجد نفس المعنى فى العهـد القديم عن الناموس « بل الكلمة قريبة منك جدا فى فمك وفى قلبك لتعمل بهـا » . (تثنية ٣٠ : ١٤) ويمكن أن يقصد بذلك الضمير .

وان كان هذا هو ما يقصده يعقوب ، فانه يعنى عندئذ أنه يوجـد فى قلب كل انسان معرفة فطرية بالخير والشر ، واننا يجب أن نسير وفق تلك المعرفة التى حبانا اياها الله .

٢ ــ وقد تكون كلمة « مغروسة » بمعنى مزروعة ، كما تزرع البذرة

فى الأرض . وفى (عزرا الرابعة ٩ : ٣١) نجـد قول الله : « هأنذا أزرع ناموسى بينهم وتفخرون به » . فان كان المقصود هكذا ، فتكون الفكرة مأخوذة من مثل الزارع (متى ١٣ : ١ — ٨) الذى يخبرنا ان بذار الكلمة تزرع فى قلوب الناس ، فالله يزرع كلمة الحق فى قلوب الناس عن طريق أنبيائه ومبشريه وفوق الكل فى المسيح يسوع ، وكل من هو حكيم يقبل الكلمة مرحبا بها .

ويجدر بنا أن نستفيد من المعنيين معا . فان ما يقصده يعقوب هو اننا نحصل على معرفة تامة بكلمة الله من مصدرين : من أعماق نفوسنا ، ومن روح الله وتعاليم المسيح ومن أفواه المبشرين . فهناك أصوات ترينا الطريق الصحيح صادرة من أعماق قلوبنا ، من داخل نفوسنا ومن خارجها كذلك ، ومن هو حكيم فليسمع وليطع .

ان الحكيم يقبل الكلمة (بوداعة) ، ان كلمة (وداعة) غير دقيقة للكلمة اليونانية prautés التى يستخدمها يعقوب هنا . فالكلمة prautes هى كلمة يونانية يصعب ايجاد كلمة شبيهة لها فى لغتنا . ان أرسطوطاليس يعرف تلك الكلمة بأنها وسط بين حدة الغضب وعدم الغضب ، انها صفة الشخص الذى يستطيع أن يسيطر على مشاعره وأحاسيسه وخلجاته ، سيطرة تامة .

وقد علق (أندرونيكوس روديوس) على ماقاله أرسطوطاليس فقال : « ان كلمة prautes تعنى الاعتدال بالنسبة للغضب ، فيمكن تعريفها بأنها الهدوء والقوة معا ، الا يندفع الانسان وراء العاطفة ، ولكنه يسيطر على العاطفة بقدر ما يملى عليه التفكير السليم » .

ويعرف أفلاطون كلمة prautés بأنها كسر حدة ثورة النفس الناجمة عن الغضب ، وهى تعبر أيضا عن حالة النفس المزاجية التى لا تطغى فيها حالة على أخرى من حالاتها . ليس من الممكن أن نجد كلمة واحدة لتعبر عن كل هذا ، ولكن هذه الكلمة تجمع كل الصفات الواجب توافرها فى الشخص المتعلم . ان روح التعليم هى الطاعة والخضوع . انها روح التعليم بدون

غضب أو استياء ، ولذلك فان تلك الروح تواجه الحقيقــة حتى ولو كانت الحقيقة مرة مؤلمة ، فروح التعليم لا تعمى عن الحقيقة ، اذ أن روح التعليم لا تسيطر عليها الأهواء ، بل انها ذات عين مفتوحة على الحقيقة . ان روح التعليم لا يضلها التكاسل عن الحقيقة ، فهى تقبل التعليم والتزاماته بأمانــة وخضــوع .

ان كلمة prautés تعنى السيطرة التــامة من جانب الانسان على كل ما يمكن أن يكون عائقا فى سبيل رؤيته للحقيقة وتعلمه لهـــا وطاعته اياها .

سماع الكلمة والعمل بها

وَلٰـكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْـكَلِمَةِ لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعاً لِلْـكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلاً فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلاً نَاظِراً وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ . فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَا هُوَ .

(١ : ٢٢ — ٢٤)

يبرز لنا يعقوب هنا صورتين من صوره البارعة . فهو يتحدث أولا ، عن الشخص الذى يذهب الى الكنيسة ، ويستمع لقراءة الكلمة ولتفسيرها ، وهو يظن أن مجرد الاستماع يجعله فى قائمة المسيحيين . فهــو يخــدع نفسه اذا اعتقد أن حضوره مع الجمهور للعبادة ، وســماعه الكلمة يكفى فهو يغمض عينيه عن حقيقة هامة وهى أن ما تلى من الفصــول الــكتابية وما نسمع يجب أن يطبق عمليا فى الحياة ، ان مثل هذا كمثل من يعتقد أن المسيحية ليست الا حضور الكنيسة وقراءة الكتاب المقــدس بانتظام وأن من يحضر اجتماعات الكنيسة دائما ، ويواظب على قراءة الكتاب المقدس لهــو مسيحى غيور . ان من يعملون ذلك فقط لم يقطعوا سوى أقل من نصف الطريق للمسيحية ، لأنهم لم يدركوا أن أهم ما فى الامر هو تنفيـــذ وتطبيق ما سمعوه ليأتى بثمار الاعمال المجدة للمسيح .

ان شخصا كهذا يكون دائما فى أثناء الخدمة فى الكنيسة مثـــالا يحتذى به ، ولكنه ينسى كل شىء حالما تنتهى الخدمة . ثم يقدم لنـــا يعقوب تشبيها آخر لذلك . فيقول ان مثل هؤلاء كمثل شخص ينظر فى مرآة — لم تكن المرايا القديمة تصنع من زجاج ، بل من معـدن ذى لمعان شديد — ويرى ما يوجهه من أقذار ، وشعره المشعث ثم يذهب بعيـدا عن المرآة ، وينسى ما هو ، ولذلك فانه يظل على ما هو عليه دون تغيير .

فعند سماعه للكلمة ، يعرف حقيقة نفسه ، وما يجب أن يكون عليه ، انه يرى أخطاءه وطرق اصلاح حالته ، ولكن لأنه مجرد مستمع ، فانه يظل كما هو ، وقد ذهب ما سمعه أدراج الريح .

فيعقوب يفعل حسنا اذ يذكرنا بأن ما نسمعه فى الكنائس يجب أن نحياه ونطبقه فى مكان البيع والشراء ، والا فلا فائدة من كل ما نسمع .

الناموس الكامل

وَلٰكِنْ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى النَّامُوسِ الْكَامِلِ نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ وَثَبَتَ وَصَارَ لَيْسَ سَامِعاً نَاسِياً بَلْ عَامِلاً بِالْكَلِمَةِ فَهٰذَا يَكُونُ مَغْبُوطاً فِي عَمَلِهِ .

(١ : ٢٥)

لقد كان « لوثر » لا يحب تلك الفقرة من رسالة يعقوب ، فقد كان « لوثر » لا يحب فكرة الناموس كلية ، لأنه يفضل أن يقول مع بولس « لان غاية الناموس هى المسيح (رومية ١٠ : ٤) . فلوثر يقول ان يعقوب يرجع بنا الى الناموس والأعمال . ولكن لا شك أن يعقوب على حق فيما ذهب اليه من معنى ، فالمسيحية الزاما خلقيا . ففيها ناموس للسلوك والحياة يجب على المسيحى أن يقبله ويتبعه وهذا الناموس نجده فى الوصايا العشر أولا ، وفى تعاليم المسيح ووصاياه ، وأن يعقوب يسمى ذلك « الناموس » .

أولا — « الناموس الكامل » ، وتلك التسمية ترجع لأسباب ثلاثة :

(ا) انه ناموس الله ، الذى أعلنه الله . انه منهج وأسلوب للحيـاة رسمه يسوع لتابعيه ليتمموا ارادة الله . (ب) انه ناموس كامل لأنه لا يوجد ما هو أفضل منه ، فالناموس المسيحى هو ناموس المحبـة . فعندما نحب أحدا ، فاننا ندرك أنه لو قدمنا له كل ما فى العالم ولو خدمناه طول عمرنا ، فانا لا نفيه حقـه ، فالمحبـة قوية ولا يمكن لأى شىء أن يطفىء لهيبها . فالناموس المسيحى كامل لأنه لا يوجد ناموس أفضل منه . (جـ) والناموس المسيحى كامل أيضا لسبب آخر . فكلمة كامل teleios تعنى الـكمال لتحقيق غاية معينـة ، انه كمـال يحقق هدفا فان كان أحد يطيع ناموس المسيح ، فانه بذلك يحقق الغرض الذى وجد من أجله . انه يصل الى الحالة التى يجب أن يكون عليها من نفع للآخرين ، فيصير كاملا اذ يطيـع ناموس الله ، فيحقق الهدف الذى وجد من أجله فى العالم .

ثانيا ــ انه يسميه « ناموس الحـرية » أى انه الناموس الذى يمنح الحرية لكل من يتبعه . فقد اتفق عظماء الرجال على أن الانسان لا يصبح حرا الا اذا اتبع ناموس الله . فقد قال الحكيم « سنيكا » « ان الحرية هى طاعة ناموس الله » وقال الرواقيـون « ان الأحرار هم الحكماء ، والعبيد هم الحمقى » . وقال فيلون : « ان كل من يخضع لسلطان الغضب أو الشهوة أو أى رغبة جامحة فانه يكون عبـدا ، وكل من يتبع النـاموس فهـو حر » . وما دام الانسان يطيع صوت رغباته ، وأهوائه فهـو ليس بأكثر من عبد . ولكن عندما يقبل الانسان ارادة الله الرامية لتحريره حقا ، عنـدئذ يصبح حرا فى أن يعمل الصلاح ، حرا فى أن يصل الى المستوى اللائق به ، فخدمة الله هى الحرية التامة ، وسلامنا يتوقف على عمل مشيئته .

الديانة الحقـة

إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِيكُمْ يَظُنُّ أَنَّهُ دَيِّنٌ وَهُوَ لَيْسَ يُلْجِمُ لِسَانَهُ بَلْ يَخْدَعُ قَلْبَهُ فَدِيَانَةُ هٰذَا بَاطِلَةٌ . اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هٰذِهِ افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ . (١ : ٢٦ و ٢٧)

ماذا يقصد يعقوب بذلك ؟ والكلمة المترجمة (ديانة) وهى ، **thréskeia** لا تعنى المظهر الخارجى للديانة من طقوس وكهانة واحتفالات . انها عبادة كجزء من الخدمة ، انها عبادة بالمعنى الذى نقصده حين نتحدث عن انواع الخدمات المختلفة التى تقدم فى سائر الكنائس .

ان يعقوب يريد أن يقول « ان أعظم طقس وأعظم خدمة دينية تقدم لله ، هى خدمة الفقراء ، والنقاوة الداخلية » .

فالعبادة الحقة فى نظر يعقوب ، ليست فى الامكانيات الضخمة للكنائس ، ولا فى عظمة رجال الدين ، ولا فى الموسيقى العذبة ولا فى العظات البليغة ، انها فى خدمة الجنس البشرى خدمة مضحية ، وفى نقاوة السيرة والسريرة .

ان يعقوب يصر على أن أعظم طقوس العبادة لا يمكن أن تغنى عن الخدمة المسيحية للآخرين . فقد يجوز أن تطغى مظاهر الأبهة فى الكنيسة ، من مبان جميلة ، ورجال دين فطاحل ، على الخدمة المسيحية الحقة ، حتى أن الكنيسة لا يكون لديها الوقت أو المال للقيام بخدمة كهذه ، وهذا هو مايحاربه يعقوب بعنف .

الأصحاح الثانى

محاباة الوجــود

يَا إِخْوَتِي لاَ يَكُنْ لَكُمْ إِيمَانُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّ الْمَجْدِ فِي الْمُحَابَاةِ .

(٢ : ١)

ان « المحاباة » تعبير ورد فى العهــد الجديد للتعبير عن التحيز الغــير عادل ، فمحاباة الوجود تعنى الوقوع تحت نفوذ أو تأثير بعض النـــاس أو محاولة ارضائهم بسبب غناهم أو سطوتهم أو مركزهم ، والعهد الجـــديد يهاجم تلك المحاباة . ان قادة اليهود قد تحولوا عن المسيح كلية لانه لم يكن يحابى الوجوه ، وقد صرحوا بذلك ، اذ قالوا ان المسيح لا يعرف المحـــاباة ، وانه لا يحترم الأشخاص لنفوذهم،فهو لا يعرف المحسوبية (لوقا ٢٠ : ٢١ ، مرقس ١٢ : ١٤ ، متى ٢٢ : ١٦) .

وبعد ان رأى بطرس الملاءة وعليها الحيوانات الطاهرة والنجسة ، قيل له ان الله لا يحابى الوجوه (أعمال ١٠ : ٣٤) .

وقد قال بولس ان الامم واليهود تحت دينونة واحدة أمام الله ، لان الله لا يحابى الوجوه (رومية ٢ : ١١) وقد أكد بولس تلك الحقيقة مرارا وتكرارا (أفسس ٦ : ٩ ، كولوسى ٣ : ٢٥) .

والكلمة المستعملة لذلك هى Prosoplémpsia ، والاسم مشتق من التعبير Prosopon Lambanein ان Prosopon تعنى الوجه ، Lambanein تعنى يرفع . والتعبير فى اليونانية ترجمة حرفية من عبارة عبرية الأصل .

فان « ترفع وجه انسان » أى تعامله معاملة خاصة ، وذلك تمييزا عن عبارة « تخفض وجهه » والعبارة فى الأصل لا تعنى سوى معاملة شخص بأسلوب المحبة ، فيتساءل ملاخى النبى : « ان قربتم الأعمى ذبيحة أفليس ذلك شرا .. قربه لواليك افيرضى عليك او يرفع وجهك » (ملاخى ١ : ٨ و ٩) . لكن بمضى الوقت اكتسب التعبير معنى آخر ، فلم يعد يعنى اظهار المحبة لشخص ما بقدر ما يعنى المحسوبية والتحيز الغير عادل نحو شخص ما بسبب مركزه الاجتماعى أو شهرته أو نفوذه أو ثرائه وذلك أمر يجب محاربته . ونجد ملاخى يشهر بتلك الخطية عندما يقول : « ان الناس لم تعد تسلك فى طرق الله وانهم حابوا فى الشريعة » (ملاخى٢:٩) فمن أبرز صفات الله العدل وعدم التحيز . اذ انه مكتوب فى الناموس : « لا ترتكبوا جورا فى القضاء ، لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير . بالعدل تحكم لقريبك » (لاويين ١٩ : ١٥)، وهنا نقطة هامة يجدر الاشارة اليها . فقد ينحاز الانسان الى شخص ما بسبب غناه ، كما قد لا يحكم بالعدل بسبب حيزه للفقير . وقد قال يسوع بن سيراخ : « الرب قاض ، وليس عنده محاباة » (حكمة يشوع ٣٥ : ١٦).

وكلا العهدين القديم والجديد يتفقان فى حكمهما على التحيز فى القضاء ، والمحسوبية الناجمة عن مراعاة مركز الانسان الاجتماعى أو ثرائه أو نفوذه وقد يقع أى انسان فى هذه الغلطة . ويقول سفر الأمثال : « الغنى والفقير يتلاقيان . صانعهما كليهما الرب » (أمثال ٢٢ : ٢) .

ويقول يشوع بن سيراخ : « ليس يحق أن تهين فقيرا مهيما . ولا بواجب أن تكرم رجلا خاطئا » . (حكمة يشوع ١٠ : ٢٣)

ويجدر بنا أن نذكر أن من يحابى الفقير كمثل من يخضع لأهواء الطاغية .

خطر التعالى على الفقراء داخل الكنيسة

فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ إِلَى مَجْمَعِكُمْ رَجُلٌ بِخَوَاتِمِ ذَهَبٍ فِي لِبَاسٍ بَهِيٍّ وَدَخَلَ أَيْضاً فَقِيرٌ بِلِبَاسٍ وَسِخٍ . فَنَظَرْتُمْ إِلَى اللاَّبِسِ اللِّبَاسَ الْبَهِيَّ وَقُلْتُمْ لَهُ اجْلِسْ أَنْتَ هُنَا حَسَناً وَقُلْتُمْ لِلْفَقِيرِ قِفْ أَنْتَ هُنَاكَ أَوِ اجْلِسْ

هُنا تَحتَ مَوطِىء قَدَمىَّ . فَهلْ لاَ تَرْتَابُونَ فِى أنفُسِكُمْ وَتَصِيرُونَ قُضَاةَ أفكَارٍ شِرِّيرَةٍ .

(٢ : ٢ — ٤)

كان يعقوب يخاف أن تغزو الكنيسة روح التعالى والزهو على الفقراء . وهو يرسم لنا صورة لرجلين يدخلان الكنيسة ، أحدهما يلبس ملابس بهية ، وخواتم ذهبية . فقد كان الأثرياء قديما يلبسون خواتم فى كل اصبع ما عدا الاصبع الاوسط ، وكانوا يلبسون أكثر من خاتم فى كل اصبع ، وعندما يريدون التظاهر بعريض الجاه فانهم يستأجرون خواتم اكثر من ذلك ليلبسوها . قال سنيكا « نحن نحلى أصابعنا بالخواتم ، ونضع اللآلىء حول مرافقنا » .

وكان أكليمندس الاسكندرى يوصى بأن المسيحى لايصح أن يلبس أكثر من خاتم واحد فى الخنصر ، وأنه يجب أن يرسم عليه شعارا مسيحيا كحمامة مثلا أو سمكة أو مرساة ، وأن الحكمة من لبسه هو أن يكون كعلامة مميزة للمسيحى .

فعندما يدخل الكنيسة شخص أنيق الثياب ، ويلبس كثيرا من الخواتم ، ويدخل شخص آخر أكبر منه سنا ، ويلبس ملابس رثة لانه فقير ، وهو لا يتحلى بالجواهر ، ثم يستطرد يعقوب فيقول : ان الرجل الغنى يقدم له مقعد وثير باحترام واجلال ، بينما يؤثر الرجل الفقير أن يقف على قدميه أو يجلس على الأرض عند موطىء قدمى الرجل الغنى . ان هذه الصورة غير مبالغ فيها ، وهذا يتضح من التعليمات الواردة فى بعض الكتب القديمة الخاصة بنظام الخدمة . فقد استشهد « روبز » بفقرة من أحد الكتب الأثيوبية وهو كتاب (قوانين الرسل) الذى ورد فيه : « ان دخل الى الاجتماع رجل أو امرأة بملابس بهية ، فلا يحق لك يا من تقود الاجتماع فى الوعظ أو القراءة من الكلمة أن تكف عن خدمتك لكى تهيىء مكانا لذلك الشخص ، بل أتركه وشأنه ، فان الأخوة سوف يستقبلونه ويهيئون له مكانا ... وان دخل الى الاجتماع رجل فقير أو امرأة فقيرة ولايوجد مكان ، فاجتهد يا من تقود الاجتماع بكل وسيلة أن توجد مكانا حتى ولو اضطررت للجلوس

على الأرض لتفسح مكانا ، فلا ينبغى لك أن تحابى بالوجوه » . هنا نجـــد نفس الصورة ، فقد يوقف قائد الاجتماع الخدمة ليهيىء مكانا خاصا للرجل الغنى الداخل الى الاجتماع .

فلا شك أن الكنيسة الأولى واجهت مشاكل اجتماعية ، لان الكنيسة كانت المكان الوحيد فى العالم قديما حيث لم تكن فيه أية فوارق اجتماعية . فلا بد أن السيد الذى يجد نفسه جالسا بجـــوار عبده كان يحس بشىء من التأفف والضيق عندما يرى أن عبده هو قائد الخدمة الذى يقدم مائدة الرب ، فقد كان الفارق وقتئذ بين العبـــد — الذى لم يكن أمام القانون سوى أداة فى يد السيد — وبين سيده عظيما جدا حتى أنه لابد أن مشاكل كثيرة كانت تحدث من هـــذا القبيل . ثم أن الكنيسة قديما كانت فقيرة ، فعندما يتجـــدد أحد الأغنياء وينضم الى جماعة المسيحيين ، كانوا يميلون الى التفاخر به ، واعتباره من الغنائم التى ربحوها للمسيح .

ولكن الكنيسة لا يصح أن تكون مكانا تظهر فيه تلك الفوارق ، فليس هناك أى تمييز بين الناس بسبب الرتبة أو الشـــهرة أو المركز ، فالجميع سواسية فى حضرة الله ملك المجد . فأمام قـــداسة الله ، ليس لأى انسان فضل أو أحقية على انسان آخر ، وجميع الفوارق الارضية أمامه كلا شىء ، وكل بر أرضى أمامه لهو خرق بالية . فى حضرة الله ، جميع البشر متساوون .

فى عـــدد (٤) نجد القول « فهل لا ترتابون فى أنفسكم » ، وقد وردت كلمة diekrithéte باليونانية للتعبير عن ذلك المعنى ، وهى قد تعنى (١) « أنك تتردد وتتذبذب فى حكمك ان كنت تفعل هكذا » . أى « اذا كنت تفضل الغنى على الفقـــــير فى الكرامة ، فأنت تقيس بمعيارين ، معيار العـــالم ومعيار الله ، فلا تستطيع أن تحدد اتجاهك أى طريق تسلك » .

(٢) وقد تعنى « أنك مذنب بسبب مراعاة الفوارق الطبقية . انك تقيم حواجز بين الانسان واخيه ، لا يصح أن توجد بين أخوة مسيحيين .. ونحن نفضل المعنى الثانى ، لأن يعقوب يقول بعـــدها ، ان كنتم تفعلون كذلك « تصيرون قضاة افكار شريرة » أى انكم تكسرون وصايا ذاك الذى قال : « لا تدينوا لكى لا تدانوا » . (متى ٧ : ١) .

غنى الفقراء وفقر الأغنياء

اسْمَعُوا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاء أَمَا اخْتَارَ اللهُ فُقَرَاءَ هٰذَا العَالَمِ أَغْنِيَاءَ فِي الإِيمَانِ وَوَرَثَةَ المَلَكُوتِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَهَنْتُمُ الفَقِيرَ. أَلَيْسَ الأَغْنِيَاءُ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْكُمْ وَهُمْ يَجُرُّونَكُمْ إِلَى المَحَاكِمِ. أَمَا هُمْ يُجَدِّفُونَ عَلَى الاسْمِ الحَسَنِ الَّذِي دُعِيَ بِهِ عَلَيْكُمْ.

(٢ : ٥ — ٧)

قال ابراهام لنكولن : « لابد أن الله يحب الانسان العادى ، لأنه خلق منه عددا كبيرا » ، ان المسيحية تقدم رسالة خاصة للفقراء لقد كانت أول عظـة للمسـيح فى مجمع الناصرة : « لأنـه مسحنى لابشر المسـاكين » (لوقا ٤ : ١٨) وكانت اجابته على سؤال يوحنـا ان كان هو المسيح أم لا بقوله « المساكين يبشرون » (متى ١١ : ٥) .

وأولى التطوبيات تطويب الوعد القـائل « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » (متى ٥ : ٣) ، ونجد الوعد فى لوقا أكثر وضوحا اذ يقول : « طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله » (لوقا ٦ : ٢٠) وكان المسيح يوجه رسالته الى جموع الشعب العادى فى الخلاء ، وعلى الجبل ، وعلى شاطىء البحر . وكان الوعاظ قديما فى زمن الكنيسة الاولى ، يعظون للجماهير فى الشوارع . فقد كانت رسالة المسيحية أن أولئك الذين لا يهتم بهم أحد ، مهمون فى نظر الله .

وقد كتب بولس الى أهل كورنثوس : « فانظروا دعوتكم أيهـا الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسـد . ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء » . (١ كو ١ : ٢٦) ، ولا يعنى ذلك أن المسيح والكنيسة لا يحبان الحكماء أو الاقوياء أو الشرفاء حسب الجسد ، فاننا يجب أن نحذر التحيز للفقراء . ولكنها حقيقة نلمسها بوضوح أن الانجيل يقدم الكثير للفقراء، ويطلب الكثير من الأغنياء وأن السواد الاعظم فى الكنيسة كان من الفقراء .

ولقد كان عامة الشعب هم الذين استمعوا الى المسيح بفرح ، ولكن الشاب الغنى هو الذى مضى حزينا لانه كان ذا أموال كثيرة . ولكن يعقوب لا يوصد الباب فى وجه الأغنياء ، فهــو لا يقــول الا أن انجيل المسيح عزيز على قلب الفقير وأن المسيح يفتح ذراعيه مرحبا بمن لا يجدون ترحابا من أحد ، وأنه رفع من قيمة أولئك الذين اعتبرهم العالم من سقط المتاع .

ففى المجتمع الذى كان يوجد فيه يعقوب ، كان الأغنياء يظلمون الفقراء. وكانوا يجرونهم الى المحــاكم بسبب الديون التى عليهم . فقد وصل الفقر ببعض النـــــاس الى الحضيض حتى انهم لم يحصلوا على قوتهم الا بشق الأنفس ، وكثر المرابون الظالمون . وانتشرت قديما عادة ذميمة ، فحين كان يقابل الدائن المدين فى الشـــارع ، فانه كان يمسك بتلابيب ثوبه ويجره الى المحكمة . كان هذا هو تصرف الأغنياء نحو الفقراء ، فلم يكن عندهم أى عطف على الفقراء ، وكل ما كانوا يبغونه هو الحصول على ما لهم من نقود حتى آخر فلس .

ان يعقوب لا يدين الغنى ، ولكنه يهاجم سلوك الاغنياء الذين لا يرحمون الفقراء .

وان الأغنياء هم الذين « يجدفون على الاسم الحسن » الذى دعى على المسيحيين وقد يكون هذا الاسم هو الذى دعى به المسيحيون أولا فى انطاكية أى كلمة « مسيحيون » أطلق هــذا الاسم على المسيحيين لمجرد السخرية منهم أو كمجرد لقب الصق بهم . وقد يكون القصد من « الاسم الحسن » هو المسيح الذى كان يعمد به كل مسيحى .

والكلمة التى يستعملها يعقوب مقابل (دعى) هى كلمة epikaleisthai وهى نفس الكلمة المستعملة للزوجة التى تتخذ اسم زوجها عند الزفاف أو عن الطفل الذى ينسب لوالده .

فالمسيحى يتخذ اسم المسيح ، ويسمى باسم المسيح كما لو كان عروس المسيح أو مولودا معمدا فى العائلة التى يرأسها المسيح .

كانت هناك دوافع قوية تجعل الأغنيـــاء والسادة يجدفون على اسم

المسيح . فالعبد الذى أصبح مسيحيا قد اكتسب شخصية مستقلة ، لأنه لم يعد يتمسح فى ما لسيده من قوة أو سطوة ، ولم يعد العقاب يهدده أو يرعبه ، فهو يواجه سيده متشحا بملابس الرجولة الحقة .

ثم أنه يتحلى بالأمانة ، وهذا يجعل منه عبدا أفضل ، ولكنه لا يمكن أن يكون آلة مسخرة فى يد سيده لتحقيق الرغبات الشريرة لذلك السيد ، والتى لم تعد تنطلى عليه أو تهمه . والعبد المجدد أصبح يقدر معنى العبادة ، فهو يصر أن يترك عمله فى يوم الرب حتى يعبد مع شعب الله . ولكل تلك الأسباب ، كان السيد يشتم المسيحيين ، ويجدف على اسم المسيح .

الناموس الملوكى

فَإِنْ كُنْتُمْ تُكَمِّلُونَ النَّامُوسَ الْمُلُوكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ . تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ . فَحَسَنًا تَفْعَلُونَ . وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ تُحَابُونَ تَفْعَلُونَ خَطِيَّةً مُوَبَّخِينَ مِنَ النَّامُوسِ كَمُتَعَدِّينَ . لِأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ . لِأَنَّ الَّذِي قَالَ لَا تَزْنِ قَالَ أَيْضًا لَا تَقْتُلْ . فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلَكِنْ قَتَلْتَ فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ .

(٢ : ٨ — ١١) .

ان ترابط الفكرة بين هذه الفقرة والفقرة السابقة واضح . فان يعقوب يهاجم الشخص الذى يهتم اهتماما خاصا بالغنى الذى يدخل الكنيسة . وقد يرد الشخص على هذا الهجوم قائلا : « ولكن الناموس يأمرنى أن احب قريبى كنفسى . ولذا فأنا مضطر أن ارحب بالشخص الداخل الى الكنيسة» . وكأنى بيعقوب يجيب قائلا : « حسنا ، ان كنت ترحب بالغنى لأنك تحبه مثل نفسك ، وتود أن ينال من الترحيب مثلما تود لنفسك . فهذا جميل . ولكن ان كنت ترحب به ترحيبا خاصا لانه غنى ، فهذه محاباة للوجوه ، وهذا خطأ — وبذلك فأنت لا تحفظ الناموس بل تكسر الناموس . وأنت لا تحب

قريبك ، والا ما كنت تهمل الرجل الفقير . ان ما تحبه حقا هو الثروة — وهذا مخالف للناموس » .

ان يعقوب يسمى الوصية العظمى التى تنادى أن نحب أقرباءنا كأنفسنا ، « بالناموس الملوكى » . وتلك العبارة لها معان عديدة :

فقد تعنى أسمى ما فى الناموس . وقد تعنى الناموس الذى مصدره ملك الملوك اى أنه ناموس الملك . وقد تعنى أن الوصية تاج لجميع الوصايا ، وأنها القانون الذى ينير السبيل أمام جميع القوانين ، وأنه فى ضوء ذلك القانون يجب تطبيق جميع القوانين واللوائح الأخرى . ومن الجائز أن العبارة تعنى أنه الناموس الذى به تنصب الملوك وأنه ناموس الملوك . فالمسيحيون هم كهنوت ملوكى (رؤيا ١ : ٦) ، وأن حفظ ذلك الناموس الاعظم يعنى أن يصبح الانسان ملكا فذلك الناموس ناموس الملوك وهو كفيل بأن يصير من يتبعه من العائلة الملكية .

ان يعقوب يرسى هنا مبدأ هاما عن ناموس الله ، فالذى يكسر اى جزء منه ، يكسر الناموس كله . كان اليهودى يعتبر الناموس سلسلة من اللوائح المنفصلة . وعندما يحفظ الانسان احدى اللوائح والقوانين ، فانه يربح مغنما ، وعندما يكسر احداها فانه يكوم دينا عليه . ولذلك فان الانسان يمكن بعملية جمع ما ربحه نتيجة حفظه لبعض الوصايا ثم طرح ما خسره منها نتيجة كسره لبعض الوصايا ، فينتج ما له أو ما عليه . وقد كان هناك مثل يهودى يقول : « ان من يتمم وصية واحدة فقط ، فانه ينال خيرا ، فتطول أيامه ويرث الارض » .

وكان معمو اليهود يقولون : « ان وصية حفظ السبت من أهم الوصايا، ومن يحفظ تلك الوصية فانه يحفظ الناموس كله » .

وبهذه الطريقة ، فان الانسان يمكنه أن يحفظ بعض الوصايا ويكسر البعض الآخر ، ثم يتبقى له رصيد من الربح .

ولكن يعقوب يرى أن كل الناموس من الله ؛ ومن يكسر اى جزء منه فانه يتعدى على كل الناموس . ويخالف ارادة الله ؛ وبذلك فانه يكون مرتكبا للخطية . وهذا حق ، فان من يكسر أى جزء من الناموس ، يصبح فى الواقع

متعديا للناموس . وحتى فى القوانين الارضية ، من يكسر قانونا واحــدا يعد مجرما . ولذلك فكأن بيعقوب يقول : « بغض النظر عن كل صـلاح عملته ، فانك ان حابيت بالوجوه ، فانك تكون ضد خالفت ارادة الله ، وكسرت ناموس الله ، واصبحت متعديا » .

وهنا تجدر الاشارة الى حقيقة هامة ذات صلة بالموضوع . فقد يكون الشخص صالحا ، ومنفذا لمعظم الوصايا ، ولــكنه قد يفسد كل هذا ان وقع فى غلطة واحدة . وقد يكون الشخص على جانب كبير من الخلق ، لايتعثر فى اقواله ، مدققا فى حياته ، ولكنه قد يكون قاسيا تعوزه الرحمـة والعطف على الآخرين ، معتدا ببره الذاتى . ان شخصا كهذا يفسد كل صلاح عمله .

فيجدر بنا اذن أن نحذر ، لئلا فى غمرة ادعائنا بأننا تممنا كثـيرا من الصلاح وأننا قاومنا الشر ، قد ننسى أن خللا فى حياتنا قد يفسد علينا كل شىء . وان كل صلاحنا قد راح عبثا .

ناموس الحرية وحياة الرحمة

هَـكَذَا تَـكَلَّمُوا وَهـكَذَا افْعَـلُوا كَعَتِيدِينَ أَنْ تُحَاكَمُوا بِنَامُوسِ الْحُرِيَّةِ . لِأَنَّ الْحُـكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَـةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَـةً . وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُـكْمِ .

(٢ : ١٢ — ١٣)

واذ يختم يعقوب فصلا من حديثه ، فانه يعود ليذكر قارئيه بحقيقتين عظيمتين فى الحياة المسيحية :

١ — ان المسيحى يسير وفق (ناموس الحرية) ، وهو يحاكم بذلك الناموس ايضا . وان ذلك يعنى أن المسيحى لا يخضع كالفريسيين واليهود المدققين لبعض القوانين والتنظيمات المفروضـة عليهم من الخارج ، ولكنه يتصرف وفق دافع المحبة الذى يحركه من الداخل ، اى أن المسيحى يسير وفق المحبة الذى فى قلبه ان من يسلك الطريق القويم — طريق محبة الله ومحبة

القريب — لا يفعل ذلك لأن هناك ناموسا يفرض عليه من الخارج ، وليس لانه واقع تحت تهديد بالعقاب ان هو لم يعمل ذاك ، بل لان محبة المسيح داخله تجعله يرغب ويشتهى أن يتمم ذلك . ان المسيحى لا يتصرف وفق ناموس بشرى ، بل حسب دوافع المحبة الالهية .

٢ — ان المسيحى يجب أن يتذكر أن من يرحم ويعطف على الآخرين ، ينال رحمة . وهذا مبدأ نجده واضحا فى الكتاب كله . فالمرنم يقول : « مع الرحيم تكون رحيما . مع الرجل الكامل تكون كاملا » (مزمور ١٨ : ٢٥) ، ويكتب بن سيراخ قائلا : «اترك لقريبك المضر لك وحينئذ تغفر خطاياك اذا استغفرت عنها . الانسان يحقد على الانسان فكيف يطلب من الرب المغفرة لا يرحم الانسان شبيهه فكيف يستغفر عن خطاياه » (حكمة يشوع ٢٨ : ٢ — ٤) ، وقال يسوع : « طوبى للرحماء لانهم يرحمون » (متى ٥ : ٧) « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى . وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم » (متى ٦ : ١٤ و ١٥) « لا تدينوا لكى لا تدانوا ، لانكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون » (متى ٧ : ١ و ٢) ، وقد قص المسيح مثل العبد الذى نال جزاءه لانه لم يرحم العبيد رفقاءه ، وأنهى المثل بالقول : «فهكذا أبى السماوى يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لاخيه زلاته » (متى ١٨ : ٢٢ — ٣٥) . ونحن نجد ، ان كل تعاليم الكتاب المقدس تتفق على أن من يرحم يجب أن يرحم ، ويذهب يعقوب الى أبعد من ذلك اذ يقول فى ختام حديثه « ان الرحمة تفتخر على الحكم » ،وهو يعنى بذلك انه فى يوم الدينونة يكتشف الشخص الذى يرحم أن رحمته قد أزالت خطاياه هو .

الايمان والاعمال

ما الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِى إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَاناً وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ . هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ . إِنْ كَانَ أَخٌ وأُخْتٌ عُرْيَانَيْنِ وَمُعْتَازَيْنِ لِلْقُوتِ الْيَوْمِيِّ . فَقَالَ لَهُما أَحَدُكُم امْضِيَا

بِسَلاَمٍ استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة . هكذا الايمان أيضا إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته .

لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لي أعمال . أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني . أنت تؤمن أن الله واحد حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون .

ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق ابنه على المذبح . فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان . وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا ودعي خليل الله . ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده . كذلك راحاب الزانية أيضا أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر . لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت .

(٢ : ١٤ — ٢٠)

سنفسر هذه الفقرة ككل ، قبل أن نشرحها بالتفصيل ، لأن الفقرة يستشهد بها دائما للتدليل على وجود خلاف فى الرأى بين يعقوب وبولس .

فان بولس يركز دائما على أن الانسان يخلص بالايمان وبالايمان وحده ، وأن الأعمال لا شـــأن لهـا بالاخلاص . « اذا نحسب أن الانسان يتبرر بالايمان بدون أعمال الناموس » . (رومية ٣ : ٢٨) الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بايمان يسوع المسيح ... لانه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما (غلاطية ٢ : ١٦) . فقد يقال اذن ان يعقوب لا يختلف مع بولس فحسب، ولكنه يتعارض معه كلية ولذا فاننا يجب أن نعطى الموضوع حقه من الاستيفاء والبيان فنقول :

١ — ان ما يؤكده يعقوب هو فى الواقع أمر بالغ الاهمية فى كل العهد الجديد . فقد كان يوحنا المعمدان يعلن على الملأ أن الناس يجب أن تصنع أثمارا تليق بالتوبة (متى ٣ : ٨ ، لوقا ٣ : ٨) وأنهم يجب أن يبرهنوا على توبتهم بأعمالهم الصالحة . وكان تعليم المسيح للناس أن يحيوا حياة يراها الآخرون ، فيعطوا مجدا لله (متى ٥ : ١٦) ، وقد أكد مرارا أنه من ثمارهم يعرفونهم ، وأن ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يصنع ارادة الله ، فالايمان الذى لا يظهر سوى الاقوال عديم النفـــع (متى ٧ : ١٥ — ٢١) .

وأن هذه النبرة نجدها واضحة أيضـــا فى كتابات بولس ، فقليل من المعلمين قد أكد أهمية الناحية العملية فى المسيحية كما فعل بولس .

فمع أن رسائل بولس تمتاز بالتعاليم اللاهوتية والعقائدية ، الا أنه لا يجب أن يفوتنا ما بها من جانب عملى يحض فيه بولس على أهمية الاعمال فى المسيحية فبولس يعلق أهمية كبرى على الأعمال ، اذ يذكر أن الله سوف يجازى كل واحد كما يكون عمله (رومية ٢ : ٦) ، وهو يقول ان كل واحد سوف يقدم عن نفســه حسابا أمام الله (رومية ١٣ : ١٢) ، وهو يقــول ان كل واحد سيأخذ اجرته حسب تعبه (١ كو ٣ : ٨) .

وهو يحذر قائلا : اننا جميعا سوف نظهر أمام كرسى المسيح لننال كــل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا (٢ كو ٥ : ١٠) ، وأن المسيحى يجب أن يخلع الانسان مع أعماله (كولوسى ٣ : ٩) ولا يمكن لأحد أن يقرأ رسائل بولس دون أن يرى الاهمية التى يعلقهـــا بولس على

الاعمال كجزء من الحياة المسيحية ، ونحن نلمس ذلك بوضوح في كل أجزاء العهـد الجديد .

٢ ــ ومع كل ذلك ، فان من يقرأ رسالة يعقوب يخيل اليه أنه يخالف بولس ، لأن بولس يضع الايمان والنعمة في المرتبة الاولى ، بينما نجد أن يعقوب يضع الاعمال في المقام الاول ، ولكن ما يهاجمـه يعقوب ليست المبادىء البولسية ، بل هو الانحراف بتلك المبادىء وسوء تفسيرها .

ويمكن تلخيص موقف بولس في آية واحـدة : « آمن بالرب يسـوع فتخلص » (اعمال ١٦ : ٣١) ، ولكن اهمية ذلك الأمر يتوقف على معنى كلمة « آمن » ، فهنـاك نوعان من الايمان : فهناك ايمان عقلى ، وهو يعنى قبول الحقائق بالعقل . فمثلا ، أنا أعتقد أن مساحة المربع المنشأ على الوتر في المثلث القائم الزاوية يكافىء مجموع مساحتى المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين . فأنا لا اشك في حقيقة ذلك . وحتى لو شككت ، فيمكننى بالبرهان اثبات تلك الحقيقة ، ولكن ذلك ليس له أى تأثير على حياتى . فانى اقبـل تلك الحقيقة دون أن يكون لها تأثير على . ولكن من الناحية الاخرى ، انى أعتقد أن خمسة زائد خمسة تساوى عشرة ، ولذا فانى أرفض أن أدفـع اكثر من عشرة قروش في شراء عشرة طوابع بريد من فئة العشرة مليمات . فانى اقبل تلك الحقيقة واسير على هداها في الحياة . فقبـولى لتلك الحقيقة ليس عقليا فقط ، ولكنه ذو تأثير على في كل ناحية من نواحى الحياة .

ان ما يهاجمه يعقوب هو النوع الأول من الايمان اى ذلك النوع الذى يقبل الحقائق دون أن تكون لهـا تأثير على الحياة . فالشياطين مقتنعـة اقتناعا عقليا بوجود الله ، وهم يقشعرون أمام الله ، ولكنهم برغم كل ذلك ما زالوا شياطين ، وان ايمانهم لم يغيرهم في شىء . ولكن ما كان ينادى به بولس هو النوع الثانى من الايمان ، فان تؤمن بالمسيح يعنى أن ذلك الايمان يتخلل كل جوانب حياتك ، يعنى أن تحيا بذلك الايمان .

فمن السهل تحريف المبادىء البولسية ، وتجريد كلمة « آمن » من كل معنى ، وأن ما يهاجمه يعقوب هو تحريف المبـادىء البولسية أو سوء فهم تلك المبادىء انه يهاجم الشهادة المسيحية التى لا يدعمها الاختبار العملى ،

انه يهاجم مجرد قبول المسيحية قبولا لا يبنى على العقل وحده ، وأن بولس ليضم صوته مع يعقوب فى هذا الهجوم .

٣ — وحتى بالرغم من هذا ، فانه يوجد اختلاف بين يعقوب وبولس ، والاختلاف الوحيد بينهما هو أن كلا منهما يتحدث عن وقت معين فى حياة المسيحى . فبولس يتكلم عن بادىء ذى بدء فى حياة المسيحى . فهو يصر على انه ما من شخص يستطيع الحصول على غفران الله من ذاته ، وأنه ما من انسان يستطيع تكوين علاقة مع الله بمجهوده الفردى فتلك الخطوة الأولى تأتى نتيجة عمل نعمة الله المجانية ، وما على الانسان الا أن يقبل الغفران الذى يقدمه الله فى يسوع المسيح ، فيمكنه أن يقبل فقط عطية الله عن طريق الباب الذى فتحه الله . وأن تلك الخطوة الأساسية ، لا دخل للانسان فيها ، ولكن مصدرها الله .

ولكن يعقوب يتحدث عن فترة تالية فى حياة المسيحى . انه يبدأ بالتحدث عن المسيحى الذى ينادى بأن خطاياه قد غفرت ، والذى يجاهر بأنه أضحى فى علاقة وثيقة بالله . ان يعقوب يقول بأن انسانا كهذا ، يجب أن يحيا حياة جديدة لأنه أصبح خليقة جديدة . انه قد تبرر ، ويجب أن يسير قدما فى طريق التقديس . وأن بولس لا يخالف ذلك الرأى على الاطلاق .

حقا انه لا يخلص أحد بالاعمال ، ولكنه حق كذلك أنه ما من شخص يمكن أن يخلص دون أن تكون له أية أثمار وأعمال صالحة . وأفضل تشبيه لذلك يمكن أن يؤخذ من المحبة البشرية فالشخص الذى يحب ، مقتنع تماما انه لا يستحق تلك المحبة ، انه لا يستحق ذلك الامتياز العظيم . ولكنه على يقين أيضا ، أنه يجب أن يقضى بقية عمره محاولا أن يكون جديرا بهذا الحب ، جاهدا أن يكون كفوا لتلك المحبة . فهو لا يمكنه أن يكسب المحبة كما لو كانت شيئا يمكن الحصول عليه ، ولكنه يجب أن يحاول جاهدا فى أن يكون جديرا بالحب والا فانه لا يعرف معنى المحبة . ولذا ، فان الاختلاف بين يعقوب وبولس هو الاختلاف حول نقطة البداية . فبولس يبدأ بالحقيقة العظمى الاساسية وهى أنه ما من انسان يستحق أو يستطيع أن يحصل على غفران الله . ويبدأ يعقوب بالشخص الذى يجاهر بمسيحيته ، ويقول انه ما لم يثبت ذلك الشخص أنه مسيحى بأعماله ، فهو ليس مسيحيا على

الاطلاق . فنحن لم نخلص بالاعمال ، ولكننا خلصنا لأجل الاعمال هاتان هما الحقيقتان المتلازمتان فى الحياة المسيحية .

ويركز بولس على الحقيقة الاولى ، بينما ينصب تركيز يعقوب على الثانية ، فالحقيقة أن بولس ويعقوب لا يتعارضان ، ولكنهما يكملان كل منها الآخر وأن رسالتيهما لازمتان للنهوض بالحياة المسيحية .

الاقوال والاعمال

ان الشىء الذى لم يطقه يعقوب هو القول بدون عمل ، الكلمات التى لا يدعمها الأعمال . وقد أوضح ما يقول بمثل له دلالته .

فقال : لنفرض أن هناك رجلا ليست عنده ملابس لتحميه أو طعام ليسد رمقه وأن صديقه قد حاول أن يعبر له عن أرقى العواطف الانسانية فى محنته . ولكن تلك العاطفة قد وقفت عند حد الكلمات ، ولم يتبعها أية مجهودات للتقليل من شدة ما يعانيه ذلك الشخص من آلام . فما المنفعة ؟ .

ما فائدة العطف دون أية محاولة جدية للترجمة عن تلك العاطفة فى شكل خدمة عملية ؟ هكذا ، يقول يعقوب ، الايمان بدون أعمال ميت . وأن تلك الفقرة لتروق جدا فى نظر اليهودى .

١ — ان الصدقة ذات أهمية كبرى عند اليهودى . ولذلك فان اليهودى يعتبر أن البر والصدقة مرادفان . وقد كان اليهودى يعتبر أن الصدقة هى الشىء الوحيد الذى يشفع له عند محاكمته فى اليوم الاخير « النار الملتهبة يطفئها الماء وكذلك الصدقة تخمد الذنوب » . (حكمة يشوع ٣ : ٣٠) ، ومكتوب فى سفر طوبيت « تصدق ممالك ولا تحول وجهك عن الفقير فيكون أن الله لا يصرف وجهه عنك » . (طوبيت ٤ : ٨ — ١٠) . وعندما اتفق قادة الكنيسة فى أورشليم أن يذهب بولس للأمم ، أمروه بأن يذكر الفقراء (غلاطية ٢ : ١٠) .

فمن أهم مميزات التقوى عند اليهود ، الخدمة العملية بمساعدة

الفقراء ، وقد كان ذلك من أهم الطقوس اليهودية .

٢ ــ وهذا على خلاف الديانة الاغريقية ، فقد كانت تعتبر أن العطف والاشفاق والصدقة أشياء غريبة .

كان الرواقيون يهدفون الى ما يسمونه باليونانية « apatheia » التى تعنى التجرد من كل عاطفة أو مشاعر ، فقد كان هدف الحيـــاة هو الهدوء والعزلة ، وبما أن العاطفة تعكر صفو الهدوء،فالطريق الى الاستقرار هو القضاء على كل عاطفة أو احاسيس ، والاشفاق نوع من تعكير الصفو الذى يخرج الانسان عن هدوئه النفسى الذى يجب أن يسيطر على الانسان . ولذا فان « ابكتيتوس » « Epictetus » يقـــول : ان من يشعر بالحزن أو الاشفاق هو الشخص الذى يعصى الأوامر الالهية .

ويرسم لنا فرجيل Virgil صورة الشخص السعيد ، بأنه الشخص الذى يخلو من الشعور بالاشفاق . انه لا يشعر بأى شفقة على الفقراء أو أى حزن لمشاهدة الآلام، وذلك لأن تلك العواطف تعكر عليه صفوه. وأن تلك الوجهة تختلف كلية عن وجهة النظر اليهودية فالرواقى يعتبر أن السعادة فى أن ينعزل الانسان ويحيا فى هدوء بعيداً عن مشاكل الآخرين ، بينما يعتبر أن الغبطة فى مشاركة الآخرين وأحزانهم .

٣ ــ وأن يعقوب على حق فى دعواه . فليس هناك أخطر من العاطفة التى لا تحرك ساكنا . فالانسان الذى ينفعل بعاطفة نبيلة ، ولا يقـــوم بأى خدمة ، يأتى عليه وقت يصبح فيه جامداً . فليس من حق الانسان أن يشعر بالعطف نحو شخص ، ما لم يتحرك للاستجابة لصوت العاطفـــة فليست العواطف النبيلة شيئاً كماليا ، بل انها شىء يستحق منا بذل الجهد والعرق والتضحية ، لتعبر عن تلك العاطفة بما تقوم من اعمال .

ضرورة اقتران الايمان بالأعمال

وهنا يفترض يعقوب أن شخصا يعارضه فيقول له : « ان الايمان شىء جميل ، وكذلك الاعمال . فكلاهما يعبران عن ديانة حقة ولكن لا داعى لأن

يتحلى بهما شخص واحد . فقد يتحلى شخص ما بالايمـــان ويتحلى الآخر بالاعمال . فدعك انت فى اعمالك ودعنى فى ايمانى ، وكلانا متدين ، وكل فى طريقه » .

فرأى المعترض انه يمكن للانسان ان يتحلى بالايمان او الاعمـــال وأن الايمان والاعمال من الامور الاختيارية فى الديانة المسيحية . ولكن يعقوب لا يوافق على هذا الرأى ، فليس الايمان يسير بمعزل عن الاعمـــال . بل يجب أن يسيرا جنبا الى جنب . فالناس دائما تنظر الى الدين على انه يمثل جانبا واحـــدا من جوانب الحيـــاة ، لكنه فى الواقع يشمل الحيـــاة كلهـــا .

١ ــ ان الحياة المتوازنة عبارة عن فكر وعمل . وقد يظن أن الشخص اما أن يكون رجل فكر أو رجل عمل . فرجل الفكر يجلس فى مكتبه يفـــكر أفكارا عظيمة ، ورجل العمل يخرج للقيام بأعمال عظيمة . ولكن هـــذا خطأ . فالمفكر لا يكون رجلا كاملا ما لم يحول تلك الافكار الى اعمال ، وهو لا يحرك فى الناس ساكنا ما لم يخض معهم غمار المعركة ويشاركهم فيمـــا يعملون .

ولا يمكن للرجل العملى ان يكون عمليا ما لم يفكر فى المبادىء العظمى التى يبنى عليها ما يقوم به من عمل ، والتى هى الباعث الاساسى لمـــا يقوم به من اعمال .

٢ ــ ان الحياة المتوازنة يجب ان تتخللها صلاة وجهد . وقد نميـــل أحيانا أن نقسم الناس الى صنفين : القديسين وهم الذين يقضون حياتهم على ركبهم فى تكريس تام لله ، والكادحين الذين يعملون فى حر النهار . ولكن هذا التقسيم خاطىء . قيل ان مارتن لوثر كان صديقا حميما لراهب آخر معه . وكان ذلك الراهب مقتنعا تماما كلوثر بضرورة الاصلاح ، ولذلك فقد اتفقا معا على أن يذهب لوثر وحده ليكافح ويناضل من أجل تلك الغاية ، ويظـــل الراهب الآخر فى صومعته مصليا طوال وقته لأجل نجاح مجهودات لوثر . ولكن الراهب حلم حلما ذات ليلة . فقد رأى فى الحلم فلاحا يحصد حقـــلا

واسعا وحده ، فأدار الفلاح وجهه فرآه الراهب واذا به وجه مارتن لوثر . فأدرك فى الحال أنه يجب أن يترك صومعته ويذهب لمعونة لوثر .

حقا ، هناك بعض الناس الذين لا يستطيعون القيام بأى عمل سوى الصلاة ، وذلك لكبر سنهم أو عجزهم ، ولا شك أن صلاتهم ذات تأثير فعال . ولكن ان ظن اى شخص عادى أن الصلاة ممكن أن تكون بديلا لبذل الجهد ، تكون صلواته مجرد طريقة للهروب . فالصلاة وبذل الجهد ، يجب أن يسيرا جنبا الى جنب .

٣ — ان الحياة المتوازنة عبارة عن الايمان والأعمال . فالايمان لا يمكن أن يظهر الا من خلال الاعمال . ولا تكون الاعمال الا من خلال الايمان . فالايمان يؤتى ثماره ويكلل بالعمل ، والعمل ينتج من وجود ايمان بغاية نبيلة أو مبدأ عظيم يظهره الله للانسان المؤمن . فالحياة المتوازنة ذات التأثير الفعال ، هى نتاج الايمان والاعمال معا .

دليل الايمان

ويقدم يعقوب ايضاحين لما يقول : فابراهيم يمثل الايمان ، ولكن ايمان ابراهيم يظهر فى قبوله تقديم اسحق كذبيحة حسب أمر الله . وراحاب شخصية مشهورة فى التاريخ اليهودى . فقد رحبت بالجاسوسين اللذين أرسلا ليتجسسا أرض الموعد (يشوع ٢ : ١ — ٢١) .

وتقول الروايات انها أصبحت بعد ذلك علما من أعلام العقيدة اليهودية ، وانها تزوجت يشوع ، وانه جاء من نسلها كثير من الكهنة والأنبياء ومنهم حزقيال وارميا . وقد اظر سلوكها مع الجاسوسين ما عندها من ايمان .

وقد أوضح بولس ويعقوب ذلك ، فلو لم يكن ايمان ابراهيم عظيما لما قبل دعوة الله وأطاعها . وما لم يكن لدى راحاب ايمان لما خاطرت بمستقبلها فى سبيل شعب الله . فقد كان الايمان هو المحرك لما قام به كل من ابراهيم وراحاب من اعمال . ومع ذلك فلو لم يطع ابراهيم الله حتى

النهاية لما نفعه ايمانه ، ولو لم تخاطر راحاب بكل شيء لانقاذ الجاسوسين، لما اضحى ايمانها شيئا يذكر .

فهذان المثلان يبينان بصورة قاطعة أن الايمان والاعمال ليسا نقيضين ، لـــكنهما في الواقع توأمان . فبدون الايمان لا يمكن لأحد أن يعمل عملا ما ، وايمان الشخص لا يكون حقيقيا ما لم يدفعه للعمل . فالايمان والاعمال اذن عمودان متلازمان في هيكل الاختبار المسيحي .

الأصحاح الثالث

مشكلة المعلمين

لا تَكونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخوَتِي عَالِمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ .

(٣ : ١)

كان المعلمون فى الكنيسة الاولى على جانب كبير من الاهمية ، فحيثما ذكروا كانوا موضع تقدير واحترام. ففى كنيسة انطاكية ذكروا جنبا الى جنب مع الانبياء الذين ارسلوا بولس وبرنابا فى أول رحلة تبشيرية (أعمال ١٣:١)؛ وفى القائمة التى دونها بولس عن أولئك الذين يمتلكون مواهب روحية فى الكنيسة ، ذكر المعلمين مباشرة بعد الرسل والأنبياء (١ كو ١٢ : ٢٨ ، أف ٤ : ١١) وكان الرسل والانبياء دائما يتنقلون من مكان الى آخر ، فقد كان الحقل الذى يعملون فيه يمتد ليشمل الكنيسة عامة ، فلم يكونوا يقيمون فى مكان واحد طويلا . ولكن المعلمين كانوا يعملون فى كنيسة معينة ، وترجع أهميتهم الكبرى الى انهم كان يوكل اليهم تعليم حقائق الانجيل ، والايمان المسيحى لمعتنقى المسيحية الجدد . فقد كانت تقع على كواهلهم مسئولية نقل كل ما يعرفونه عن حقائق الايمان الى أولئك الداخلين الى الكنيسة لأول مرة .

ونلمس فى العهد الجديد صورة لأولئك المعلمين الذين فشلوا فى المهمة الملقاة عليهم ، والذين أصبحوا معلمين كذبة . وهناك بعض المعلمين الذين حاولوا أن يجعلوا من المسيحية ديانة تقرب من اليهودية ، وحاولوا ادخال الختان وحفظ الناموس فى المسيحية (أعمال ١٥ : ٢٤) وكان هناك معلمون

يختلف سلوكهم عن الحق الذى يعلمونه للآخرين ؛ فحياتهم على النقيض من تعاليمهم ، وبذلك جلبوا العار على الديانة التى يبشرون بها (رومية ٢ : ١٧ — ٢٩) .

وكان هناك أيضا معلمون يعـــــلمون قبل أن يفهموا ما يقـــــولون (١ تيموثاوس ١ : ٦ و ٧) ، كما كان هناك معلمون كذبة يسيرون وراء رغبات جمهور السامعين (٢ تيموثاوس ٤ : ٣) .

ولكن بغض النظر عن المعلمين الكذبة ، فقد كان يعقوب يعتقد أن مهنة التعليم أمر خطير ، فأداته فى أداء مهمته هى الكلام ووسيلته لذلك اللسان . وكما قال « روبز » فان يعقوب كان مهتما بابراز المسئولية الملقاة على عاتق المعلمين ، وخطر الأداة التى يستخدمونها فى التعليم . والمعلم المسيحى فى الكنيسة المسيحية يحل محل المعلم اليهودى فى الهيكل اليهودى ، ولذلك فان مركزه خطير . كان هناك عند اليهود عدد كبير من المعلمين العظام الأفاضل ، ولكن الطريقة التى كانوا يعلمون بها كانت كافية لأن تفسد أى انسان .

فمجرد اسم المعلم Rabli يعنى « سيدى » ، كان يحترم احتراما بالغا حيثما ذهب ، وكان يعتقد أن واجب الانسان نحو معلمه يفوق واجبـــه نحو والديه ؛ لأن والديه قد أتيا به الى هذا العـــالم فقط ، ولكن معلمه له الفضل فى ادخاله الى العالم الآتى . وكان يقال لو أن والد أى انسان ومعلمه وقعا فى قبضة العـــدو ، فيجب فدية المعلم أولا . ولو أن المعلم والوالدين احتاجوا الى مساعدة ، فالواجب تقديمها للمعلم أولا . صحيح ، أنه لم يكن يسمح للمعلم بتقاضى أى أجر نظير تعليمه ، بل كان يتكسب من حرفة يقـــوم بها ، ولكن كان الفكر الســـــائد أنه من أسمى الاعمال وأعظمها أن يعتنى بالمعلم ماديا ويصرف عليه كواحد من أفراد الأسرة ، فليس من المستغرب اذن أن يكون المعلم هدفا لما وجهه المسيح اليه من نقد لاذع ، وبما وصفه به من كبرياء وغطرسة روحية ، وأنه محب للتظـــــاهر بالتقوى وللمتكآت الأولى ، وللتحيات التى يقدمها له الناس فى الاسواق (متى ٢٣ : ٤ — ٧) فليست هناك وظيفة أخرى تجلب الكبرياء الروحية والعقلية كهذه الوظيفة .

وهناك خطران يجب على كل معلم أن يتجنبهما . فبحكم وظيفته ، فانه يعلم اما صغار السن أو الاطفال فى الايمـــان . ولذلك فان المعلم يجب أن يتجنب شيئين : انه يجب أن يحذر لئلا يعلم غير الحق ، ولئلا ينادى بآرائه أو أحقاده هو .

فمن السهل على المعلم أن ينزلق فى تشويه الحق : فلا يعلم الناس الحق الالهى فى الكتاب ، بل يعلمهم آراءه الشخصية بخصوص هذا الحق ، ويجب أيضا أن يحذر لئلا يناقض نفسه بسلوكه ، ويقول دائما للناس « اعملوا كما أقول » ولا « تعملوا كما أفعل » .

ان المعلم لا يصح أن يكون فى موقف كهذا ، حتى أن تلاميـــذه يصمون آذانهم عما يقول ، لانهم ينظرون ما يفعل .

وقد قال معلمو اليهود أنفسهم : « ان الاساس المتين فى العمل وليس فى التعليم ، فمن يكثر الكلام يكثر الخطية » (أقوال الآباء ١ : ١٨) .

فيعقوب يبين للمعلمين أنهم تحت مسئولية خطيرة ، ولذلك فهم تحت دينونة ان فشلوا فى أداء مهمتهم . وأن الناس الذين كان يعقوب يكتب اليهم الرسالة كانوا يطمعون فى المقام والشهرة والكرامة التى كانت للمعلم ، فكان يحذرهم لئلا ينسوا المسئولية الملقاة على عاتق المعلمين .

خطـــر شامل

لِأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا . إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْثُرُ فِي الْكَلاَمِ فَذَاكَ رَجُلٌ كَامِلٌ قَادِرٌ أَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسَدِ أَيْضاً .

(٣ : ٢)

يبرز هنا يعقوب فكرتين ينبعان من الفكر والأدب اليهودى :

١ — لا يوجد شخص فى العالم ، لا يخطىء فى شىء ما . والكلمة التى يستخدمها يعقوب كلمة (يعثر) . فالخطية ليست دائما عمدية ، ولكنها تحدث نتيجة تعثرنا عندما لا نكون يقظين . والخطية تشمل الجميع ، وهذا ما نجده على صفحات الكتاب المقدس . فبولس يستشهد قائلا : « انه ليس بار ولا واحد . . . اذ الجميع أخطأوا واعوزهم مجد الله » . (رومية ٣ : ١٠، و ٢٣) ، ويقول يوحنا فى رسالته الاولى : « ان قلنا انه ليس لنا خطية نضل انفسنا وليس الحق فينا . (١ يوحنا ١ : ٨) » ، ويقول الحكيم : (لأنه لا انسان صديق فى الأرض يعمل صلاحا ولا يخطىء » (الجامعة ٧ : ٢٠) .

ويقول واحد من حكماء اليهود : « لا يوجد واحد من المولودين لم يفعل شرا ، ولا يوجد بين الأبرار من لم يرتكب خطأ » (2 Esdras) (٢ اسدراس ٨ : ٣٥) فليس بين البشر من يستحق أن يفتخر بشىء ، لأنه لا يوجد انسان على الأرض لم يعمل اثما يخجل من ذكره . وحتى عند الكتاب الوثنيين نجد نفس الرأى بخصوص الخطية : « ان الانسان من طبعه الخطأ سرا وجهرا » (Thucydides) (ثيوسيديدس ٣ : ٤٥) ، وقال سنيكا : « كلنا نخطىء ، فبعضنا يقع فى أخطاء جسيمة ، والبعض الآخر فى اخطاء بسيطة » فجميع البشر معرضون للخطأ .

٢ — لا يوجد أسهل من الوقوع فى عثرة اللسان ، وليست هناك خطية لهسا نائج خطيرة كخطية الانزلاق فى الكلام . وأننا نجد ذلك أيضا فى الأدب اليهودى .

ولقد حذر المسيح نفسه من خطر اللسان اذ قال ان كل واحد سوف يعطى حسابا عى كل كلمة « بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان » (متى ١٢ : ٣٦ و ٣٧) .

قال الحكيم : « الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط . . . هدوء اللسان شجرة حياة واعوجاجه سحق فى الروح » . (أمثال ١٥ : ١ — ٤) . وقد كان يشوع بن سيراخ كاتب سفر حكمة يشوع

من أبرز الكتاب الذين نددوا بصراوة وشر اللسان ، اذ يقول : « الشرف والهوان كلاهما فى التكلم ، ولسان الانسان سبب سقوطه . لا تكن نماما ولا تؤاخذ بلسانك فتخزى لان على السارق الخزى والندامة لهوالذم الخبيث لذى لسانين ... لا تصر عدوا مكان صديق لانه كما انه بالاسم الشرير ترث الخزى والعار ، هكذا الخاطىء ذو اللسانين » . (حكمة يشوع ٥ : ١٣ و ١٤ — ٦ : ١) .

« طوبى للرجل الذى لم يزلق بفمه » (١٤ : ١) .

« من ذا الذى لم يسىء الى الآخرين بلسانه ؟ » (١٩ : ١٥) .

« من يعطى على فمى حارسا وعلى شفتى خاتما وثيقا لكى لا أسقط متهما ولا يهلنى لسانى ؟ » . (٢٢ : ٢٧) .

وقد كتب أيضا يشوع بن سيراخ فقرة مطولة بهذا الصدد ، تفيض حكمة ورقة ، ولذلك فاننا نوردها هنا كاملة : « الثالب ذو اللسانين يلعن لانه أهلك كثيرين متسالمين . اللسان الثالب زعزع كثيرين وفرقهم من أمة الى أمة وهدم مدنا مشيدة وأخرب بيوت العظماء . اللسان الثالب طرد النساء الفضليات وأعدمهن أتعابهن . الذى يصغى اليه لا يجد راحة ولا يسكن براحة . جرح السوط يخدش الجسد أما جرح اللسان فيدق العظام . كثيرون سقطوا فى فم السيف ولكن ليس كالمقتولين باللسان . طوبى لمن استتر من اللسان الخبيث الذى لم يتجاوز فى غضبه الذى لم يجذب نيره ولم يربط بوثقة لأن نيره حديدى ووثقة وثق نحاسية . موته موت سوء والجحيم انفع منه ... سيج مقتناك بالشوك واسكب ذهبك وفضتك . اصنع لكلامك ميزانا وقرارا ولفمك بابا ولجاما . احذر لئلا تسقط بلسانك وتقع أمام الراصدين » .

(حكمة يشوع ٢٨ : ١٣ — ٢٦)

لا يوجد من يدعى أن أحدا لم يحذره من خطر اللسان ، ولا يوجد أيضا من يستطيع أن يقول انه قد نجح تماما فى تجنب أخطار اللسان .

معظم النار من مستصغر الشرر

هُوَذَا الْخَيْلُ نَضَعُ اللُّجُمَ فِي أَفْوَاهِهَا لِكَيْ تُطَاوِعَنَا فَنُدِيرَ جِسْمَهَا كُلَّهُ. هُوَذَا السُّفُنُ أَيْضاً وَهِيَ عَظِيمَةٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ وَتَسُوقُهَا رِيَاحٌ عَاصِفَةٌ تُدِيرُهَا دَفَّةٌ صَغِيرَةٌ جِدّاً إِلَى حَيْثُمَا شَاءَ قَصْدُ الْمُدِيرِ. هَكَذَا اللِّسَانُ أَيْضاً هُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ وَيَفْتَخِرُ مُتَعَظِّماً.

(٣ : ٣ — ٥)

قد يقال انه لا داعى لكل هذا التحذير من اللسان . لأنه عضو صغير من الجسم . ولا يستحق كل تلك الأهمية التى يلفت يعقوب نظرنا اليها . ويجيب يعقوب على ذلك باستخدامه مثلين مألوفين :

١ — فنحن نضع اللجم فى أفواه الخيول ، لأننا نعلم أنه بسيطرتنا على أفواه الخيول ، نسيطر على جسمها كله . وهكذا بسيطرتنا على اللسان نسيطر على الجسم كله . ولكن اذا لم تكن هناك سيطرة على اللسان ، فان الحياة كلها تتجه اتجاها خاطئا .

٢ — الدفة صغيرة جدا بالنسبة لحجم السفينة ووزنها ، ولكن بمجرد الضغط على تلك الدفة من قائد السفينة ، فانه يستطيع تغيير اتجاه السفينة كلها ، ليقودها لبر الأمان . ولقد استخدم أرسطوطاليس نفس هذه الصورة قديما حين كان يتحدث عن علم الميكانيكا فقال : (أن الدفة صغيرة ، وهى ترتبط بمؤخرة السفينة ، ولكن قوتها عظيمة حتى أن رجلا واحدا يستطيع أن يحرك السفينة الهائلة كلها » . ان الدفة صغيرة ، ومع ذلك فهى تستطيع أن توجه السفينة ، هكذا اللسان صغير ولكنه يستطيع توجيه كل الجسم ، يستطيع تغيير اتجاه الحياة . ولقد كان أفلاطون يسمى العقل بقائد وموجه حياة الانسان ، فعندما يهيمن العقل على كل كلمة وكل عاطفة ، وعندما يكون المسيح هو المسيطر على هذا العقل ، فان الحياة كلها تتجه نحو شاطىء الأمان .

ولنلاحظ أن يعقوب لم يقل أبدا ان السكوت أفضل من الكلام . وهو لا يطالب بنوع من التصرف يحرم فيه الكلام . ان ما يطلبه هو ضبط اللسان . لقد قال أرستيبوس اليونانى حكمة شهيرة : « ان قاهر اللذة ليس هو الشخص الذى لا يعرف اللذة أبدا ، انه الشخص الذى يسيطر على لذاته كما يقود الراكب الحصان أو كما يدير القائد السفينة انه الشخص الذى لا يخضع للذاته بل يوجهها كيف شاء » .

ان الامتناع التام عن اى شىء لا يمكن أن يكون بديلا عن ضبط ذلك الشىء والتحكم فيه . وأن يعقوب لا يطلب منا الصمت الناجم عن الجبن ، بل الحكمة فى استخدام كلماتنا .

نار مدمرة

هُوَذَا نَارٌ قَلِيلَةٌ أَيَّ وُقُودٍ تُحْرِقُ. فَاللِّسَانُ نَارٌ. عَالَمُ الإِثْمِ. هكَذَا جُعِلَ فِي أَعْضَائِنَا اللِّسَانُ الَّذِي يُدَنِّسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ وَيُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكَوْنِ وَيُضْرَمُ مِنْ جَهَنَّمَ.

(٣ : ٥و٦)

ان الضرر الذى يحدثه اللسان ، كالضرر الذى ينجم عن حريق يحدث فى غابة . وأن منظر حريق الغابة تعبير مألوف فى الكتاب المقدس ففى صلاة المرنم ، نجده يطلب من الله أن يجعل الأشرار كالقش أمام الريح ، ويجعل العاصفة تطردهم كنار تحرق الوعر ، كلهيب يشعل الجبال (مزمور ٨٣ : ١٣ و ١٤) ويرى اشعياء منظر « الفجور كالنار ، تأكل الشوك والحسك وتشعل غاب الوعر » . (اشعياء ٩ : ١٨) ، ويتحدث زكريا « عن مصباح نار بين الحطب ومشعل نار بين الحزم » . (زكريا ١٢ : ٦) .

وهذا المنظر مألوف لدى يهود فلسطين ، ففى فصل الجفاف ، تصبح الأعشاب المتبقية واشجار الشوك والحسك جافة جدا فان اشتعلت فيها النيران علا لهيبها واشتد وأصبح من العسير أن تقف اللهب عند حد .

وتشبيه اللسان بالنار أيضا من الأشياء المألوفة لدى اليهـود . وفى سفر الأمثال مكتوب أن « الرجل اللئيم ينبش الشر وعلى شفتيه كالنـــار المتقدة » . (أمثال ١٦: ٢٧) .

« القتال السريع يشعل النار » . (حكمة يشوع ٢٨ : ١١) .

ان الضرر الذى يحدثه اللسان يشبه بالنار لسببين :

١ ــ ان ذلك الضرر سريع الانتشار . فقد يتصادف أن تقال كلمة فى احد أطراف المدينة ، فتجلب الخسارة والحزن والضرر فى الطرف الآخر منها . ولقد قال معلمو اليهود : « ان الحياة والموت فى يد اللســان » وهل للسان يد ؟ كلا ، ولكن اليد تقتل وهكذا اللسان . واليد تقتل عن قرب ، ولكن اللسان يسمى بسهم لأنه يقتل من على بعد . ان السهم يقتل من على بعد أربعين أو خمسين قدما ، ولكن قيل عن اللسان « جعلوا افواههم فى السماء والسنتهـم تتمشى فى الأرض » (مزمـور ٧٣ : ٩) أى انه يصـــل الى السماء . هذا خطر اللسان . ان الانسان يستطيع أن يسدد ضربة لشخص ما بيده . ولكنه يستطيع أن يقول كلمة عن شخص آخر ناجمة عن الحقد ، أو يكرر قصة غير حقيقية عنه ، ويجوز أنه لا يعـــرف ذلك الشخص أو أنه يسكن بعيدا عنه بمئات الأميال ، فيسبب له خسارة كبيرة . فخطر اللسان ناتج عن سرعة انتشار الضرر الذى يحدثه .

٢ ــ صعوبة التحكم فى اللسان . فنار الغـابة عنـــدما تشتعل فى الأخشاب والحشائش الجافة ، يصعب اخمادها . ولا يمكن لانسان أن يتحكم فى الضرر الناجم عن اللسان . « ثلاثة أشياء لا يمكن ارجاعها ثانية . السهم المقذوف والكلمة المقولة والفرصة الضـــائعة » فحين تقال الكلمة لا يمكن ارجاعها ثانية . ولا يمكن القضاء على اشاعة روجت ، وكذلك لا يمكن محو قصة مغرضة عن شخص ما . فليتذكر الانسان قبل أن يخرج كلمة ، أنها بعد أن تخرج منه فانها تفلت من سيطرته ، وليفكر كل شخص قبل أن يتكلم لأنه سيحاسب على كل كلمة يقولها .

يجب أن نطيل النظر فى هذه الفقرة ، لأن بها عبارتين يصعب فهمهما :

١ — تقول الترجمة العربية بأن اللسان هو « عالم الاثم » ، وصحة ترجمتها العالم الشرير . فاللسان يمثل العالم الشرير . وبالتأمل فى معنى كلمة Kosmos نحاول اكتشاف معنى العالم الشرير . فكلمة Kosmos قد تحوى معنيين :

(أ) أولا قد تعنى « تزيين » ، والعبارة لذلك قد تعنى أن اللسان هو تزيين الشر . أى أن اللسان هو العضو الذى يحاول أن يجعل الشر جذابا . فباللسان يجعل الناس المر حلوا والردىء حسنا ، وباللسان يحاول الناس التبرير والدفاع عن طرقهم الرديئة ، وباللسان يمكن للناس ان يغروا ويحرضوا الآخرين لعمل الشر .

ان هذا المعنى يقدم لنا افكار لا بأس بها .

(ب) ان كلمة Kosmos قد تعنى العالم ، ففى كل جزء من أجزاء العهد الجديد تعنى كلمة Kosmos العالم ، مع الاشارة الى انه العالم الشرير . فالعالم لا يمكن أن يقبل الروح (يوحنا ١٤ : ١٧) ، ويسوع يظهر ذاته للتلاميذ ، وليس للعالم (١٤ : ٢٢) ، والعالم يبغض المسيح ، ولذلك فانه يبغض تلاميذه (يوحنا ١٥ : ١٨ و ١٩) .

ومملكة يسوع ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨ و ٣٦) ، ويدين بولس حكمة هذا العالم (١ كورنثوس ١ : ٢٠) ، والمسيحى لا يصح له أن يشارك أهل هذا العالم « الدهر » (رومية ١٢ : ٢) .

ان كلمة Kosmos بهذا المعنى تعنى العالم بدون الله ، العالم فى جهل بالله وفى عداوة معه . ولذلك ، فان قلنا أن اللسان هو العالم الشرير ، فان ذلك يعنى أن اللسان هو ذلك الجزء من الجسم الذى يقودنا بعيدا عن الله . واللسان الذى لا ضابط له هو كالعالم فى جهل بالله ، وفى عداء معه . انه ذلك العضو الذى به لايطيع الانسان الله ، ويتحداه ويعصى أوامره .

٢ — والعبارة الثانية التى يصعب فهمهما والتى نجدها مترجمة (دائرة الكون) تعنى حرفيا « عجلة الحياة » .

وقد استخدم القدماء تشبيه العجلة للتعبير عن الحياة بأربعة طرق مختلفة :

(أ) فالعجلة دائرة ، تامة الاستدارة ، وعجلة الحياة تعنى الحياة بأكملها ، اى كل ما تحويه الحياة .

(ب) العجلة دائما تدور . فكل نقطة فيها تتحرك الى أعلى والى أسفل . ولذلك ، فان عجلة الحياة قد تعنى تقلبات الحياة، خيرها وشرها ، وبهذا المعنى فالعبارة تعنى عجلة صروف الدهر ، دائما فى تقلب .

(حـ) العجلة دائرية ، وهى تدور دائما ، لتعود من حيث بدأت ، ولذلك فهى قد تعنى تكرار الحياة ، ومجيء أجيال تلو الأجيال لتعيد سابقتها على نفس النحو ، دون أى تغيير .

(د) والعبارة قد تستعمل للدلالة عن شيء خاص . ففى احدى الديانات الشرقية يؤمنون بتناسخ الأرواح اى أن النفس البشرية تولد وتموت لتولد من جديد وهكذا . وأن هدف الحياة هو الهروب من دائرة الموت والميلاد ، لتعود ثانية الى الكائن الغير محدود .

ولذلك فان أفراد تلك الديانة الذين بلغوا مرتبة عالية يقولون :

« لقد استطعت أن أخرج عن نطاق تلك الدائرة المملة » .

وبهذا المعنى فان عجلة الحياة تعنى تناسخ الأرواح الدائم الممل . وأنه لأمر بعيد الاحتمال ، أن يكون يعقوب قد عرف شيئا عن تناسخ الارواح ، ومن غير المعقول أن يتطرق تفكير أى مسيحى الى التفكير فى الحياة كالعجلة المستمرة الدوران ، الرتيبة الحركة .

ومن غير المحتمل أن يخاف المسيحى من صروف الدهر وتقلباته .

ولذلك فان العبارة ، يحتمل جدا أن تعنى « كل ما تحويه الحياة » ،

ولذا ، فان يعقوب يقول ان اللسان قد يشعل نارا مدمرة قد تدمر الحياة كلها ، وأن اللسان نفسه يضرم من نار جهنم . وهنا ، يكمن خطر اللسان .»

عدم خضوع اللسان للتذليل

لِأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ وَالزَّحَّافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُذَلَّلُ وَقَدْ تَذَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ . وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُذَلِّلَهُ . هو شَرٌّ لاَ يُضْبَطُ مُمْتَلِئٌ سُمًّا مُمِيتاً

(٣ : ٧ و ٨)

ان فكرة تذليل الحيـــوانات للجنس البشرى ، شىء مألوف فى الأدب اليهودى . وأننا نلاحظ ذلك فى قصة الخليقة . فقد قال الله للانسان :

« املأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحـر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض » (تكوين ١ : ٢٨) فان يعقوب ، يسترجع هنا هذا العدد . ونفس هذا الوعد قد قيل لنوح :

« ولتــكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيــور السماء . مع كل مايدب على الأرض وكل أســـماك البحر قد دفعت الى أيديكم » . (تكوين ٩ : ٢) . وان كاتب ســـفر حكمة يشوع يكرر نفس الفكرة اذ يقول : « أعطى الله للانسان أن يخشاه كل ذى جسد ، وتخضع له كل وحوش الأرض وطيور السماء » (حكمة يشوع ١٧ : ٤) .

والمرنم يقول نفس المعنى « تسلطه على أعمال يديك . جعلت كل شىء تحت قدميه . الغنم والبقر جميعا وبهائم البر أيضا . وطيور السماء وسمك البحر السالك فى سبل المياه » (مزمور ٨ : ٦ ـــ ٨).

ولقد كان الرومان قديما مغرمين بجلب الأسماك وتربيتها فى أحواض خاصة فى دورهم .

وكانت الحية رمزا للاله (اسكولابيوس) ، وكانت تطلق فى معـــابده

الحيات المستأنسة حرة طليقة . وكان يعتقد أن ذلك الاله يخل فيها . وكان المرضى ينامون بالليل فى معابد (اسكولابيوس) ، فكل من تلمسه تلك الحيات ، فانه ينال (على ما كانوا يعتقدون) اللمسة الشافية من ذلك الاله .

وأن يعقوب يقول ان مهارة الانسان مكنته من تذليل كل المخلوقات ، ولكن اللسان هو الشيء الوحيد الذى لم يذلل. فالتذليل معناه التحكم فى الشيء وجعله نافعا ، الأمر الذى لا يستطيع الانسان بمفرده أن يقوم به من ناحية اللسان .

البركة واللعنة

بِهِ نُبَارِكُ اللهَ الآبَ وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللهِ . مِنَ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَةٌ وَلَعْنَةٌ . لاَ يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ الأُمُورُ هٰكَذَا . أَلَعَلَّ يَنْبُوعاً يُنْبِعُ مِنْ نَفْسِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ وَالْمُرَّ . هَلْ تَقْدِرُ يَا إِخْوَتِي تِينَةٌ أَنْ تَصْنَعَ زَيْتُوناً أَوْ كَرْمَةٌ تِيناً . وَلاَ كَذٰلِكَ يَنْبُوعٌ يَصْنَعُ مَاءً مَالِحاً وَعَذْباً .

(٣ : ٩ — ١٢)

ان الاختبار يعلمنا أن هناك تناقضا كبيرا فى الطبيعة البشرية، فالانسان يجمع فى طبيعته بين القرد والملاك ، البطل والنذل ، القديس والأثيم . وأن يعقوب يبين لنا أن هذا التناقض يظهر جيدا فى اللسان . فبه (نبارك الله) وهذا ما كان يعمله اليهودى ، فحينما يذكر اسم الله كان يجب على اليهودى أن يرد على الفور « تبارك اسمه » فاليهودى المتدين كان عليه أن يكرر الصلوات الثمانى عشرة الشهيرة كل يوم وكل صلاة منهما تبدأ بالقول « مبارك أنت يا الله » ، ومع ذلك فنفس هذا اللسان الذى يبارك الله

دائما ، هو الذى يلعن ويشتم الآخرين . وأن يعقوب يرى فى ذلك عجبـا ، تماما كما يخرج ينبوع ماء عذبا مرة ، وماء مالحا تارة أخرى أو كما تحمل الشجرة نوعين مختلفين من الفـــاكهة . ومع انه لا يصح أن تكون الأمور هكذا ، ولكن من المؤسف أن نراها هكذا .

لقد قال بطرس للمسيح ذات مرة : « ولو اضطررت أن أموت معك لا إنكرك » . (متى ٢٦ : ٣٥) ، ولـكن بطرس ذاته انكر المسيح بلسانه واخذ يسب ويحلف أنه لايعرفه (متى ٢٦ : ٦٩ ـــ ٧٥) ويوحنا الذى قال « يا أولادى . حبوا بعضكم بعضا » ، وهو نفسه الذى طلب ذات مرة أن تنزل نار من السماء لتفنى قرية سامرية (٩ : ٥١ ـــ ٥٦) . فحتى ألسنة القديسين والرسل لا تنطق دائما فى نفس الاتجاه .

يحدثنا يوحنا بنيان عن الشخص الكثير الكلام قائلا : « أنه قديس فى الخارج ، ولكنه شيطان فى المنزل » ، فكثير من الناس يتحـــدثون برفق مع الغرباء ، وينادون بالمحبة والوداعة فى معاملة الناس ، ولكنهـم يثـورون ويغضبون لأتفه الاسباب فى حديثهم مع افراد الاسرة . فليس من الغريب أن يتحدث شخص بروح التقوى فى يوم الاحد ، ولكنه يلعن فريقا من العمال يوم الاثنين وليس من الغريب أن ينطق شخص ليعبر عن أرق الاحاسيس يوما ما ، ثم يردد فى اليوم التالى عبارات جافة نابية عن الآخرين . وقـد يحدث أن تتكلم سيدة برفق وبلطف فى أحد الاجتماعات الدينية ، ثم تخرج من الاجتماع لتجرح كرامة شخص آخر بأن تشهـر به بألفاظ تنم عن الحقـد والكراهية .

يقول يعقوب ، ان هذه الأمور « لا يصح أن تكون هكذا » .

هناك بعض العقاقير ، كالأفيون والكنيين وبعض المواد السامة ، قـد تكون ذات نفع للناس ، لو استعملت منها كميات قليلة باشراف الاطبـاء ، وهكذا اللسان لو أحسن استخدامه فانه ينفع الآخرين ، بينما يكون اللسان سما مميتا لو أفلتت زمامه .

فاللسان يبارك أو يلعن، يجرح أو يداوى. الانسان يمكن أن يقول أجمل الألفاظ ، ويمكنه أن يلـفظ أقذع العبارات . ولـذا فمن اصعب الامور فى

الحياة ، ومن أولى الواجبات المفروضة علينا أن نراعى عـــــدم التناقض فى ألفاظنا ، وألا نتفوه الا بعبارات نود أن يسمعها الله .

شخص لا يصح أن يكون معلما

مَنْ هُوَ حَكِيمٌ وَعَالِمٌ بَيْنَكُمْ فَلْيُرِ أَعْمَالَهُ بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ فِي وَدَاعَةِ الْحِكْمَةِ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ لَكُمْ غَيْرَةٌ مُرَّةٌ وَتَحَزُّبٌ فِي قُلُوبِكُمْ فَلَا تَفْتَخِرُوا وَتَكْذِبُوا عَلَى الْحَقِّ .

(٣ : ١٣، ١٤)

يبدو أن يعقوب يعود بنا هنا الى بداية الاصحاح وكأنه يجرى حوارا كالآتى : « هل يريد أحد منكم أن يكون حكيما أو معلما ؟ اذا فليثبت بروح الوداعة التى تمتلك عليه حياته ذلك ، وبتصرفه الحسن أيضا . لأنه ان كان يشعر بمرارة ، وان كانت روح الانانية والطموح الذاتى يتحكمان فيه ، فانه برغم كل ما يدعيه لنفسه بروح الغرور ، فانه بذلك يكذب على الحق الذى يعلمه للآخرين » .

ويستخدم يعقوب هنا كلمة « غيرة » ، وتلك الكلمة باليونانية Zélos لا تعنى بالضرورة المعنى السيء . فانها قد تعنى رغبة الانسان النبيلة فى الارتقاء عندما يواجه موقفا يدفعه للتقدم والسمو ، ولكن هناك خط فاصل دقيق بين الرغبة النبيلة فى التقدم ، والحسد والحقد البغيض . والكلمة التى يستخدمها يعقوب للتعبيـــــر عن الطموح الأنانى والتى وردت بمعنى « التحزب » فى العربية هى : eritheia باليونانية ، وهذه الكلمة لاتعنى أيضا بالضرورة المعنى السيء . فهى تعنى أصلا « العمل بالأجرة » وكانت تستخدم للتعبير عن السيدات العاملات ثم استخدمت بعدئذ للتعبير عن أى عمل نظير دفع أجرة . ثم تحور معناها فأصبح يعنى أى عمل يعمل بقصد الفائدة التى تنتج من ورائه ، وبعدئذ استخدمت الكلمة فى مجال السياسة فأصبحت تعنى الطموح الانانى للمنفعـــــة الذاتية فحسب ، ولو كان ذلك بالمؤامرات والخديعة للوصول الى الهدف .

ان المعلم قد يجد نفسه تحت ضغط نوعين من الاغراء :

١ ــ انه تحت اغراء الغرور . كان الغرور من الخطايا المحيطة بسهولة بمعلمى اليهود فأعظم معلمى اليهود كانوا واقعين تحت ضغط هذه الخطية.

وفى « أقوال الآباء » نجد القول : « ان الشخص المغرور والمعتد برأيه فى كل ما يتخذه من قرارات ، غبى وشرير ، ومتغطرس » . ومن نصائح أحد الحكماء للمعلم : « ان لزملائك حرية تقبل مايرونه من آراء ، فلا تفرض عليهم رأيك » . فالناس يستمعون دائما الى كل من المعلم والمبشر ، أكثر من استماعهم الى أى شخص آخر ويتقبلونها بلا جدال لذلك فان خطر الغرور يحدق بهما ، وقد يصعب عليهما أن يكونا متضعين ، مع أن الاتضاع فرض عليهما .

٢ ــ ان المعلم أيضا يقع تحت تأثير الغيرة المرة . اننا نعلم جيدا كيف أن « المجادلات تولد خصومات » يكتب السير نوماس برون فقرة عن قسوة الأدباء على بعضهم البعض قائلا : « ان الادباء رجال سلم ، فهم لا يحملون سلاح ولكن السنتهم أحد من السيوف ، وأقلامهم أكثر مضاء منها ، فصوتها يعلو على صوت الرعد ، وانى على استعداد أن أحتمل أى أذى مادى من أن أحتمل جامات غضب قلم ثائر لا يرحم » .

فمن أصعب الأمور أن يجادل شخص دون أن يغضب ، وأن يقابل ما يوجه اليه من حديث بروح الود والتصافى . فمن الزم الواجبات على المعلم المسيحى الا يشعر بمرارة نحو أولئك الذين يخالفونه فى العقيدة ، مع أنه من أصعب الأمور أن يؤمن شخص بعقيدة ما . ويشعر فى نفس الوقت بالارتياح نحو أولئك الذين يخالفونه عقيدته . وأن تلك الفقرة تلفت أنظارنا الى اربعة أنواع خاطئة من التعليم :

١ ــ ان التعليم الخاطىء يكون مصحوبا بروح التعصب . فان ذلك التعليم يقوم على العنف لا على الاقناع الهادىء .

٢ ــ وهو أيضا يكون مصحوبا بروح الغيرة المرة . انه ينظر الى

المخالفين له فى العقيدة على أنهم أعداء يجب القضاء عليهم ، بدلا من النظر اليهم كأصدقاء يجب جذبهم .

٣ — ان التعليم الخاطىء يتميز بالطموح الفردى القائم على الأنانية : انه لا يحاول تقديم الحقيقة المجردة بل يحاول تقديم ذاته . انه لا يفرح بانتصار الحق بل بانتصار آرائه .

٤ — يكون المنادى بالتعليم الخاطىء مزهوا مختالا . فهو يفخر بمعلوماته بدلا من محاولة معرفة ما يجهله . ان المعلم الحقيقى يحس بما يجهله أكثر من احساسه بما يعلمه .

الحكمة الخاطئة

لَيْسَتْ هذِهِ الْحِكْمَةُ نَازِلَةً مِنْ فَوْقُ بَلْ هِيَ أَرْضِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ . لِأَنَّهُ حَيْثُ الْغَيْرَةُ وَالتَّحَزُّبُ هُنَاكَ التَّشْوِيشُ وَكُلُّ أَمْرٍ رَدِيءٍ .

(٣ : ١٥ و ١٦)

أن تلك الحكمة القائمة على الغيرة، والكبرياء الذاتية، تختلف تماما عن الحكمة الحقيقية . ان يعقوب يصف أولا تلك الحكمة الخاطئة ، ثم يتحدث بعد ذلك عن نتائجها . فهو يصفها أولا بأنها :

(أ) أرضية : وذلك لأن أهدافها ومثلها أرضية ، فهى تقيس النجاح بالتفوق الأرضى وأهدافها أهداف عالمية .

(ب) نفسية : والكلمة التى يستخدمها يعقوب لذلك يصعب ترجمتها . فالكلمة باليونانية هى Psuchikos وهى مشتقة من كلمة Psuché كان القدماء يقولون ان الانسان يتكون من ثلاثة أشياء : جسم ، ونفس ، وروح . فالجسم Sona يشمل التكوين المادى من لحم ودم ، والنفس Psuché هى الصفة المشتركة بيننا وبين الحيوانات ، انها ليست سوى

الحياة الحيوانية . والروح Pneume يتفرد بها الانسان فلا تشاركه فيها الحيوانات ، انها تجعله مخلوقا عاقلا ، قريبا من الله . وقد يلتبس علينا الأمر ، لأننا نستعمل كلمة (نفس) للتعبير عما كان يرمز اليه القدماء بكلمة (روح) ، بينما هم لا يستعملون كلمة (نفس) الا للتعبير عن الحياة المادية التى لا ينفرد بها الانسان بل انها صفة مشتركة فى جميع المخلوقات . ولذا ، فان يعقوب يقول ان تلك الحكمة الخاطئة ليست سوى نتيجة احدى الدوافع الغريزية الحيوانية . فالحكمة الخاطئة هى الحكمة التى يشترك فيها الانسان مع الحيوان ، والتى تنتسب للجانب السفلى من طبيعتنا .

(هـ) ويصف يعقوب أخيرا الحكمة الخاطئة بأنها (شيطانية) . فمصدرها الشيطان ، وليس الله . انها لا تقوم بعمل ما يسر الله ، بل تعمل ما يسر الشيطان .

ثم يتكلم يعقوب عن نتائج تلك الحكمة الخاطئة . فأول ما ينتج عنها هو (التشويش) . اى أنها بدلا من أن توحد بين الناس ، فانها تفرقهم . وبدلا من أن تدعم السلام ، فانها تثير الصراع ولا ينتج عنها الاخوة والشركة بل تصدع الروابط ، وانهيار العلاقات . اننا قد نقابل ذلك النوع من الناس الذى يمتاز بالمهارة ، فهو حاد الذكاء ، ولكنه ان وجد فى اى اجتماع أو كنيسة فانه يسبب المشاكل ، ويفرق بين الناس ، ويولد خصومات ، ويزعزع الروابط الأخوية هذا الشخص يسير ويتصرف بحكمة شيطانية ، وانه لا يعمل عمل الله بل عمل الشيطان . فكل القوى التى تعمل على الانقسام والتفرقة هي قوى ضد ارادة الله ، وهى تعمل لنجاح عمل الشيطان .

١ ــ الحكمة الحقة

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقٍ فَهِيَ أَوَّلاً طَاهِرَةٌ ثُمَّ مُسَالِمَةٌ مُتَرَفِّقَةٌ مُذْعِنَةٌ مَمْلُوَّةٌ رَحْمَةً وَأَثْمَاراً صَالِحَةً عَدِيمَةُ الرَّيْبِ وَالرِّيَاءِ وَثَمَرُ الْبِرِّ يُزْرَعُ فِي السَّلاَمِ مِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّلاَمَ.

(٣ : ١٧ و ١٨)

لقد اتفق حكماء اليهود جميعهم على أن الحكمة الحقيقية تأتى من فوق . فهى ليست نتيجة لمجهودات الانسان ، بل هى عطية الله .

ويصف سليمان الحكيم تلك الحكمة بأنها « وهج قوة الله وانبثاق بهاء من الله القادر على الكل » . (سفر الحكمة ٧ : ٢٥) ، ونجد فى نفس السفر تلك الصلاة « أعطنى الحكمة القابعة بجوار عرشك » . (سفر الحكمة ٩:٤) ثم نجد أيضا القول « فأرسلها من السموات المقدسة وابعثها من كرسى مجدك » . (سفر الحكمة ٩ : ٨) ، ويبدأ ابن سيراح سفره بهذه العبارة : « كل حكمة من قبل الرب وهى معه الى الدهر » . (حكمة يشوع ١ : ١) ، والحكمة تقول أيضا : « أنا خرجت من فم العلى » (حكمة يشوع ٢٤ : ٢) ، فقد اتفق حكماء اليهود بصوت واحد على أن الحكمة تأتى للناس من فوق ، من الله .

ويستخدم يعقوب ثمانى كلمات ليصف تلك الحكمة ، وكل منها يحمل صورة جميلة عن الحكمة :

١ ــ فالحكمة الحقة (طاهرة) . وأصل تلك الكلمة باليونانية Hagnos تعنى الطهارة التى تكفل للانسان القرب من الآلهة . وكانت الكلمة تعنى فى البدء ، طهارة الانسان بمعنى أنه اجتاز مراحل التطهير الطقسية . ولذا ، فان احدى شخصيات (ايوربيدس) يقول :

« ان يدى طاهرتان ، ولكن قلبى ليس طاهرا » ، فكانت كلمة hegnos اذن تصف الطهارة الناتجة عن ممارسة الطقوس فقط ، ولم تكن بالضرورة تعنى طهارة الأخلاق والسلوك .

ولكن بمرور الوقت أصبحت الكلمة تعنى نقاوة السلوك الذى بمقتضاه يستطيع الانسان أن يقرب حقا من الآلهة .

فقد كان مكتوبا على مدخل معبد « اسكولابيوس » فى (ابيداروس) تلك العبارة : « ان من يدخل هذا المعبد الالهى يجب أن يكون طاهرا ، والعقل الطاهر يفكر أفكارا مقدسة » .

فالحكمة الحقة هى الحكمة الصافية من كل شوائب الميول الخاطئة ، المتحررة من الذات ، حتى يصبح الانسان فى درجة من النقاوة يستطيع معها أن يرى الله . فالحكمة العالية ترغب فى التهرب من رؤية الله ولكن الحكمة الحقة يمكنها أن تثبت أمام عين الله .

٢ ـ والحكمة الحقة (مسالمة) eirénikos . ان كلمة eirènè تعنى سلام ، وعندما نستعمل الكلمة فى مجال العلاقات الاجتماعية ، يكون معناها حسن العلاقة بين الانسان واخيه وبين الانسان والله .

والحكمة الحقيقية تخلق علاقات طيبة . هناك حكمة أخرى تولد الزهو والتعالى فتجعل الانسان يحتقر اخوانه ، انهـا حكمة تفرق بين الانسان وأخيه . هناك الحكمة التى تجعل بعض الناس يتفننون فى استخدام بعض العبارات والالفاظ الجارحة لأنهم يسرون بايذاء الآخرين . وهناك الحكمة الشريرة التى تضل الناس بعيدا عن الله ، فتنزع منهم نقاوتهم وولاءهم لله . ولكن الحكمة الحقة هى الحكمة التى تقرب الناس بعضهم لبعض ، وتقربهم من الله .

٣ ـ والحكمة الحقة أيضا (مترفقة) ، وان الكلمة اليونانية المستعملة لذلك من أكثر الكلمات التى وردت فى العهد الجديد صعوبة فى ترجمتها وهى كلمة « epieikés » وان أرسطوطاليس يعرف تلك الكلمة بانها : « العدالة التى تتعدى حدود النصوص المكتوبة فهى أسمى من العدالة وهى تدفعنا لتصحيح الاوضاع التى لا يكون فيها القانون منصفا عند تطبيقه » . فالشخص الذى يوصف بتلك الصفة « epieikés » هو الشخص الذى يعرف متى يكون من الخطأ تطبيق الناموس أو القانون حرفيا . انه الشخص الذى يصفح ، عندما تعطيه العدالة الصارمة الحق فى أن يدين . انه الشخص الذى يعرف كيف يكون سمحا ، ويعرف متى يتغاضى عن حقوقه . انه الشخص الذى يعرف كيف يمزج العدل بالرحمة . انه يعرف دائما أن فى الحياة أشياء أسمى من اللوائح والقوانين المجردة .

يستحيل أن نجد كلمة فى اللغة الانجليزية لتعبر عن هذه الصفة . وقد أسماها « ماثيو أرنولد » : « التفاهم الحلو » . ونحن نقول انها قدرتنا

على النظر الى الآخرين بعين الشفقة والمودة التى نرغب نحن أن يمنحها لنا الآخرون .

٢ ـ الحكمة الحقة

٤ ـ ان الحكمة الحقة (مزعنة) « eupeithés » اننا يجب أن نختار معنى من اثنين :

(أ) فان كلمة « eupeithés » قد تعنى الاستعداد الدائم للطاعة . ان أهم القواعد التى اتبعها « وليم لو » فى الحياة كانت حسب قوله : « انى أضع نصب عينى دائما أن أتمم شيئا واحدا وهو أن أسعى للحصول على السعادة الأبدية بطاعة ارادة الله » .

فالكلمة بهذا المعنى توحى بأن الرجل الحكيم حقا يكون مستعدا أن يطيع الله فى أى وقت يسمع فيه صوت الله .

(ب) وقد تعنى كلمة « eupeithés » سهولة الاقتناع ، ليس بمعنى أن الشخص ضعيف سهل الانقياد بل بمعنى أنه ليس عنيدا ، وأنه على استعداد للانصات لصوت العقل والى التوسلات .

ومن المرجح أن الكلمة تحمل هذا المعنى الثانى .. فالحكمة الحقة ليست جامدة ، صارمة ، تسد آذانها عن كل توسل . انها على استعداد لأن تسمع وأن تقتنع ، وأن تعرف متى يجب الاذعان .

٥ ـ ثم نتكلم عن العبارتين التاليتين معا . فالحكمة الحقة (مملوءة رحمة) eleos وأثمارا (صالحة) . فان كلمة « eleos » أى « رحمة » قد اكتسبت معنى جديدا فى الفكر المسيحى . فان الاغريق قد عرفوا الرحمة بأنها شفقة على الشخص الذى يقاسى ظلما . ولكن المسيحية قد اضافت الى ذلك كثيرا .

(أ) فالرحمة فى الفكر المسيحى تعنى الشفقة على الانسان الذى فى ضيقة ، حتى لو كانت ضيقته بسبب ما ارتكبه من أخطاء . فالرحمة فى المسيحية تعكس رحمة الله ، ورحمة الله شملت الناس ليس عندما كانوا

يتألمون ظلما ولكن عندما كانوا يقاسون من نتائج خطاياهم وذنوبهم فاننـــا دائما نقول عن الشخص المتألم : « أن ما به من الم نتيجة لغلطته ، فهـــو الذى اضر نفسه » ، ولذا فاننا نحس باننا غير مسئولين تجاهه . ولـــكن الرحمة فى المسيحية هى لـــكل متضايق ، حتى ولو كان هو السبب فى هذا الضيق .».

(ب) ان الرحمة فى الفكر المسيحى تعنى الرحمة التى تنتج (اثمـــارا صالحة) ، أى الرحمة التى تقدم الخـــدمة العملية . فالرحمة فى المسيحية ليست عاطفة ، ولكنها عمل وهى ليست الشعور بالأسف نحو شخص معين ، انها الترجمة عن ذلك الأسف وتلك العاطفة الى عمل فلا يمكننا أن نقول اننا قد شفقنا على اى انسان ما لم نكن قد قدمنا له المعونة .

٦ ــ ان الحكمة الحقة (عديمة الريب) . أى انها ليست متزعزعة ، او مهتزة . انها تؤمن بأفكار ثابتة ، وتشق طريقها لنفسها ، ولا تغير سبيلها ، هناك من يعتقد انه من الحكمة الا يبت الانسان فى أمرها ، ويقول شخص ما انه ذو عقل متفتح وانه لا يمكن أن يدلى برأى قاطع فى اى شأن من الشئون . ولكن الحكمة المسيحية مبنية على حقـــائق ثابتة مصـــدرها الله فى المسيح يسوع .

٧ ــ ان الحكمة الحقة (بدون رياء) أى ان الحكمة المسيحية ليست مظهرا أجوفا ، وهى لا تصل الى اهدافها عن طريق الخـــداع فهى لا تخفى اهدافها الحقيقية ودوافعهـــــا . والحكمة المسيحية أمينة فهى لا تدعى ولا تتفاخر بالباطل ، وهى لا تصل الى اهدافها عن طريق غير مشروع .

ثم يذكر يعقوب شيئا يجب على كل كنيسة أو هيئـــة مسيحية وضعه نصب اعينيهـــــا ، وهو أن « ثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام » . لنذكر أولا ان السلام يعنى توثيق أواصر الصداقة بين الانسان واخيه . ولذلك فان هذا يعنى : أننا جميعنا نحاول أن نحصد ثمار الحياة الصالحة . ولكن بذور تلك الحياة لا يمكن أن تأتى بثمر جيـــد الا فى جو العلاقات الطيبة بين الانسان وأخيه . فالعلاقات الطيبة هى التربة التى تنمو

فيها ثمار البر . والذين يزرعون تلك البـــذار ويحصدون الثمار الطيبة هم أولئك الذين يقضون حياتهم فى انشاء علاقات طيبة بين الناس » .

أى أنه لا شىء صـــالح ينمو فى جو عدم وئام النـــاس مع بعضهم البعض .

وأن بذور البر لا يمكن أن تنمو فى وسط الجماعة أو الكنيسة المتنافرة المنقسمة حيث تسود المرارة والصراع ، فلا ثمر يرجى من هيئة كهذه .

وأن الشخص الذى يفسد العـــلاقات بين الناس ، ويحـدث المرارة والانقسام لا ينال شيئا من الجزاء الذى يمنحه الله للمتقين . فالبر لا يمكن أن يوجد فى جو من سوء العـــلاقات بين الانسان وأخيه ، وكل جهـــاد للانسان وسعيه نحو البر يصبح عديم الجدوى والثمر .

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

امام مسرة الانسان أم ارادة الله ؟!

مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ. تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ لِأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ. تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ لِأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيّاً لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ.

(٤ : ١و٣)

يقدم يعقوب هنا سؤالا هاما — ما هو قصدك فى الحياة !؟ هل تتميم ارادة الله أم اشباع رغباتك الذاتية فى الحصول على مسرات هذا العالم ؟ .

ثم يقدم تحذيرا وهو ، ان كنت تسعى للحصول على اللذة فى الحياة ، فسوف لا تحصد الا الكراهية والحروب والنزاع . فهو يقول أن نتـــائج الجرى وراء اللذة الحروب والمعارك ، والبحث المحموم للحصول عليها يولد البغضة العنيفة التى بدورها تولد الحروب ، وصدام العداوة المتكرر الذى يشبه المعارك . وهذا الرأى يشبه ما نادى به المصلحون قديما . فعنـــدما نتطلع الى المجتمع الانسانى من حولنا نراه يعج بالـــكراهية ، الناجمة من المنافسة المحمومة ، والصراع والمعارك .

ويقول فيلون بهذا الصدد : « تأمل الحرب المستعرة بين الناس ، حتى فى وقت السلم ، والتى تنتشر ليس فقط بين الامم والاقطار والمدن ، بل حتى

بين العائلات . ولى أيضا أن أقول انها تنشب حتى فى داخل الفرد ذاته :. لاحظ نار الغيرة التى تتقد فى صدور البشر والتى يذكى لهيبها الاندفاع المحموم فى الحياة . وقد تتساءل بعدئذ ان كان يمكن أن يتمتع الانسان والحالة هذه بأى هدوء واستقرار وسط هذا البحر الصاخب والخضم اللامتناهى من تصارع الأهواء وتنافر المقاصد .

ان ذلك الصراع المرير يضرب جذوره عميقة فى الرغبة أو الشهوة . ويوضح (فيلون) أن هدف الوصايا العشر تحريم الطمع الذى هو نتيجة الشهوة أسوأ انفعالات النفس ، فيقول : « ألا يضحى بالعلاقات الشخصية على مذبح تلك الرغبة ، فتسود العداوة بدل الحب والوئام . أليس بسببها تتوتر العلاقات بين الدول وتمتلىء الأرض والبحر بأهوال الحروب والمنازعات؟ لأن جميع الحروب تنتج من أصل واحد : الرغبة فى الحصول على المال أو المجد أو المتعة . فالحروب تقوم بين البشر بسبب تلك الأشياء .».

ويكتب « لوسيان » قائلا : « ان جميع الشرور التى تحل بالانسان ، من حروب ومعارك ومذابح ومؤامرات تنبع كلها من الشهوة فكل تلك الأشياء يرجع أصلها الى الرغبة فى المزيد » .

ويكتب أفلاطون قائلا : « ان السبب الوحيد الذى تعزى اليه الحروب والمعارك هو الجسد ورغباته » .

ويكتب شيشرون : « ان الرغبات النهمة هى سبب سقوط الفرد والعائلة بل والدولة بأكملها . فتلك الرغبات تولد الكراهية ، والفرقة والانقسام والمنازعات والحروب » .

والرغبة وراء كل الشرور التى تحطم الحياة ، وتفرق بين الناس . والعهد الجديد يوضح لنا أن الرغبة الجامحة فى الحصول على مسرات هذا العالم هى خطر يهدد الحياة الزوجية بالفشل .

فهموم الحياة وغناها ولذاتها تتحد كلها فتخنق البذرة الصالحة (لوقا ٨ : ١٤) ، وقد يستعبد الانسان للشهوات واللذات ، فيسود الحسد والكراهية جو الحياة (تيطس ٣ : ٣) .

والانسان عليـه أن يختار فى الحياة بين أمرين : أن يرضى نفسه أو يرضى الله ؛ فالعالم مشحون بجو الانقسام والبعضة لأن هدف الناس الوحيد هو أن يرضوا أنفسهم ويدخلوا السرور عليها بغض النظـر عن أى اعتبار آخر .

نتائج اشباع شهوة الانسان

ان الحياة التى تسودها اللذة تؤدى الى نتائج حتمية ؟

١ ـ انها تهيج الناس على بعضهم . فيعقـوب يرى أن الرغبات قوى عدوانية . وهو لا يقصد ان تلك القوى تصطرع داخل الانسان ـ مع أن هذا صحيح ـ بل يقصد أنها تجعل الناس تحارب بعضها البعض .

وأن الرغبات الاساسية متشابهة فى كل الحالات ـ فهى أما للحصول على المال أو لمزيد من السطوة أو الشهرة أو نفائس العالم ولاشباع الذات الحسية . وعندما يلهث الناس جريا وراء شىء واحد ، تصبح الحياة ميدانا للتنافس ، فيدوس الناس بعضها بعضا فى اندفاعهم لامتلاك نفس الاشياء . فالانسان قد يعمل ما يروق له للقضاء على خصم أو منافس يقف عقبه فى سبيل حصوله على شىء أو امتلاكه لشخص معين .

ولكن طاعة ارادة الله تقرب الناس من بعضها البعض لأن ارادة الله هى أن يحب الناس بعضهم بعضا ويخدمون بعضهم بعضا ، ولكن الاستماع لصوت الملذات يفرق بين الناس لأن الملذات تجر النـاس الى الحروب والخصومات واللهث وراء أشياء معينة .

٢ ـ البحث وراء الملذات يقود الناس للقيام بأعمال مخزية فهى تدفع الناس للحسد والحقد والعداوة وقد تدفعهم للقتل . فقبل أن يقـدم الانسان على أى عمل ، فلا بد أن تمتلكه عاطفة قوية ، وقد يمنع الانسـان نفسه من الاقدام على اتيان عمل تمليه عليه رغباته ، فى الحصول على اللذة ،ولكن طالما أن الرغبـة كامنة فى قلبه فانه يكون معرضا للخطر . قد تنفجر الرغبة فتضحى عملا مدمرا . وأن الفترة ما بين تحول الرغبة الى عمل تمر بخطوات

غاية فى البساطة ، ولـكنها غاية فى الخطر . ففى بادىء ذى بدء يسمح الانسان لنفسه أن يرغب شيئا ما ثم يبدأ هذا الشيء فى السيطرة على افكاره، فيجد نفسه يفكر فى هذا الشيء فى ساعات اليقظة تفكيرا لا اراديا ، ويحلم به كذلك آناء الليل . وبعد قليل يضحى هذا الشيء عاطفة مهيمنة . فيفكر الشخص بعدئذ فى مشروعات وهمية لتمكينه من الحصول على هذا الشيء ، وقد تحتوى تلك المشروعات على خطط للقضاء على أولئك الذين يقفون عتبة فى طريق حصوله على هذا الشيء ، وقد يفـكر الانسان فى تلك المشروعات الوهمية التى تسيطر على فكره وقلبـه مدة طويلة ، ولكنها يوما ما لابد أن تظهر فى شكل عمل ، فيبدأ الشخص خطوته الأخيرة ليحصل على ما يتمناه وأن كل جريمة حدثت جاءت نتيجة الرغبة ، التى لم تكن سوى شعور يعتمل به كيانه ، ولكن بعد أن يختمر فى النفس ، يضحى فى النهاية عملا .

٣ — ان السعى وراء اللذة يقفل باب الصـلاة . فلو كانت صـلاة الانسان فقط لمجرد اشباع رغباته ، تكون صلاته انانية ، لا يجيبها الله ، لأن استجابته صلاة كهذه معناها امداد الانسان بالوسائل التى تهيىء له سبيل الخطأ . ان الصلاة التى يقبلها الله هى الصلاة التى تنتهى بالقول « لتـكن ارادتك » ، ولكن صلاة الشخص الذى يجرى وراء أهوائه تقول : « لتتحقق رغباتى » ، وان كان الانسان يصلى فهو يصلى فقط لاشباع رغبـاته ، فان صلاة كهذه لا يمكن ان يقبلها الله . فمن الحقائق الثابتة فى الحيـاة أن الشخص الأنانى لا يمكن ان يصلى صلاة صحيحة . اننا لا يمكن أن نصلى صلاة مقبولة الا بعد أن نبعد الذات من التربع على عرش الحياة ، لنضع الله مكانها . فعلينا اذن أن نختار بين ان نجعل هدفنا الرئيسى فى الحياة تحقيق رغباتنا أم طاعة ارادة الله . فلو اخترنا أن نحقق رغباتنا فقط كهدفنا الأوحد فى الحياة ، فاننا بذلك نوسع الهوة بيننا وبين الله والناس .

خيانة امام الله

أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلهِ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلهِ . أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ

الكِتَابَ يَقُولُ بَاطِلاً . الرُّوحُ الَّذِي حَلَّ فِينَا يَشْتَاقُ إِلَى الْحَسَدِ . وَلَكِنَّهُ يُعْطِي نِعْمَةً أَعْظَمَ . لِذَلِكَ يَقُولُ يُقَاوِمُ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً . فَاخْضَعُوا لِلهِ . قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ . اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ .

(٤ : ٤ — ١٨)

لا يقصد بكلمة « الزناة » أو « الزواني » أي معنى حرفي . فليست هناك أي اشارة الى الزنى الجسدي بل يقصد به الزنى الروحي . والفكرة مستمدة من العهد القديم ، باعتبار أن يهوه هو بعل لشعبه . والشعب هو العروس المهيأة لرجلها . فهذا التشبيه شائع في العهد القديم . « بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه » (اشعياء ٥٤ : ٥) ؛ « حقا انه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني » (ارميا ٣ : ٢٠) ، ففكرة يهوه كالزوج والشعب كالزوجة ، تفسر لنا كيف أن العهد القديم دائما يشبه الخيانة الزوجية ، بالزنى الجسدى ، فقطع العهد مع آلهة الأرض الغريبة ، والأكل من ذبيحتهم ، والزواج منهم بمثابة الزنى وراء آلهتهم (خروج ٣٤ : ١٥ و ١٦) . وكان تحذير الله لموسى بخصوص الشعب ، أنه سيأتي عليه اليوم الذى فيه يفجر وراء آلهة الأجنبيين في الارض التي هو داخل اليها في ما بينهم . وأنه سيترك الاله الحقيقي (تثنية ٣١ : ١٦) ، ونجد المرنم يهدد كل الذين يزنون عن الله (مزمور ٧٣ : ٢٧) ، وكانت شكوى هوشع أن الشعب قد زنى عن الله (هوشع ٩ : ١) .

وبهذا المعنى الروحى ، يتحدث العهد الجديد عن « جيل شرير وفاسق » (متى ١٦ : ٤ ، مرقس ٨ : ٣٨) ، وقد انتقلت نفس الفكرة الى المسيحية فأصبحت الكنيسة عروس المسيح (٢ كورنثوس ١١ : ١ و ٢ ، أفسس ٥ : ٢٤ — ٢٨ ، رؤيا ١٩ : ٧ ، ٢١ : ٩) . وقد لا يروق هذا التشبيه بعض الناس ولكنه يحوى معنى سام . فعدم طاعة الله تشبه كسر عهد الزوجية . وارتكاب كل خطية ممكنة ضد المحبة . ان هذا التشبيه يعنى

أن علاقتنا بالله ليست كصلة الملك بالرعية أو السيد بالعبد ، ولكنها كالصلة المتينة بين الزوج وزوجته . ان ذلك التشبيه يعنى أن الخطية خيانة للمحبة، وأننا عندما نخطىء فاننا نكسر قلب الله، كما يكسر قلب أحد الطرفين فى الزواج عندما يهجره الطرف الآخر عمدا وبدون سبب .

محبة العالم وعداوة الله

يقول يعقوب ان محبة العالم عداوة لله ، ومن أحب العالم « فقد صار عدوا لله »، يجب أن نفهم ما يعنيه يعقوب بهذا :

١ ـ لا تعني تلك العبارة أى كراهية أو احتقار للعالم . فهى لا تعنى أن العالم صحراء جرداء ولا يقصد من العبارة تشويه كل شىء فى الطبيعة واحتقاره .

أحد البيورتان كان يسير بصحبة صديقه فى الريف . ولاحظ الصديق زهرة جميلة فى احد ممرات الطريق فقال « هذه وردة جميلة » فأجاب الأخ البيورتانى : لا يصح وصف أى شىء بالجمال فى هذا العالم الهالك الآثم »، ليس هذا ما ذهب اليه يعقوب ، لأن هذا العالم خليقة الله . فلا تحمل تلك العبارة أى احتقار من أى نوع للعالم كخليقة الله .

٢ ـ قد لاحظنا قبلا ، أن العهد الجديد يستخدم كلمة العالم Kosmos بمعنى « العالم بعيدا عن الله ». اى اهمال العالم لله وعداة العالم للمثل السامية ، وتمسكه بطرقه التى يسير فيها ورفضه لطرق الله .

وهناك فقرتان فى العهد الجديد توضحان مايعنيه يعقوب جيدا . فبولس يكتب « لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله ... فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » (رومية ٨ : ٧ و ٨) ، وهو يقصد بذلك أن أولئك الذين يزنون كل شىء بميزان المثل الارضية ، أولئك الذين لا يهتمون الا بما للعالم هم فى عداوة مع الله .

والفقرة الثانية تعتبر مرثية شهيرة على الحياة المسيحية : « ديماس قد تركنى اذ أحب العالم الحاضر » (٢ تيموثاوس ٤ : ١٠) .

وهذه العبارة تعبر عن نفشى روح العالم ، فلو كان الانسان دنيويا ، فانه لا يمكن أن يكون نقيا . ولو كانت الأشياء المـادية هى هدف الانسان فانه من الواضح انه لا يمكن ان يكرس حيـــاته لله . وبهذا المعنى ، فان الانسان الذى يكرس حياته للعالم ، يصير فى عداوة مع الله .

٣ ـ ان افضل تعليق على هذا القول ، ماناه به يسوع ، « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين » (متى ٦ : ٢٤) . هناك موقفان من العـالم ، والأشياء الزمنية . فاما أن نخصص لها كل وقتنا . فستحوذ كل تفكيرنا ، وبذا يصبح العالم سيدنا . واما أن نستخدم متاع العـالم فى خدمة الآخرين ، ولتهيئة أنفسنا للأبدية ، وبذا لا يصبح العالم سيدا على حياتنا ، بل خادما لنا .

فالانسان يستخدم العالم او يستخدم من العـالم . فعندما يستخدم الانسان هذا العالم فى خدمة الله والانسان ، فانه يصبح صديقا لله ، لأن هذا هو ما قصده الله من وجود العالم . وعندما يصبح العالم هو السيد المتسلط على حياتنا ، فاننا نصبح فى عداوة مع الله ، لأن هذا ليس قصـد الله من وجود العالم .

الله المحب الغيور

عدد (٥) من الآيات التى يصعب تفسيرها . ففى بداية العدد ذكر أنه مقتبس من الكتاب ، ولكن لم يرد فى أى جزء من الكتاب ما يمكن أن تكون تلك العبارة جزءا منه . ونحن نفترض أنه اما أن يعقوب قـد اقتبس هذا القول من أحد الكتب التى فقدت والتى اعتبرها هو أنهـا من ضمن الكتب المقدسة او انه قد أوجز فى جملة واحدة خلاصة التعليم التى نادى بها العهد القديم وأنه لا يقصد أن يقتبس أى عبارة محددة بعينها .

ثم أن ما ورد فى طبعة الملك جيمس يصعب تفسيره : « الروح الذى فينا يشتاق الى الحسد » . ولكن الجملة بهذا المعنى تبدو كما لو كانت تدين الروح البشرية ، ولكن لا يمكن أن تؤدى هذه الترجمة أى معنى محتمل . ولكن هناك ترجمتان أخريان ، تقدمان معنى واحدا .

الأولى تقول : « انه (أى الله) غيـور من نحو تكريس أرواحنا التى أودعها ايانا » ، والترجمة الثانية تقول : « الروح التى أودعهـا الله فينا تشتاق الى التكريس التام لقلوبنا » .

وفى كلتا الحالتين يوضح المعنى أن الله هو المحب الغيور الذى لا يقبل أى منافس أو من يشاركه فى سكنى القلب البشرى .

ان العهد القديم ينسب كلمة (غيـور) الى الله . فموسى يتحدث مع الشعب عن الله قائلا : « أغاروه بالأجانب » (تثنية ٣٢ : ١٦) ، وقد سمع موسى الله يقول : « هم أغارونى بما ليس الهـا » . (تثنية ٣٢ : ٢١) ، ويتحدث الله فى الوصايا العشر عن وجوب العبـادة له وحده : « أنا الرب الهك اله غيور » (خروج ٢٠ : ٥) « فانك لا تسجد لاله آخر ، لأن الرب اسمه غيور . اله غيور هو » . (خروج ٣٤ : ١٤) ، ويستمع زكريا لصوت الله وهو يقول : «هكذا قال رب الجنود . غرت على صهيون غيرة عظيمة» . (زكريا ٨ : ٢) وكلمة غيرة فى اليونانية تعنى « Jelos » ، وهى تؤدى معنى الحرارة الملتهبة . والفكرة تعنى أن الله يحب الناس لدرجة إنه لا يمكنه أن يطيق أى محبة أخرى كامنة فى قلوبهم .

وقد يصعب علينا فى العصر الحاضر أن ننسب الغيرة لله ، ولذلك لأن الكلمة بمضى الزمن قد اكتسبت معنى أقل شأنا مما كان لهـا ولكن الـكلمة تحمل حقيقة على جانب كبير من الأهمية ، لأنها تعنى أن الله محب للبشر . وقد يقول قائل ان المحبـة بهذا المعنى تكون موزعة على جميع البشر وعلى جميع أبناء الله ، ولكن من ناحية أخرى فالمحبة تتطلب تكريسا وولاء لشخص واحد . فالشخص لا يمكن أن يحب أكثر من شخص واحد فى وقت واحد ، ومن يقول غير ذلك فانه لا يعرف معنى المحبة .

ان ما يقصده يعقوب هو أن الله محب غيور ، ولا يرضى بأى شريك له داخل القلب البشرى ، ولذا فاننا يجب أن نبادله حبا بحب ، ويجب أن تفوق محبتنا له واخلاصنا له كل محبة واخلاص لكل شىء منظور .

فخر الاتضاع ومأساة الكبرياء

ويستمر يعقوب فى توضيح فكرة غيرة الله ، ورد الفعل الحتمى لذلك .، فان كان الله هكذا ، فكيف يمكن لأى انسان أن يقدم لله الولاء الذى يتطلبه نظير تلك المحبة الالهية ؟ ، ولسان حال يعقوب يقول انه اذا كان الله يطلب منا الكثير ، فهو يهبنا « النعمة » لنستطيع أن نفى بمطالبه ، وكلما عظم الطلب كلما عظمت النعمة التى يمنحنا الله اياها . فنعمة الله وحدها هى القادرة على تمكيننا من رد صدى تلك المحبة .

ولكن الانسان لا يمكن أن ينال النعمة ما لم يتحقق من حاجته للنعمة ، ويأتى لله باتضاع ليطلب ذلك منه .

ولذلك « فان الله يقاوم المستكبرين » ، وأنه يعطى النعمة بسخاء للمتواضعين . « يعطى نعمة للمتضعين » . (أمثال ٣ : ٣٤) ، وقد استشهد بها أيضا بطرس فى (١ بطرس ٥ : ٥) .

فما هى اذن هذه الكبرياء الهدامة ؟ ان كلمة (متكبر) تعنى الشخص الذى يتعالى على الآخرين . وكان الاغريق يكرهون الكبرياء فوصفها « ثيوفراسنوس » Theophrastus بأنها « احتقار لجميع الناس » ودعاها « ثيوفيلاكت » Theophylact الكاتب المسيحى « بؤرة جميع الشرور ومنتهاها » ، وخطر الكبرياء يرجع لأنها تنبع من القلب . انها تعنى الانتفاخ ، ولكن الشخص الذى يعانى منها قد يبدو فى غاية الاتضاع ، بينما هو فى الواقع يحتقر الآخرين فى قلبه . ان الشخص المتكبر بعيد عن الله لأسباب ثلاثة :

١ ـ انه لا يعلم حاجته الحقيقية . فهو يفخر بأنه ليس محتاجا لشىء ويشعر أنه مكتف ، وليس فى حاجة الى شىء .

٢ ـ انه يطلب البعد عن الجميع . فهو لا يشعر بالامتنان لأى شخص ، حتى لله . انه لا يعتمد على شىء ، ولا شخص ولا على اى قوة بشرية أو الهية .

٣ ــ انه لا يعترف بخطيته . فان تفكيره فى بره الذاتى ، يلهيه عن التفكير فى خطيته ، ومن ثم لا يشعر بحاجته للخلاص . أن كبرياء كهذه تحرم الانسان من أى عون ، لانها تشعره بأنه ليس فى حاجة الى أى عون ، ولذلك فان الشخص المتكبر لا يطلب شيئا من الله . انه لا يحب الله ، ولكن يحب ذاته .

ولكن هذا التواضع الذى ينادى به يعقــوب ليس ذلة . انه يمتــاز بصفتين بارزتين :

١ ــ ان الشخص المتواضع ليس جبانا ، فهو يعرف أنه اذا اتخذ موقفا جادا مع الشيطان ، فان الشيطان يهرب منه ، فالشـــيطان هو الجبان فى النهاية . قال « هرمز » : « ان الشيطان يمكنه أن يصارع مع المسيحى ، ولكنه لا يستطيع أن يغلبه » ، وهذه حقيقة يعرفها المسيحيون جيدا ، لأن بطرس يصرح بنفس الشىء (١ بطرس ٥ : ٨,٩) .

ولنا أسوة حسنة فى شخص المسيح فى تجاربه . فقد أظهر فيهــا المسيح أن الشيطان تسهل هزيمته وقهره بكلمة الله ، كما هزمه يسوع . وأن تواضع المسيحى لا يعنى الجبن ، ان المسيحى يستطيع أن يحــارب المجرب ، ويقهره لا بقوته ، ولكن بقوة الله .

٢ ــ ان المسيحى المتواضع يعلم أنه يتمع بأعظم امتيــاز ، امتياز الاقتراب من الله . فالمسيحى يعلم أنه يمكنه القرب من الله ، لأن الله دائما قريب منه وهذا امتياز عظيم ، لأن حق الاقتراب من الله فى العهد القديم كان مقصورا على الكهنة وهم وحدهم الذين يقتربون من الله (خروج ١٩ : ٢٢) ، ووظيفة الـكاهن كانت تعنى أن يقترب من الله لأجل خطــايا الشعب (حزقيال ٤٤ : ١٣) ولكن بواسطة عمل المسيح الـكفارى ، يستطيع أى انسان أن يقترب بثقة من عرش النعمة واثقا أنه سينال نعمة ورحمة ، عونا فى حينه (عبرانيين ٤ : ١٦) . لقد مر وقت كان لرئيس الكهنة وحده الحق فى دخول قدس الاقداس ، أما نحن فلنا « رجاء أفضل به نقترب الى الله » (عبرانيين ٧ : ١٩) .

فالمسيحى يجب أن يكون متواضعا ، ولكن هذا التواضع ليس معنــاه

الجبن ، بل معناه شجاعة وبسالة فى القضاء على الشيطان ، ثم انه التواضع الذى يقود الى الادراك بأن الطريق الى الله ممهد للتدييس الذى يقرب من الله بانكسار قلب وانسحاق روح ».

النقـاوة الالهية

نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ . اكْتَئِبُوا وَنُوحُوا وَابْكُوا . لِيَتَحَوَّلْ ضَحِكُكُمْ إِلَى نَوْحٍ وَفَرَحُكُمْ إِلَى غَمٍّ . اتَّضِعُوا قُدَّامَ الرَّبِّ فَيَرْفَعَكُمْ .

(٤ : ٨ ب — ١٠)

ان الطلب الأخلاقى فى المسيحية ليس شيئا مستبعداً . فقد تحدث يعقوب عن النعـمة التى يهبها الله للمتضعين ، والنعمة التى يعطيها الله للانسان ليمكنه من مواجهة المطاليب الالهية . ولكن يعقوب يعلن أن هناك اكثر من مجرد السؤال والأخذ ، فهو يؤكد أهمية بذل شىء من الجهد الأخلاقى .

وهو يوجه الحديث هنا للخطاة ، والكلمة اليونانية « hàmartôlos » تعنى الخاطىء القاسى القلب ، الشخص الذى يرتكب الخطية العلنية الفاضحة ويعرف سيويداس « Suidas » الخطاة بأنهم : « أولئك الذين يعصون الناموس ، ويحيون حياة فاسدة » .

يطلب يعقوب من الخطاة تغييرا اخلاقيا يشتمل على تغيير فى السلوك الخارجى ، وفى الرغبات الداخلية فهو يطالبهم بنقاوة الايدى ونقاوة القلب (مزمور ٢٤ : ٤) .

والتعبير « نقوا أيديكم » يثير الاهتمام . كان هذا التعبير فى الأصل لا يحمل سوى معنى النظافة أو النقاوة الطقسية ، الاغتسال بالماء ظاهريا ، وكان هذا يعد نقاوة طقسية تؤهل الانسان للاقتراب من الله وعبادته . فكان الواجب على الكهنة أن يغسلوا أيديهم وأرجلهم قبل تأدية الخدمة (خروج ٣٠ : ١٩ — ٢١ ، لاويين ١٦ : ٤) واليهودى المتمسك

بدينه يجب أن يغسل يديه حسب التقاليد قبل الاكل (مرقس ٧ : ٣) ، ولكن بمور الوقت أدرك الناس أن الله يتطلب أكثر من مجرد الاغتسال الظاهرى ، ولذا فالعبارة أصبحت تدل على النقاوة الأخلاقية . «اغسل يدى فى النقاوة» (مزمور ٢٦ : ٦) ، ويطلب اشعياء من الشعب أن « اغتسلوا تنقوا ... كفوا عن فعل الشر » (اشعياء ١ : ١٦) وكأن تلك النقاوة مرادف للكف عن فعل الشر . وفى الرسالة الى تيموثاوس يحث بولس الناس بأن يرفعوا أيادى طاهرة فى الصلاة (١ تيموثاوس ٢ : ٨) ، وبتطور العبارة نرى عمق الادراك فيما يطلبه الله حقا . ففى البداية ظن الناس أن النقاوة هى مجرد الاغتسال بالماء من الظاهر ، كأداء فرض أو طقس ، وفى النهاية أدرك الناس أن مطلب الله معنوى وليس ماديا طقسيا . وأن الكتاب المقدس ليطلب أربعة انواع من النقاوة . فهو يحث على نقاوة الشفتين (اشعياء ٦ : ٦,٥) ، ويطلب طهارة اليدين (مزمور ٢٤ : ٤) ، ونقاوة القلب (مزمور ٧٣ : ١٣) ، وطهارة الفكر (يعقوب ٤ : ٨) .

أى أن الكتاب ينادى بطهارة الكلمات والأعمال والخلجات والافكار ، طهارة من الداخل ومن الخارج ، وذلك لأن أنقياء القلب يعاينون الله (متى ٥ : ٨) .

الحزن الالهى

اذ يطلب يعقوب من قارئيه حزنا الهيا ، فانه يعود بنا الى ما قاله يسوع : « طوبى للحزانى لأنهم يتعزون » (متى ٥ : ٤ ، لوقا ٦ : ٢٠ — ٢٦) ولكننا لا يجب أن نسىء فهم ما قصده يعقوب فهو لا ينكر علينا فرح الحياة المسيحية ، وهو لا يطلب أن يحيا الناس حياة ملؤها الأسى فى عالم الأحزان والظلال . انه يطلب من الناس أن تحيا حياة متزنة متعقلة بدلا من حياة الترف واللذة التافهة التى يحرص الناس على اقتناصها ، وانه يطلب ذلك بروح الشخص المكرس تماما لله ، والذى يرى الآخرون ينغمسون فى العالم . ثم أن يعقوب يصف بداية الحياة المسيحية ، وليس نهايتها . انه يطلب أشياء ثلاثة :

١ — انه يطلب ما يسميه (بالأسى والالم) . والفعل لذلك باليونانية

هو « talaiporein » ويصف ، كما قال (ثيوسيديدس) ، حالة الجيش اذ ينضب معين طعامه ، ولا يجد المأوى وسط الجو العاصف .

ان يعقوب يطلب أن يكف الناس عن حياة الترف والاسراف فى البحث وراء لذاتهم وراحتهم . انه يتحدث الى شعب محب للعـــالم ، ويطلب منهم الا يجعلوا كل همهم فى الحياة الجرى وراء المتعة حيثما وجدت . فالنظام الدقيق يخلق العلماء ، والتمرين الصـــارم يخلق الرياضيين ، والامتناع عن المشـاركة فى مباهج العالم يخلق المسيحى الذى يعرف كيف يستخدم العـــالم وما فيه من متاع الاستخدام الصحيح .

٢ ـ انه يطلب منهم أن (ينوحوا ، وأن يتحول ضحكهم الى حزن ، وفرحهم الى غم) . ان يعقوب يصف هنا الخطوة الأولى فى الحياة المسيحية ، فالحياة المسيحية تبدأ حين يواجه الشخص خطيته ، وحين يتقابل مع الله . فهو حقا اختبار مؤلم . عندما كان « وسلى » يعظ لعمال المناجم كنجز وود ، تحركت فيهم عواطفهم حتى أن دموعهم سالت غزيرة على وجناتهم . ولكن لنتذكر أن هذا الاختبار يمثل بداية الحياة المسيحية وليس نهايتها . فالحزن المفرط الذى ينجم عن الاحساس بجرم الخطية ، ينحول الى الفرح الفياض بغفران الخطايا . ولكن لا يمكن التمتع بالحالة الثـــانية قبل اجتياز المرحلة الاولى مرحلة الحزن على الخطية .

ان يعقوب يطلب من سامعيه الذين يحيـــون حياة سهلة ، خاملة ، مترفة ، دون احساس بما ينقصهم ، دون قلق على خطاياهم ، يطلب منهم أن يحسوا بخطاياهم ومن ثم يخجلون ويحزنون ويخافون ، واذ يحسون بذلك فانهم يطلبون النعمة الالهية ثم ينتقلون الى مرحلة الفرح الذى يفوق كثيرا كل مسرات العالم ومباهجه .

٣ ـ انه يطلب منهم أيضا أن (يبكوا) . فهؤلاء الناس الذين كان يتكلم اليهم يعقوب كانوا أثرياء يعيشون فى ترفهم وفى أنانيتهم المفرطة غير مدركين أو شاعرين بما يسميه الشاعر « أمطار العالم المنهمرة من الدموع » ، ولكن يعقوب ينذر على أن يدرك هؤلاء النـــاس دموع وآهات الآخرين . فان

أحزانهم ودموعهم واحتياجاتهم يجب أن تخترق أسوار ملذاتهم ورفاهيتهم . وانه قد آن الأوان أن يحسوا باحتياجات بنى جنسهم .

ولا يمكن أن يسمى أى شخص بأنه مسيحى ما لم يدرك الحاجة الملحة لهؤلاء المعذبين ، ولتلك البشرية المعذبة التى مات المسيح لأجلها .

ولذلك ، فان يعقوب يستخدم كلمات خاصة ليوقظ أولئك الغافلين ، ويطلب منهم الامتناع عن ملذات الحياة وأن يدركوا حالتهم فيحسوا بخطاياهم ويبكوا عليها ، وأن يشعروا كذلك باحتياجات الآخرين من حولهم والآلام التى يقاسونها ، فيبكون من أجلها .

الاتضـــاع أمام الله

ويختتم يعقوب هذه الفقرة . فيطلب مطلبا أخيرا وهو الاتضاع أمام الله ففى كل الكتاب نجد الفـــكرة واضحة أن الشخص المتواضع هو الذى يتمتع ببركات الله . فالله يخلص المتضع (أيوب ٢٢ : ٢٩) « وكبرياء الانســـان تضعه والوضيع الروح ينال مجدا » (أمثال ٢٩ : ٢٣) ، « والله يسكن فى الموضع المرتفع ومع المنسحق والمتواضع الروح » (اشعياء ٥٧ : ١٥) ، « والذين يخافون الرب يضعون نفوسهم أمامه ، وكلما عظم الانسان كلمـــا اتضع لكى يجد نعمة فى عينى الرب » (حكمة يشوع ٢ : ١٧ ، ٣ : ١٧) ، وقد أكد يسوع مرارا أنه من يضع نفسه يرتفع (متى ٢٣:١٢ ، لوقا ١٤:١١) والانسان لا يطلب ارشــــاد الله الا عندما يتحقق من جهله . وعندما يتأكد الانسان من فقره فى الروحيات ، يطلب مصليا تمنى نعمة الله . وعنـــدما يتحقق الشخص من ضعفه الروحى يأتى الى الله طالبا قوة الله ، وعنـــدما يعترف الانسان بعدم قدرته على مواجهة الحياة بمفرده ، يركع على ركبتيه أمام رب الحياة كلها وعندما يشعر الانســـان بخطيته ، يتأكـــد من حاجته للمخلص ولغفران الله . توجد خطية أساسية فى الحياة ، تنبع منهـــــا جميع الخطايا الأخرى ، وتلك الخطية هى نسيان أن الله خالقنا وأننا من عمل يديه .

فعندما يحس الانسان بأنه مخلوق فانه عندئذ يدرك عجزه ، فيذهب الى النبع الذى يملأ هذا العجز .

وباعتماد الانسان على قوة الله ، يمكنه مواجهة الحياة والانتصار لانه لا يواجه العالم بقـــوته . ولكن طالما أن الانسان يعتبر نفسه مستقلا عن الله ، فانه يسير فى طريق الانهيار والهزيمة ان آجلا أو عاجلا .

خطية ادانة الآخرين

لاَ يَذُمُّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ . الَّذِي يَذُمُّ أَخَاهُ وَيَدِينُ أَخَاهُ يَذُمُّ النَّامُوسَ وَيَدِينُ النَّامُوسَ . وَإِنْ كُنْتَ تَدِينُ النَّامُوسَ فَلَسْتَ عَامِلاً بِالنَّامُوسِ بَلْ دَيَّاناً لَهُ . وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ . فَمَنْ أَنْتَ يَامَنْ تَدِينُ غَيْرَكَ .

(٤ : ١١ و ١٢)

ان ذم الآخرين ، والتكلم بالشر عليهم ، مرادف للفعـــل اليـــونانى Katalalein وهو يعنى التكلم بالشر على شخص آخر فى غيابه ، وانتقاده واهانته وتجريح سمعته عندما لا يكون موجودا ليدافع عن نفسه . وخطية التشهير والتكلم بالشر على الآخرين خطية يندد بها الكتاب المقدس تنـديدا بالغا . فيقول المرنم عن الرجل الشرير : « تجلس تتكلم على أخيك . لابن أمك تضع معثرة » . (مزمور ٥٠ : ٢٠) ، ويقول الله على لسان المرنم : « الذى يغتاب صاحبه سرا هذا اقطعه » . (مزمور ١٠١ : ٥) . ونجـــد بولس يدرج خطية الاغتياب أو النميمة ضمن قائمة الشرور التى استشرت فى العالم الوثنى القديم . (رومية ١ : ٣٠) وهى من ضمن الخطايا التى ذكر بولس أيضا أنه يخاف أن يجدها فى كنيسة كورنثوس (٢ كورنثوس ١٢ : ٢٠) ، والنميمة هى خطية أولئك الذين يتقابلون على نواصى الشوارع ليتبادلوا الهمز واللمز ويجرحوا سمعة الآخرين ، ويغتابوهم ويذكر بطرس نفس الخطيـــة المترجمة « مذمة » ويهاجمها (١ بطرس ٢ : ١) ، ولذلك نجد أن تلك الخطية تلقى هجوما شاملا . ولا بد من التحذير الخطير بشأنها فان الناس لا تدرك أن تلك الخطية من الخطايا التى يهاجمها الكتاب بلا هوادة . والانسان العادى يجد متعة فى التسلى بتلك الأحاديث المغـــرضة ، فهو يستمع ويشترك فى التحدث عن قصة يذم فيها شخصا بارزا مثلا . ومعظم الناس كذلك تجـــد

اغراء كبيرا فى مزاولة هذا النشـــــاط الخبيث ويجـــدر بنا أن نعرف ما يقوله الله بخصوص تلك الخطية . ان يعقوب يهاجم تلك الخطية لسببين رئيسيين :

١ ــ ان هذه الخطية كسر للناموس . فالناموس الملوكى يطالبنا بأن نحب اقرباءنا كأنفسنا (يعقـــوب ٢ : ٨ ، لاويين ١٩ : ١٨) وواضح أنه لا يمكن لشخص يحب قريبه أن يتكلم بالشر عنه دائما ابدا ، واذا كسر شخص الناموس وهو يعلم أنه يخالف الناموس ، فانه يضع نفسه فوق الناموس . اى أنه يجعل من نفسه (ديانا) للناموس . فهو بذلك يحكم على الناموس ويجعل ارادته فوق الناموس . ولكن واجب الانسان لا أن يدين الناموس بل ان يطيع الناموس . فالذى يتكلم بالشر على جاره ، فانه يجعل من نفسه ديانا للناموس ، ويبيح لنفسه حق كسر الناموس ؛ ولذلك فهو مدان .

٢ ــ انها أيضا التعدى على حقوق ومقدسات الله . فالتكلم بالشر على أحد وانتقاده ومذمته يعنى أننا ندينه ونصـــدر حكمنا عليه . وليس لأى شخص الحق أن يدين أى انسان آخر ، فحق الدينونه خاص بالله وحده

فالله وحده هو القادر أن ينقذ وأن يهلك . وأننا نجد ذلك الحق واضحا فى الكتاب . فالله يقول : « أنا أميت وأحيى » . (تثنية ٣٢ : ٣٩) ، وتقول حنه فى صلاتها . « الرب يميت ويحيى » (١ صموئيل ٢ : ٦) ، وصرخ ملك اسرائيل فزعا عندما جاءه (نعمان) يطلب شفاءه من البرص فقال له : « هل انا الله لكى اميت وأحيى » . (٢ ملوك ٥ : ٧) ، ويحضنا يسوع بالا نخشى الناس الذين يستطيعون أن يقتلوا الجسد فقط ، بل نخاف الله الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد (متى ١٠ : ٢٨) ، والمرنم يصرح بأن الله وحده عنده مخارج الموت والحياة (مزمور ٦٨ : ٢٠) .

فأن ندين الآخرين يعنى أننا ندعى لأنفسنا ما يستطيع الله وحده أن يعمله ، ومن ذا الذى يجرؤ على أن ينتهك مقدسات الله ؟!

قد نقول ان من يتكلم بالشر على جاره فانه لا يرتكب خطيئة شنيعة . ولكن الكتاب يقول انها من أشنع الخطايا لأنها تحد للناموس الملوكى وامتهان لحقوق الله .

اتكال كاذب

هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا القَائِلُونَ نَذْهَبُ اليَوْمَ أَوْ غَداً إِلَى هٰذِهِ المَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ . أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الغَدِ . لِأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ . إِنَّهَا بُخَارٌ يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ . عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هٰذَا أَوْ ذَاكَ . وَأَمَّا الآنَ فَإِنَّكُمْ تَفْتَخِرُونَ فِي تَعَظُّمِكُمْ . كُلُّ افْتِخَارٍ مِثْلُ هٰذَا رَدِيءٌ . فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَناً وَلاَ يَعْمَلُ فَذٰلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ .

(٤ : ١٣ — ١٧).

يستخدم يعقوب هنـــا صورة مألوفة لدى سامعيه . فكان اليهود من أعظم تجار العالم القديم ، وقد أمدهم العالم قديما بالفرصة السانحة لابراز مهارتهم التجارية . فقد كان ذلك العصر عصر تأسيس المدن ، وكان مؤسسو المدن يبحثون عن مواطنين ليقطنوا فيها فكانوا يمنحون حق سكنى تلك المدن لليهود مجانا ، لأنهم كانوا تجارا مهرة . ولذلك فالصورة التى أمامنا تمثل شخصا أمامه خريطة ، ثم يضع أصبعه على مكان معين على الخريطة ويقول :

« توجد هنا مدينة جديدة بها فرصاً ممتازة للتجارة والربح سوف اذهب اليها واحصل على قطعـــة ارض بها واتاجر هنـــاك لمدة سنة أو اكثر واغنم مالا وفيرا ، واعود بما كسبت من مال » . ويرد يعقوب على ذلك بأنه ليس من حق أى انسان أن يثق بالمستقبل وبما يرسمه من خطط لهذا الحد ، لأنه لا يعرف أحد ما يلده اليوم . فالانسان يفكر ، ولكن الله هو الذى يدبر لأن المستقبل فى يد الله .

ان عدم ضمان المستقبل حقيقة مؤكدة لدى الناس فى جميع الأمم .

فقد كتب الحكيم العبرانى قائلا : « لا تفتخر بالغد لأنك لا تعلم ما يلده لك اليوم » . (أمثال ٢٧ : ١) .

وضرب يسوع مثلا عن الغنى الغبى ، الذى جمع ثروته ، وكان يرسم الخطط للمستقبل ، ونسى أنه فى تلك الليلة نفسه قد تطلب منه (لوقا ١٢ : ١٦ — ٢١) ، وكتب ابن سيراخ يقول : « وفى النـــاس من يغتنى بامساكه وشحه . وهذا كل نصيبه . ففيما يقول : قد وجدت لى راحة والآن آكل من خيراتى دائما ، وما علم أن الزمان ماض فيخلف هذه جميعها لغيره ويموت » . (حكمة يشوع ١١ : ١٨ و ١٩) .

وقال (سينكا) : « كم من الغباء للانسان أن يرسم الخطط لحياته ، وحتى الغد ليس تحت سلطانه » وقال أيضا : « ليس الغد ضمن الأصدقاء الذين يمكن للانسان أن يتفق معهم على موعد » . وكان هناك مثل شائع عند معلمى اليهود يقول : « لا تهتم بالغد ، لأنك لا تعلم ما يلده لك اليوم . فقد لا تجد الغد » .

كان السير جميس بارى يرفـض أن يعقد أى اتفاق للستقبل البعيد فكان يقول دائما : « الآن فقط » .

ولكن عدم يقينية الحيـاة ليست سببا فى أن نخاف او نكف عن العمل لأن المستقبل غير مضمون ، بل أن نعتمد على الله اعتمـاداً تاماً . فالشخص الحكيم هو الذى يرسم كل خططه معتمدا على الله . فبولس يكتب الى أهل كورنثوس قائلا : « ولـكنى سآتى اليـكم سريعا ان شـاء الرب » . (١ كورنثوس ٤ : ١٩) ويقول أيضا : « لأنى أرجو أن أمكث عندكم زمانا ان أذن الرب » . (١ كورنثوس ١٦ : ٧) .

ويكتب اكسينوفن « Xenophon » قائلا : « قد يتسائل بعضهم بخصوص تلك العبارة ، لتكن الأمور هكذا ان شاءت الآلهة » ، فمن يتساءل عن ذلك ليعلم أنه لو مر فى مخاطرات الحياة لما تعجب من هذا التعبير .

ويدور افلاطون حديثا دار بين سقراط والكيبيادس « Alcibiades » يقول الكيبيادس : « سافعل هكذا اذا شئت يا سقراط » ، ويجيب سقراط : « يا الكيبيادس ، لا يصح أن تتكلم هكذا » . انك يجب أن تقول : « اذا اراد الله » .

ويكتب مينوكيوس فيلكس « Minucuis Felics » : « ان التعبير حسب ارادة الله » تعبير مألوف يخرج عفو الخاطر على لسان عامة الشعب . ويقول العرب دائما التعبير « ان شاء الله » ، والغريب انه ليس لدى اليهود تعبير مرادف ولذا فان يعقوب يلفت نظرهم الى ذلك .

ان المسيحية لا تعلمنا أن نخاف ونرتعب ، ونكف عن العمل لأن المستقبل غير مضمون ، بل أن نستودع المستقبل فى يد الله ، ولنتذكر دائماً أن خططنا وآمالنا قد لا تجد مكانا فى البرنامج الالهى .

والشخص الذى لا يضع ذلك نصب عينيه ، يقع فى خطية الافتخار الكاذب والكلمة اليونانية لذلك هى« alayoneia » وهى صفة تطلق على الدجال المتجول ، فهو يجرى علاجا غير ناجح ، ويفتخر بقدرته على عمل اشياء لايستطيع أن يعملها. ولذلك فان الكلمة تعبر عن الشخص الذى يدعى لنفسه اشياء لا يمتلكها ، ويفتخر بما لا يستطيع عمله .

فالمستقبل ليس فى ايدى البشر ، ولا يستطيع اى انسان أن يدعى أن له القدرة على السيطرة عليه لتسير الأمور على هواه . ولذا فان يعقوب يقدم تحذيرا فهو يقول انه اذا علم شخص أنه يفعل شيئا خاطئا ، واستمر فى ادائه ، فان ذلك خطية له . وكأنى به يقول : « لقد حذرتكم . والآن الحقيقة ماثلة امام أعينكم » . فمن يستمر فى عادة الافتخار الكاذب بتدبيرات الغد التى يرسمها لنفسه ، فانه يعمل خطية ، لأنه من الواضح امامه أن المستقبل ليس فى يديه ، ولكنه بين يدى الله .

الاصحاح الخامس

عدم جدوى الغنى

هَلُمَّ الآنَ أَيُّها الأَغْنِيَاءِ ابْكُوا مُوَلْوِلِينَ عَلَى شَقَاوَتِكُمُ القَادِمَةِ . غِنَاكُمْ قَدْ تَهَرَّأَ وَثِيَابُكُمْ قَدْ أَكَلَهَا العُثُّ . ذَهَبُكُمْ وَفِضَّتُكُمْ قَدْ صَدِئَا وَصَدَأُهُمَا يَكُونُ شَهَادَةً عَلَيْكُمْ وَيَأْكُلُ لُحُومَكُمْ كَنَارٍ. قَدْ كَنَزْتُمْ فِى الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ .

(٥ : ١ ـــ ٣)

فى الستة اعداد الأولى من هذا الاصحاح يهدف يعقوب الى مقصدين : الاول ، أن يرى عدم جدوى كل الثروة الأرضية . والثانى ، أن يبين فساد الاغنياء . وبذلك فانه يهدف الى أن يمنع من يخاطبهم من وضع كل أمانيهم وآمالهم فى الاشياء المادية الأرضية .

انه يقول للأغنياء لو علمتم ما تفعلونه ، لكنتم تبكون وتولولون من أجل الدينونة الآتية عليكم عند مجئ يوم الرب .

والصورة تزداد ايضاحا عندما نفهم الكلمة التى يستخدمها يعقوب للتعبير عن كلمة « مولولين » ، والفعل باليونانية لذلك هو ololugein » وهو من الكلمات التى تحمل معناها من وقعها على الآذان . فالكلمة تعنى أكثر من الولولة ، انها تعنى الصراخ الذى يبح الصوت ، وقد ترجمت فى العهد القديم بمعنى « الصراخ بصوت أجوف يشبه صوت الذئاب والكلاب » ، وقد وردت الكلمة فى الطبعة العربية للكتاب بمعنى « يولول » أيضا ، وذلك للتعبير عن الرعب الذى يسيطر على أولئك الذين جاء عليهم قضاء الله

(اشعياء ١٣ : ٦ ، ١٤ : ٣١ ، ١٥ : ٢و٣ ، ١٦ : ٧ ، ٢٣ : ١و١٤ ، ٦٥: ١٤ ، عاموس ٨ : ٣) . ويمكننا أن نقول ان الكلمة تصف حالة أولئك الذين يعانون آلام المصير التعس .

والكلمات فى هذه الفقرة واضحة معبرة ، وقد أحسن الرسول اختيارها . كان يوجد فى الشرق ثلاثة مصادر للثروة ، وقد عبر يعقوب عن فساد كل مصدر منها بكلمة خاصة . فالقمح والحبوب عبر فسادها بكلمة (تهرأ) ، والثياب وكانت تعتبر ضمن مصادر الثروة فى الشرق . فيوسف أعطى اخوته حلل ثياب (تكوين ٤٥ : ٢٢) ، وجلب عاخان الشر على امتــه والموت له ولبيته من أجل رداء شــــنعارى نفيس (يشوع ٧ : ٢١) ، ووعد شمشون باعطاء حلل ثياب لمن يستطيع أن يحل لغزه (قضاة ١٤ : ١٢) ، واخذ نعمان معه حلل ثياب الى بنى اسرائيل ، ولصق البرص بجيحزى من أجل الثياب (٢ ملوك ٥ : ٥ ـــ ٢٢) ، وقال بولس انه لم يشته فضة أو ذهب أو لباس أحد (أعمال ٢٠ : ٣٣) . وتلك الثياب الفاخرة سيأكلها العث (متى ٦: ١٩).

ففساد العالم آت لا ريب فيه فى النهاية . وحتى الذهب والفضة سوف يصدآن . لنلاحظ أن الذهب والفضة لا يصدآن أبدا ، ولذا فان يعقوب يحذر الناس تحذيرا قويا ، بأنه حتى الأشياء الثمينة الغير قابلة للفساد هى الأخرى سوف تلقى نفس المصير ، وسوف تتعرض للفساد والتحلل . وهذا الصدأ دليل على عدم دوام أو نفع كل متاع أرضى . انه تحذير مخيف . لأن الرغبة فى تملك هذه الأشياء تشبه سرطانا مخيفـــا يأكل أجساد الناس ، ويفنى أنفسهم . ثم نجد بعد ذلك تهكما صارخا : « قد كنزتم فى الأيام الأخيرة » ، فالكنز الوحيد الذى يمتلكه الشخص الذى كل همه جمع المال ، عبارة عن نار آكلة تفنيه . ان يعقوب يعتقد ان اهتمـــام الناس البــــالغ بالاشـــياء المادية لا يعنى فقط الاتكال على سراب ووهم خادع ، بل يعنى أيضا الهلاك والموت الزؤام .

التعاطف الاجتماعى فى الكتاب

وحتى من يقرأ الكتاب المقدس بدون امعان لابد أن يتأثر بتركيز الكتاب على مظاهر البؤس الاجتماعى . يقول افلاطون : ان حربا اهلية تنشب فى

كل مدينة ، تلك الحرب الأزليـــة بين الأغنيـــاء والفقراء ، بين من يملكون شيئا ومن لا يملكون . لا يوجد كتاب يدين الثراء القائم على الأنانية المفرطة كالكتاب المقدس . يدعو « ج . ا ماكفادين » سفر عاموس بأنه « استصراخ للعدالة الاجتماعية » فعـــاموس يهاجم أولئك « الذين يخزنون الظـــلم والاغتصاب فى قصورهم » (عامود ٣ : ١٠) ، « وأولئك الـــذين يدوسون المسكين ويأخـــذون منه هدية قمح ، الذين بنوا بيوتا من حجارة منحـــوتة ولا يسكنون فيها » (عاموس ٥ : ١١) ، ثم نراه أيضا يكيل جام غضبه على الذين « يعوجون موازين الغش » ، الذين يشترون الضعفاء بفضة والبائس بنعلين، والذين يبيعون نفاية القمح للفقراء » (عاموس ٨:٤ــ٧)،أن الله يقول انه « لن ينسى الى الأبد كل أعمالهم » . ويحذر اشـــعياء « أولئك الذين يصلون بيتا ببيت وحقلا بحقل » (اشـــعياء ٥ : ٨) ويقول الحكيم ان من « يتكل على غناه يسقط » (أمثال ١١ : ٢٨) ، وينقل لوقا فى العهد الجديد عن المسيح قوله : « ويل لكم أيها الأغنياء » (لوقا ٦ : ٢٤) ، وأنه « ما أعسر دخول ذوى الأموال الى ملكوت الله » . (لوقا ١٨ : ٢٤) .

« فالغنى تجربة وفخ ، والأغنياء معرضون لشهوات مضرة تغرقهم فى العطب والهلاك ، لأن محبـــة المـــال أصل لكل الشرور » (١ تيموثاوس ٦ : ٩ و ١٠) .

وفى أدب ما بين العهدين (القـــديم والجديد) ، نجد نفس النبرة .. « ويل لكم يا من تكنزون الفضة والذهب ظلما ... انهم سيهلكون بمـــا اقتنت أيديهم وستلقى أرواحهم معهم فى أتون النـــار ... (أخنوخ ٩٧ : ٨) . وفى سفر حكمة سليمان توجد فقرة تبين وحشية أولئك الأغنياء الذين يعقدون مقارنة بين طرقهم وطرق الأبرار .

« فهلم اذا نتمتع بالخيرات الموجودة ونستعمل الملذات فى البرية ما دام زمن الشباب . فنمتلىء من الخمر الفائقة والأطـــياب ولا يفوتنا نسيم زهر الربيع . نتكلل ببراعم الورد قبل ذبوله ولا يكون مرج لا يجوز عليه تنعمنا . لا يكونن أحدنا غير مشارك تنعمه وتخلف فى كل صقع سمات الفرح ، فـــان هذا حظنا وهذا هو نصيبنا . ولنتجبرن على الفقير ولا نشـــفق على الأرملة ولا نستحى من شيبة الشيوخ ... ونكمن للعادل لأنه غير نافع لنا ويقاوم

اعمالنا ويعيرنا بعصياننا الشريعة ويشرح لنا جـرائم سيرتنا » . حكـمة سليمان ٢ : ٦ ـــ ١٢) من الأمور الغامضة اعتبار الدين ، او قل الدين المسيحى على الاقل ، « افيون الشعوب » ، أو اعتباره لا صلة ! لا بالعالم الآخر وانه لا يهتم بهذا العالم ، بل يهتم فقط بالعالم الآتى . مع انه لا يوجد فى اى ادب يتحدث بمثل ما يتحدث به الكتاب المقدس عن الفساد الاجتماعى والظلم الاجتماعى ، ولا يوجد اى كتاب آخر يعلم بصراحة ووضوح بما يعلم به الكتاب المقـدس من ان البون الشاسع بين الثراء الفاحش والفقر المدقع يعتبر تعديا صارخا على شريعة الله ومخالفة لارادته . ولا يوجد أى كتاب آخر يتحدى الاوضاع الجائرة فى المجتمع بقوة مثل الكتاب المقدس . والكتاب لا يدين الثراء من حيث انه ثراء ، ولكنه يؤكد بقوة عظم المسئولية الملقاة على الشخص الثرى ، ويتحدث عن الأخطار التى تحدق بالشخص الذى يحوز من متاع الدنيا الكثير ، كما لا يفعل كتاب آخر .

طريق الانانية ونهايته

هُوَذَا أُجْرَةُ الْفَعَلَةِ الَّذِينَ حَصَدُوا حُقُولَكُمُ الْمَبْخُوسَةُ مِنْكُمْ تَصْرُخُ وَصِيَاحُ الْحَصَّادِينَ قَدْ دَخَلَ إِلَى أُذْنَيْ رَبِّ الْجُنُودِ . قَدْ تَرَفَّهْتُمْ عَلَى الأَرْضِ وَتَنَعَّمْتُمْ وَرَبَّيْتُمْ قُلُوبَكُمْ كَمَا فِي يَوْمِ الذَّبْحِ . حَكَمْتُمْ عَلَى الْبَارِّ . قَتَلْتُمُوهُ . لاَ يُقَاوِمُكُمْ .

(٥ : ٤ ـــ ٦)

نجد هنا هجوما على طرق الاغنياء الأنانيين التى يسلكونها ، وتحذيرا بشأن نهايتها .

١ ـــ فالغنى الانانى قد جمع ثروته بالظلم . والكتاب يؤكد دائما أن الفاعل مستحق أجرته (لوقا ١٠ : ٧ ، ١ تيموثاوس ٥ : ١٨) .

لقد كان الاجير اليومى فى فلسطين يعيش على شفــا الجوع ، وكان اجره صغيرا ، وكان يستحيل عليه أن يوفر أى شىء ، فلو حرم من أجره يوماً

واحداً فقط ، فانه لا يجد قوت أسرته . ولذا فقوانين الكتاب المقدس الرحيمة تصر على ضرورة دفع الأجـور للفعلة المأجورين . « لا تظلم اجيرا مسكينا وفقيرا ... فى يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس لأنه فقير واليهـا حامل نفسه لئلا يصرخ عليك الى الرب فتكون عليك خطية » . (تثنية ٢٤ : ١٤ و ١٥) « لا تبت أجرة اجير عندك الى الغد » . (لاويين ١٩ : ١٣) ، « لا تقل لصاحبك اذهب وعد فأعطيك غدا وموجود عندك » (أمثال ٣ : ٢٨) ويل لمن يبنى بيته بغير عدل وعلاليه بغير حق الذى يسـتخدم صاحبه مجانا ولا يعطيه اجرته » . (ارميا ٢٢ : ١٣) ، ان « السالبين أجرة الأجير » يقعون تحت دينونة الله . (ملاخى ٣ : ٥) ، « من يأخذ تعب صاحبه ، خبزه بعرق جبينه ، يقضى عليه ، ومن يعير اجيرا بأجرته يعير خالقه ، وينال جزاء مرا لانه اخ لسفاك الدم » (حكمة يشوع ٣٤ : ٢٢) ، « أعط اجرة العامل فى وقته ، ولا تبق أجرة أجيرك عندك البتة » . (طوبيت ٤ : ١٥) .

ان ناموس الكتاب ميثاق للأجير ، وان الاهتمام بالتـكافؤ الاجتماعى يبدو واضحا فى كلمات الناموس والأنبياء والحكماء .

يقـول الكتاب ان صراخ الذين لم ينالوا أجرتهم قد صعد الى أذنى رب الجنود،والجنود هم جنود السماء ، والنجوم والقوى السماوية.وأنتعليم الكتاب ينادى أن رب الكون ، الممسك النجوم بيمينه ، والذى يأمر الملائكة ، يهتم بحقوق العامل الأجير .

٢ ــ ان الأغنيـاء الأنـانيـين قـد استخـدموا ثروتهم بروح الانانية . انهم يعيشون فى رفاهية ونعيم . والكلمة المترجمة « ترفهتم » هى « Truphein » ، وتلك الكلمة يعود أصلها الى كلمة تعنى « ينهار » ، وهى تعنى حياة الرفاهية التى تؤدى فى النهاية الى القضاء على الجانب الأخلاقى فى الانسان والى انهياره ، انها نصف تلك الرفاهية التى تكون نهايتها القضاء على القوة الجسدية والروحية للانسان . والكلمة المترجمة « تنعمتم » هى « Spatalan » ، وهى تعنى عيشة الشر والملذات والتنعم .

ان ذلك يدين الأغنياء الأنانيين الذين استغـلوا كل مقتنياتهم فى تلذذ

انفسهم فى الجرى وراء المتعة لاشباع شهوانهم ونسيانهم كل شيء عن واجبهم نحو الآخرين »

٣ — ولكن كل من يختار هذا الطريق لنفسه ، طريق التنعم والرفاهية، قد اختار أيضا نهاية تلك الطريق . فنهاية الغنم التى تسمن هى الذبح ليوم العيد ، والذين يجدون فى السعى وراء الرفاهية والتنعم القائم على الانانية يسمنون أنفسهم ليوم الدينونة . فنهاية مسراتهم الحزن وغاية رفاهيتهم الموت . فالأنانية تقود دائما الى موت النفس .

٤ — أخيرا ، يقول يعقوب عنهم انهم قد قتلوا البار الذى لم يقاومهم . الى من تشير الآية ؟ قد تكون اشارة الى المسيح . « أنتم أنكرتم القدوس البار dikaios » وهى نفس كلمة « بار » وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل » (أعمال ٣ : ١٤) ، وقد هاجم اسطفانوس اليهود لانهم دائما كانوا يقتلون أنبياء الله الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار (أعمال ٧ : ٢٥) وقد أعلن بولس أن الله قد اختار اليهود لتبصر البار مع أنهم رفضوه (أعمال ٢٢:١٤) ، ويقول بطرس ان المسيح تألم من أجل خطايانا ، البار من أجل الأثمة (١ بطرس ٣ : ١٨) ، وعبد الرب لم يقاوم ، ولم يفتح فاه ، كنعجة صامتة أمام جازيها . (اشعياء ٥٣ : ٧) ، ويقتبس بطرس نفس الفقرة فى تصويره ليسوع (١ بطرس ٢ : ٢٣) ، ويجدر بنا أن نقول ان يعقوب يصرح بأن الأغنياء الأنانيين بظلمهم للفقير والبار يصلبون المسيح ثانية ، وأن كل جرح يصاب به شعب المسيح من جرائهم هو جرح آخر فى جسد المسيح . فالذين يعيشون عيشة الأنانية يطعنون المسيح ثانية .

من الجائز أن يعقوب لم يكن يفكر فى المسيح حين تحدث عن الرجل البار ، ولكنه لابد كان يفكر فى كراهية الشخص الشرير الفطرية للرجل البار . لقد سبق أن استشهدنا بفقرة وردت فى سفر حكمة يشوع عن سلوك الأغنياء . ونورد هنا بقية تلك الفقرة : « ويخبر (البار) أن له معرفة الله ويسمى ذاته ابن الله . وقد صار لنا تعبيرا لخواطرنا ونظرنا اليه ثقيل علينا . لأن عيشته غير مضاهية سيرة الآخرين ومسالكه مختلفة . حسبنا عنده للنذالة فابتعد عن طرقنا كمن يبتعد من النجاسات يطوب أواخر الأبرار

ويفتخر أن الله ابوه . فلننظرن ان كانت أقواله حقيقة ونختبر ما يكون له فنعرف أواخره . فان كان هو ابن الله الحقيقى فسينصره وينقذه من أيدى الذين يقاومونه ، ولنستفحصه بالشتم والعذاب لنعرف دعته ولنختبرن احتماله السوء . ولنحكمن عليه بموت شنيع فان مراقبته ستكون من أقواله » . (حكمة سليمان ٢ : ١٣ — ٢٠) .

يقول الحكيم : « ان تلك أقوال الذين أعماهم شرهم » .

كان الكيبيادس صديقا لسقراط ، وكان بسبب ما حباه الله من مواهب عديدة يحيا حياة المجون والخلاعة والاستهتار ، وكان يقول لسقراط احيانا ، « يا سقراط ، انى اكرهك ، لأنى كلما رأيتك رأيت نفسى على حقيقتها » . ان الشخص الشرير يود لو تخلص من الرجل البار ، لأنه يذكره بحقيقته وما يجب ان يكون عليه .

انتظار مجىء الرب

فَتَأَنَّوْا أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلاَّحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الأَرْضِ الثَّمِينَ مُتَأَنِّياً عَلَيْهِ حَتَّى يَنَالَ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ . فَتَأَنَّوْا أَنْتُمْ وَثَبِّتُوا قُلُوبَكُمْ لأَنَّ مَجِيءَ الرَّبِّ قَدِ اقْتَرَبَ . لاَ يَئِنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَيُّهَا الإِخْوَةُ لِئَلاَّ تُدَانُوا . هُوَذَا الدَّيَّانُ وَاقِفٌ قُدَّامَ الْبَابِ .

(٥ : ٧ — ٩)

كانت الكنيسة الأولى تتوقع المجىء الثانى للمسيح فى عصرها ، وكان يعقوب يناشد شعبه أن ينتظروا بصبر مدة السنين القليلة الباقية . فالفلاح لابد ان ينتظر محصوله حتى يسقط المطر المبكر والمتأخر . والكتاب يتحدث كثيرا عن المطر المبكر والمتأخر لأنه فى غاية الاهمية بالنسبة للفلاح فى فلسطين . (تثنية ١١ : ١٤ ، ارميا ٥ : ٢٤ ، يوئيل ٢ : ٢٣) ، كان المطر المبكر ينزل فى أواخر اكتوبر وأوائل نوفمبر ، وبدونه لا تنمو البذور التى

زرعت . والمطر المتأخر هو المطر الذى ينزل فى أبريل ومايو ، وبدونه لا تنضج الحبوب . وكان الفلاح يحتاج للصبر ، حتى تفعل الطبيعة عملها ، والمسيحى بالمثل يحتـــاج للصبر حتى يأتى المسيح . ويجب على المسيحيين أن يدعموا ايمانهم أثناء انتظارهم لمجىء المسيح ، فلا يصح عليهم أن يلوموا الواحـــد الآخر بسبب المتاعب التى يلاقونها وهم فى موقف المنتظر للمجىء ، لانهم ان عملوا ذلك . فانهم يكسرون الوصية التى تحـرم على المسيحيين أن يدينوا بعضهم بعضا (متى ٧ : ١) ، وان كسروا تـلك الوصية فانهم يدانون . كان يعقوب لا يشك فى قرب مجىء المســيح . فهو يقـول ان الديان واقف بالباب ، وهى نفس العبارة التى استخدمها يسوع نفسه (مرقس ١٣ : ٢٩ ، متى ٢٤ : ٣٣) .

لقد حدث أن الكنيسة الأولى كانت مخطئة ، ولم يأت المسيح فى مدى جيل من الزمان . ولكن لنورد هنا تعليم العهد الجـــديد بخصوص المجىء الثانى حتى نعرف الحقائق الأساسية فى جوهر هذا التعليم ، هذا وانه من الممتع لنا ان نعرف ذلك .

لنلاحظ اولا أن العهد الجديد يستخدم ثلاث كلمات ليصف المجىء الثانى للمسيح .

١ ــ الكلمة الشائعة لذلك هى كلمة « Parousia » ، وهى كلمة قـد ادخلت اللغة الانجليزية كما هى وهى مستعملة فى (متى ٢٤:٣و٢٧و٣٧و٣٩، ١ تسالونيكى ٢ : ١٩ ، ٣ : ١٣ ، ٤ : ١٥ ، ٥ : ٢٣ ، ٢ تسالونيكى ٢ : ١ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٢٣ ، ١ يوحنا ٢ : ٢٨ ، ٢ بطرس ١ : ١٦ ، ٣ : ٤) .

وفى اللغة اليونانية الشائعة الاستعمال نجد أن تلك الكلمة تعبر عن حضور شخص أو وصوله . ولكن للكلمة استعمالين آخرين ، احدهما أصبح تعبيرا فنيا ، فهو يطلق على غزو جيش لبلد ما ، كما يطلق بنوع خاص على زيارة ملك أو حاكم الى مقاطعة من مملكته أو امبراطوريته . ولذلك فعندما تستخدم تلك الكلمة بصـــدد المسيح ، فان ذلك يعنى أن « Parousia » « المجىء الثانى » ليسوع هو آخر غزو للأرض من السماء ، ومجىء الملك لتقبل عبادة وخضوع رعيته .

٢ — والعهد الجديد يستخدم أيضا كلمة (odiphaneia) للتعبير عن المجيء الثـــــانى للمسيح . (تيطس ٢ : ١٣ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١ ، ٢، تسالونيكى ٢ : ٩) وفى اللغة اليونانية المستعملة ؛ نجد أن تلك الكلمة لهـــا استعمالين خاصين . انها تستعمل للتعبير عن ظهور اله لأحد عابديه ، كما تستعمل للتعبير عن وصول امبراطور الى مركز القوة فى روما . ولذا فعندما تستخدم تلك الكلـــمة بصدد المسيح فانهـــا تعـــنى ان « epiphaneia » « مجيئه الثانى » ، هو ظهور الله لشـــعبه ، لمن ينتظرونه فى تعبد ، ولمن يعصونه ويحتقرونه ، وهى تعنى أيضا جلوس الله على عرش الكون واضعا آخر عدو تحت قدميه .

٣— ويستعمل العهد الجديد أيضا كلمة apokalupsis للتعبير عن مجيء المسيح الثانى (١ بطرس ١ : ٧ و ١٣) . وكلمة apokalupsis فى اليونانية المستعملة تعنى كشف النقاب أو اظهار الحقيقة عارية ، وعندما تستخدم تلك الكلمة للتعبير عن المجيء الثانى فانها تعنى أن المجيء هو اعلان واظهار حقيقة مجد وقوة الله للناس .

فأمامنا الآن اذن ثلاث صور رائعـــــة . فالمجيء الثانى للمسيح يعنى وصول الملك ، ويعنى ظهور الله لشعبه واعتلائه عرشه الأبدى ، يعنى أيضا اعلان الله مجد قوته السماوية للعالم .

مجيء الملك

والآن لنوضح باختصار تعليم العهد الجديد عن المجيء الثانى ، وعن كل ما جاء به بخصوص ذلك .

١ — العهد الجديد يبين بوضوح أنه ليس لانسان ما أن يعرف اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها المسيح . فمعرفة ذلك الوقت سر قاصر على الله والله وحده ؛ فحتى يسوع نفسه لم يعرفه (متى ٢٤ : ٣٦ ، مرقس ١٣ :٣٢) ويتضح من هذه الحقيقة الجوهرية شيء هام . فالخيالات البشرية بتحديد ميعاد مجيء المسيح الثانى لا لزوم لها ،وهى تعد تجديفا، لأنه ليس من حق انسان أن يعرف شيئا مخفيا على المسيح نفسه ، ولا يعرفه غير الله .

٢ — يوضح العهد الجديد ان المجيء الثانى سيكون فجائيا كالبرق ، وغير متوقع كلص فى الليـــل (متى ٢٤ : ٢٧ و ٣٧ و ٣٩ ، ١ تسالونيكى ٥ : ٢ ، ٢ بطرس ٣ : ١٠) وهو ليس شيئا يمكن للانسان أن يستعد له ساعة حدوثه ، بل يجب أن يستعد مقدما .

وبسبب ذلك ، فالعهد الجديد يفرض عدة واجبات بخصوص المجيء الثانى ، وعلى المؤمنين اتباعها :

١ — أنهم يجب ان يسهروا دائما (١ بطرس ٤ : ٧) : انهم كعبيد ، سافر سيدهم ، ولا يعرفون متى يرجع ، ولكنهم يجب ان يستعدوا لمجيئه لئلا يأتى فى الصباح أو فى الظهر أو فى المساء (متى ٢٤ : ٣٦ — ٥١) .

٢ — طول الانتظار لا يصح أن يولد اليأس أو النسيان (٢بطرس ٣ : ٤) الوقت بالنسبة للناس يختلف عنه بالنسبة لله : فألف سنة عند الله كيـــوم واحد أو كليلة واحدة . والله لا ينسى أو يغير وعده .

٣ — يجب على الناس ان تستغل ما عندها من وقت فى الاســـتعداد لمجيء الملك . انهم يجب أن يتعلقوا (١ بطرس ٤ : ٧) ، ويجب ان يثبتوا فى القداسة (١ تسالونيكى ٣ : ١٣) ، ويجب أن يكونوا بنعمة الله بلا لوم فى الجسد والروح . (١ تسالونيكى ٥ : ٢٣) ، ويجب أن يخلعوا أعمـــال الظلمة ليلبسوا أســـــلحة النور لأنه قد تناهى الليل وتقارب النهـــار (رومية ١٣ : ١١ — ١٤) ، فالناس يجب أن تستخدم ما عندها من وقت لكى يمكنها أن تظهر فى مجيء الملك بلا خجل ، بل فى فرح .

٤ — وعند مجيء المسيح على المؤمنين أن يكونوا فى شركة أخـوية . واذ يتحدث بطرس عن ذلك المجيء الثـــــانى يحث الناس أن تكون محبتهم بعضهم لبعض شديدة (١ بطرس ٤ : ٨ و ٩) . ويأمر بولس ان تصير كل الأمور فى محبة لان الرب (ماران أثا) أى قريب (١ كورنثوس ١٦ : ١٤ و ٢٢).

وهو يقول أيضا ان حلمنا يجب أن يكون معروفا لجميع الناس لأن الرب قريب (فيلبى ٤ : ٥) ، والكلمة الاصلية المترجمـــة « حلم » هى الـكلمة اليونانية « epieikes » وهى تعنى الروح المستعدة للتسامح والصفح بدلا من

طلب تنفيذ العدالة . ويطلب كاتب سفر العبرايين من المؤمنين التعـــاون فى الأعمال الحسنة ، والشركة الاخوية المسيحية ؛ واعظين بعضهم بعضا بقدر ما نرى اليوم يقرب (عبرانيين ١٠ : ٢٤ و ٢٥) . فالعهد الجديد يؤكد انه ازاء مجىء المسيح يجب ان تزداد محبتنا وشركتنا بعضنا مع بعض ؛ وانه لا يصح لأحدنا أن ينام أو تغرب شمس يومه وهو فى خصام مع أخيه لئـــلا يأتى المسيح فى الليل .

٥ ــ ويتخذ يوحنا المجىء الثانى حجة لكى يحض الناس على أن يثبتوا فى المسيح (١ يوحنا ٢ : ٢٨) ، ان اعظم استعداد لمقابلة المسيح بكل تأكيد هو العيشة بالقرب منه كل يوم .

ونحن نعلم جيدا أن كثيرا من الافكار الخيالية المتعلقة بالمجىء الثانى هى من نتاج الفكر اليهودى ، وهى جزء من التقـــاليد اليهودية النابعة من التراث اليهودى . ونعلم ايضا ان هناك أشياء كثيرة لا يمكن أن تقبل حرفيا ، ولا يقصد بها أن تكون كذلك . ولكن الحقيقـــة العظمى وراء كل ما يحيط بالمجى الثانى ، ان هذا العالم ليس عبثا وبدون هدف ، ولكنه يسير نحـــو هدف معين . وأن هناك حادثا الهيا تتحرك الخليقة كلها نحوه .

انتصار الصابرين

خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالاً لِاحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالأَنَاةِ وَالأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِاسْمِ الرَّبِّ . هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ الصَّابِرِينَ . قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ . لأَنَّ الرَّبَّ كَثِيرُ الرَّحْمَـــةِ وَرَأُوفٌ .

(٥ : ١٠ و ١١)

اننا نحس بارتياح عندما نرى الآخرين قد اجتازوا نفس المواقف التى علينا أن نجتازها . ان يعقوب يذكر قارئيه أن الانبيـــاء ورجال الله ما كان يمكنهم أن يقوموا بما قاموا به من أعمال ويؤدوا شهادتهم على الوجه الذى

تمت به لو لم يتحملوا المضايقات بصبر وهو يذكــرهم بما فاه به المسيح ان الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص (متى ٢٤:١٣) ثم يستشهد بمثل أيوب الذى كثيرا ما سمعوا عنه فى المجامع اليهودية . نحن دائمــــا نتحدث عن « صبر » أيوب ، ولكن الصبر كلمة سلبية ، ونحن يمكن أن نعتبر أيوب غير صابر. فعند قراءة مأساة حياته العظمى،نراه غير راض عما جاءعليه،رافضا كل تعزياته أصدقائه التقليدية يتعذب بسبب تفكيره أنهربما يكونالهقدنسيهأو أهمله . وقليلون تكلموا بمثل ما تكلم به أيوب من كلمات عاطفية تفيض ألما وحسرة . ولكن الحقيقة الهامة عن أيوب ، أنه برغم كل تساؤله الذى يعذب كيانه ، وبرغم كل احتجاجه على أصدقائه ، فانه لم يفقد ايمانه فى الله ابدا . « هوذا فى السموات شهيدى وشاهدى فى الأعالى » . (أيوب ١٦ : ١٩) ، « اما أنا فقــد علمت أن وليى حى » (أيوب ١٩ : ٢٥) ، أن سر عظمــة أيوب انه برغم كل ما كان يعذب نفسه ، فانه لم يفقد ايمـــانه أو ثقته بالله أبدا. فثقة أيوب لاتعنى خضوعا سلبيا صامتا. فقد كان أيوب يتساءل ويفكر وأحيانا يتحدى ، ولكن ما انطفأت شعلة الايمان فى قلبه أبدا .

والكلمة التى يستخدمها العهد الجديد عن أيوب هى « Hupouone » وهى كلمة لا تصف الصبر السلبى ، بل الروح الوثابة التى تستطيع أن تواجه تيارات الشك والأسى والكوارث ومع ذلك فلا تهتز بل تخــرج وقد ازداد ايمانها وتضاعف ثقتها . قد يكون هناك ايمـــان لا يشــكو على الاطـــلاق ولا يتساءل ، ولكن أعظم من ذلك الايمـــــان الذى تساور صاحبه أحيـــانا الشكوك والذى تعذبه الأسئلة ــ ولكنه مع ذلك يظل راسخا ثابتا . ان ايمانا كهذا يمكن الانسان من الخروج من التجارب أقوى مما كان ، وأرسخ عقيدة . « وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه » . (أيوب ٤٢ : ١٢) .

قد تمر علينا لحظات فى الحياة نظن فيها أن الله قد تخلى عنا ، ولكن أن تمسكنا بالايمان ، فاننا سندرك فى النهاية أن الله كثير الرحمة .



سخافة وعدم لزوم الأقسام

وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ يَا إِخْوَتِي لاَ تَحْلِفُوا لاَ بِالسَّمَاءِ وَلاَ بِالأَرْضِ وَلاَ بِقَسَمٍ آخَرَ. بَلْ لِتَكُنْ نَعَمْكُمْ نَعَمْ وَلاَكُمْ لاَ لِئَلاَّ تَقَعُوا تَحْتَ دَيْنُونَةٍ .

(٥ : ١٢).

هنا يكرر يعقوب تعليم يسوع نفسه فى العظة على الجبل (متى ٦ : ٣٣ — ٣٧) وقد كان ذلك التعليم أمرا ضروريا فى أيام الكنيسة الأولى . فقديما كانت هناك عادتان ذميمتان .

١ — كان اليهود خاصة يفرقون بين الأقسام ، فهناك أقسام ملزمة ، وأقسام غير ملزمة . والتفرقة ترجع الى أن : أى قسم يذكر فيه اسم الله مباشرة يعتبر قسما ملزما ومحددا ، ولكن أى قسم لا يذكر فيه اسم الله مباشرة ، لا يعتبر ملزما . وكانوا يعللون ذلك بأنه عندما يذكر اسم الله بالتحديد ، فانه بذلك يصبح الله شاهدا على ما قيل ، ولا يعتبر الله شهيدا على أى قول ما لم يذكر اسمه مباشرة . وبناء على ذلك أصبح لدى الناس خبرة فى القاء الأقسام الغير ملزمة . وأصبح نوعا من المهارة والمران أن يكتشف الناس أقساما لا تلزمهم . ويتضح من ذلك أن تثبيت أى شىء بقسم يعتبر أمرا باطلا يدعو للسخرية .

٢ — وقد انتشرت أيضا فى ذلك العصر عادة الاكثار من الأقسام التى لا لزوم لها . وهذا خطأ مبين . لان قيمة الحلف تعتمد أساسا على أنه نادرا ما يستخدم ، فتأثيره يرجع الى ندرة استعماله ؛ ولكن عندما تصبح الأقسام أمرا عاديا فانها تفقد أهميتها واحترامها . ثم أن عادة الاكثار من الأقسام تعد دليلا على انتشار الكذب والخداع والبهتان والتضليل . ففى مجتمع تسوده الامانة ، لا يكون هناك داع للقسم ، ولكن الاقسام تكثر عندما يكثر الشك فى أقوال الناس فيضطرون الى القاء الأقسام . فانتشار الأقسام تعد دليلا على انتشار التضليل .

وقد اتفق الكتاب القدامى فى هذا مع المسيح تمـــاما . فقـــال فيلون : « أن الاكثار من الحلف يولد عادة اتخاذ اسم الله باطلا ، وفساد الأخلاق » فكلما كثرت الاقسام ، كلما قلت قيمتها . وقال معلمو اليهود : » لا تعـــود نفسك على الحلف ، لانك ستحلف باطـــلا ان آجلا او عاجلا » . وكـــان (الاسينيون) يحرمون كل الاقسام ، وقالوا انه اذا كان على الانسان أن يحلف ليقول الحقيقة ، فاننا بذلك نكون قد دمغناه بأنه ليس جديرا بالثقة ، وانه تحت دينونة .

واعتقد عظماء الاغريق ان افضل ضمان لصحة اية عبارة ليس القسم، بل شخصية من تفوه بها ، وانه اذا كنا مثاليين فى أخلاقنا ، فلا يفكر أحد فى أن يطلب منا قسما بل يتأكد اننا نتوخى الحقيقة دائما . والعهد الجـــديد يعلمنا بأن كل كلمة نقولها انما تقال فى حضرة الله . ولذا ، فيجب أن تكون كل كلمة حقيقية ، ويؤكد العهد الجديد أيضا أن المسيحى يجب ان يكون على جانب كبير من الأخلاق العالية حتى لا يطلب منه اى قسم .

كنيسة مهللة

أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَّاتٌ فَلْيُصَلِّ . أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ فَلْيُرَتِّلْ . أَمَرِيضٌ أَحَـــدٌ بَيْنَكُمْ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ . وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ .

(٥ : ١٣ ـــ ١٥)

نجد أمامنا بعض الجوانب المضيئة فى الكنيـــسة الأولى ، فالكنيسة الأولى كانت كنيسة مهللة ، والمسيحيون الاوائل كانوا على استعداد دائما أن يرنموا . وفى وصف بولس لاجتماعات كنيسة كورنثوس ، نجد أن الترنيم كان جزءا أساسيا فى العبادة . (١ كورنثوس ١٤ : ١٥ و ٢٦) ، وعندمـــا

(م ١١ ـــ تفسير العهد الجديد)

يفكر بولس فى نعمة الله للأمم ، يتذكر قول المرنم المفرح : « لذلك أحمدك يارب فى الأمم وأرنم لاسمك » . (رومية ١٥ : ٩ ، قارن مزمور ١٨ : ٤٩) . فالمعروف عن المسيحيين أنهم يكلمون بعضهم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب (افسس ٥ : ١٩) فهم يسبحون عرفانا بالجميل ، وتسكن فيهم كلمة المسيح ، وهم يعلمون وينذرون بعضهم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين فى قلوبهم للرب (كولوسى ٣ : ١٦) ، لقد كان الفرح يغمر قلوب المسيحيين فيفيض على شفاههم فى ترانيم الحمد من أجل رحمة ونعمة الله . ولقد كان العالم الوثنى — ولا يزال — يسوده الحزن والخوف والهم . كتب (ماثيو ارنولد) قصيدته ليصف التذمر والضيق السائدين فى العالم الوثنى يقول :

يسود التأفف والكراهية
للعالم الوثنى الحامد
وتجعل الشهوة مع السأم
من الحياة البشرية جحيما
وترى فى احدى القاعات الفسيحة
الشريف الرومانى يرقد
ينظر بعينين زائغتين
يعمل الولائم ويسكر
ويتوج راسه باكليل من الزهور
وتمر عليه الساعات بطيئة مملة
دون أن يؤدى اى عمل

تلك لمحة من حياة الوثنيين ، وبجانب تلك الصورة المظلمة نجد صورة المسيحى وهو يهلل فرحا . وهذا ما أثر فى يوحنا بنيان عندما سمع السيدات الأربع الفقيرات يتحدثن وهن جالسات عند الباب فى وهج الشمس فقال عنهن : « لقد كن يتحدثن ، وكأن الفرح هو الذى يدفعهن للتحدث » ، وعندما أدرك بيلنى الشهيد Bilney عظة النعمة المبررة للخطاة قال : « ان حصول الخاطىء على النعمة أشبه ببزوغ الفجر فجاة وسط ليل بهيم » ، ويحكى « أركيبالد لانج فليمنج » ، أول أسقف بالقطب الشمالى وأعظم مرسل

رائد هناك ، يحكى قول أحد الصيادين من الاسكيمو له : « قبل أن تحضر الينا كان الطريق مظلمـــا وكنا خائفين ، وأما الآن فنحن لسنا خائفين ، لأن الظلمة قد ولت ، والنور قد عم كل شيء لأننا نسير فى طريق يسوع » .

لقد كانت الكنيسة فى كل العصور ، كنيسة مرنمة. كتب بلنى Pliny حاكم بيثينية الى تراجان امبراطور روما فى سنة ١١١ م ، يخبره عن تلك الطائفة الجديدة من المسيحيين قائلا مما توارد اليه من اخبار « انهم يعتادون على الاجتماع فى يوم معين قبل أن يبزغ النور ، وكانوا يرنمون ترانيم معينـــة للمسيح ، الذين يعتبرونه الله » .

وفى المجمع اليهودى المحافظ ، لا توجد موسيقى ، منذ سقوط أورشليم فى سنة ٧٠ م ، لأنهم عندما يعبدون يتذكرون تلك المأساة ، ولكن فى الكنيسة المسيحية منذ البداية حتى الآن يتعالى صوت موسيقى ترانيم الحمد ، لان المسيحى يتذكر محبة الله اللامتناهية ، ويتمتع بحاضر مجيد .

الشفاء الالهى فى الكنيسة

ولكن هناك صفة أخرى نجدها فى الكنيسة الاولى ، فقد كانت الكنيسة الأولى كنيسة تمتاز بالقدرة على الشفاء ، وقد ورثت الكنيسة ذلك التقليد عن اليهودية . فعندما كان اليهودى يمرض ، كان يفضل الذهاب للمعـــلم أكثر من الطبيب،ويمسحه المعلم بزيت ــ الذى وصفه جالين الطبيب اليونانى بأنه « أعظم كل الأدوية » ــ ثم كان يصلى عليـــه . توجد كنائس قليلة تهتم بالمرض كما كانت تفعل الكنيسة الاولى .

ويكتب جوستن الشهيد بأن جمعا غفيرا من الذين كانت تسكنهم الارواح الشريرة قد تم شفاؤهم على يد المسيحيين ، فى الوقت الذى كان يفشل فيه آخرون فى شفائهم ، وكذلك كانت تنشل جميع العقاقير . وكتب ايرينايوس فى القرن الثانى أن المرضى كان يتم شـــفاؤهم بوضع الأيدى عليهم . وكتب ترتليان فى منتصف القرن الثالث يقـــــول ان الامبراطور الرومانى نفسه الكسندر سيفيرس قد شفى بمسحة بالزيت على يد مسيحى يدعو توورباكيون، وأنه عرفانا بجميله استضافه فى قصره حتى مماته .

من اقدم الكتب الخاصة بنظم الكنيسة كتاب « قوانين هيبوليتوس » الذى يرجع تاريخه الى نهاية القرن الثانى أو بداية القرن الثالث . جاء فى ذلك الكتاب أن الذين عندهم موهبة الشفاء ، كانوا يرسمون كشيوخ ، بعد التأكد من أنهم يمتلكون حقا تلك الموهبة ، وأنها من الله . وتوجد فى نفس الكتاب الصلاة التى كانت ترفع عند تعيين أحد الأساقفة المحليين وتكريسه للخدمة ، ان جزءا من هذه الصلاة يقول : « امنحه يارب القوة ليكسر كل سلاسل قوة الأرواح الشريرة وليشفى كل المرضى ، وليخضع الشيطان سريعا تحت قدميه » .

وفى كتاب « رسائل أكليمندس » نجد الواجبات المفروضة على الشمامسة ومن بينها : « ليقوم شمامسة الكنيسة بمساعدة الأسقف ... ليبحثوا عن مرضى الجسد ، ويلفتوا نظر شيوخ الكنيسة اليهم حتى يزورونهم ويسدوا احتياجاتهم » ، وفى الرسالة الأولى لاكليمندس نجد صلاة الكنيسة هكذا «يارب اشف المرضى ، قو الضعفاء ، أدخل السرور فى قلوب البائسين» هناك لائحة تعد من اقدم لوائح الكنيسة تقول انه يجب على كل كنيسة أن تعين أرملة واحدة على الأقل لتعتنى بالسيدات المريضات .

ولقد ظلت الكنيسة لقرون عديدة تستخدم زيت المسحة كوسيلة لشفاء المرضى ومن الأهمية أن نشير الى أن سر المسحة ، كان يستخدم فى القرون الخوالى كوسيلة لشفاء المرضى وليس كطقس من طقوس الدفن ، كما هو الحال الآن فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . فلم يكن الزيت يستخدم كطقس من طقوس المسحة الأخيرة فى حالة الوفاة ، حتى سنة ٨٥٢ م .

فالكنيسة كانت دائما تعتنى بالمرضى ، وكانت موهبة الشفاء دائما فى الكنيسة ولم يكن الانجيل الاجتماعى شيئا مكملا لرسالة المسيحية ، بل كان من جوهر العقيدة المسيحية .

كنيسة مصلية

اعْتَرِفوا بَعْضُكمْ لبعْض بِالزَّلاَّتِ وَصَلُّوا بَعْضُكمْ لأَجْلِ بَعْض

لِكَىْ تُشْفَوْا . طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا . كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَاناً تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا وَصَلَّى صَلوةً أَنْ لاَ تُمْطِرَ فَلَمْ تُمْطِرْ عَلَى الأَرْضِ ثَلاَثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ صَلَّى أَيْضاً فَأَعْطَتِ السَّمَاءُ مَطَراً وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ ثَمَرَهَا .

(٥ : ١٦ — ١٨)

فى هذه الفقرة توجد ثلاث عقائد يهودية أساسية :

١ — هناك عقيدة نسبة كل الأمراض الى الخطية . فهى عقيدة يهودية عميقـة الجـذور تنادى بأنه حيث المرض والعـذاب ، فـلا بد أن تكون الخطية .

قال معلمو اليهود : « لا موت بدون ذنب ، ولا الم بدون خطية » .

ولذلك آمن معلمو اليهـود وعلموا انه قبل أن يشفى الانسان من مرضه ، لابد أن يغفر له الله خطاياه . قال المعلم الكساندراى : « لا يبـرأ اى انسان من دائه حتى يغفر له الله خطاياه » ، وهذا هو السبب فى أن يسوع قبل أن يشفى الرجل المفلوج قال له : « يابنى ، مغفورة لك خطاياك » (مرقس ٢ : ٥) ، فاليهود كانوا دائما يربطون بين الألم والخطية . وأما الآن فنحن لا يمكن أن ننادى بنفس الفـكرة ونقول ان الخطية والألم صنوان لا يفترقان ، ولكننا مع ذلك نقول انه لا يمـكن لأى شخص أن يكون صحيح النفس والجسد والروح ما لم تكن علاقته سليمة مع الله فالصلة الروحية بين الانسان والله هى شرط أساسى للصحة التى تسرى فى كيانه طول حياته .

٢ — وهناك أيضا عقيدة وجوب الاعتراف بالخطية للناس ، وخاصة الشخص المساء اليه ، كما لله . حقا انه من الأسهل الاعتراف بالخطايا أمام الله بدلا من الاعتراف بها أمام الناس ، ولـكن الخطية تقيم حاجزين يجب ازالتها — الحاجز الذى تقيمه الخطية بيننا وبين الله ، والحاجز بيننا وبـين الآخرين . ولازالة هـذين الحاجزين ، يجب الادلاء بنوعين من الاعتراف .

وكان ذلك أيضا تقليد الكنيسة « المورافية » ، وهو تقليد نقله « وسلى » من الكنيسة المورافية لطوائف الميثودست الأوائل ، فقد اعتادوا أن يجتمعوا مرتين أو ثلاث فى الاسبوع « ليعترفوا بعضهم لبعض بالزلات ويصلوا بعضهم لأجل بعض لكى يشفوا » ، وان هذا المبدأ يجب أن يتبع بكل حكمة . ولكنه صحيح أيضا أن هناك حالات يضر فيها اعتراف الناس بعضهم لبعض أكثر مما ينفع . ولكن فى حالة اقامة حاجز من عدم الثقة بين الانسان وأخيه بسبب خطأ ارتكب فى حقه ، فهنا يجب على الانسان أن يصحح علاقته مع الله ومع أخيه .

٣ — وفوق هذا كله ، فهذه الفقرة ترينا أن اليهود لا يعرفون حدودا لقوة الصلاة . وعندهم مثل يقول أن من يصلى يحيط بيته بسور أقوى من الحديد . وقالوا أيضا : « ان التوبة تقدر على شىء ما ، ولكن الصلاة تستطيع كل شىء » .

فالصلاة تعنى بالنسبة لهم الاتصال بقوة الله ، والصلاة أيضا هى القناة التى تسرى فيها قوة ونعمة الله ، وهى تجعلنا قادرين على احتمال متاعب ومشاكل وأمراض الحياة . ان كان الأمر كذلك بالنسبة لليهودى ، فكم وكم يجب أن تكون أهمية الصلاة بالنسبة للمسيحى ؟ .

كتب « تينيسون » يقول : « ان الصلاة تقدر على تحقيق أشياء كثيرة لا يحلم بها هذا العالم .

فارفع صوتك فى الصلاة من أجلى ليل نهار .
لأنه ما الفرق بين الانسان والسائمة من غنم وبقر ؟
التى تحيا حياة خالية من نور العقل ؟
ما لم يرفع البشر أيدى الصلاة .
لهم ولأجل أصدقائهم .
ولذا فالأرض كلها تأتى .
منحنية فى انكسار أمام عرش الله » .

فالحقيقة كما رآها اليهودى ، انه لشفاء أمراض الحياة ، يجب أن تكون هناك علاقة وثيقة بيننا وبين الله وبيننا وبين البشر ، وأننا عن طريق الصلاة، يمكننا ان نطلب رحمة الله وقوته لأجل الآخرين .

وقبل أن نترك تلك الفقرة ، توجد حقيقة هامة يجب ملاحظتها . فان يعقوب يستشهد بايليا كدليل على قوة الصلاة . فيقول انه صلى أن لا تمطر فلم تمطر ثلاث سنين وستة اشهر ، ثم صلى أيضا فأمطرت . يعد هذا مثلا واضحا على كيفية تفسير معلمى اليهود لأقوال الكتاب . ونجد القصة بكاملها فى سفر ملوك الاول أصحاح ١٧ ، ١٨ . والثلاث سنين والستة أشهر — قد ذكرت ايضا (لوقا ٤ : ٢٥) — وهى مأخوذة مما ذكر فى (ملوك الاول١٨:١) .

ثم أن رواية العهد القديم لا تذكر أن ايليا نفسه جلب المطر ، ولكنها تذكر فقط أنه تنبأ بالمطر . والرواية أيضا لاتذكر أن هطول المطر أو انقطاعه كان نتيجة لصلوات ايليا ، انه فقط كان النبى الذى اعلن نزول المطر وانقطاعه . ولكن معلمى اليهود كانوا يدرسون الكتب المقدسة دائما دراسة دقيقة . فى ملوك الأول (١٧ : ١) نقرأ كلمات ايليا : « حى هو الرب اله اسرائيل الذى وقفت أمامه أنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين الا عند قولى » . وبما أن صلاة اليهود دائما تكون بالوقوف أمام الله ، لذا اكتشف معلمو اليهود فى هذه العبارة دليلا على أن المطر كان نتيجة لصلوات ايليا . وفى ملوك الأول أصحاح (١٨ : ٤٢) نقرأ أن « ايليا صعد الى الكرمل وخر الى الارض وجعل وجهه بين ركبتيه » ووجد معلمو اليهود أيضا فى هذه العبارة دليلا على الصراع والجهاد فى الصلاة ، وقد اعتبروا هذا برهانا على أن صلاة ايليا هى التى أوقفت المطر . هنا نجد أن معلمى اليهود يأخذون دروسا نافعة من الكتاب المقدس ، ليس فقط من الكلمات المباشرة ، ولكن مما يقرأ بين السطور أيضا .

الحق الذى يجب أن يعمل

أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِنْ ضَلَّ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَرَدَّهُ أَحَدٌ . فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ ضَلاَلِ طَرِيقِهِ يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ الْمَوْتِ وَيَسْتُرُ

كَثْرَةٍ مِنْ الخطايا .

(٥ : ١٩ — ٢٠)

نجد فى هذه الفقرة الصفة المميزة للحق المسيحى . فالانسان قد يضل عن الحق المسيحى . ان هذا الحق لا يعنى فقط الجانب العقلى ، الفلسفى ، والفكر المجرد والخيال ، ان الحق المسيحى يعنى دائما الجانب الأزلى الأخلاقى . فالحق المسيحى اذن ليس شيئا يضل الانسان ازاءه ضلالا فكريا فقط ، بل انه يضل ضلالا حقيقيا أى أنه يضل بأعماله .

نجد هذا واضحا كل الوضوح عندما نقرأ العهد الجديد لنرى ما ورد فيه من عبارات بخصوص هذا الحق فالحق يجب أن يحب (٢ تسالونيكى ٢ : ١٠)، ويجب أن يطاع (غلاطية ٥ : ٧) ، والحق يجب أن يعلن ، ونحن يجب أن نكون صادقين فى المحبة (افسس ٤ : ١٥) ، ويجب أن نشهد للحق (يوحنا ١٨ : ٣٧) ، ويجب أن يظهر الحق فى حياة المحبة التى نحياها (١ يوحنا ٣ : ١٨) ، والحق يحرر (يوحنا ٨ : ٣٢) ، والحق هبة من الروح القدس المرسل من يسوع المسيح (يوحنا ١٦ : ١٤) .

وأوضح تلك الاشارات ما جاء فى (يوحنا ٣ : ٢١) ، فنجد القول « من يفعل الحق » ، اى أن الحق المسيحى شىء يجب أن يعمل . فالحق المسيحى ليس رياضة عقلية ، وليس موضوعا للبحث الذهنى فقط ، أو الدراسة الأكاديمية . انه ليس معرفة عقلية ، تحتاج للجدل ومقارعة الحجة بالحجة . ان الحق المسيحى حقيقة أخلاقية تظهر ثمارها فى العمل ، فهو ليس شيئا يحتاج لأعمال الفكر فحسب ، انه أيضا طريق للحياة . والحق المسيحى ليس موضوعا للدراسة ، انه عمل يؤدى . والحق المسيحى لا يتطلب ولاء عقليا فقط ، انه يتطلب تكريس الحياة كلها . انه ليس شيئا يفكر فيه الانسان فحسب ، انه شىء يحيا به . ان الحق المسيحى لا يدخل فقط فى نطاق الدراسة والنقاش ، انه يشمل الحياة بأكملها .

أسمى عمل انسانى

ينهى يعقوب رسالته بفكرة تعد من أعظم واسمى الافكار فى العهد الجديد ، وقد وردت فى الكتاب اكثر من مرة . هب ان شخصا ضل وتاه بعيدا ، ولكن أنقذه شخص مسيحى من ضلال طريقه ، وارجعه الى الطريق الصحيح . فان الشخص الذى انقذ اخاه ، لم يخلص نفس اخيه فقط ، انه ستر كثرة من خطاياه هو ، وبمعنى آخر ، فان من يخلص غيره يخلص نفسه أيضا .

يشير « مايور » الى ان « أوريجانوس » قد اوضح فى احدى مواعظه ستة طرق يحصل بها الانسان على غفران خطاياه . قال قد يحصل الانسان على غفران خطاياه بالمعمودية أو بالاستشهاد أو باعطاء الصدقة (لوقا ١١ : ٤١) ، أو بغفران ذلات الآخرين (متى ٦ : ١٤) ، أو بالمحبة (لوقا ٧ : ٤٧) ، أو برد خاطىء عن ضلال طريقه . فالله يغفر كثيرا من ذلات الشخص الذى كان واسطة فى ارجاع شخص آخر اليه . وان تلك الفكرة يتردد صداها بين حين وآخر على صفحات الكتاب المقدس . فارميا يقول : « اذا أخرجت الثمين من المرذول فمثل فمى تكون » ارميا ١٥ : ١٩) ، ويكتب دانيال قائلا : « والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى أبد الدهور » (دانيال ١٢ : ٣) ونصيحة بولس الى تيموثاس كانت : « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لانك اذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا » (١ تيموثاوس ٤ : ١٦)

هناك مثل يقوله آباء اليهود : « ان من يهدى الآخرين ، لا تسود الخطية عليه » ، ويقول اكليمندس الاسكندرى ان المسيحى الحقيقى يعتبر كل نفع لجاره ، خلاص له ، قيل انه ذات مرة ، سألت سيدة انجيلية متحمسة (ولبرفورس) — الذى دافع عن حرية العبيد حتى نالوها — سألته ان كان قد حصل على الخلاص . فأجابها بالقول : « يا سيدتى ، لقد كنت منهمكا فى محاولة تخليص نفوس الآخرين ، حتى أنه ليس لدى وقت للتفكير فى نفسى » . قيل ان أولئك الذين يدخلون النور والبهجة . الى حياة

الآخرين ، لا يستطيعون أن يحجبوها عن أنفسهم . ومن الأمور المؤكدة أن من يأتى بنفوس الآخرين الى الله ، لا بد أن يسيطر الله على جو حياته . ان أعظم شرف يمنحه الله للناس يهبه لمن يقود الآخرين لله ، لأن من يعمل ذلك يشترك فى العمل الذى قام به يسوع المسيح مخلص العالم .

رسالتا بطرس

مقدمة رسالة بطرس الاولى

الرسائل الجامعة أو العامة :

رسالة بطرس الأولى تتبع قائمة الرسائل المعروفة فى العهد الجديد باسم الرسائل الجامعة أو العامة . وهناك تفسيران لتلك التسمية :

١ ــ يقال ان هذه الرسائل تسمى جامعة أو عامة لأنها موجهة الى الكنيسة بصفة عامة ، تمييزا لهــا عن رسائل بولس التى كانت موجهة الى كنيسة واحدة أو بضع كنائس . ولكن الأمر ليس كذلك . فرسالة يعقوب موجهة الى طائفة محدودة الا أنها مشتتة فى أنحــاء كثيرة ، فهى مكتوبة الى الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات (يعقوب ١ : ١) ، وليس هناك حاجة للقول بأن رسالتى يوحنا الثانية والثالثة موجهتان الى نفر قليل ، ومع أن رسالة يوحنا الاولى لا تسمى باسم معين ، الا أنها كتبت لتفى بحاجات وتحل مشكلات جماعية معينة كانت فى فكر الكاتب . ورسالة بطرس الاولى نفسها مكتوبة للمغتربين فى شتات بنتس وغلاطيــة وكبدوكــية وآســيا وبيثينية (١ بطرس ١ : ١) . صحيح أن الرسائل العامة موجهة الى دائرة أوسع من نطاق الدائرة المكتوبة اليها رسائل بولس ،ولكنه ليس صحيحا أن نقول أنها موجهة للكنيسة بصفة عامة ، لأننا نرى مما تقدم أن كلا منها موجه الى جماعة معينة فى فكر الكاتب .

٢ ــ ولنتجه الآن الى التفسير الثانى لهذه التسمية . يقال أن هــذه الرسائل تسمى بالجامعة أو العامة لأن الكنيسة عامة قد قبلت وحيها ، وذلك تمييزا لهــا عن عدد كبير من الرسائل لم تقبل الا على نطــاق محلى ولمــدة محدودة من الزمن ، ولكن لم يعترف بها كرســـــائل موحى بها من جميع الكنائس . ففى الوقت الذى كتبت فيه هذه الرسائل ، شملت الكنيسة كلها حركة دائبة فى كتابة الرسائل . ونحن لا زلنا نحتفظ بكثير من الرسائل التى

كتبت وقتئذ ــ فهناك رسالة أكليمندس بابا رومه الى كورنثوس ، ورسالة برنابا ، ورسائل اغناطيوس ، ورسائل بوليكاريوس . كل تلك الرسائل كانت تعد غاية فى الأهمية فى الكنائس التى كتبت اليها ، ولكنها لم تعتبر كذلك فى جميع أنحاء الكنيسة كلها ، هذا فى حين أن تلك الرسائل الجامعة أو العامة احتلت مكانها فى الكتاب المقدس وقبلتها الكنيسة عامة . هذا هو اذا التفسير الصحيح لتلك التسمية .

الرسالة المحبوبة :

تعتبر رسالة بطرس الأولى من أشهروأحب الرسائل العامة وأكثرها انتشارا . ولايشك أحد فى جاذبيتها وسحرها . ويكتب عنها (موفات) بالقول : « ان الروح الرعوية الجميلة تشيع فى كل جزء من اجزاء الرسالة» . ويصف اسحق والتون رسائل يعقوب ويوحنا وبطرس بأربع كلمات فيقول بأنها : « ودية ، محببة ، حلوة ، ومتوفقة ،ولكن رسالة بطرس الأولى تستحق تلك الصفات بجدارة » . ان الرسالة نابغة من قلب راع محب الى شعبه لمعونته وسط الظروف القاسية التى يمرون فيها ، وتلك التى سوف يجتازونها . ويقول (موفات) : «ان مفتاح الرسالة هو التشجيع الدائم على احتمال المشقات فى السلوك ، وطهارة الحياة » . وقيل ان الصفة البارزة فى رسالة بطرس الأولى هى الحب الدافىء والعطف . وقال « أ . ج . جودسبيد » : ان رسالة بطرس الأولى تعتبر من افضل آداب الاضطهاد فى تحريك العواطف.والى هذا اليوم ، فأن رسالة بطرس الأولى من أسهل الرسائل فى العهد الجديد فى قراءتها بسبب جاذبيتها ورقتها ، وقدرتها على الأخذ بمجامع اللب .

الشكوك الحديثة :

لم يثر أحد أى شك حيال صحة الرسالة وأصالتها سوى منذ مدة قصيرة . (فريناز) ، الذى لا يعتبر من النقاد المحافظين يقول : « ان رسالة بطرس الأولى من ضمن كتابات العهد الجديد التى لايشك أحد فى صحتها منذ القدم»ولكن منذ وقت قصير تساءل بعضهم عن صحةنسبة الرسالة الى بطرس . فمن أحدث التعليمات فى الانجليزية ، تعلق ف . و . بيير Beare

الذى ظهر سنة ١٩٤٧ ، ونجد أن هذا التعليق يذهب الى حــد القول : « ليس هناك أى شك فى احتمال أن يكون « بطـــرس » مجــرد اسم مستعار » : أى أن (بيير) لا يشك فى أن شخصا قد كتب الرسالة تحت اسم بطرس .

وسنحاول التحقق من صحة هذا الرأى : مع أننا لا نقبله . ولكننا نبين أولا الرأى التقليدى — الذى نقبله دون تردد — بخصوص تاريخ الرسالة ، وكاتبها . فرسالة بطرس الأولى كتبها بطـــرس من روما ، حوالى سنة ٦٧ م ، بعد وقت اضطهاد المسيحيين الأوائل على يد نيرون، باشــرة ، الى المسيحيين الموجودين فى تلك الجهات من آسيا الصغرى المذكورة فى صــدر الرسالة . فما هو اذن الدليل على كتابة الرسالة فى هذا التاريخ المبكر ؟ وعلى صحة نسبتها الى بطرس ؟

المجىء الثانى :

عندما نقرأ الرسالة نفسها نجد أنها مهتمة أساسا بالمــجىء الثانى . فنتوقع مجىء المسيح الثانى فى بؤرة تركيز الرسالة « فالمسيحيون محروسون لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (١ : ٥) ، « والذين يحفظون الايمان سيكون لهم الكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح (١ : ٧) ، وعلى المسيحيين « أن يلقوا رجائهم على النعمة التى يؤتى بها اليهم عنــد استعلان المسيح » (١ : ١٣) « وهم ينتظرون يوم الافتقاد » (٢ : ١٢) ، « وأن نهـــاية كل شىء قد اقتربت » (٤ : ٧) « والذين يشتركون فى آلام المسيح سيفرحون أيضا مع المسيح فى استعلان مجــده » (٤ : ١٣) ، « والقضاء يبدأ من بيت الله » (٤ : ١٧) .

والكاتب نفسه موقن انه سيكون « شريك المجــد العتيد أن يعلن » (٥ : ١) ، « ومتى ظهر رئيس الرعاة » سينال المسيحى « اكليل المجد » (٥ : ٤) .

فمن بداية الرسالة الى نهايتها نجد أن فكرة المجىء الثانى تسيطر على

فكر الكاتب ، وهى الباعث على الثبات فى الايمان والولاء للمسيح واحتمال الآلام بشجاعة ، الآلام التى مر فيها المسيحيون وتلك التى سوف يجتازون فيها . وانه من الخطأ القول بأن المجىء الثانى لم يعد له وجود فى العقيدة المسيحية ، ولكن يحق لنا أن نقول انه العقيدة التى لم تعد تحتل مكان الصدارة فى الايمان المسيحى ، حيث ان المسيح لم يأت بالسرعة التى كان يتوقعها المسيحيون الأوائل . فمثلا ، نجد أنه فى رسالة أفسس ، وهى آخر رسالة كتبها بولس ، لا يرد ذكر المجىء الثانى . وعلى هذا الأساس نجد انه منطقى أن نفترض بأن رسالة بطرس الأولى كتبت فى وقت مبكر ، أى فى الوقت الذى كان يتوقع فيه المسيحيون أن يأتى ربهم فى أية لحظة .

قلة المناصب فى الكنيسة :

ومن الواضح كذلك أن رسالة بطرس الأولى ترجع الى الزمن الذى كانت الكنيسة فيه مبسطة التنظيم . فلا يرد فى الرسالة ذكر للشمامسة ولا يذكر الأسقف الا نادرا ، الذى يبدأ ذكره فى الرسائل الرعوية . حيث نجده ظاهرا فى رسائل اغناطيوس فى النصف الاول من القرن الثانى . والوظيفة الوحيدة المذكورة هى وظيفة الشيوخ « أطلب الى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم » (٥ : ١) وبناء على ذلك ، فانه يحق لنا أن نفترض أن رسالة بطرس الأولى يرجع تاريخها الى وقت مبكر .

لاهوت الكنيسة الأولى :

أهم شئ أن العقائد اللاهوتية الواردة فى الرسالة هى نفس عقائد الكنيسة الاولى . ولقد قام ا . ج . سيلوين بدراسة مفصلة فى هذا الموضوع ، وأثبت بما لا يدع مجالا للشك أن العقائد اللاهوتية فى رسالة بطرس الاولى هى نفس العقائد اللاهوتية التى نجدها فى مواعظ بطرس المدونة فى الأصحاحات الأولى من سفر الأعمال . ولقد كان تبشير الكنيسة الاولى ينحصر فى خمسة أفكار رئيسية . فمن أعظم ما قام به س . ه . دودد من دراسات فى العهد الجديد ، تفصيله لتلك الأفكار الخمسة الرئيسية التى

أشرنا اليها آنفا . وتكون هذه الأفكار هيكل كل عظات الكنيسة الأولى كما هي مدونة فى سفر الأعمال ، وأن تلك الأفكار هى المحور الذى تدور حوله كل وجهات نظر كتاب العهد الجديد . وتلخيصا لتلك الأفكار أطلق عليها (كريجما) أى اعلان أو اذاعة أخبار المجيء . فقد كان ذلك هو الأساس الذى تبنى عليه كل مانادت به الكنيسة قديما ؛ وسوف نتعرض لتلك الأفكار واحدة تلو الأخرى ، مع الاشارة الى كل منها ، كما وردت فى الأصحاحات الأولى من سفر الأعمال ورسالة بطرس الاولى ، ثم نخرج من ذلك باكتشاف هام وهو أن الأفكار الرئيسية لعظات الكنيسة الأولى — وكثير منها قد وعظ به بطرس — هى نفس ما جاء فى رسالة بطرس الأولى من عقائد لاهوتية. وقد يجدر بنا أن نوضح أننا لانعتقد بأن العظات التى وردت فى سفر الأعمال هى تسجيل دقيق للعظات كما بشر بها كلمة كلمة ، ولكننا نؤمن بأن تلك العظات تحوى جوهر الرسالة التى نادى بها المبشرون الأوائل . وتتلخص هذه الأفكار فيما يأتى :

١ — بزوغ فجر اتمام النبوات ، بداية عصر المسيا . ما يقوله الله فى آخر الأيام . بداية عهد جديد ، دعوة المختارين للحياة المقدسة ، والانعزال عن العالم (أعمال ٢ : ١٤ — ١٦ ، ٣ : ١٢ — ٢٦ ، ٤ : ٨ — ١٢ ، ١٠ : ٣٤ — ٤٣ ، ١ بطرس ١ : ٣ و ١٠ — ١٢ ، ٤ : ٧) .

٢ — بداية العهد الجديد عن طريق حياة المسيح وموته وقيامته ، اتماما لنبوات العهد القديم ، واتماما لعلم الله السابق ومشورته المحتومة . (أعمال ٢ : ٢٠ — ٣١ ، ٣ : ١٣ و ١٤ ، ١٠ : ٤٣ ، ١ بطرس ١ : ٢٠ و ٢١) .

٣ — جلوس المسيح عن يمين الله بقيامته من الأموات ، المسيح صار راس اسرائيل الجديد (أعمال ٢ : ٢٢ — ٢٦ ، ٣ : ١٣ ، ٤ : ١١ ، ٥ : ٣٠ و٣١ ، ١٠ ٣٩—٤٢ ، ١ بطرس ١ : ٢١ ، ٢ : ٧ : ٢ : ٢٤، ٣ : ٢٢)

٤ — وسوف تتحقق كل الحوادث النبوية بمجيء المسيح فى المجد ، لدينونة الأحياء والأموات (٣ : ١٩ — ٢٣ ، ١٠ : ٤٢ ، ١ بطرس

١ : ٥ و ٧ و ١٣ ، ٤ : ٥ و ١٣ و ١٧ و ١٨ ، ٥ : ١ و ٤) .

٥ ــ هذه الحقائق هى أساس الدعوة للتوبة ، ولتقديم الغفــران ، وموعد الروح القدس ووعد الحياة الأبدية (أعمال ٢ : ٣٨و٣٩ ، ٣ : ١٩ ، ٥ : ٣١ ، ١٠ : ٤٣ ، ١ بطرس ١ : ١٣ ــ ٢٥ ، ٢ : ١ ــ ٣ ، ٤ : ١ ــ ٥). تلك هى الخمس دعامات الرئيسية فى هيكل تبشير الكنيسة قديما ، كمــــا هى مسجلة لنا فى عظات بطرس فى الأصحاحات الأولى من سفر الأعمال ، وهى أيضا الآراء السائدة فى رسالة بطرس الأولى . فالتشابه بينهما كبــير لدرجة أننا نلمس الفكر الموحد بينهما .

أقوال الآباء :

ثم نضيف دليلا آخر على أن رسالة بطرس الاولى ترجع كتابتها لوقت مبكر . فآباء الكنيسة الأولى ومعلموها قد اقتبسوا من الرســـالة . وأول شخص اقتبس من رسالة بطرس الأولى هو ايريناوس الذى عاش فى الفترة ما بين سنة ١٣٠ م ، حتى القرن الذى يليه . فقد اقتبس (١ بطرس ١ : ٨) مرتين : « الذى وان لم تروه تحبـــــونه . ذلك وان كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به . فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » . واقتبس أيضا (١ بطرس ٢ : ١٦) مرة واحدة ، وفيها النهى بالا يتخذوا « الحرية سترة للشر » . وحتى قبل ذلك كان آباء الكنيسة يقتبسون من الرسالة دون أن يذكروا اسم بطرس . ويكتب أكليمندس روما ، حوالى سنة ٩٥ م . متحدثا عن « الدم الــكريم » ، وهى عبارة غير مألوفة ، ويبدو أنه اقتبسها من قول بطرس اننا افتدينا بدم كريم (١ : ١٩) . ويقتبس بوليكاربوس الذى استشهد سنة ١٥٥ م ، رسالة بطرس دائما ، مع أنه لا يذكره بالاسم . ونختار هنا ثلاث فقرات لنبين كيف أن بوليكاربوس يقتبس نفس كلمات بطرس .

« لذلك منطقوا أحقاءكم واخدموا الله فى خوف . . . مؤمنين بالله الذى أقام يسوع المسيح من الاموات وأعطاه مجدا » (رسالة بوليكاربوس الى اهل فيلبى ٢ : ١) .

« لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم . . . أنتم الذين به تؤمنون بالله الذى

اقامه من الأموات واعطاه مجدا » (١ بطرس ١ : ١٣ و ٢١) .

« يسوع المسيح حمل خطايانا بجسده على الخشبة ، الذى لم يفعل خطية ، ولا وجد فى فمه مكر » . (بوليكاربوس ٨ : ١) .

« الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر .. الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » . (١ بطرس ٢ : ٢٢ و ٢٤) .

« أن تكون سيرتكم بلا لوم بين الأمم » . (بوليكاربوس ١٠ : ٢) .

« أن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة » (١ بطرس ٢: ١٢) .

لا شك أن بوليكاربوس يقتبس أقوال بطرس مع أنه لايذكر اسمه . ان أى كتاب يحتاج لبعض الوقت لكى يصبح مألوفا ومسلما به ، وحتى يضحى الاقتباس منه شيئا لا اراديا ، ولكى يصير اسلوبه جزءا لا يتجزأ من تراث الكنيسة ونرى من ذلك ثانية أن بطرس الأولى كتبت فى وقت مبكر جدا فى تاريخ الكنيسة .

لقد عالجنا الموضوع بشىء من التطويل والايضاح ، وحجتنا فى ذلك أننا نعتقد أنه من الأهمية لنا أن نتمكن من مواجهة اولئك الذين ينادون بأن بطرس لا علاقة له بالرسالة التى تحمل اسمه .

اللغة اليونانية التى كتبت بها الرسالة :

ولكن ، ونحن بصدد الدفاع عن نسبة الرسالة الى بطرس ، تبرز مشكلة يجب مواجهتها — وهى قوة اللغة اليونانية التى كتبت بها الرسالة . فاللغة اليونانية المستعملة تمتاز بأسلوب قوى حتى أنه يبدو مستحيلا أن يكون هذا الأسلوب من نتاج صياد جليلى فجميع باحثى العهد الجديد متفقون على عظمة الأسلوب الذى كتبت به الرسالة .

ويكتب ف . و بيير « Beare » : « واضح أن كاتب الرسالة رجل أدب ، ماهر فى استخدام الألفاظ ، وقادر على ايراد كلمات تنم عن سعة الاطلاع والمقدرة اللغوية . فهو متمكن من أسلوبه حتى أنه لا يعد كاتبا

عاديا ، وتعتبر اللغة التى يكتب بها من أفضل ما كتب باليونانية فى العهد الجديد ، وتعد أسلس وأكثر علما من أسلوب بولس ذى الثقافة العالية » ، ويتحدث « موفات » عن « مرونة اللغة التى كتبت بها الرسالة ، وعن حب الكاتب للاستعارات » ، ويقول « مايور » : أن الرسالة تتميز دونا عن باقى أسفار العهد الجديد « بالعبارات المنتظمة الرصينة التى تتخللها الموسيقى اللفظية » ، ويشبه بج « بعض عبارات الرسالة بأسلوب ثيوكيديدس » .

ويتحدث « سيلوين » عن رقة أسلوب الرسالة وعن قدرة الكاتب على صياغة العبارات والكلمات المركبة كما كان يفضل اسكيلوس « aeschylus ذلك . ويمكن اعتبار اللغة اليونانية التى كتبت بها الرسالة ندا لليونانية التى يكتب بها أساتذة اللغة اليونانية .

نواجه هنا مشكلة حقيقية . فانه يصعب ، بل يستحيل أن نتصور بطرس يستخدم هذه اللغة اليونانية فى كتابته للرسالة .

ولكن الرسالة نفسها تقدم حلا لهذه المشكلة . فبطرس نفسه يقول فى خاتمة الرسالة : « بيد سلوانس . . . كتبت اليكم بكلمات قليلة » . (١ بطرس ٥ : ١٢) ، بيد سلوانس — وهذه العبارات باليونانية تعنى أن سلوانس كان معين بطرس أو أداته فى كتابة الرسالة . والعبارة تعنى بالتأكيد أن سلوانس كان أكثر من مجرد « سكرتير » لبطرس أو مجرد ناسخ أو محرر له . انها تعنى أن سلوانس كان له شأن أكثر فاعلية . ولنحاول أن نوضح ذلك من زاويتين.فعلينا أولا أن نستعرض مانعرفه عن سلوانس. نجد كل التفاصيل المتعلقة بذلك فى كلمات الرسالة نفسها (١ بطرس ٥:١٢)، هناك احتمال كبير أن يكون سلونس المذكور فى رسالة بطرس الأولى هو نفسه سلونس المذكور فى رسائل بولس ، وهو نفسه سيلا الوارد فى سفر الأعمال ، لأن كلمة سيلا اختصار لكلمة سلونس ،ومألوفة اكثر منها.لندرس اذن الفقرات التى ورد فيها ذكره . بعد الدراسة الدقيقة نجد أن سيلا أو سلونس ليس شخصا عاديا ، ولكنه شخصية رائدة فى الكنيسة الأولى .

فسلوانس كان نبيا (أعمال ١٥ : ٣٢) ، وكان « متقدما فى الأخوة » ،

فى كنيسة أورشليم ، وقد اختير واحـــدا من اثنين لتبليغ قرارات الرسل والمشايخ فى الكنيسة الى كنيسة انطاكية (أعمـال ١٥ : ٢٢ و ٢٧) وكان أيضا رفيق بولس المختار فى رحلته التبشيرية الثانية،وكان مع بولس فى فيلبى وكورنثوس (أعمال ١٥ : ٣٧ — ٤٠ ، ١٦ : ١٩ و ٢٥ و ٢٩ ، ١٨ : ٥ ، ٢ كورنثوس ١ : ١٩) .

واسمه مرتبط ببولس فى التحية الافتتاحية فى الرسالتين الأولى والثانية الى تسالونيكى (١ تسالونيكى ١ : ١ ، ٢ تسالونيكى ١ : ١) .

وأخيرا نجد أن سلوانس مواطنا رومانيا (أعمال ١٦ : ٣٧) ، كان سلوانس اذن شخصية متقدمة فى الكنيسة الأولى ؛ فلم يكن مساعدا لبولس بقدر ما كان زميلا مرافقا لبولس فى رحلاته ، وحيث انه كان مواطنا رومانيا ، فيحتمل أنه كان على قدر من العلم والثقـافة ، التى لم يكن لبطرس حظ منهـا .

ولنأخذ مثلا من الميدان المرسلى ، عندما يستطيع احد المرسلين ان يتكلم لغة البلاد جيدا ، ولكنه لا يستطيع أن يكتبها كمـا يجب ، فانه عادة يفعل آمرا من اثنين ، ان كان يريد أن يكتب رســالة الى شعبه . فهو اما أن يكتبها بأسلوبه على قدر ما يستطيع ثم يطلب من أحد أبناء اللغة أن يصحح أخطاءه ، وينقح أسلوبه ، واما ان كان له رفيق من أهل البلاد ممن يثق فيهم ، يخبره بما يريد أن يقـول ، ويتركه ليدون ذلك على القرطاس ، ثم يختم الرسالة بعد أن يتأكد مما كتب .

اننا نعتقد أن هذا هو الدور الذى لعبه سلوانس فى كتـابة رسالة بطرس الاولى . فاما انه صحح ونقح ما كتبه بطرس باليونانية ، (لأنه لابد أن تكون اللغة اليونانية التى كتب بها بطرس غير سليمة) ، واما من حيث أن سلوانس كان شخصا بارزا فى الكنيسة ، فانه يرجع أن بطرس اخبره ما يريد أن يقول ، وتركه ليعبر عن ذلك ، ثم اعتمد بطرس ما كتبه سلوانس وأضاف اليه الفقرة الختامية .

وعنـدما يقول بطرس أن سلوانس كان أداته أو يده اليمنى فى كتابة الرسالة ، فان ذلك يعتبر حلا لمشكلة اليونانية الفصحى التى كتبت بهـا الرسالة .

فالأفكار من عند بطرس ، والاسلوب اسلوب سلوانس . هذا ، مع أن اليونانية المكتوب بها الرسالة فصحى وممتازة ، فانه لا داعـــى لانـــكار نسبة الرسالة الى بطرس نفسه .

لمن كتبت الرســـالة ؟

ان المكتوبة اليهم الرسالة متغربون (المسيحى دائما غريب ونزيل فى الأرض) ومشتتون فى بنطس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينة .

والحق ، أن تلك التسمية لهذه الأقطار قد اختلف مدلولها . فقد كانت هذه الأسماء تطلق على ممالك قـــديمة ، ثم أصبحت تطلق على أقاليـــم رومانية كانت تسمى بنفس الأسماء القديمة والممالك القـــديمة والأقاليم الرومانية لا يمثلان دائما نفس الرقعة .

فبنطس لم تكن اقليما رومانيا فى يوم ما ، وكانت فى الأصـــل مملكة متراداتدس . وكان جزءا منها ضمن بيثينية والآخر داخل نطـــاق غلاطية وكانت غلاطية فى الأصل مملكة « الغال » فى المنطقة التى يوجد بها ثلاث مدن وهى « انكيريا » و «بيسينوس » و « تافيوم » ولكن الرومان جعلوها تشمل منطقة أكبر فجعلوا تحت ادارتهاأجزاء من فريجية وبيسيدية وليكونية وأبصورية وأصبحت مملكة كبـــدوكية اقليما رومانيا سنة ١٧ م ، كما هى عليه من قبل . وآسيا لاتعنى قارة آسيا حسب العبارة المـــألوفة اليـــوم ، ولكنها كانت مملكة مستقلة ، وآخر ملك لها هو أتالوس الثالث الذى منحها كهدية لروما فى سنة ١٢٣ ق . م . وكانت تشمل أواسط آســـيا الصغرى وتحدها من الشمال بيثينية ومن الجنوب ليكية ومن الشرق فريجيـــــــة وغلاطية . وبعبارة أكثر شيوعا نقول ان « آسيا » كانت ذلك الجزمن آسيا الصغرى الذى يطل على شواطىء بحر ايجه .

نحن لا نعرف لماذا ذكرت تلك المناطق بالذات ــ ولكننا واثقون من أن تلك المناطق كانت تشمل مساحة كبرى تضم عددا كبيرا من السكان . وذكر كل تلك المناطق لهو دليل هام على النشاط الهائل الذى كانت تقوم به ارسالية الكنيسة الأولى ، بخلاف ما كان يقوم به بولس وحده من رحـــلات تبشيرية فى أنحاء اخرى .

وكل تلك المناطق تقع فى الركن الشمالى الشرقى من آسيا الصغرى . أما لماذا ورد ذكرها كمجموعة قائمة بنفسها ، أو لماذا ورد ذكرها بهـــذا الترتيب ، فهذا ما لا نعرفه . ولكن بالقاء نظره على الخريطة نعرف انه اذا كان حامل تلك الرســـالة — ويرجح أن يكون سلوانس — قد أبحر من ايطاليا ونزل فى ميناء سينوب فى شمال شرق آسيا الصغرى ، فانه يقوم بجولة دائرية حيث يعود من حيث ابتدأ فى « سينوب » ، فمن « سينوب » فى بيثينية يذهب جنوبا الى غلاطية ثم الى الجنــوب أيضا حتى كبدوكيــة ثم يتجه غربا الى آسيا ثم يتجه شمالا الى بيثينية مرة أخرى ثم ان اتجه شرقا يعود الى سينوب .

يتضح من الرسالة نفسها أن الذين كتبت اليهم الرســالة كانوا فى الغالب أمميين . فليس فى الرسالة ذكر للناموس ، الذى كان يعد مثـــار مشكلة لا تنشأ الا حيث توجد التقاليد اليهودية .

« فحياتهم السابقة كانت حيــاة الجسد والشهوات » (١ : ١٤ ، ٤ : ٣ و ٤) وهذا ينطبق على الأمم اكثر مما يناسب اليهود . فقبـــلا لم يكونوا شعبا — غرباء عن عهود الموعد كأمميين — ولكنهم الآن « شـــعب الله » (٢ : ٩ و ١٠) .

وصيغة الاسم الذى يستخدمه بطرس أن الرسالة موجهـــة للأمم « فبطرس » كلمة يونانية . فعندما يتحـــدث بولس عن بطــرس يدعوه (صفا) (كورنثوس ١ : ١٢ ، ٣ ، ٢٢ : ٩ ، ٥ : ١٥ ، ٥ : ٥ ، غلاطية ١ : ١٨ ، ٢ : ٩ و ١١ و ١٤) ، وكان يعــرف بطرس بين بنى جنسه من اليهود باسم (سمعان) (أعمال ١٥ : ١٤) ، وهو نفس الاسم الذى يطلق عليه فى رسالة بطرس الثانية (١ : ١) . وحيث أن بطرس يستخدم الاسم اليونانى ، فيحتمل أن تكون الرسالة موجهة لليونانيين .

ظروف كتــابة الرسالة :

واضح جدا أن الرسالة كتبت فى زمن التهـــديد بالاضطهاد ، وأن المسيحيين كانوا فى خطر . فقـــــد كانوا « محاطين بتجارب متنوعة »

(١ : ٦) ، « وكان يفترى عليهم كفـــــا على شر » (٣ : ١٦) ، وأنهم « سيمتحنون بالبلوى المحرقة » (٤ : ١٢) ، وأنهم عنـــدما يتألمون يجب « أن يستودعوا حياتهم لله » ، (٤ : ١٩) ، وانه جيد لهم أن « يتألموا من أجل البر » (٣ : ١٤) ، وأنهم يشاركون اخوتهم المسيحيين فى انحـــاء العالم « نفس الآلام » (٥ : ٩) .

فالرسالة تبين لنا ما تعرض له المسيحيون من بلوى محرقة ، وحملات للتشهير ، والكثير من الآلام لأجل المسيح . فهل عندنا فكرة واضـــحة عن ذلك الالم ؟

لقد مضى وقت كان المسيحيون فيه لا يخشون الحكومة الرومانية .

ففى سفر الأعمال ، نجد دائما أن الولاة الرومان والجنود الرومان هم الذين كانوا ينقذون بولس من غضب اليهود والوثنيين على السواء وقــد عبر « جيبون » عن ذلك بقوله : ان محكمة الوالى الوثنى كانت الملجأ الأمين لبولس من غضب المجمع . والسبب فى ذلك يرجع الى انه فى بادىء الأمر لم تكن الحكومة الرومانية تفرق بين اليهود والمسيحيين . وكانت اليهودية ديانة مسموح بها فى جميع أنحاء الامبراطورية ، وكان لليهـــود الحريـــة التامة فى العبادة فى ذلك الوقت .

وقد حاول اليهود تبصير الرومان بحقيقـــة الموقف وتحريضهم على المسيحيين ، كما فعلوا فى كورنثوس مثلا (أعمال ١٨ : ١٢ ــ ١٧) . ولكن الرومان ظلوا زمنا يعتبرون المسيحيين طائفة يهودية ، ولذا لم يتدخلوا فى شئونهم أو يؤذوهم .

ولكن التغير حدث زمن نيرون . وسنذكر تفاصيل القصة بكاملها،ففى ١٩ يوليو سنة ٦٤ م ، اندلع حريق روما الكبير ، وكانت روما مدينة ضيقة الشوارع ، ذات منازل خشبية عالية ، فكانت فى خطــر أن تمحق تماما . واستمر الحريق ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وانطفأت النار ولكنها اشتعلت مرة أخرى بأشد ضراوة . ولم يشك جمهور الرومان فيمن كان مسئولا عنها . لقد وضعوا اللوم ، والقوا المسئولية بكاملها على نيرون الامبراطور . لقــد

كان نيرون مولعا بالبناء ، وآمن الشعب أنه كان يعد العدة لمحو روما حتى يبنيها من جديد . ان مسئولية نيرون ستظل موضع شك الى الأبد ، ولكن المؤكد أنه كان يشاهد ألسنة اللهب المندلعة من برج ماكيناز . وهو مغتبط أشد الاغتباط بمنظر اللهب.وقدقيل ان الذين حاولوا اطفاء النار قد أوقفوا عمدا ، وانه شوهد أناس يشعلونها ثانية عندما كانت على وشك أن تخمد. لقد ذهل الناس لهول المأساة . فقد زالت كل معالم المدينة واختفت المعابد ، معبد (لونا) و (آرامكا كسيما) المذبح العظيم ، ومعبد (جوبيتر ستاتور) ، ومحراب (فستا) ، وكل بيوت آلهة الرومان . واصبح الناس مشردين وكما قال فارار « كان الجميع فى حالة من اليأس والتعاسة » ، وكان استياء الناس عظيما ، وكان على نيرون أن يبعد الشبهة عن نفسه ، فكان لابد من كبش فداء . فجعل المسيحيين كبش الفداء . ويحكى تاكتيتوس المؤرخ الرومانى القصة فيقول .

« لم تفلح المعونات أو الهدايا التى قدمها الامبراطور للشعب ، ولا المحاولات التى عملها لترضية الآلهة أن تخفف من حدة التقرير المشئوم من أن النيران قد اندلعت بناء على أوامر نيرون . ولذا ، فلكى يبدد نيرون تلك الاشاعة عمد لاتهام طائفة من الشعب زورا ، ويسميهم العامة بالمسيحيين ، وقد كانت تلك الفئة مكروهة نظرا لما يمارسونه من طقوس بغيضة . ومؤسس تلك الطائفة ، اسمه المسيح ، وقد حكم عليه بيلاطس البنطى بالموت فى أثناء حكم طيباريوس ، وقد انتشرت تلك الخرافة الخطيرة ثانية بعد أن قضى عليها فى الحال ، ليس فى اليهودية فقط وهى المركز الرئيسى الذى بدأت منه ، بل حتى فى روما ذاتها البلد الذى تمارس فيه كل الفظائع والأمور المخجلة » . (سجلات تاكتيتوس التاريخية ١٥ : ٤٤) .

لم يشك تاكتيتوس مطلقا فى أن المسيحيين كانوا أبرياء مما نسب اليهم فى اشعال الحريق ، وقد اختارهم نيرون ككبش الفداء لتغطية جريمته.ولكن هناك سؤال هام ، وهو لم اختار نيرون المسيحيين بالذات لاتهامهم باحداث حريق روما ؟ ، هناك اجابتان محتملتان على هذا السؤال .

١ ــ لقد كان المسيحيون من قبل فريسة لبعض حملات التشهير والدعايات المغرضة .

(أ) يرتبط المسيحيون دائما فى ذهن العامة باليهود . والعداء للسامية ليس شيئا جديدا . فاليهود كانوا دائما مكروهين ، ومن أبسط الأمور لدى رعاع الشعب الرومانى الصاق أى تهمة باليهود ، ومن ثم بالمسيحيين .

(ب) كان العشاء الربانى يعد أمرا سريا أو هكذا أعتقدوا . فلم يكن مسموحا به سوى لأعضاء الكنيسة. وهناك بعض العبارات التى تقال تصلح كاساس لترويج حملات التشهير الوثنية ، كعبارة من « يأكل جسدى » أو « يشرب دمى » ، فهذه العبارات تصلح كمصدر لترويج اشاعة تقول بأن المسيحيين من أكلة لحوم البشر . ولقد حدث أن تطورت الاشاعة حتى جاء وقت انتشرت فيه قصة تقول ان المسيحيين قتلوا أمميا وأكلوه أو طفلا حديث الولادة . وعلى مائدة الرب كان المسيحيون يقبلون بعضهم بعضا بقبلة المحبة (١ بطرس ٥ : ١٤) ، ويسمى اجتماعهم (agapé) ، اى وليمة المحبة .

وكان هذا كفيلا بانتشار شائعات تنادى بأن اجتماعات المسيحيين كانت حفلات صاخبة تسود فيها الرذيلة والشهوات الجامحة . فلم يكن من الصعب اذن ترويج حملات التشهير ضد المسيحيين .

(جـ) اتهم المسيحيون أيضا بأنهم السبب فى تحطيم العلاقات العائلية . وبنى هذا الاتهام على اساس أن المسيحية تفرق بين العائلات وبين أفراد العائلة الواحدة ، فعندما يتحول بعض أفراد العائلة الى مسيحيين والبعض الآخر يظل كما هو عليه ، تنقسم العائلة على نفسها ، والديانة التى تفرق بين العائلات لابد أن تصير ديانة غير محبوبة .

(د) اتخذت حقيقة أن المسيحيين يتحدثون عن يوم آت يحترق فيه العالم بالنار ، ولابد أن الوعاظ المسيحيين قد تحدثوا عن المجئ الثانى وعن انحلال كل العناصر بالنار ، (أعمال ٢ : ١٩ و ٢٠) ، اتخذ ذلك كدليل لاتهام

المسيحيين باحداث الحريق .

فقـــد كانت هناك اشياء كثيرة يمكن تحريفها وتاويلها الى اتهـامات باطلة ضد المسيحيين ، من أناس يحاولون الحاق الأذى بالمسيحيين عن عمد وايقاعهم فريسة الاتهامات الزائفة .

٢ ـ كانت العقيدة اليهودية تروق دائما للسيدات ، بسبب مثلهـا الأخلاقية فى عالم لا تسوده طهارة السلوك . ولذا ، فان كثيرا من السيدات العريقات كن يعتنقن الديانة اليهودية . واليهـــود لم يترددوا فى استخدام هؤلاء السيدات فى التأثير على أزواجهن لتعبئتهم شعورا بالكراهية ضـــد المسيحيين . ويوجد دليل على ذلك فيما حدث لبولس ورفقـائه فى انطاكية بيسيدية . فعن طريق سيدات كهؤلاء اثار اليهـــود اضطهادا على بولس (أعمال ١٣ : ٥٠) .

وقد كان اثنان من المقربين لنيرون من رجال البلاط من معتنقى اليهودية حديثا ، أحــدهما اليتيروس الممثل المحبوب لديه ، وكذلك بوبايا احــدى سيدات البلاد المقربة اليه .

فمن المحتمل أن اليهود قــد حرضوا نيرون عن طريقهما ، ليضطهد المسيحيين وعلى أى حال ، فقد الصقت تهمة اشعال النيران بالمسيحيين ، واشتعلت شرارة الاضطهاد بعنف ووحشية ضدهم .

ولم يكن اضطهادا ذا وسائل مشروعة ، فقد وصفه تاكيتوس بأنه قد هلك فيه جمهور غفير من المسيحيين بأبشع طرق التعذيب . فقــد طلى نيرون أجسام المسيحيين بالزفت ثم أشعل فيهـــا النيران وهم أحيـاء ، فاستخدمهم كمشاعل لتنير له الحدائق ايضا جنود حيـــوانات مفترسة ، وأطلق عليهم كلاب صيده لتقطعهم اربا اربا وهم على قيد الحياة .

يقول تاكتيتوس :

« لقد تفننوا فى التنكيل بالمسيحيين وفى طرق موتهم . فكانوا يغطونهم بجلود وحوش ، فتخرج عليهم الـــكلاب لتفترسهم أو كانوا يعلقونهم على

صلبان أو كانوا يسلمونهم مأكلا لحريق النـــــار لـــكى يستخدموا كوسائل للاضاءة ليلا . وقدم نيرون حدائقه للجمهور ، لتفرج ، أو كان يقوم بعرض فى السيرك بينما كان يندمج هو مع الشعب فى لباس العربة الملوكية أو يقف بعيدا فى عربته . وحتى فى موت المجـــــرمين الذين يستحقون أقسى أنواع العقوبات الرادعة ، يختلج فى النفس شعور بالاشفاق والعطف عليهم ، لانه ليس الامر كما يبدو للصالح العام ، بل لمجـــــرد اشباع نهم شخص لنقسوة والوحشية يتعرضون للموت » . (سجلات تاكتيتوس التاريخية ١٥ : ٤٤)

ونجد نفس حوادث القصة المريعة ، يرويهـــــــا مؤخرا المؤرخ المسيحى سولبيكيوس سيفيريوس فى سجلاته التـــاريخية : « فى الوقت الذى فيه كثر عدد المسيحيين ، حدث أن روما أحرقت بالنـــــار ، بينما كان نيرون موجودا بمدينة أنتيوم . ولكن الرأى السائد يلقى تبعة احراق روما على الامبراطور، ولقـــــد ظن الامبراطور أنه بهذه الطريقة يكتسب مجدا اذ انه يبنى مدينة جديدة .والواقع، أن الامبراطور لم يستطع بأى وسيلة محاولة الهروب من تهمة اعطاء الأوامر بالحريق ، ولذا فانه وجه الاتهام الى المسيحيين ،وتبعا لذلك عذبهم بأبشع أنواع التعذيب برغم براءتهم. نعم ،فقد تفنن الامبراطور فى التفكير فى أنواع عديدة من الموت ، حتى أن بعض المسيحيين كان يغطى بجلود حيوانات مفترسة فيموتون من جراء التهام الكلاب لهم ، وكثيرون كانوا يصلبون أو يموتون حرقا ، اذ أن عددا كبيرا منهم كان يختار الموت بهـــــذه الطريقة ، حتى أنه عند اقبال المســــــاء كانوا يسلمون للحريق حتى يضيئوا الليل بهذه الطرق ، تعرض المسيحيون لجميع أنواع العنف.وبعد ذلك صدرت القوانين لتحريم ديانتهم ، وصدرت المنشورات العلنية تحرم على أى شخص أن يكون مسيحيا » .

وهكذا هلك المسيحيون فى دوامة الوحشية.وقد كان الاضطهاد قاصرا فى الأصل على مدينة روما ، ولكن باب الاضطهاد فتح بعدئذ على مصراعيه فاكتشف أمر المسيحيين فى كل مكان ، وصار فريسة لرعاع الشعب ويكتب « موفات » قائلا :

« بعد أن اكتسحت موجة الاضطهاد النيرونية العاصمة ، امتدت حتى وصلت الى شــــــــواطىء الولايات ، فأنباء الاضطهاد وصلت الى كل مكان

وأبرزت المسيحيين بصورة واضحة فى جميع أنحاء الامبراطورية ، وعندما سمع بها سكان الولايات ، كانوا اذ يرغبون فى حركة مماثلة على حساب المسيحيين الأمناء ، فانهم لا يحتاجون سوى لحاكم رومانى يشبع ميولهم الوحشية ، وتلميذ مسيحى بارز يتخذونه كفريسة لهم » .

كان على المسيحيين أن يظلوا دائما تحت تهديد .فقد علم رعاع المدن الرومانية بما قد حدث فى روما . وكثيرا ما كانت تنتشر القصص المغرضة للتشهير بالمسيحيين وكانت تمر أوقات يتشوق فيها الرعاع للدم ويغتبطون أشد الاغتباط لقوانين الموت السريع على المسيحيين . وكان هناك حكام على استعداد أن يرضوا الغوغاء باشباع رغباتهم لشهوة الدم . فلم يكن القانون الرومانى يهدد حياة المسيحيين ، بل العقاب الذى يفرض عليهم دون أية محاكمة نزيهة .

ومن ذلك الوقت فصاعدا ، كان المسيحى لا يأمن على حياته . فقد تمر سنين لا يحدث فيها شىء ، ثم تحدث شرارة تكهرب الجو ، ويبدأ الارهاب . كان هذا هو الجو الذى كتبت فيه رسالة بطرس الأولى ، وانه من أجل كل ما كان على المسيحيين أن يواجهوه فان بطرس يدعو شعبه للرجاء والشجاعة ، وللحياة المسيحية المقدسة التى تستطيع بمفردها أن تهزم وتكذب كل الشائعات التى تطلق عليهم والتى كانت السبب فى كل ما تعرضوا له من تعذيب . ان رسالة بطرس الأولى لم تكتب للرد على أية هرطقة لاهوتية ، ولكنها كتبت لتقوية الرجال والنساء الذين كانت حياتهم معرضة للخطر .

الشكوك :

لقد أبرزنا كل ما يدعم الاعتقاد بأن بطرس هو حقا كاتب الرسالة الأولى التى تحمل اسمه. ولكن كما قلنا من قبل ، فانه منذ وقت قليل ، خرج علينا بعض الدارسين الممتازين — وعددهم ليس بقليل — الذين يعتقدون أن بطرس لا يمكن أن يكون كاتب الرسالة . ونحن من جانبنا نؤمن تماما بوجهة النظر القائلة ان بطرس هو كاتب الرسالة ، ولكن من العدل أن نعرض وجهة النظر الأخرى . حتى وان كنا لانوافق على وجهة النظر هذه فانه من الواجب علينا أن نعرف حقيقة وجهة نظرهم ، وما هو الدليل الذى يدعمها ،

وقد نستطيع أن نرد على هذا الدليل بأسانيد أخرى . ووجهة النظر هذه معظمها مأخــوذة من قسم مخصص لبطـــرس الأولى فى كتاب «الكنيسة الأولى » والذى كتبه ب . هـ . ستريتر (Streetir) .

صمت غريب :

يكتب «بج» فى مقدمة الكتاب : « لايوجد سفر فى العهد الجديد كله ، له من التأييد القوى المبكر ما لرسالة بطرس الأولى » .

يعتبر أيوسوبيوس ،عالم القرن الرابع العظيم ومؤرخ الكنيسةوالعهد الجديد ، رسالة بطرس الأولى ضمن الاسفار التى لم يثر حولهـــا نزاع فى اى وقت ، والتى قبلتها الكنيسة الاولى بالاجماع وآمنت بصحتها كجزء من الكتب المقدسة (ايوسبيوس ، التاريخ الجامعى ٢ ° ٢٥ : ٢) ولكن هناك بعض الأشياء التى يجب ملاحظتها .

(١) فايوسبيوس يستشهد ببعض أقوال قدامى الكتاب ليثبت اقتناعه بأن بطرس الاولى معتـــرف بهـــا من الجميع . مع أنه لا يفعل ذلك بالنسبة للأناجيل أو لرسائل بولس . فهل احساس ابوسيبس بأن يقدم الدليـــــل بالنسبة لرسالة بطرس الاولى ضرورة ينتفى لزومها بالنسبة للأسفارالاخرى؟ هل كان هناك اى شك يدور فى خلد أيوسيبس ؟ أم هل كان يوجد من يشك ، فلابد من اقناعهم ؟ وهل هناك شك فى قبول الرسالة بالاجماع ؟

(ب) فى كتابه عن « قوانين العهــــد الجديد » يبين (وستكوت) أنه بالرغم من أنه لا يعترض أحد من الكنيسة الاولى على صحة رسالة بطرس الأولى ، إلا أنه من المدهش أن نجد عددا قليلا من الآباء الاوائل يستشهدون بها ، والنذر اليسير من آباء الكنيسة الغربية الأوائـــل يقتبسون منهـــا . (فترتليان) وهو أول الذين اقتبسوا من أقوال الكتاب المقدس ، استشهد بحوالى ٧٢٥٨ اقتباسا من العهد الجديد من بينهم اقتباسان فقط من رسالة بطرس الأولى . وهذا أمر يدعو للدهشة . فلـــو أن بطرس هـــو كاتب الرسالة ، وأنه كتبها فى روما ، فاننا نتوقع أن تكون الرســــالة معروفة للجميع ، وأن نجـــد كثيريـــن من رجال الـــكنيسة فى الغـــرب يقتبسون منهـــا .

(هـ) أن أقدم قائمة رسمية بأسفار العهد الجديد تعرف باسم « لائحة موراتورى » نسبة الى الكاردينال موراتورى الذى اكتشفها . وهى القائمة الرسمية بأسفار العهد الجديد والتى تبنتها الكنيسة فى روما حوالى سنة ١٧٠ م ، ومن أغرب الحقائق أن رسالة بطرس الأولى غير موجودة بتلك القائمة على الاطلاق . فقد يقال ردا على ذلك بأن لائحة موراتورى التى عندنا ناقصة ، وأنه قد تكون هناك اشارة عن الرسالة فى اللائحة الأصلية . ولكن هذا الرد يفقد قيمته بعد قراءة الدليل التالى .

(د) فالحق أن رسالة بطرس الاولى لم ترد فى العهد الجديد فى الكنيسة السورية حتى سنة ٣٧٣ م . فالرسالة لم تدرج ضمن أسفار العهد الجديد فى الكنيسة السورية حتى عملت الطبعة السريانية للعهد الجديد ، والمعروفة باسم بيشيتو (Peshitto) حوالى سنة ٤٠٠ م . وقد أصبحت الطبعة المعروفة باسم (البيشيتو) هى الطبعة السريانية الرسمية للعهد الجديد ، ولكن قبل ذلك لم تكن رسالة بطرس الأولى جزءاً من العهد الجديد السريانى . ونحن نعلم أن (تاتيان) هو الذى اتى باسفار العهد الجديد الى الكنيسة السريانية ، فقد جاء بها من روما الى سوريا عند ذهابه الى اديسه وتأسيسه للكنيسة هناك سنة ١٧٢ م ، وعلى هذا الأساس فيمكن القول بأن لائحة (موراتورى) التى تحت ايدينا صحيحة ، وأن رسالة بطرس الأولى لم تكن ضمن العهد الجديد للكنيسة الرومانية حتى سنة ١٧٠ م .

وأن هذا أمر يثير الدهشة — خاصة اذا كان بطرس كتب الرسالة وفى روما بالذات . وعندما نضع أمامنا كل تلك الحقائق معا ، فانه يبدو لنا أن هناك صمتا غريبا حيال رسالة بطرس الأولى وأن كل مايقال فى جانبها ليس مبنيا على أساس متين كما هو شائع .

رسالة بطرس الأولى والرسالة الى أهل افسس :

وأكثر من ذلك هناك ، فان علاقة بطرس الأولى والرسالة الى أهل أفسس . فهناك تشابه كبير فى الأفكار والعبارات بين الاثنتين . ونختار الآيات المتشابهة التالية كعينة على ذلك :

« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع من الأموات » . (ا بطرس ١ : ٣) « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح » (أفسس ١ : ٣) .

« لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التى يؤتى بها اليكم عند استعلان يسوع المسيح » . (ا بطرس ١ : ١٣) « فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق » . (أفسس ٦ : ١٤) .

« معروفا سابقا قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم » . (ا بطرس ١ : ٢٠) «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» . (أفسس ١ : ٤) .

«الذى هو فى يمين الله اذ قد مضىالى السماء وملائكة وسلاطينوقوات مخضعة له (ا بطرس ٣ : ٢٢) «وأجلسه عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة » (أفسس ١ : ٢٠ و ٢١) .

ثم أيضا نجد الأوامر للعبيد وللأزواج وزوجاتهم متشابهة فى كل من بطرس الأولى والرسالة الى أهل افسس . وهناك جدل بأن بطرس الأولى تقتبس من رسالة أهل افسس . هذا وبالرغم من أن الرسالة الى هل أفسس لابد أن تكون قد كتبت حوالى سنة ٦٤ م ، وأن رسائل بولس قد جمعت وحررت حوالى سنة ٩٠ م ، فان كان بطرس قد كتب رسالته أيضا سنة ٦٤ م . فكيف تسنى له التعرف على الرسالة الى أهل افسس ؟

هناك أكثر من رد على هذا القول :

(ا) ان الأوامر للعبيد وللأزواج وللزوجات جزء من التعاليم الموحدة للكنيسة ، تقدم لجميع معتنقى الديانة المسيحية فى كل الكنائس . فبطرس لم يكن مستعيرا لقول بولس ، ولكن كليهما كان يستخدم مادة شائعة الاستعمال .

(ب) كل العبارات المتشابهة يمكن تفسيرها على أساس أن هناك بعض

العبارات وبعض الأفكار التى كانت مألوفة فى الكنيسة الاولى كعبارة : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » ، فقد كانت ضمن اللغة التعبدية المستعملة فى الكنيسة الأولى فى كل مكان ، ولذا فان كلا من بطرس وبولس كان يعرفها جيدا ويسره استخدامها دون أن تكون هناك حاجة لأن يستعيرها الواحد من الآخر .

(حـ) وحتى ان كان هناك تبادل نقل العبارات بين الرسالتين ، فليس معنى هذا بالضرورة أن تكون بطرس الأولى هى التى اقتبست من رسالة افسس ، فقد يكون العكس هو الصحيح ، ومن الجائز أن يكون ذلك ، لان رسالة بطرس الاولى أقل تعقيدا من الرسالة الى أهل أفسس .

(د) وأخيرا ، فحتى ان كانت بطرس الأولى قد استعارت شيئا من رسالة افسس ، فان بطرس وبولس كانا فى روما فى وقت واحد ، ولذا فانه من المحتمل جدا أن يكون بطرس قد شاهد نسخة من رسالة أفسس ، قبل ان ترسل الى آسيا الصغرى ، وقد يكون قد ناقش بعض الأفكار مع بولس .

وأما القول بأن رسالة بطرس الأولى قد كتبت فى وقت متأخر لأنها تقتبس من الرسالة الى أهل افسس ، أمر غير مؤكد وغير حقيقى ولا أساس له من الصحة .

الشيخ رفيقكم :

اعترض بعضهم على أن بطرس لا يمكن أن يكون قد كتب هذه العبارة : « أطلب الى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقكم » (١ بطرس ٥ : ١) ، وقالوا ان بطرس فى حقيقة الأمر ليس شيخا ، ولا يمكن أن يسمى نفسه شيخا . فبطرس كان رسولا ، ووظيفة الرسول تختلف عن وظيفة الشيخ . فقد كانت تتميز مهمة الرسول بأن عمله وسلطانه لا يقتصر على كنيسة واحدة ، فكتاباته كانت توزع على جميع الكنائس ، بينما كان الشيخ لا سلطان له الا فى كنيسته المحلية . كان الرسول لا يرتبط بكنيسة واحدة ،

وكان يتنقل فى كل مكان لزيارة الكنائس ، بينما كانت مهمة الشياخة مرتبطة بكنيسة معينة ، ومن ثم فعمل الشيخ داخل نطاق كنيسته فقط .

هذا حق ، ولكن يجب الا ننسى أنه ليست هناك وظيفة أكثر احتراما عند اليهود من وظيفة الشيخ . فقد كان الشيخ موضع احترام المجتمع كله ، وكانت تذهب اليه الجماعة لطلب النصح تجاه المشاكل ، ولفض المنازعات وتحقيق العدالة . فبطرس ، كيهودى ، لا يستعمل عبارة غريبة اذ يسمى نفسه شيخا ، بل انه بذلك يتجنب ادعاء السلطة لنفسه والذى يوحى بـــه لقب رسول ، وانه بكل لطف وشفقة يضع نفسه فى موقف أولئك الذين كان يتحدث اليهم .

الشاهد لآلام المسيح :

هناك اعتراض على أن بطرس لم يكن بالحق شاهدا لآلام المسيح ، لأنه بعد أن قبض على المســـيح فى البستان ، تركه كل التــــلاميذ وهربوا (متى ٢٦ : ٥٦) ، وانه باستثناء التلميذ المحبوب ، لم يكن أحد من التلاميذ شاهدا للصليب (يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧) .

فبطرس له الحق أن يسمى نفسه شاهدا بالقيامة ، وتلك الشهادة فى الواقع هى وظيفة الرسول (أعمـــال ١ : ٢٢) ، ولكنه لم يكن شـــاهدا للصليب .

أن هذا أمر لا يمكن انكاره . ومع ذلك فبطرس لايدعى بأنه شاهـــد للصلب ، بل شاهد لآلام المسيح . فالواقع أنه رأى المسيح وهو يعانى من جراء رفض الناس له ، وفى اللحظات الحاسمة فى العشـــاء الأخـــير ، وفى صراعه المرير فى البستان ، وفى اللحظة التى بعد أن أنكر فيهـــا المسيح ، التفت يسوع ونظر اليه (لوقا ٢٢ : ٦١) . وحسنا قيل فى هذا ، انه قـــد تجمع فى تلك النظرة ، بعد انكار المسيح ، كل آلام القلب المكسور .

ان ذلك النقد الذى ينكر على بطرس الحق فى أن يعبر عن آلام المسيح كشاهد لها ، لهو نقد قاصر ، ويعوزه اعمال الفكر .

الاضطهاد بسبب اسم المسيح :

ولكن الجدل الرئيسى الذى يؤيد القول ان بطرس الأولى كتبت فى وقت متأخر ، مبنى على أساس ما ورد بالرسالة من اشارة للاضطهاد .

فيقولون انه فى الوقت الذى كتبت فيه الرسالة ، كان يعتبر جريمة أن يصبح الانسان مسيحيا ، وأن المسيحيين كانوا يجرون الى المحاكم ، لا لجريمة ارتكبوها ، ولا لعلة فيهم ، بل لمجرد كونهم مسيحيين . فالرسالة تتحدث عن التعيير باسم المسيح (٤ : ١٤) ، وعن الألم كمسيحيين (٤ : ١٦) .

قيل ان مرحلة الاضطهاد بدأت بعد سنة ١٠٠ م ، وانه فى بداية تاريخ الكنيسة ، كان المسيحيون يضطهدون كفاعلى شر ، كما اضطهدهم نيرون بحجة حرقهم لروما ، ففى البداية كان المسيحيون يتهمون بارتكاب الجرائم ، وأنهم لم يضطهدوا لمجرد كونهم مسيحيين الا فى وقت متأخر ولاشك انه قد تم هذا بموجب القانون الذى صدر سنة ١١٢ م .

ففى ذاك الوقت كان « بلينى » حاكم بيثينية ، وكان بلينى صديقا شخصيا للامبراطور تراجان ، فكان يعرض كل مشاكله على تراجان لحلها . وقد بدأت مشكلة المسيحيين فى الظهور فى بيثينية . وكان بلينى يدرك انه لا ضرر ينجم عن المسيحيين ، وانهم مواطنون عرفوا بطاعتهم للقانون .

وقد اخبروه انهم « قد اعتادوا الاجتماع فى يوم معين قبل بزوغ النهار : ليرنموا ترنيمة للمسيح كالههم ، وانهم عاهدوا أنفسهم بألا يرتكبوا جرائم ، والا يسرقوا أو يزنوا او يكسروا الوعد أو ينكروا ما لا قد أودع ذمتهم » . وقد قبل « بلينى » كل ذلك ، ولكن عندما مثلوا أمامه لم يسأل سوى سؤالا واحدا اذ قال « لقد سألتهم : هل هم مسيحيون ، « فالذين أقروا سألتهم مرة ثانية وثالثة مهددا بالعقاب . فالذين أصروا ، أمرت بأن يقادوا للموت » .

فجريمتهم الوحيدة هى أنهم مسيحيون . وقد كان رد « تراجان » على

ذلك بأن ما فعله بلينى صواب ، وأن أى شخص ينكر أنه مسيحى ويثبت بتقديمه الذبائح للآلهة أنه ليس مسيحيا ، تبرأ ساحته فورا .

ومن الرسائل المتبادلة بين الاثنين يتضح ، أن هنــاك معلومات كثيرة وردت ضد المسيحيين ، ويقرر تراجان أنه لايصح قبول أو اقرار أى رسائل مجهولة ترد فيها أية بيانات . (بلينى ، رسائل ٩٦ و ٩٧) .

قيل ان هــذه المرحلة من الاضطهاد لم تبدأ حتى عهــد تراجان ، وأن ماورد برسالة بطرس الأولى يوحى بأنه تعــد جريمة أن يصــير الانســان مسيحيا ، ولذا فلابد أن يرجع زمن كتابة الرسالة لعصر تراجان .

والطريقة الوحيدة التى نرد بهــا على ذلك هى أن نبين خط ســير الاضطهاد وأسبابه فى الامبراطورية الرومانية . ونوضح ذلك بايراد حقيقة أساسية ، تتفرع منها ثلاث نتائج :

١ ــ تحت الحكم الرومانى ، كانت الأديان مقسمة الى قسمين . كانت هناك أديان مسموح بها ، وهى معترف بها من الدولة ومصرح لأى انسان اعتناقها وممارسة شعائرها . وكانت هناك أديان تحرمها الدولة ، وغــير مصرح لأى انسان اعتناقها . فلو اعتنقها أى انسان لكان اضطهاده على يد الشرطة أمرا ضروريا . فأى شخص يمارس شعائر الديانة الغير مصرح بهــا ، كان يعد مجرما تماما كالسارق أو القاتل وكان يعد تبعا لذلك خارجا على القانون ، ويستوجب الحكم .

ونشير هنا الى أن الرومان كانوا متسامحين،بمعنى أن أية ديانة كانت لا تمس المبادىء العامــة للسلوك والنظــام المدنى كان يصرح بها . فلــم يكن الرومان يتميزون بالاضهاد ، وكانوا متسامحين بطبيعتهم .

٢ ــ كانت اليهودية ديانة مسموح بها ، ففى بادىء ذى بدء لم يعرف الرومان الفرق بين اليهــودية والمسيحية . ولم تكن المسيحية بالنسبة لهم سوى مذهب من مذاهب اليهودية ، وأن نشوب أى خــــلاف أو عداء بين اليهودية والمسيحية كان يعد نزاعا دينيا خاصا لا يهم الحكومة الرومانية فى شىء . وبسبب ذلك ، لم يكن هناك أى خطر اضطهاد تتعرض له المسيحية.

فقد كانت تتمتع بحرية العبـــــــادة تماما كاليهودية . وكانت تعتبر ضمن الديانات المصرح بها .

٣ — ان ما قام به نيرون قلب كل شيء ، ومع ذلك فهناك احتمال كبير أن ذلك كان نتيجة لعمل مدبر قام به اليهود ، واكتشفت الحكومة الرومانية أن اليهودية تختلف عن المسيحية . صحيح أن نيرون اضطهد المسيحيين أولا ليس لكونهم مســـــــيحيين ، بل لاحراق روما . ولكن الشيء المهم هو أن الحكومة قد اكتشفت أن المسيحية ديانة مستقلة .

٤ — وكانت النتيجة الحتمية لذلك ، اعتبار الديانة المسيحية في الحال ديانة غير مصرح بها ، ديانة محرمة ، وأصبح في الحــال كل مسيحي خارجا على القانون ، ومجرما ليس لأي جريمة ارتكبها بل لأنـــه ، بكــل بساطة ، مسيحي . والواقع أن هذا هو ما حدث تماما ، ودليلنا في ذلك المؤرخ الروماني ساوتونيوس ، الذي ذكر قائمة بالأشياء وبالأمـــور التي حرمها نـــيرون اذ يقـــول :

« ففي أثناء حكمه تم القضاء على كثير من العادات الذميمة ، ووضعت قوانين كثيرة للحد من المنصرف ، وأصبحت الولائم العامة قاصرة على توزيع الطعام ، ومنع بيع الأطعمة المطهية في المحــلات العامة باستثناء الخضروات بينما كان يباع جميع أنواع المأكولات . وأوقع العقاب على المسيحيين وهم طائفة من الشعب قد آمنت بخرافة جديدة ضارة . وقد ألغى نيرون كذلك وظيفة سائقي المركبات ، الذين اذا اكتسبوا مناعة من جراء طول الوقوف ، صاروا يذهبون مسافات طويلة ويغشون الجمهور . وقد طرد من المدينة كذلك كل ممثلي المشاهد الصامتة وأفراد فرقتهم » .

لقد استشهدنا بتلك الفقرة بــكاملها لأنها الدليل على أن تعـــذيب المسيحيين في وقت نيرون لم يعــد أن يكون اجراء بوليسيا عاديا ، وواضح كل الوضوح أنه لا داعي للافتراض بأن اعتبار كل مسيحي مجرما لم يحدث الا في عصر تراجان . فبعد عهــد نيرون كان كل مسيحي معرضا للتعذيب والموت ليس سوى لأنه مسيحي . وهذا لا يعني أن الاضطهاد كان مستمرا وثابتا ، ولكنه يعني أن أي مسيحي كان معرضا للموت في أي وقت ، كمجرد

إجراء بولبسى. فقد يعيش أى مسيحى فى منطقة ماطيلة حياته دون حدوث أى شىء وقد تحدث موجات الاضطهاد فى منطقة أخرى كل بضعة شهور قليلة . وكان ذلك يعزى لسببين : فقد كان الأمر يتوقف على الحاكم نفسه . فقد لا يمس الحاكم المسيحيين بأى سوء وقد ينفذ القانون ضدهم . كما كان الأمر كذلك يتوقف على ما يصل الى سمع الحاكم من معلومات . فقد لا يود الحاكم أن يتخذ أى اجراء ضد المسيحيين ولكن اذا وردت اليه أية معلومات ضد أى مسيحى ، كان الغوغاء يلحون فى طلب الدماء ، كان عليه أن يتحرك ، فيذبح المسيحيين حتى يقام عيد رومانى بهذه المناسبة .

ويمكن مقارنة موقف المسيحيين ومعاملة القانون الرومانى لهم ببعض الأشياء البسيطة التى تحدث فى أيامنا ، والقياس مع الفارق . فهناك بعض الأعمال الغير قانونية ــ خذ مثلا بسيطا ، أن يترك شخص عربيته خارج منزله طول الليل دون اضاءة الأنوار ــ فقد يسمح بهذا وقتا طويلا . ولكن اذا أرادت سلطات الأمن اتخاذ أى اجراء لمنع ذلك ، أو اذا تطورت تلك العادة الى عمل صارخ ضد القانون أو اذا تقدم أحدهم شكوى أو أبلغ البوليس ، فلابد اذن من تنفيذ القانون وتوقيع العقوبة اللازمة . كان موقف المسيحيين فى الامبراطورية هكذا . فقد كانوا خارجين على القانون، ولكن فى حقيقة الأمر لا يتخذ أى اجراء ضدهم ، ولكن سيف « ديموقليس » كان معلقا فوق رؤوسهم باستمرار فلا يمكن لاحد التكهن بمتى يبلغ ضدهم ومتى يتخذ الحاكم أى اجراء ضدهم ومتى يتعرضون للموت . ويجب أن يفهم جيدا أن الموقف قد تطور الى هذا الحد بعد ما قام به نيرون من أعمال ضد المسيحيين فلم تكن السلطات الرومانية ، حتى ذاك الوقت ، تعرف أن المسيحية ديانة جديدة ، ولكن بعد ذلك التاريخ عرفوا ذلك ، وأصبح المسيحى تبعا لذلك خارجا على القانون .

لنطبق ذلك على الوضع كما هو مدون فى رسالة بطرس الأولى . فالشعب الذى يكتب له بطرس محاط بتجارب متنوعة (١ : ٦) ، وايمانهم معرض لأن يمتحن بالنار كالمعادن (١ : ٧) ، ثم أنهم يجتازون حملات التشهير والافتراء ضدهم ، باتهامات باطلة سخيفة موجهة اليهم بحقد (٢ : ١٢ ، ٢ : ١٥ ، ٣ : ١٦ ، ٤ : ٤) ، وهم يقاسون موجات الاضطهاد

لأنهم مسيحيون . (٤ : ١٢ و ١٤ و ١٦ ، ٥ : ٩) ، ويجب أن يتوقعوا حدوث تلك الآلام ولا يستغربوا لذلك (٤ : ١٢) .

وانه طوباهم ان تألموا من أجل البر (٣ : ١٤ و ١٧) ، وصاروا شركاء آلام المسيح (٤ :١٣) . فلاداعى لأن يفترض حدوث كل ذلك فى عصر تراجان . فقد كان ذلك هو الظرف الذى وجد فيه المسيحيون انفسهم فى كل جزء من أجزاء الامبراطورية بعد أن تنبهت الحكومة الرومانية لوجودهم على أثر فعلة نيرون . فالاضطهاد الذى تحدثنا عنه رسالة بطرس الأولى لا يجبرنا بأى حال أن نعتقد أن كتابتها قد حدثت بعد زمن بطرس أو أن بطرس ليس كاتب الرسالة .

اكرموا الملك :

ونستمر أيضا فى الرد على أولئك الذين لا يعتقدون بأن بطرس هو كاتب الرسالة . فهم يقولون ان بطرس لم يكن ليكتب ما كتبه فى الظروف التى حدثت فى وقت نيرون كقوله : « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من اجل الرب . ان كان للملك فكمن هو فوق الكل . أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير ... خافوا الله ، اكرموا الملك » . (٢ : ١٣ — ١٧) .

يقولون انه لا يمكن أن يكتب بطرس ذلك عندما كان نيرون امبراطورا . ولكن الحقيقة هى أن تلك نفس الفكرة التى كتب عنها بولس فى رسالته الى اهل رومية (١٣ : ١ — ٧) . ففى كل تعاليم العهد الجديد ، باستثناء سفر الرؤيا حيث نجد الويل لروما ، يتضح أن الأمر للمسيحى أن يكون مواطنا صالحا ، ويبين بطلان الاتهامات الموجهة ضده بصيته الحسى (١ بطرس ٢ : ١٥) . وحتى فى وقت الاضطهاد كان على المسيحى أن يكون مواطنا صالحا ، ودفاعه الوحيد ضد الاضطهاد أن يظهر بسلوكه المتاز أنه لا يستحق ذلك العقاب . فليس من المستحيلات أن نجد بطرس يكتب ذلك .

عظـــة ورسالة رعوية :

فمـــا هو اذن رأى أولئك الذين لا يؤمنون أن رسالة بطرس الأولى من نتاج بطرس نفسه ؟

يقولون أولا ، أن مقدمة الرسالة (١ : ١ و ٢) ، والتحيـــة الختامية (٥ : ١٢ ــ ١٤) قد أضيفتا مؤخرا ، وانهما لم يكونا ضمن صلب الرسالة . وقيل أيضا أن بطرس الأولى كما هى عليه الآن مكونة من جزيءين منفصلين عن بعضهما . ففى (٤ : ١١) نجد ترنيمة حمد وشكر لله ، وأفضل مكان لها هو النهاية ، ولذا فانهم قالوا انه من (١ : ٣ الى ٤ : ١١) نجد الجزء الأول الذى تتكون منه الرسالة مع الجزء الذى يليه . وقيل أيضا ان ذلـــك الجزء من رسالة بطرس الاولى كان فى الأصل عبارة عن عظة معمدانية . ونجد فيه اشـــارة الى المعمودية التى تخلصنا (٣ : ٢١) ، والنصيحة الى الخدام والزوجات والأزواج (٢ : ١٨ ــ ٣ : ٧) وهى نصـــــائح تقدم فى الغالب للمعتنقين الجدد للمسيحية من الديانات الأخرى ، والذين فى بداية دخولهم للحياة المسيحية الجديدة . وقيـــل ان كلمات الحمد والشكر لله فى (٤ : ١١) تنهى ذلك الجزء الأول .

وقيل أيضا ان الجزء الثانى من الرسالة (٤ : ١٢ ــ ٥ : ١١) هو جزء مستقل تماما ، وهـــو عبـــارة عن رسالة رعوية ، كتبت لتقوية المؤمنـــين وتعزيتهم فى وقت الاضطهاد (٤ : ١٢ ــ ٢٩) . وكان الشيوخ فى ذلك الوقت على جانب كبير من الأهمية ، فقد كانوا ساعد الكنيسة الأيمن . ويخاف كاتب الرسالة الرعوية من أن يسيطر عليهم الطمع والزهو (٥ : ١ ــ ٣) ، ويحثهم أن يتمموا بأمانة المهمة السامية الملقاة على عاتقهم (٥ : ٤)

فبناء على هذا الرأى اذن ، تنقسم رسالة بطرس الأولى الى جزءين منفصلين ــ عظـــة معمدانية ، ورسالـــة رعوية كتبت فى وقت الاضطهاد ولا تنسب اى منهما لبطرس بصلة .

آسيا الصغرى ، وليست روما :

ولنستمر فى عرض هذه الأفـــكار . أن كانت رسالـــة بطرس الاولى

عبارة عن عظة معمدانية ورسالة رعوية فى وقت الاضطهاد ، فأين كتبت ؟
اذا لم يكن لبطرس أية صلة بالرسالة فلا داعى اذن ان يكون هناك أى ارتباط بينهما وبين روما ، ومن ثم فالكنيسة الرومانية لم تعرف أو تستخدم الرسالة . فأين كتبت اذن ؟ لنوضح هنا بعض الحقائق .

(أ) بنطس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية (١ : ١) مجموعة ولايات فى آسيا الصغرى ومركزها (سينوب) .

(ب) وكان أكثرهم اقتباسا من رسالة بطرس « بوليكاربوس » الذى كان أسقفا لسميرنا ، وكانت فى آسيا الصغرى .

(ج) هناك بعض العبارات الواردة فى رسالة بطرس الأولى نجد لها مثيلا فى اجزاء أخرى من العهد الجديد . ففى (١ بطرس ٥ : ١٣) تسمى الكنيسة « بالمختارة » ، وفى (٢ يوحنا ١٣) توصف الكنيسة أيضا « بالأخت المختارة » . وفى (١ بطرس ١ : ٨) مكتوب عن يسوع المسيح « الذى وان لم تروه تحبونه . ذلك وان كنتم لاترونه الآن لكن تؤمنون به فيبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » . وهذا يذكرنا طبعا بما قاله يسوع لتوما فى انجيل يوحنا : « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » . (يوحنا ٢٠:٢٩) . ورسالة بطرس الأولى تحث الشيوخ أن يرعوا رعية الله (١ بطرس ٥ : ٢)، وهذا يرجع بنا الى أمر يسوع لبطرس بأن يرعى غنمه (يوحنا٢١:١٥-١٧)، ولوصية بولس الختامية لشيوخ أفسس بأن يحترزوا للرعية التى أقامهم الروح القدس فيها أساقفة (أعمال ٢٠ : ٢٨) . وخلاصة القول ان رسالة بطرس الأولى تذكرنا بما جاء فى الانجيل الرابع وفى رسائل يوحنا وبما قاله بولس فى أفسس . وغالبا كتب انجيل يوحنا ورسائل يوحنا فى أفسس ، (وأفسس فى آسيا الصغرى) .

وفى دراستنا للاجابة على السؤال المتعلق بمكان كتابة الرسالة ، فانه يبدو أن كل السبل تشير الى آسيا الصغرى .

ظروف كتابة الرسالة :

فعلى زعم أن الرسالة كتبت فى آسيا الصغرى : هل يمكننا تحديد

ظروف الرسالة ؟ لقـــــد كتبت فى وقت الاضطهاد . نحن نعـلم مما جاء فى رسائل بلينى انه قد حدث فى بيثينية سنة ١١٢ م اضطهاد عظيم للمسيحيين . وبيثينية هى احدى الولايات المذكورة فى مقدمة الرسالة ، ونحن نفترض ان رسالة بطرس الاولى قد كتبت لتقوية وتشجيع المسيحيين فى ذلك الوقت . فمن الجائز أن أحد الذين كانوا فى احدى كنـائس آسيا الصغرى قد عثر على هاتين الوثيقتين ، وهما عبارة عن عظة عن المعمودية وكلمة مشجعة فى زمن الضيق ، وقد أرسلهما تحت اسم بطرس .

ويجب أن نسجل أنه فى ذلك الوقت لم يكن ذلك العمل ليعد تزويرا فقد كانت من العادات اليهودية واليونانية نسبة الكتب الى أسماء عظماء الكتاب القدامى . وكان ذلك فى العالم القديم يعد شيئا عاديا لا غبار عليه .

كاتب رسالة بطرس الأولى :

اذا لم يكن بطرس هو كاتب الرسالة الأولى ، فهل يمكننا ان نتخيل من يكون كاتب الرسـالة ؟ لنحاول أن نستعرض بعض الصفات الجوهرية التى يجب توافرها فى كاتب الرسالة . لقد افترضنا سابقا أنه يجب أن يكون من آسيا الصغرى . وبناء على الرسالة ذاتهـــا ، فانه يجب أن يكون شيخا ، وشاهدا لآلام المسيح (١ بطرس ٥ : ١) .

هل هناك شخص تتوفر فيه هذه الشروط .

يخبرنا بابياس ، أسقف هيرابوليس حوالى سنة ١٧٠ م ، الذى قضى حياته يجمع المعلومات الخاصة بالكنيسة الأولى ، عن مصادره وطرقه فى جمع المعلومات فيقول : انى لا أتردد فى أن أقدم لكم بعناية كل ماتعلمته من الشيوخ واثقا أنه الحق ... فان جاء أحد وكان من أتباع الشيوخ ، فانى اسأله عن اقوال الشيوخ — عما قال اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو اى واحد من تلاميذ الرب ، وايضا عما قاله اريستيون او الشيخ يوحنا تلميذا الرب . لانى أعتقد أن الكتب لا تفيدنى كالأقوال التى فاه بها اناس كانت اصواتهم تنبض حية أمامنا...فأمامنا هنا

اذن شيخ اسمه (أرستيون) . فأرستيون كان شيخا وكان تلميذا للرب ، ومن ثم شاهدا لآلام الرب ، فهل له علاقة برسالة بطرس الأولى ؟

ارستيون وسميرنا :

عندما نقرأ كتاب « القوانين الرسولية » ، نجد أن « أرستيون » كان من الأساقفة الأوائل لسميرنا ــ وهو نفس اسم « أرستيون » . من اكثرهم اقتباسا لرسالة بطــرس الأولى ، انه بوليكاربوس ، أسقف سميرنا أيضا الذى جاء فيما بعد.وانه من الطبيعى أن يقتبس بوليكاربوس شيئامن التراث الدينى القديم لكنيسة سميرنا . فهل من الجائز ان تكون الرسالة عبارة عن عظة عن المعمودية ورسالة رعوية كتبهما أرستون أسقف سميرنا ؟

وهناك شىء آخر يجب ملاحظتـــــه . لنرجع لرسائل السبع الى السبع الكنائس فى سفر الرؤيا ، ولنقرأ الرسالة الى سميرنا : « لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به . هوذا ابليس مزمع أن يلقى بعضا منكم فى السجن لــكى تجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام . كن امينا الى الموت فسأعطيك اكليل الحياة » (رؤيا ٢ : ١٠) .

هل يمكن أن يكون هذا هـــو الاضطهاد المتحدث عنه فى رسالة بطرس الأولى ؟وهل بسبب هذا الاضطهاد كتب أرستيون أسقف سميرنا ، رسالته الرعوية التى صارت فيما بعد جزءا من رسالة بطرس الأولى ؟

هذا هو رأى ب . هـ ستيرتير ، فهـــو يعتقد أن رسالة بطرس الاولى عبارة عن عظة معمدانية ، ورسالة رعوية كتبها أرستيون أسقف سميرنا. وقد كتبت تلك الرسالة الرعوية لتقوية وتعزية شعب سميرنا سنة ٩٠ م ، عندما كان الاضطهاد المذكور فى سفر الرؤيا يهـــدد الكنيسة . وقد صارت كتابات أرستيون تراثا تعبديا تقدسه كنيسة سميرنا وتعتز به . وبعد حوالى عشرين سنة نشب اضطهاد أوسع نطاقا وأشد حدة فى بيثينية ، وانتشر فى شمال آسيا الصغرى . فتذكر أحدهم رسالة وعظة أرستيون ، وشعر انهما لازمتان للكنيسة فى وقت محنتها ، فأرسلهما تحت اسم بطرس ، الرسول العظيم .

رسالة الرسول

لقد أوردنا بالتفصيل وجهتى النظـــر بخصوص أصل رسالة بطرس الأولى وتاريخ كتابتها وكاتبها . ونحن لانشك فى أهمية النظرية التى أوردها ب . هـ ستريتر ، وفى طرافتها . ولا نشك أيضا فى أن أولئك الذين يعتقدون بأن الرسالة قد كتبت فى وقت متأخر قد أوردوا حججهم التى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبـــــار ، هذا مع أننا بدورنا لا نرى أى سبب يدعو للشك فى أن الرسالة هي رسالة بطرس نفسه ، وانها كتبت بعـــد حريق روما وأول اضطهاد للمسيحيين بوقت قصير ، وأن هدفهـــا تقوية المسيحيين فى آسيا الصغرى ليثبتوا فى مواجهة الاضطهاد الذى كان تياره يتسع ليبتلعهم وينتزع إيمانهم منهم .

الأَصْحَاحُ الأَوَّلُ

الميراث العظيم

بُطْرُسُ رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى الْمُتَغَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ . لِتُكْثَرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ .

(١ : ١ — ٢)

كثيرا ما نجد ان سمو وجمال اى فقرة فى العهـــد الجديد ليس فقط فى ظاهرها وفى الكلمات التى تحويها ، بل فى الأفكار والاحساسات التى تثيرها ، والتى هى الدافع لكتابتها . وهذا ينطبق على هذه الفقرة بنوع خاص فواضح ان هذه الرسالة قد كتبت للأمميين الذين افتـــدوا من سيرتهم الباطلة التى تقلدها من الآباء (١ : ١٨) . الذين لم يكونوا من قبل شعبــا ، ولكنهــم صاروا الآن شعب الله (٢ : ١٠) . فقد كانوا فى زمان الحيـــاة الذى مضى يسلكون فى الدعارة والشهوات (٤ : ٣) .

ان أبرز ما فى هذه الفقرة انها تستخدم الكلمات والأفكار التى لم تكن تنسب الا لليهود ، الأمة المختارة ، وتنسبها للأمميين ، الذين كانوا يظنون أنهم خارج رحمة الله . قيل قبلا ان «الله قد خلق الأمميين ليـــكونوا وقودا لجهنم » ، وقيل أيضا انه كما أن أفضل الحيات يجب سحقهـــا ، هكذا فأفضل الأمميين يجب القضاء عليهم .

وكان يقال ان الله قد احب اسرائيل فقط من كل أمم الأرض . ولكن

الآن ، فان رحمة الله ونعمته وبركاته قد شملت كل الأرض وكل البشر ، حتى أولئك الذين لم يكونوا يتوقعون كل تلك الامتيازات .

١ — ان بطرس يدعو الشعب الذى يكتب اهم « بالمختارين » ، شعب الله المختار . لقد كان ذلك قبلا لقبا يطلق على اليهود وعلى اليهود وحدهم . « لأنك انت شعب مقدس للرب الهك . اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » . (تثنية ٧ : ٦، أنظر ١٤ : ٢) . والنبى يتكلم عن « اسرائيل مختارى » (اشعياء ٤٥ : ٤) ، ويتحدث المرنم عن «بنى يعقوب مختاريه » (مزمور ١٠٥ : ٦ — ٤٣) . فقد كان اسرائيل يلقب قبلا بالشعب المختار باستثناء جميع الأمم .

ولكن أمة اسرائيل لم تحقق أهداف الله ، وفشلت فى اتمام مطاليبه ، لأنه عندما أرسل الله ابنه الى العالم ، رفضوه وصلبوه . وعنـــــدما ضرب المسيح مثل الكرامين الاشرار ، قال بنفسه ان ميراث اسرائيل يؤخذ منهم ويسلم الى آخرين (متى ٢١ : ٤١ ، مرقس ١٢ : ٩ ، لوقا ٢٠ : ١٦)فالسيد قد سلم الكرم الى آخرين . هذا هو أساس عقيدة العهد الجديد ، العقيدة بأن الكنيسة المسيحية هى اسرائيل الحقيقى ، اسرائيل الجديد ، اسرائيل الله (أنظر غلاطية ٦ : ١٦) ، وكل الامتيازات التى كانت ممنوحة من قبل لاسرائيل قد آلت الآن للكنيسة المسيحية . فالكنيسة بجميع أعضائها من كل أمة فى العالم هم الشعب المختار ، وقد امتدت نعمة الله الى جميع أطراف الارض ، وقد عاينت جميع الامم مجد الله ، واختبرت نعمته .

٢ — وهناك أيضا كلمة أخرى كانت تطلق من قبل على اسرائيل فقط . فمقدمة الرسالة تقول : « الى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية » . وكلمة diaspora تعنى حرفيا (الشتات) ، وقـــد كانت تطلق على اليهود المشتتين فى جميع الأقطار خارج حدود فلسطين . ففى تاريخهم الغير مستقر، أجبر بعض اليهود على ترك مواطنهم الأصلى، وغادر البعض الآخر منهم البلاد بمحض ارادتهم بحثـــــا عن العمل والمال فى بلاد أخرى .

وكان يسمى هؤلاء اليهود بالشتات . ولكن (الشتات) هنا ليسوا هم الأمة اليهودية ، ان الشتات الحقيقى هم أعضاء الكنيسة المسيحية المشتتين فى الخارج، فى ولايات الامبراطورية الرومانية وفى جميع امم العالم .لقد كان اليهود قبلا يتميزون عن الشعوب الأخرى ، ولكن المسيحيين الآن هم الذين يتميزون ، فهم الشعب الذين ملكهم الله ووطنهم الابدية ، وهم غرباء ونزلاء فى الأرض .

المختارون من الله والمتغربون عن الأبدية

ان ما قلناه سابقا يعنى أن اللقبيين اللذين كنا نفكر فيهما الآن ، حق لنا نحن المسيحيين .

١ ــ فنحن شعب الله المختار . هنا الرفعة الحقيقية ، فليس هناك امتياز أعظم من أن تكون مختارا من الله . وكلمة « eklektos » تعبر عن الشيء المختار خصيصا، كالفاكهة المنتقاة، أو السلع المنتقاة لأنها تمتاز بجودة الصنع ، أو الجنود المختارين للقيام بواجب سام أو مشروع جليل . فنحن لنا شرف أننا مختارون خصيصا من الله . ولكن علينا ايضــــا مهمة ومسئولية لنؤديها . فان الله يختار دائما من يصلحون للخدمة . والشرف الذى يمنحه الله لأى انسان هو شرف استخدام الله ذلك الانسان لاتمام مقاصده . وكوننا مختارين يعنى شرفا يمنحه الله ايانا ، وعمـــلا أودعه الله أيدينا لنتممه . وهذا هو العمل الذى فشل اليهود فى تأديته ، وعلينا أن نحترس لئلا تتكرر مأساة فشل كهذا فى حياتنا .

٢ ــ نحن أيضا متغربون عن الأبدية . وهذا لا يعنى أننا يجب أن نتخلى عن العـــالم ، بل انه يجب أن نكون فى العالم بقدر ما ، وفى نفس الوقت ألا نكون من العالم بقـــدر أيضا . حسنا قيل أن المسيحى يجب أن ينعزل عن العالم مع أنه لا يصح أن يهرب من العالم . فحيثما استقر اليهودى ، كانت عيناه متجهتين نحو أورشليم . ففى البلاد الأجنبية كانت تبنى المجامع بحيث يتجه المتعبد نحو أورشليم ، ومهما كان نفع اليهودى للبلد الذى يوجد فيه الا أن ولاءه كان لأورشليم .

والـكلمة اليونانية المستعملة للتعبير عن المتغرب فى بلاد بعيـدة عن وطنه هى (paroikos) ، فهى كلمة تعبر عن الشـخص النزيل فى أرض غريبة عن وطنه ، وافكار متجهـة نحو وطنه . وهذا التغرب يسمى (paroikia) ،وهذه الكلمة مشتقة اشتقاقا مباشرا من الكلمة الانجليزية (أبروشية) فالمسيحيون فى أى مكان ، ورجال الابروشية حيثما وجـدوا هم جماعة من الناس تتجه أعينهم نحو الله ، وولاؤهم الى ما وراء هذا العـالم المنظور .

قال كاتب الرسالة الى العبرانيين : « لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » (عبرانيين ١٣ : ١٤) .

ونؤكد ثانية أن هذا لا يعنى ترك العالم ، ولكنه يعنى أن المسيحى يرى كل الأشياء فى ضوء الأبدية ، وهو يعتبر الحياة كرحلة نحو الله . وهو يقيس قيمة واهمية أى شىء بالنسبة لتلك الرحلة ، وعلى أساسها يحدد سلوكه ، فهذا الاعتبـار هو محك حياته الاخلاقية وهو القوة المحركة له فى الحياة . هناك مثل شهير غير مدون قاله يسوع : « ان العالم أشبه بقنطرة . فالحكيم يمر عليها ولكنه لا يبنى بيته فوقهـا » . وتلك هى الفـكرة التى نجدها فى الفترة الشهيرة فى « الرسالة الى ديوجنيتوس » ، وهى من أفضل ما كتب فيما بعد العصر الرسولى : « ان المسيحيين لا يتميزون عن باقى الجنس البشرى بالأقطار التى ولدوا فيهـا ولا باللغة التى يتكلمونها ولا بعاداتهم ... فهم يسكنون فى مدن أو بربرية ، كل حسب قرعتـه ، متبعا نفس العـادات فى المأكل والملبس وجميع مظاهر الحياة كالآخرين ، الا أنهم يتميزون بمـا يظهرونه من سلوك ممتـاز يدل على انتمائهم لدولة أخرى . فهم يقطنون مواطن ميلادهم ، ولكن كاقامة مؤقتـة ، وهم يشاركون فى جميع المسئوليات الملقاة على عاتقهم كمواطنين ، ويتحملون كل ما بضايق الغريب . فكل بلد أجنبى وطن لهم ، وكل وطن بلد أجنبى .. انهم يقضون أيامهم على الأرض، ولكن موطنهم الأصلى هو السماء » .

من الخطأ الاعتقاد بأن هذا يجعل المسيحى مواطنا غير صالح فى البلد

الذى يعيش فيه . فهو من أفضل المواطنين لأنه يرى جميع الاشياء فى ضوء الأبدية ، ولأنه لا يمكن رؤية الأشياء فى وضعها الصحيح الا فى ضوء الأبدية .

فنحن كمسيحيين ، شعب الله المختار ، ونحن متعربون عن الأبدية . هذا امتياز عظيم لا يقدر ، ولكنه أيضا ينطوى على واجب ومسئولية لا يمكن التهرب منها .

ثلاث حقائق عظمى فى الحياة المسيحية

فى عدد (٢) نجد ثلاث حقائق عظمى فى الحياة المسيحية :

١ ــ فالمسيحى مختار بمقتضى علم الله السابق . وقد كتب (كارنفيلد) ، تعليقا جميلا على تلك العبارة اذ قال : « لو ركزنا اهتمامنا على عداوة العالم لنا أو عدم اكتراثه بنا أو ضآلة مجهوداتنا الشخصية فى الحياة المسيحية ؛ فقد يدب اليأس فى نفوسنا . فان اجتزنا فى أوقات كهذه فلا يصح أن ننسى أننا مختارون بمقتضى علم الله الآب السابق . فالكنيسة ليست هيئة بشرية فحسب ، بالطبع هى كذلك . ولكن الكنيسة لا تنفذ أية ارادة بشرية، ولا تتمم أية مثل انسانية أو أية أهداف أو امانى من نسج الانسان ، انها تحقق مقاصد الله الأبدية » .

فعندما نحس باليأس ، يجب أن نذكر أن الكنيسة المسيحية قد برزت الى الوجود بمقتضى البرنامج الالهى ، وما دامت الكنيسة أمينة لله ومطيعة له ، فانها لايمكن أن تفشل فى النهاية .

٢ ــ المسيحى مختار ليكون مكرسا بالروح . قال لوثر : « انى أعتقد أننى لا أستطيع عن طريق العقل أو القوة الذاتية أن أؤمن بيسوع المسيح ، أو أن آتى اليه » . فالروح القدس شىء جوهرى فى كل خطوة من حياة المسيحى . فهو الذى يحرك فينا ولى الميول والدوافع نحو الله ونحو عمل الصلاح . وهو الذى يبكتنا على خطايانا ، ويقودنا لنصليب حيث نجد غفران تلك الخطايا . فالروح القدس يمكننا من أن نسير فى طريق نحو القداسة ،

وأن نتحرر من خطايانا التى استعبدتنا ، وأن نتحلى بالفضائل التى هى ثمار الروح والروح القدس أيضا يعطينا تأكيدا بغفران خطايانا وأن يسوع المسيح رب . فحاة المسيحى من بدايتها الى نهايتها للروح القدس بكل شىء .

٣ ـــ المسيحى مختار للطـــاعة ورش دم يسوع المسيح : توجد ثلاثة مواقف فى العهد القـــديم ذكر فيها الرش بالدم . ويحتمل أن هـــذه المواقف الثلاثة كانت ماثلة فى ذهن بطـــرس حين كان يكتب هذه الكلمات ، وقـــد يفيدنا أن نعرف تلك المواقف ، حتى نفهم القصد من وراء تلك الكلمات :

(ا) عنـــــدما كان يشفى الأبرص ، كان يرش بدم طائر . (لاويين ١٤ : ١ ـــ ٧) ، فالرش بالدم اذن ، رمز للتطهير . والمسيحى قد طهر من خطاياه بذبيحة المسيح .

(ب) كان الرش بالدم من ضمن طقوس فرز هرون والكهنة للخدمـــة (خروج ٢٩ : ٢ ـــ ٢٢ ، لاويين ٨: ٣٠) فالرش كان عـــلامة الفـــرز والتكريس لخدمة الله فالمسيحى قد كرس خصيصا لخدمة الله ، ليس فقط داخل مكان العبادة ، ولكن أيضا لخدمته فى وسط العالم .

(حـ) ولكن أمثل مشهد لرش الدم نجده فى العهد بين اسرائيل والله . ففى ذلك العهد ، نرى أن الله يطلب من اسرائين أن يكونوا شعبا له ، وأن يكون لهم الها . ولكن تلك العلاقة كانت تتوقف على قبول بنى اسرائيل لشروط العهـــد واطاعتهم للناموس . فالطاعة كانت شرطا ضروريا فى هذا العهد ، والفشل فى اطاعة العهـــــد تعنى عدم جدوى العهد بين الله وبنى اسرائيل . وعند قراءة كتاب العهد فى مسامع بنى اسرائيل : تعهد الشعب بالقول : « كل ما يتكلم به الرب نفعـــــل ونسمع له » ، وكدليل على طاعة هذا العهـــد بين الشعب والله ، أخـــذ موسى الدم ورش على الشعب . (خروج ٢٤ : ١ ـــ ٨) ، فكان الرش هنا للطاعة . فالمسيحى مدعو لعلاقة جديدة بينه وبين الله بواسطة ذبيحة يسوع المسيح التى كانت أساسا لغفران خطايا الماضى ، وهو يتعهد بالطاعة من ذلك الوقت فصاعدا . فبالمســـيح يتطهر المسيحى ويفرز للخدمة ويتعهد بالطاعة لله كل أيام حياته .

فمن أهداف الله دعوة المسيحى وبعمل الروح القدس تصبح حياته مكرسة لله ، وبرش دم المسيح يتطهر من خطية الماضى ويتكرس لطاعة الله فى المستقبل .

الميلاد الثانى

مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات . لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم . أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير .

(١ : ٢ — ٥)

يعوزنا الوقت أن نعدد ما فى هذه الفقرة من أشـــياء ثمينة وعظيمة المقدار ، فهى من بين الفقرات القليلة فى العهد الجديد التى نعثر فيها على كثير من الحقائق المسيحية العظمى والعقائد الجوهرية معا .

انها تبدأ بعبارة حمد وشكر لله — ولكنها تختلف عن صلاة الحمد عند اليهودى . فصلاة الحمد عند اليهودى تبدأ عادة هكذا : « مبـــــارك أنت يا الله » ، ان الصلاة اليهودية دائما تبدأ بهذا النمـــط « مبارك أنت يا الله الذى يحيى الموتى» ، وصلاة المسيحى تبدأ بنفس النغمة مع بعض الاختلاف . فصـــلاته تبدأ هكذا : « مبـــارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » فالمسيحى لا يصلى لاله بعيد مجهول ، انه يصلى لله أبى ربنـــا يسوع المسيح ، انه يصلى للاله الذى نقترب اليه فى المسيح ، بثقـــــة البنين ، وبجســـارة ايضـــا .

تبدأ هـــذه الفقرة بفكرة الميلاد الثانى ، فالمسيحى شخص ولد ثانية ،

فقد ولده الله ، ليبدأ حياة جديدة مختلفة عن الماضى . ومهما كان معنى ذلك ، فانه يعنى أنه عندما يصبح الانسان مسيحيا ، فان تغييرا جذريا وفاصلا يحدث فى حياته ، حتى أنه لا يمكن الا أن يوصف بأنه ولد ثانية ، اذ أنه يضحى مختلفا عما كان عليه كل الاختلاف،فيصبح كل شىء جديدا حتى كل ما يمكن أن يقال ان حياته قد بدأت من جديد . ففكرة الميلاد الثانى نجدها فى كل جزء من أجزاء العهد الجديد . ولنحاول ايضاح كل ماقاله العهد الجديد بها الخصوص .

١ ــ فالميلاد الثانى يحدث بارادة وعمل الله (يوحنا ١ : ١٣ ، يعقوب ١ : ١٨) ، والانسان لادخل له فى ذلك الميلاد، كما أنه لا دخل له فى ميلاده الجسدى فهو يحدث بارادة الله أو نتيجة عمل نعمة الله وقوته .

٢ ــ ولايضاح ذلك نقول ان هذا الميلاد من عمل الروح (يوحنا ٣ : ١ ــ ١٥) ويحدث للانسان ليس نتيجة لمجهوده الشخصى ، بل عندما يسلم نفسه ليمتلكه الروح القدس ويخلقه من جديد .

٣ ــ انه يحدث بكلمة الحق (يعقوب ١ : ١٨ ، ١ بطرس ١ : ٢٣) . فكلمة الله منذ البدء خلقت السماء والأرض وما فيها ، فعندما تكلم الله ، استحالت الفوضى الشاملة، عالما عجيبا يعج بالحياة . وكلمة الله المبدعة فى يسوع المسيح وفى كتاب الله ، تحدث الميلاد الثانى فى حياة الانسان .

٤ ــ ونتيجة لهذا الميلاد ، يصبح الشخص المولود باكورة من الخليقة الجديدة . (يعقوب ١ : ١٨) . فان هذا الميلاد الثانى يرفع الانسان من هذا العالم ، عالم الزمان والمكان ، عالم التغيير والفساد ، عالم الخطية والهزيمة ، لكى يجعله قريبا من الأبدية ، فيستطيع أن يلمس أمجاد الحياة الأبدية .

٥ ــ عندما يولد الانسان ، فانه يولد لرجاء حى (١ بطرس ١ : ٣) . ان بولس يصف العالم الوثنى بأنه بدون رجاء (أفسس ٢ : ١٢) . وكتب « سوفوكليس » قائلا : « ان حسن حظ من لا يولد فى هذا العالم وأما من هو

أقل حظا من ذلك فانه يعــود أدراجه من حيث اتى حالما يولد » فقد كان الوثنى يعتقد ان كل شىء فى هذا العالم مصيره للزوال والانحلال ، وقد يبدو العالم جميلا فى ذاته ، ولكن مآله الى ظلام دامس ، وكان المسيحى يتميز فى نظر العالم قديما بصفة الرجاء . وقد كان لهذا الرجاء مصدران :

(ا) فقــد كان المسيحى يعتقد أنه « مولود لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى » (١ بطــرس ١ : ٢٣) . فقد كانــت فيه بذرة الحياة الالهيه التى لايستطيع الزمن ولا الأبدية أن يقتضيا عليها .

(ب) نبع هذا الرجاء أيضا من قيامة يسوع المسيح (ابطرس ١ : ٣)، وليس ذلك فقط ، ولكن المسيحى أصبح مثل المسيح الذى قهر الموت ، ولذا فانه لا يوجد ما يخاف منه المسيحى .

٦ ــ ان ميلاد المسيحى ثانية يعنى ميلادا للبر (ايوحنا ٢: ٢٩، ٣: ٩، ٥ : ١٨) ، فهذا الميلاد يعنى أن يتطهر الانسان من ذاته ، ومن الخطايا التى تستعبده ، ومن العادات التى تقيده ، فبه يتحرر من الخطية ، ويعطى قوة تمكنه من السلوك فى البر . وهذا لا يعنى أن الانسان المولود ثانية لا يخطىء، بل يعنى أنه كلمـــا سقط فانه ينـــال القوة والنعمة الكافية للنهوض من كبوته .

٧ ــ ميلاد المسيحى ثانية يعنى ميلادا للمحبة (١ يوحنـــا ٤ : ٧) . فبسبب حياة الله التى فيه ، فان المسيحى يتطهر من حب الذات التى تتربع على عرش حيـــاة بلا مسيح ، ومن مرارة عدم الصفح التى تتحكم فى حيـــاة انطوائية ، وبذلك يكتسب حيـــاة ملؤها الحب والصفح والتضــحية ، من الله .

٨ ــ وأخـــيرا ، فان ميـــلاد المسيحى ثانية هو ميـــــلاد للنصر (١ يوحنا ٥ : ٤) وبذلك تتوقف الهزائم فى حياته ويبدا سلسلة الانتصارات، انتصار على الذات والخطية والشيطان والظروف . وبسبب حياة الله التى فيه ، المسيحى يتعلم سر الحياة القوية المنتصرة .

الميراث العظيم

وعلاوة على كل ما سبق ، فالمسيحى قد صار له الحق فى ميراث عظيم . وهذه الكلمة باليونانية كلمة بالغة الأهمية لأنها الكلمة التى تستخدم دائما فى الطبعة اليونانية للعهد القديم . لتعبير عن ميراث كنعان . أرض الميعاد . فالعهد القديم يتحدث مرارا وتكرارا عن الارض التى أعطاها الله لشعبه نصيبا ليمتلكوها (تثنية ١٥ : ٤ ، ١٩ : ١٠) وأن كلمة (ميراث) بالنسبة لنا تعنى شيئا نمتلكه فى المستقبل ، فالكتاب يستخدم الكلمة « نصيب » على اعتبار أنها حق مكتسب وقد كان اليهودى يعتبر أرض الميعاد ميراثا عظيما من الله . وحقا ثابتا له .

ولكن نصيب المسيحى أفضل من ذلك بكثير . فبطرس يستخدم ثلاث كلمات تصور ذلك الميراث المسيحى فهو ميراث (لا يفنى) فالكلمة المستخدمة تعنى لا يفنى ولا يفسد . ولكن لها معنى آخر ، فهى قد تعنى « لا يخرب أو يدمر بجيش معتد » .

وكثيرا ما دمرت فلسطين بجيوش الغرباء ، وتم تدميرها وتخريبها ، ولكن المسيحى يتمتع بالسلام والفرح والطمأنينة والهدوء ، الاشياء التى لا يمكن للعدو أن يدمرها أو ينتزعها منه .

وهذا الميراث أيضا « لا يتدنس » ، والكلمة تعنى باليونانية (amiantos) والفعل تشتق منه هذه الصفة ، بمعنى « يدنس أو ينجس » بما هو غير نقى وشرير . فكثيرا ما تنجست أرض فلسطين بعبادة الآلهة الباطلة (ارميا ٢ : ٧ و ٢٣ ، ٣ : ٢ ، حزقيال ٢٠ : ٤٣) فالأشياء الدنسة قد تركت آثارها حتى فى أرض الميعاد ، ولكن المسيحى عنده النقاوة والقداسة التى لا تستطيع خطية العالم أن تؤثر فيه . وهذا الميراث أيضا « لا يضمحل » ، ففى أرض الميعاد وفى كل أرض أخرى ، تذبل أجمل الزهور ، وتموت أطيب الثمرات . ولكن المسيحى يتصل بعالم لايعتريه تغيير أو فساد، وحيث لاتستطيع تقلبات الحياة أن تنال من سلامه وفرحه وهدوئه.

فما هو اذن ذلك الميراث العظيم ، الذى يمتلكه المسيحى ؟ قد تكون

هناك اجابات ثانوية متعددة على هذا السؤال ، ولكن هناك جواب رئيسى واحد — ان ميراث المسيحى ليس سوى الله نفسه .

قال المرنم : « الرب نصيب قسمتى » (مزمور ١٦ : ٥) ، والله نصيبه الى الدهر (مزمور ٧٣ : ٢٣ — ٢٦) ، وقال النبى : « نصيبى هو الرب قالت نفسى . من أجل ذلك أرجوه » (مراثى ٣ : ٢٤)فالمسيحى له الميراث الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل لأنه يمتلك الله ولان الله يمتلكه .

ضمان فى الحاضر والمستقبل

ان ميراث المسيحى ، وملء الفرح الالهى ، سوف يتمتع به المسيحى فى السماء . ويوضح بطرس هنا شيئين فى غاية الأهمية :

١ — ففى سيرنا فى هذا العالم نحو الأبدية ، نكون محروسين بقوة الله بالايمان . والكلمة التى يستخدمها بطرس للتعبير عن الحراسة تستخدم فى الاصطلاحات العسكرية . فهى تعنى أن حياتنا فى حماية الله ، وأن الله حارس لنا كل أيام الحياة . والشخص الذى عنده الايمان لا يشك — حتى وان كان لا يرى الله — فى أن الله قريب منه ويرعاه . وهذا لا يعنى ، أن الله يخلصنا من متاعب وآلام ومشاكل الحياة ، بل أنه يعطينا القوة لنتغلب عليها ونقهرها لكى نستمر فى سيرنا .

٢ — ان الخلاص الأخير ، والنجاة النهائية سوف تعلن فى الزمن الاخير ، ويوجد بخصوص ذلك رأيان نابعان من العهد الجديد .

فالعهد الجديد يتحدث مرارا عن اليوم الأخير أو الأيام الأخيرة أو الزمن الأخير . وقد كان اليهود من قبل يقسمون الزمن الى عصرين :

العصر الحاضر ، وهو شرير وخاضع لسلطة الشر ، والعصر الآتى أو الزمن الآتى ، وهو عصر الله الذهبى . وما بين هذين العصرين كان يسمى بيوم الرب الذى سيدمر فيه العالم ويخلق من جديد وتحدث فيه الدينونة . فما بين العصرين المذكورين آنفا ، كان يسمى بالأيام الأخيرة أو

الزمن الأخير . وواضح كل الوضوح أنه عندما يتحدث العهــد الجديد عن الأيــام الأخيرة أو الزمن الأخــير ، فانه يتحــدث عــن نهــاية العــالم والزمن .

ويجب الا ننسى أنه ليس لنا أن نعرف متى يكون ذلك ، أو ماذا سوف يحــدث عندئذ . ولكننا نستطيع أن نبين ما يقوله العهــد الجديد عن هذه الأوقات الأخيرة .

١ ــ لقد اعتقد المسيحيون أنهم يعشون فى الأيام الأخــيرة . فقــد قال يوحنا لشعبه « هى الساعة الآخيرة » (١ يوحنا ٢ : ١٨) . ويتحدث كاتب الرسالة الى العبرانيين عن اتمــام اعلان الله . فى هذه الأيام الآخيرة فى ابنه يســوع المسيح (عبرانيين ١ : ٢) فقد كــان المسيحــيون الاوائل يعتقدون أن الله قد تدخل ليوقف الزمن وليسرع بالنهاية .

٢ .. ان الزمن الأخير هو الزمن الــذى فيه يسكب الله من روحه على كل بشر (أعمال ٢ : ١٧) . وقد آمن المسيحيون الاوائل ان ذلك قــد تحقق فى يوم الخمسين ، وفى الكنيسة الممتلئة بالروح .

٣ ــ كان هناك اعتقاد شائع عند المسيحيين الأوائل أنه قبل النهاية، ستصل قوى الشر الى ذروتهــا ، وسيظــهر المعلمــون الــكذبة (٢ تيموثاس ٣ : ١ ، ١ يوحنا ٢ : ١٨ ، يهوذا ١٨) . فسوف تحشد قوى الشر والبطل كل قواتها الحشد الأخير .

٤ ــ والموتى سيقومون . فوعد المسيح أنه سيقيم من له فى اليــوم الأخير (يوحنا ٦ : ٣٩ و ٤٤ و ٤٥ ، ١١ : ٢٤) .

٥ ــ ثم أنه أيضا وقت الدينونة ، عندما يتخذ العدل الالهى مجراه ، سينال أعداء الله عقابهم العــادل (يوحنا ١٢ : ٤٨ ، يعقوب ٥ : ٣) .

هذا هو ما يقصده كتاب العهــد الجديد بعبــارة « الأيام الاخيرة » أو « الزمن الأخير » .

وواضح ان هذا الوقت هو وقت شدة ورعب بالنسبة للكثيرين ، ولكنه بالنسبة للمسيحى فانه وقت الخلاص والنجاة . ان المسيحى لا يعتبره رعبا بل خلاصا سوف يعلن . ولا ننسى أن كلمة الخلاص هنا ليست بمعناها اللاهوتى العادى بل هى كلمة عادية تطلق على الخلاص من الخطر ، والشفاء من المرض . يشير « تشارلى بيج » فى تعليقه الى أن العهد الجديد يستعمل كلمة (sozein) (يخلص) وكلمة (zotèria) (خلاص) فى اربعة معان متقاربة ولكنها مختلفة عن بعضها .

(ا) فالكلمتان تشيران الى النجاة من الخطر (متى ٨ : ٢٥) .

(ب) والنجاة من المرض (متى ٩ : ٢١) .

(حـ) والنجاة من دينونة الله (متى ١٠ : ٢٢ ، ٢٤ : ١٣) .

(د) والنجاة من قوة الخطية (متى ١ : ٢١) .

فالخلاص متعدد الجوانب . فهو نجاة من الخطر والمرض والدينونة والخطية . وهو الشىء الذى يتطلع اليه المسيحى فى النهاية .

سر الاحتمال

الَّذِى بِهِ تَبْتَهِجُونَ مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ إِنْ كَانَ يَجِبُ تُحْزَنُونَ يَسِيراً بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ . لِكَىْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ وَهِىَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِى مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .
(١ : ٦ و ٧)

يصف بطرس هنا الحالة التى يوجد عليها قراؤه .فديانتهم قد جعلتهم مكروهين فى نظر الناس ، وقد كانوا واقعين تحت تهديد الاضطهاد . كان مؤكدا أن العاصفة سوف تهب ، وأن حياتهم سوف تتعرض للتنكيل والتعذيب ، وفى مواجهة ذلك التهديد ، يكتب اليهم بطرس ليذكرهم بأشياء ثلاثة تجعلهم يحتملون كل ما سوف يأتى عليهم من اضطهاد .

١ ــ انم يستطيعون احتمال كل شيء بسبب ما ينتظرهم في المستقبل . فهم يتوقعون أن ينالوا ميراثا مجيـــدا عظيما . وينتظرون كذلك الحيـــاة مع الله بما فيها من أفراح . ففى النهاية ينالون نجاة وخلاصا وانقاذا .

والواقع أن هذا هو تفسير (وستكوت) لعبارة فى (الزمن الأخير) ، فنحن قد فسرنا العبارة على انهـــا تعنى الوقت الذى ينتهى فيه العـــالم المنظور ، ولكن العبـــارة اليونانية تعنى « عندما يتحـــول الردىء الى أردأ » ، وعندما تأتى المحنة ، وعندمـــا تنفـــد حدود الصبـــر . يقـــول (وستكوت) انه فى ذلك الوقت الذى تصل فيه الامور الى هـــذا الحد ، تستعلن قوة المسيح المخلصة . ففى كل المواقف المتـــأزمة ، يجد المسيحى نهاية سعيدة .والمسيحى يعتبر أن الاضطهاد والضيق والألم ليس نهـــاية كل شيء لأنه يرى ما بعد كل ذلك من مجـــد ، وبسبب رجاء هذا المجـــد فانه يحتمل كل ما يصيبه . قد يحـــدث أحيانا أن يضـــطر شخص مريض لاجراء عملية اليمة أو أن يتبع عـــلاجاً معينا ، ولـكنه يقبل ان تجرى لـــه العملية وأن يتحمـــل الألم بكل سرور ، بسبب ما يتوقعه من تجـــديد الصحة والقوة . فمن الحقائق الأساسية فى الحياة أن الانسان يمكنـــه أن يتحمل اى شيء فى سبيل وصوله الى هدف معين ــ والمسيحى يتطلع الى الفرح الـــكامل .

٢ ــ أن المسيحيين يتقبلون كل شيء اذا تذكروا أن كل تجربة هى فى الواقع امتحان .. فقبل أن ينقى الذهب يجب أن يمتحن بالنار . فالتجارب التى تأتى على الانسان هى امتحانات لايمانه ، يخرج منهـــا أقوى وأنقى وأصلب عودا مما كان . والامتحانات الصعبة التى يجتازها الرياضى لا يقصد منهـــا أن تجعله يفقد عزيمته ، بل القصد منهـــا أن تجعله قـــادرا على اجتياز امتحانات أصعب ونوال قوة أكثر.فالتجارب والألم فى هذا العـــالم ليس القصد منها انتزاع القوة منا ، بل مدنا بقوة جديدة .

وهناك ملاحظة جديرة بالاشارة وردت فى أسلوب بطرس . فهـــو يقول ان المسيحى قـــد تجتاز فى وقت معين تجارب (متنوعة) . وكلمـــة (متنوعة)فى اليونانية وهى تعنى حرفيا « متعدد الألوان والاشكال» وبطرس

يستخدم هذه الكلمة مرة واحدة فقط ليصف نعمة الله (١ بطرس ٤ : ١٠) .

فقد تكون ضيقاتنا من جميع الأنواع والأشكال ولكن نعمة الله أيضا كذلك . فلا يوجد أى موقف أو أية تجربة بشرية لا تصل اليهما نعمة الله . فمهما قست علينا الحياة ؛ فان نعمة الله تمكننا من التغلب على كل مايقابلنا من صعاب . فلكل تجربة مقابلة ، ولا تؤخذ تجربة دون نعمة .

٣ ــ انهم يستطيعون احتمال اى شىء ، لأنه فى النهاية عند ظهور يسوع المسيح ، فانهم سينالون منه مجدا وشرفا وثناء . انهم يقدرون على مواجهة أى شىء ، لأنهم يعلمون أنهم يوما ما سيسمعون يسوع يقول لهم « نعما » . فنحن كثيرا ما نبذل مجهودات ضخمة فى الحياة ، ليس من أجل مغنم أو ربح مادى بل لندخل السرور على الآخرين ، ولنسمع كلمة شكر منهم . فهذا التقدير الادبى أهم من كل شىء آخر فى الحياة . وكذلك المسيحى فانه يعلم أنه ان صبر وتحمل ، فانه سيسمع فى النهاية صوت السيد قائلا له « نعما » .

هنا نجد اذن الباعث على تحمل الآلام عندما تقسو علينا الحياة ويضعف ايماننا . اننا نستطيع احتمال كل شىء بسبب ما نتطلع اليه من أمجاد ، ولان كل تجربة هى بمثابة امتحان لتقوية وتنقية ايماننا ، ولأن فى النهاية نجد المسيح فى انتظارنا قائلا « نعما » لكل خدامه الأمناء .

لم نره ولكن نعرفه

اَلَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ . ذَلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لَكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ . نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ .

(١ : ٨ و ٩)

بعقد بطرس هنا مقارنة واضحة بينه وبين قارئيه . فقد كان له امتياز معرفة المسيح والسير معــه فى أيام تجسده . ولكن قراءه لم يكن لهم هذا الامتياز ، ومع أنهم يعرفوا المسيح بالجسد ولكنهم أحبوه ، ومع أنهم لم يروه بالعين الجسدية الا أنهم رأوه بعين الايمان والثقة . وهذا الايمـــان مصدر فرح لهم لا ينطق به ومجيد ، لأن هذا الايمـــان هو أساس فرح نفوسهم وسعادتها .

يشير ا . ج « سيلوين » فى تعليقه الى أربع مراحل فى معرفة الانسان بالمسيح :

١ ـــ وأولى هـــذه المراحل مرحلة الرجاء والرغبــة ، رجاء أولئك الذين على مر العصور كانوا يحلمون بمجىء الملك . وذلك كما قال يسوع نفسه لتلاميذه : « ان أنبياء كثيرين وملوكا أرادوا أن ينظـــروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا » (لوقا ١٠ : ٢٣ و ٢٤) ، فقد كانت تلك الأيام هـــى أيام الرجاء والتوقع والانتظار لأشياء لم تتحقق فى زمانهم ،

٢ ـــ والمرحلة الثانية عن أولئك الذين عرفوا المسيح بالجسد . وقد كان بطرس يتكلم عن تلك المرحلة ، وهذا هو ما كان يجول بخاطره عندما قال لكرنيليوس:«ونحن شهود بكل مافعل فى كورة اليهودية وفى أورشليم». (أعمال ١٠ : ٣٩) فقد كان هناك من سار مع يسوع ، ونحن نعتمـــد عليهم فى معرفتنا بحياة المسيح وأقواله .

٣ ـــ يوجد الكثيرون فى كل قطـــر وأمة وزمن ، يرون المسيح بعين الايمـــان :

قال يسوع لتوما : « لأنك رأيتنى ياتوما آمنت.طوبى للذين آمنوا ولم يروا » . (يوحنا ٢٠ : ٢٩) . وهذه الطريقة فى معرفة المسيح ممكنة لان يسوع ليس مجرد شخصية عاشت وماتت نقرأ تاريخهـــا فى الكتاب ، انه عاش ومات وهو حى الى الأبد . لقد قيـــل انه « ما من رسول تذكر المسيح » ، وهذا القول يعنى أن يسوع ليس مجرد ذكرى ، انه شخـــص حى نستطيع أن نختبره وأن نقابله .

٤ — هناك أيضا الرؤيا المبـــاركة . قال يوحنا عن ثقة اننا سنراه (المسيح) كما هو (١ يوحنا ٣ : ٢) ، وقال بولس : « فاننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجهــا لوجه » . (١ كورنثوس ١٣ : ١٢) ، فان كنا بعين الايمان نتحمل كل شيء ، فانه سيأتى اليوم الذى فيه نرى بالعيان ، وجها لوجه ، وسنعرف كما عرفنا .

ان عينى يا يســوع لم ترك
ولم ينعكس عليهــا نور وجهك
فان حجاب الحواس تقف حائلا
بين وجهــك المبــارك وبينى

انى لا أراك ، ولا أسمع صوتك
ولكنك دائمـــــا معى
ولا اعتز بمقامى فى هذه الارض
الا عــدما أتقـــابل معــك

ومع انى لا أراك وســـاظل
أحيــا بالايمـــان وحـــده
الا اننى أحبك يارب بكل قوتى
مع انى لا أراك ولكنى اعرفك

وعندما يخيم الموت على عينى الفانية
وتصمت دقات قلبى النــابضة
سوف ينكشف الحجاب عن وجهك
يا الهى المبــارك المجيد

الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء . الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم . باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها . الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي اخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القـــدس المرسل من السماء . التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها .

(١ : ١٠ — ١٢)

أمامنا أيضا فقرة دسمة . انهـــا تبين لنا أن الخـــلاص الذى أتى به المسيح للناس عجيب حتى أن الانبياء فتشوا وبحثوا عنه ، وحتى الملائكة كانت تشتهى أن تطلع عليه . وتبين الفقرة أيضا بوضوح كيف أن الأنبياء تلقـــوا رسالتهم ، وكيف دونوها وفاهوا بها . فهذه الفقرة من الفقرات القليلة فى الكتاب التى توضح كيف كتب رجال الله رسالتهم ، وكيف أوحى اليهم .

١ — نجد هنا أمرين بخصوص الأنبياء . أولهما ، انهم فتشوا وبحثوا عن الخلاص ، وثانيهما أن روح المسيح أخبرهم عن حقيقة المسيح .

أمامنا هنا حقيقـــة عظمى ، فالوحى يتوقف على شيئين — عقل باحث واعلان روح الله . قيل أحيانا ان الرجال الذين دونوا الكتب المقدسة ، لم يكن لهم دخل بما يكتبون ، تماما كما أن الاقلام التى يكتب بها الناس لا دخل لهـــا فيما يكتبون . فقد قيل انهم أقـــلام فى يد الله ، أو انهم كالناى ينفخ فيهم روح الله أى أن كتاب الأسفار المقدسة ليسوا سوى أدوات صماء فى يد الله .

ولكن هذه الفقـــــرة ترينا الحقيقة العظمى ، وهى أن الله لا يكشف

الحقائق الالهية الا للشخص الذى يبحث عنها ، وان الوحى يأتى فقط عندما يتقابل اعلان روح الله مع عقل الانسان الباحث وراء الحقيقة . فهنـــــاك عنصران ضروريان لكل وحى ، عنصر بشرى ، وعنصر الهى ، فهو نتيجـــــة لعقل الانسان المتعطش للحقيقة ، واعلان روح الله .

ثم أن هذه الفقرة تخبرنا أن الروح القدس — روح المسيح — يعمل دائما فى هـــذا العالم . فان هذا الروح هو الذى يقود الناس للاحساس بالجمال ، ويوصلهم لمعرفة الحق ،ويجعلهم يتوقون لمعرفة الله. ففى كل زمن وفى كل أمة يعمل روح المسيح فى قيادة الناس الى الله وتحريكهم نحو البحث عنه . ومع أنه أحيانا كثيرة يغمض الناس عيونهم ويصمون آذانهم ، وأحيانا أخرى يسيئون فهم ما يقصده الروح ، وأحيانا يفهمون النذر اليسير من الحقيقـــة لعدم استطاعتهم استيعابها كلها ، ولكن فى كل المواقف نجد الروح يعمـــل لقيادة وتوجيه العقول الباحثة المتعطشة للحقيقة .

٢ — وهذه الفقرة تخبرنا ايضا بما قاله الأنبياء . ولقـــد أخبروا عن آلام المسيح وأمجاده . فهنـــــاك فقرات وردت فى مزمور (٢٢) ، اشعياء (٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢) ، قد تمت بآلام المسيح ، وهناك فقرات فى مزمور (٢) ، ومزمور (١٦ : ٨ — ١١) ومزمور (١١٠) ، قد تمت فى أمجـــاد المسيح وانتصــــاراته . ولا داعى لأن نعتقـــد بأن الأنبياء قد تنبأوا بهيئة المسيح الجسدية ، ولـــكنهم تنبأوا بأنه يوما ما سيأتى شخص تتم فيه كل نبواتهم ، وتتحقق فيه كل أحلامهم .

٣ — تخبرنا هذه الفقرة أيضا من أجل من تكلم الأنبياء . لقد كانت رسالتهم للناس هى رسالة الخـــلاص الالهى المجيد . انه الخلاص الذى لم يروه هم أو يختبروه . فأحيانا يعطى الله للانســان رؤيا ، ولكن يقـــــول له « ليس الآن ! » . الله أخذ موسى الى « رأس الفسجة » وأراه أرض الميعاد وقال له : « هـــذه هى الأرض . . . قد أريتك اياها بعينيك ولكنك الى هنــــاك لا تعبر » . (تثنية ٣٤ : ١ — ٤) فقـــد ترى فى احدى الأمسيات شخصا يضىء المصابيح مع أنه أعمى ، فانه يتحسس طريقه من عمود الى عمود مضيئا المصابيح للآخرين مع أنه لايستطيع هو أن يرى النور .وهكذا الانبياء ، فقد

ادركوا أنه امتيـــاز كبير أن يتلـــقوا الرؤى النبـــوية حتى وان كان انمامها للأجيال القادمة وليس لهم .

رسالة المبشر

ولا تخبرنا هـــذه الفقرة عن رؤى الانبياء فحسب ، ولكنها تخبرنا أيضا عن رسـالة المبشر . فقراء رسالة بطرس وصلتهم رســــــالة الخلاص عن يد المبشرين .

١ ــ تخبرنا هذه الفقرة أن التبشير هو أعـــلان الخلاص ، انه اذاعة الانجيل ، الأخبار السارة . قد يكون التبشير متشعب الموضوعات ، ولكنه أساسا اعلان الانجيل . فأحيانا يضطر الى التحــــذير ، والتوبيخ وتذكير الناس بدينونة الله وغضب الله ، ولكن جوهر التبشير فوق كل اعتبــــار ، ورسالة المبشر هى اذاعة أخبار الخلاص .

٢ ــ والفقرة ترينا أيضا أن التبشير يتم بواسطة الروح القدس المرسل من السماء . فرسالة المبشر ليست من ذاته ، انها مقدمة له . وأنه لا يقدم آراءه الخاصة وأفكاره الشخصية ، ولكنه يعلن الحق كما هو معلن له من الروح القدس . انه كالنبى يجب أن يبحث ويفتش، يجب أن يدرس ويتعلم، وبعد البحث والتفتيش ، والدراسة والتعليم ، يجب أن ينتظر ليسمع صوت الله وقيادة الروح القدس .

٣ ــ ان الفقرة تخبرنا أيضا أن رســــالة المبشر تتحدث عن أشياء تشتهى الملائكة أن تطلع عليها . فلا عذر لأى تهـــاون فى التبشير أو تقديم عظات جافة غير محببة تنقصها الاثارة والجاذبية . فخلاص الله عظيم حتى أن الملائكة تشتاق أن تعرف عنه كل شىء .

فالمبشر يجب أن يقف أمام الناس مؤتزرا برسالة الخلاص ومنقـــادا بروح المسيح .

لذَلِكَ مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذِهْنِكُمْ صَاحِينَ فَأَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِالتَّمَامِ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي يُؤْتَى بِهَا إِلَيْكُمْ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.
(١ : ١٣)

يتحدث بطرس عن السمو والمجد الذى يجب أن يكون قبلة انظار المسيحيين ، ولكن ليس معنى هذا أن ينسى المسيحى الحاضر بسبب ما يتوقعه من مجد فى المستقبل ، انه يجب أن يستبسل فى معارك الحاضر . ولذا ، فان بطرس يضع ثلاث مسئوليات على عاتق شعبه .

١ — انه يخبرهم بأن يمنطقوا (أحقاء ذهنهم) . وهذه عبارة معبرة . فقد كان الناس فى الشرق يلبسون ملابس فضفاضة تعوق الحركة أو القيام بمجهود . وكانوا يلبسون حول الوسط حزاما عريضا أو منطقة واذا ارادوا تأدية عمل ما يحتاج لبذل الجهد ، فانهم كانوا يقصرون الثياب الطويلة بجذبها تحت الحزام حتى يتحركوا بسهولة . وتوجد فى اللغة تعبيرات تحمل نفس هذا المعنى للتهيؤ للعمل مثل التشمير عن ساعد الجد .

فبطرس هنا يأمر شعبه أن يستعدوا للقيام بمجهودات عقلية مضنية . فانهم لا يصح أن يقتنعوا بايمان ضعيف مهتز ، بل انهم يجب أن يتأهبوا ويفكروا فى الأمر مليا . انهم لا يجب أن يقفوا عند حد قبول الايمان قبولا سطحيا سهلا . بل يجب أن يعملوا الفكر ، فقد يضطرون للتغاضى عن بعض الأشياء وقد يقعون فى بعض الاخطاء ، ولكن ما يتبقى لهم بعدئذ يكون ايمانا قويا لا يستطيع أحد انتزاعه منهم .

٢ — ويخبرهم أن يكونوا (صاحين) . والكلمة اليونانية كالكلمة الانجليزية تحمل معنيين . فقد تعنى أنهم يجب أن يبتعدوا عن المسكر بالمعنى الحرفى ، وقد تعنى أيضا أنهم يجب أن يكونوا متأهبين وثابتين فى أفكارهم .

فلا يصح أن يفقدوا وعيهم لا بالمسكر ولا بأية أفكار مضلة ، انهم يجب

أن يصدروا أحكاما سـليمة متزنة على الاشياء . فمن السهل أن ينحرف المسيحى بتيار الافكار العصرية المنحرفة وأن يفقد اتزانه باتباع أحدث النظم المستوردة . ولذا ، فان بطرس يطلب الى شعبه أن يكونوا ثابتين ثبات من يعلم علم اليقين بما يؤمن به .

٣ — انه يطلب اليهم أن (يلقوا رجاءهم على النعمة التى يؤتى بها اليهم عند استعلان يسوع المسيح) . ان ما يميز المسيحى أنه يحيا على رجاء ، وبسبب هذا الرجاء فانه يحمل كل تجارب الحاضر . وأن أى شخص يستطيع أى مجهود وأن يخوص أى نضال اذا كان يثق بأن كل ذلك سيقوده الى الوجهة التى يقصدها . وهذا هو السر فيما يتحمله كل من الرياضى والطالب من تعب فى تدريبه ودراساته . فالمجهود والتنظيم والتعب يصبح ذا معنى اذا كان يؤدى الى شىء ذى قيمة . والمسيحى يعتبر أن جزاءه ينتظره فى المستقبل ، وهو يحيا شاكرا من أجل مراحم الماضى وحسناته ، بعزم أن يواجه الحاضر ، وبرجاء أكيد فى غد مشرق فى المسيح .

حياة بلا مسيح وحياة ملؤها المسيح

كَأَوْلاَدِ الطَّاعَةِ لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِى جَهَالَتِكُمْ . بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِى دَعَاكُمْ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِى كُلِّ سِيرَةٍ . لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ كُونُوا قِدِّيسِينَ لِأَنِّى أَنَا قُدُّوسٌ . وَإِنْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَباً الَّذِى يَحْكُمُ بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ حَسَبَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ . عَالِمِينَ أَنَّكُمْ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِى تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ . بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ دَمِ الْمَسِيحِ . مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ

وَلَكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ. أَنْتُمُ الَّذِينَ بِهِ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْداً حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ طَهِّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ. مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ. لأَنَّ كُلَّ جَسَدٍ كَعُشْبٍ وَكُلَّ مَجْدِ إِنْسَانٍ كَزَهْرِ عُشْبٍ. الْعُشْبُ يَبِسَ وَزَهْرُهُ سَقَطَ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ. وَهَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا.

(١ : ١٤ — ٢٥)

توجد ثلاث أفكار رئيسية فى هذه الفقرة ، وسوف نتعرض لها كل على حدة .

١ — يسوع المسيح الرب والفادى :

تحدثنا هذه الفقرة عن ثلاثة أشياء عظمى عن يسوع المسيح كالفادى والرب .

(١) يسوع المسيح هو المحرر الذى أنقذ الناس من عبودية الخطية والموت . فهو حمل بلا عيب أو دنس (عدد ١٩) وحديث بطرس هذا عن المسيح مرجعه لصورتين مألوفتين فى العهد القديم . ففى اشعياء (٥٣) ، نجد صورة واضحة عن العبد المتألم الذى كان ألمه سببا فى خلاص الشعب وشفائه . والصورة الاخرى نجدها فى خروف الفصح (خروج ١٢ : ٥) . فانه قبل أن يخرج بنو اسرائيل من مصر ، أمروا فى تلك الليلة التاريخية ،

أن يأخذوا حمــلا ويذبحوه ويغمسوا قوائم منازلهم بالدم ، فعندما مر الملاك ليهلك أبكار المصريين ، كان يرى الدم على القــوائم فيعبرُ دون أن يحـــدث ضررا بمنازلهم ، وهكذا نجا بنو اسرائيل . ففى منظر خروف الفصح نجـــد فكرتين متلازمتين ، وهمـــا الحرية والفكاك من العبودية ، والنجـــــــاة من الموت . ومهما اختلفت التفســــيرات ، فان الحقيقة تظل ثابتة وهى أن تحرير الناس من عبودية الخطية والموت ، ومنحهم الحياة وارجاعهم ثانية الى الله قد كلف المسيح حياته .

(٢) كان الفداء الذى تم بذبيحة المسيح ، فى فكر الله منذ الأزل ، فقد كان فى ترتيب الله أن يقوم يسوع بعمل الفداء قبل تأسيس العالم (عدد ٢٠). وأنها لفكرة ســـامية ، نجـــدها أيضــــا فى (رؤيا ١٣ : ٨) حيث نقرأ عن « الخروف الذى ذبح » قبل تأسيس العالم . فهـــذه الفكرة عظيمة المقـــدار فنحن قد نفكر أحيانا فى الله كالخالق ثم الفادى . نفكر فى الله كخالق للعالم أولا ، ثم عندما يجد العالم قد ضل ، يكتشف طريقه لانقاذ العالم فى يســـــوع المسيح . ولكن أمامنا هنا صورة رائعة عن الله الفادى ثم الخالق . فان قوة الله فى الفداء ومحبته ليست شيئا طارئا أظهره الله عندما تأزمت الامور وضل العالم . انّ هدفَ الله فى الفـــداء يعود الى ما قبل الخليقة . فالله هـــو الفادى الأزلى كما أنه الخالق الازلى . ولا بداية لمحبته كمـــــا انه لا بداءة لقـــوته .

(٣) ويعرض بطرس هنـــا فكرة شائعة فى العهـــد الجديد كله . فيسوع المسيح ليس الحمل المذبوح فقط ، انه الشخص المقـــام المنتصر الذى أعطاه الله مجدا . فكل مفكرى العهـــد الجـــــديد نادرا ما يفصلون بين الصليب والقيامة ، انهم دائما يربطون بين ذبيحة المسيح وانتصار المسيح . يخبرنا « ادوارد روجرز » فى كتابه « لتكن لهم حياة » ، أنه درس فى وقت ما قصة آلام المسيح وقيامته لكى يستخرج منا صورة درامية ، وبعد دراسة مستفيضة آمن بفكرة خاصة . فكتب يقول : « لقد بدأت أحس أن هــــــاك خطأ محزنا فى محاولة جعل آلام الصليب تطغى على الجــــانب المنـــير من القصة ، وهو أمجاد القيامة ، كذلك فى محـــاولة ابراز الاعتقاد بأن خلاص الانسان يرجع للآلام التى تحملها المسيح أكثر من المحبة الظافرة » . وهـــو يتساءل عن الوجهة التى تتجه اليهـــا عين المسيحى فى بداية موسم الآلام .

فما الذى نراه غالبا ؟ هل نرى الظلمة التى سادت الارض فى الظهر بسبب آلام وعذاب الصليب ؟ أم نرى نور الفجـــر الخـــــلاب يشع من القبر الفارغ ؟ » ثم يستطرد قائلا : « فهناك كثير من العظات التبشيرية المخلصة ، والكتابات اللاهوتية التى تحاول أن تلقى الاهمية انــكبرى للصلب دونا عن القيامة ، وتبين أن هدف الله فى المسيح قد تم على الجلجثة وهذا خطـــــأ روحى مبين ، فالحقيقة أن الصلب لا يمكن تفســــــيره وفهمه الا فى ضوء القيــامة » .

فبموت المسيح قد تحرر الانسان من العبودية والموت ، ولكن بقيامته نال الانسان حياة مجيدة لا يسود عليها الموت بعد اتماما كحيـــاة المسيح ذاته . فيقامة المسيح الظافرة ، أصبح ايماننا ورجاؤنا فى الله (عدد ٢١) .

نرى فى هذه الفقرة يسوع كالمحرر العظيم الذى وهبنا التحـــرير بدم نفسه على صليب الجلجثة . نرى هنـــا يسوع الذى تم فيه البرنامج الالهى الأزلى فى الفداء،وأن ذلك الهدف هو أقدم من جميع الأزمنة.نرى يسوع قاهر الموت ، ورب الحياة المجيد ، وواهب الحياة التى لا يدنو منهـــا الموت ، ومانح الرجاء الذى لا يمكن انتزاعه .

٢ ــ حياة بلا مسيح :

يبرز بطرس فى هذه الفقرة أيضا ثلاث صفات للحياة بدون مسيح ، انها صفات الحياة فى العالم قبل أن يغيرها المسيح .

(١) انها حياة الجهل (عدد ١٤) . فقـــد كان العـــالم الوثنى يتميز بعــدم معرفة الله ، وكان أفضل الناس لا يعرفون عن الله سوى مجرد التخمينات ، فى بحثهم عن الاسرار الالهية . قال افلاطون : « انه من الصعب البحث عن مبدع هذا الكون وخالقه ، وحتى اذا وجدناه فانه يستحيل علينا أن نعبر فى عبارات يفهمها الجميع » . انه يصعب على الفليسوف أن يجـــد الله ، ويستحيل على الانسان العادى أن يفهمه .

وتحدث أرسطوطاليس عن الله « كالعلة اولى » الذى يحلم به الجميع ، ولكن لا يعرفه أحد . ان العالم القديم لم يشك فى وجود اله أو آلهة كمـــا

اعتقـــــد ان تلك الآلهة مجهـــولة وانها لا تهتم بالبشر أو بالكون . ففى عالم بلا مسيح ، كان الله لغزا وقوة مجهولة ، ولكنه ما كان أبدا محبة . لم يكن البشر وقتئذ يؤمنون بشخص فيلجأون اليه طلبـــا للمعونة أو يضعون رجاءهم فيه .

٢ ــ انها حياة تسيطر عليها الشهوة (عدد١٤) . اذا أطلعنا على الوثائق التاريخية للمجتمع فى ذلك العالم القـــديم قبل أن تدخله المسيحية ، فاننا نندهش بل نفزع للحياة الشهوانية التى كان يحياها الناس وقتئذ . فقــد كان عالما وصل فيه الفقر الى الحضيض فى قطاع معين من الشعب ، ووصل الثراء بقطاع آخر الى الذروة حتى نقرأ عن اقامة الولائم التى كانت تتكلف آلاف الجنيهـــات ، وحيث نقرأ عن الامبراطور فيتليوس الذى وضع على المائدة فى احدى الولائم الفى سمكة وسبعة آلاف طائر .

ولم يكن للعفاف وقتهـا أية قيمة تذكر . اذ يحــدثنا (مارتيال) عن امرأة تزوجت عشرة أشخاص ، ويخبرنا (جوفينال) عن امرأة أخرى تزوجت ثمانية أزواج فى خمس سنوات ، ويحكى لنـــا (جيروم) أنه كانت توجد فى روما امرأة تزوجت بزوجها الثالث والعشرين فى نفس الوقت الذى كانت فيه هى زوجته الحادية والعشرين .وكـــان الشذوذ الجنسى منتشراً فى اليونان وروما لحد أنه كان ينظر الى الرذائل الشاذة على أنهـا شىء عادى . فقــد كان ذلك العالم تسيطر عليه الشهوة ، وهدفه الوحيد اكتشاف طرق جديدة لاشباع شهواته ، كانت الشهوة هى الصفة البارزة لتلك الحضارة .

(٣) انها حياة عابثة . فقد كانت المشكلة الاساسية للعالم القديم أنه لم يكن يتجه نحـــو هدف معين . كتب (كاتلوس) الى عشيقته (لسبيه) من أجل مباهج الحب ، يطلب منهـا الا تضيع اللحظات بما فيهـا من مسرات عابرة . فهـــو يقول على حد تعبيره : « ان الشموس تشرق وتغرب ثانية ، ولكن ان خبا نور حياتنا مرة ، فلن يتبقى لنا سوى ليل طويل لا يقظة منه » .

ان كان لابد أن يموت الانسان كالكلب ، فلمـــاذا لا يحيـــا كما تحيـــا الكلاب ؟

فقد كانت الحياة عبارة عن عمــل ممل لا طائل تحته دون أية مسرات سوى اللذات العابرة ، بضع سنوات قليلة تحت ضوء الشمس يعقبها فنــاء أبدى . فلا شيء يحيــا الانسان من أجله ، ولا شيء كذلك يموت من أجله . فلابد أن يصير الحاضر عبثا عندما لا يكون هناك غد مأمول ، وتصبح الارض بلا معنى عندما لا تكون هناك حياة بعد الموت .

وهكذا فان بطرس يرى أن الحياة بدون مسيح هى حياة الجهـــــل والشهوة والعبث ، حياة خالية من المعنى ، ينضب فيهــا كل شيء سوى اللذة العابرة ، واللحظة السريعة .

٣ ــ حياة ملؤها المسيح :

ونجد فى هذه الفقرة أيضا ثلاث مميزات للحياة التى يتخللها المسيح مع ذكر الأسباب المدعمة لــكل صفة :

(ا) فالحياة التى يملؤها المسيح هى حياة الطــــاعة والقــداسة (١٤ ــ ١٦) فالمختارون من الله ليس لهم امتياز عظيم فقط . ولكن عليهم أيضا مسئولية عظمى . ان بطرس يرجع بذاكرته الى الوصية القديمة التى كانت أساسا لــكل ما تحويه الديانة العبرانية . انها وصية الله الى شعبه أن يكونوا مقــدسين لأن الله ، الههم ، قدوس . (لاويين ١١ : ٤٤ ، ١٩ : ٢ ، ٢٠ : ٧ و ٢٦) .

والكلمة اليونانية لكلمة قديس هى (hagios) ، وأصل الكلمة يعنى « مختلف » فالشيء المقدس يختلف عن الاشياء العــادية . فالهيكل مقدس لأنه يختلف عن المبانى الاخرى ، والسبت مقدس لانه يختلف عن باقى الأيام . والمسيحى مقــدس لأنه يختلف عى باقى النـــاس . فالمسيحى رجل الله لأنه مختــــار من الله . انه مختــــار للقيــــام بعمل ما فى العالم ، ووجهته الابدية . انه مختار ليحيا لله فى هذا الزمن ، ومع الله فى الابدية . ففى هذا العالم يجب أن يطيع ناموس الله ، ويحيا حياة الله . المسيحى مختار من الله ، ولذا فيجب أن تظهر نقــاوة الله فى حياته ، وأن تتسم أعماله بمحبــة الله . ان المسيحى موضوع على عاتقه أن يكون مختلفا عن العــالم .

٢ — وهى حيـــــاة خوف الله (١٧ — ٢١) ان خوف الله صــفة الشخص الذى يدرك أنه فى حضرة الله . انهـــا صفة الشخص الذى لا يتكلم كلمة ما أو يقوم بعمل ما الا وهو يحس أنه أمام الله ، فكل لحظـــــة يحياها انما يحياها لله .

وفى هذه الاعداد الاربعة (١٧ — ٢١) يبين لنا بطرس أربعة أسباب لتلك الحياة ، حياة خوف الله :

(ا) فالمسيحى غريب فى العالم . فحياته التى يحياها انما يحيـــاها فى الأبدية ، وهو لا يقضى جل وقته فى التفكير فى العالم الذى يعيش فيه بل يفكر أيضا فى العالم الذى سوف يذهب اليه . ويصـــــدر كل أحكامه على الأشياء لا من وحى اللحظة التى يحياها بل من وحى الابدية .

(ب) انه ذاهب الى الله . حقـــا انه يدعو الله أبا ، ولكن هذا الاله الذى يدعـــوه أبا سيدين كل واحد دون أى تفرقة . فالمسيحى يستعد ليوم الحساب . انه يشعر أن أمامه مصير اما ن يكسبه أو يخسره . والحيـــــاة فى هذا العالم ذات أهمية بالغة لأنها تؤدى للحياة الابدية .

(حـ) ان المسيحى يجب أن يحيا حياة خوف الله ، لان حياته قد كلفت الكثير . انها قد كلفت حياة المسيح وموته . ولذا فان الحياة ذات قيمة عليا ، فلا يمكن اضاعتها أو اهمالها ، بل يجب اعتبـــارها شيئا ثمينا . ولا يمكن لأى انسان شريف أن يبعثر شيئا عظيما بهذا المقدار .

(د) ان المسيحى لا يمكن أن يضيع حياة قد اشتريت بموت ابن الله . ان هناك التزاما عظيما جدا على الشخص ، الذى كلفت حيـــــــاته هذا الثمن الباهظ .

٣ — انها حياة (المحبـــة الاخوية) . انها يجب أن تظهـــر ثمارها فى محبة الاخوة الصادقة والمخلصة والثابتة . فالمسيحى مولود ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى . وهذا يعنى شيئا من اثنين . فقـــد يعنى أن ميـــلاد المسيحى ثانية ليس من عمل انسان ، بل من عمل الله . وهذا يعنى نفس

ما قاله يوحنا بتعبير آخر : « الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ، بل من الله » . (يوحنا ١ : ١٣) .

ولكن الاحتمال الاغلب يعنى أن المسيحى ولد ثانية بأثمار بذرة الكلمة فيه ، وهذه نفس الصورة التى نجدها فى مثل الزارع ، والبذور هى الكلمة (متى ١٣ : ١ — ٩) .

وبطرس يقتبس هنا ما ورد فى اشعياء (٤٠ : ٦ — ٨) ، والمعنى الثانى يتلاءم هنا أكثر من الاول . ومع ذلك فان هذا يعنى أن المسيحى مولود ثانية ، ومخلوق جديد .

وبسبب ذلك فان حياة الله فيه . وأهم ما يميز حياة الله ، المحبة ، فالمسيحى يجب أن يظهر للناس محبة الله منعكسة على حياته .

فالمسيحى هو الشخص الذى يحيا حياة ملؤها المسيح ، حياة مختلفة عن الآخرين لا ينسى أبدا عظم المسئولية الملقاة على عاتقه ، ثم أن حياته أيضا تجملها محبة الله لأنها نابعة منه .

الأصحاح الثاني

ما ينبغي تركه وما ينبغي اشتهاؤه

فَاطْرَحُوا كُلَّ خُبْثٍ وَكُلَّ مَكْرٍ وَالرِّيَاءَ وَالْحَسَدَ وَكُلَّ مَذَمَّةٍ . وَكَأَطْفَالٍ مَوْلُودِينَ الآنَ اشْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ . إِنْ كُنْتُمْ قَدْ ذُقْتُمْ أَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ .
(٢ : ١ — ٣)

لابد أن تختلف حياة المسيحى بعد التجديد عن حياته من قبل ، ولذا فان بطرس هنا يحث شعبه أن يطرحوا عنهم كل ما هو شرير وأن يشتهوا الأشياء البانية لحياتهم .

فهناك أشياء يجب طرحها . والكلمة أطرحوا كلمة معبرة ، انها نفس الكلمة التى تستخدم لخلع الملابس . فهناك أشياء يجب على المسيحى أن يتخلص منها كما يطرح عنه ثوب دنس قذر .

انه يجب أن يطرح عنه كل شرور العالم الوثنى ، يجب على المسيحى أن يطر كل (خبث) ، وهذه الكلمة تعنى باليونانية (Kakia) وهى أشمل كلمة للتعبير عن الشر ، انها تعبر عن كل الطرق الشريرة التى يتبعها العالم الوثنى ، العالم الخالى من المسيح . وكل الكلمات الأخرى تعد تفسيرات وايضاحات لتلك الكلمة،ويجب مراعاة أن كل تلك الخطايا والاخطاء تخنق وتضر الفضيلة المميزة للمسيحى وهى المحبة الأخوية . فلا يمكن أن تكون هناك محبة أخوية مع وجود تلك الشرور . وهناك أيضا (المكر) ، والشخص الماكر هو الشخص ذو الوجهين ، الخادع ، الذى يخدع الآخرين ليحقق أغراضه . المكر رذيلة نجدها فى الشخص الذى تتسم كل ميوله بعدم النقاء والدنس .

ثم نجد أيضا (الرياء) . وان كلمة مرائى لهـا تاريخ عجيب . فهى الاسم من الفعـل Hupokrinesthai الذى يعنى (يجيب) ، فالمرائى يبدأ بالاجابة ، وتتطور الـكلمة لتعنى انه ـ اى المرائى ـ يصبح ممثـلا أى الشخص الذى يشترك فى الأسئلة والأجـوبة على خشبة المسرح ، ثم تصبح الكلمة تعنى المرائى بالمعنى الغـير محبب أى الشخص الذى يمثل طول الوقت ، ويحاول اخفاء حقيقة دوافعه ، انه يحاول أن يقابلك بوجه مختلف كل الاختلاف عمـا يكنه فى قلبه ، وبكلمات تختلف عن حقيقة احساسانه . فالمرائى هو الشخص الذى يدخل الكنيسة وله ميول ردية . فانضمامه تحت لواء الكنيسة ينطوى على مغنم وشـهرة له ، وليس لأجل خدمة ومجـد المسيح .

وهناك أيضا (الحسد) ، حسنا قيل ان الحسد هو آخر خطية تموت فينا . فالحسد كان يحاول أن يطل برأسه القبيح حتى بين جماعة الرسل ، فالعشرة كانوا مغتاظين من يعقوب ويوحنا عندما ظنوا انهمـا سيتقدمان عليهما عند مجىء المسيح فى ملكه (مرقس ١٠ : ٤١) ، وحتى فى العشاء الأخير كان التلاميذ يتشاجرون من منهم يظن أنه يكون أكبر (لوقا ٢٢ : ٢٤)، فما دامت الذات تتربع على عرش القلب البشرى ، فلابد أن يحتل الحسـد مكانا فى حياة الانسان . يدعو ا . ج . سلوين الحسد بأنه « الخطر الداهم الذى يظل يهدد كيان جميع الهيئـات ومن بينها الهيئات الدينية أيضا » ، ويقول س . ا ب كارنفيلد أنه « لا نحتـاج أن نعمل طويلا فيما يسمونه (الخدمة الكنسية) حتى نكشف أن الحسد مصدر دائم للقلاقل والاضطرابات داخل الكنيسة » ، فالحسد لا يموت الا بموت الذات .

وهناك أيضا (المذمة) ، ولهذه الكلمة معنى خاص . انهـا تعنى التكلم بالشر ، انها دائما من ثمار الحسد فى القلب ، ودائما تحدث عندما لا يكون الشخص المذموم موجودا ليدافع عن نفسه . وليس هناك شىء أكثر جاذبية من الاستماع للمذمة والحـديث اللاذع عن التشهير بالآخرين ، وسرد القصص الحاقدة ضدهم . فالمذمة شىء يأسف له الجميع ويعتبرونه شيئا معيبا ، ولكن فى نفس الوقت يستمتع به كل واحد تقريبا ، ومع ذلك فـلا شىء يثير المتاعب ويحدث المرارة ، ويقضى على المحبـة الأخـوية والوحدة المسيحية كالمذمة .

هذه هى اذن الاشـــــياء التى يجب على الشخص المولود ثانية أن يطرحها ، لأنه اذا تمادى فى أن يسمح لتلك الاشياء بأن تسيطر عليه ، فانه بذلك يفسد الرابطة الاخوية ويقطع أوصالها .

ما ينبغى اشتهاؤه

ولكن هنـــاك أشياء يجب على المسيحى أن يشـــتهيها ويسعى نحوها انه يجب أن يشتهى « لبن الكلمة العـــديم الغش » . وهذه عبـــارة يصعب تفسيرها . والصعوبة بسبب كلمة « Logikos »

والكلمة كما قلنا هى « Logikos » ، وهى الصفة اليونانية من الاسم (logos) ومرجع الصعوبة ، فى أنه توجـــد لتلك الكلمة ثلاث ترجمات محتملة .

(ا) فكلمة (Logos) هى اصطلاح الرواقيين للتعبير عن العقـــل الذى يدير دفة الـــكون ، الله من وراء هذا الكون وفيه وبه كل شىء كان . وكلمة « Logikos » كلمة رواقية محبوبة وهى تصف كل ما يتعلق بذلك العقل الالهى المهيمن على كل الاشياء . فان كانت الكلمة تحمل هذا المعنى ، اذن يكون تفسيرها كلمة « روحى » .

(ب) كلمة (Logos) هى كلمة يونانية تحمل معنى (عقل) أو منطق ، ولذلك فالصفة وهى (Logikos) تعنى (عقلى) أو (ذكى) ، ونجد نفس المعنى فى (رومية ١٢ : ١) ، حيث تتحدث عن العبادة (العقلية) .

(حـ) وكلمة (logos) تعنى باليونانية (كلمة) و (Logikos) تعنى « المختصة بالكلمة » ، ونحن نعتقد أنه صحيح . فبطرس كان يتحدث من قبل عن كلمة الله الحية الباقية (١ بطرس ١ : ٢٣ ــ ٢٥) .

وكلمة الله أى الكلمة التى فى فكر الله ، ونحن نعتقد أن بطرس يقصد أن المسيحى يجب أن يشتهى بكل قلبه الغذاء المستمد من كلمة الله ، لأنه عن طريق هذا الغـــذاء يستطيع أن ينجح وينمو حتى يصل الى الخلاص

ذاته . فلكى يستطيع المسيحى أن يثبت فى وجه العالم الوثنى يجب أن يقوى نفسه وحياته بكلمة الله الصافية.وطعام الكلمة هذا (عديم الغش) (adolos) اى انه خال من أى شائبة ردية فيه . وكلمة (adolos) هو اصطلاح فنى للتعبير عن الغلال النقية من الأتربة والتبن أو أية مواد ضارة . فكل حكمة بشرية يوجد بها شىء غير نافع أو ضار . ولكن كلمة الله خالية من كل الشوائب .

وعلى المسيحى أن يشتهى لبن الكلمة ، وكلمة « يشتهى » باليونانية تعنى (epipothein) وهى كلمة قوية التعبير ، فهى نفس الكلمة المستخدمة عن الايل التى تشتاق لجداول المياه (مزمور ٤٢ : ١) ، عن المرنم المشتاق لخلاص الرب (مزمور ١١٩ : ١٧٤) فالمسيحى الحقيقى لا يعتبر أن دراسة كلمة الله عمل ممل بل مسرة وابتهاج ، لأنه يعلم أنها غذاء لنفسه المشتاقة اليها .

وتشبيه المسيحى بالطفل ، وكلمة الله باللبن الذى ينمو به ، أمر شائع فى العهد الجديد . فبولس يشبه نفسه بالمرضعة التى تربى الاطفال المسيحيين فى الايمان فى تسالونيكى (١ تسالونيكى ٢ : ٧) . وهو يعتقد أنه يطعم أهل كورنثوس اللبن لأنهم لم يقدروا بعد على أكل اللحوم (١ كورنثوس ٣ : ٢) ، ويوجه كاتب الرسالة الى العبرانيين اللوم الى شعبه لأنهم ما زالوا يعيشون على اللبن ، بينما كان يجب عليهم أن يصلوا الى مرحلة النضج الروحى (عبرانيين ٥ : ١٢ ، ٦ : ٢) .

وكانت ترمز الكنيسة الاولى الى ميلاد المعمودية الثانى ، بأن تلبس المسيحى المعمد حديثا ملابس بيضاء ، وأحيانا كان يطعم باللبن كأنه طفل صغير . فغذاء لبن الكلمة هو الذى يجعل المسيحى ينمو حتى يصل الى الخلاص .

ويختتم بطرس ما ساقه من حديث بالاشارة الى ما ورد فى مزمور (٣٤ : ٨) ، « ان كنتم قد ذقتم أن الرب صالح » ، وهذه العبارة تحمل معنى هاما فكون الله صالح لا يصح أن يجعلنا نتراخى أو نهمل فى أداء واجبنا

كمسيحيين لانه مفروض علينا أن نكد ونكدح حتى نستحق صلاح الله ومحبة الله من نحونا . ان صلاح الله لا يصح أن يتخذ ذريعة فى أن نهمل فى حياتنا المسيحية ، بل انه من اعظم الدوافع لنا فى الجهاد .

طبيعة ووظيفة الكنيسة

الذى إذ تأتون إليه حجرا حيا مرفوضا من الناس ولكن مختار من الله كريم . كونوا أنتم أيضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح . لذلك يتضمن أيضا فى الكتاب هئذا أضع فى صهيون حجر زاوية مختارا كريما والذى يؤمن به لن يخزى . فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة وأما للذين لا يطيعون فالحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . وحجر صدمة وصخرة عثرة . الذين يعثرون غير طائعين للكلمة الأمر الذى جعلوا له . وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب . الذين قبلا لم تكونوا شعبا وأما الآن فأنتم شعب الله . الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون .
(١ بط ٢ : ٤ — ١٠)

يبرز بطرس امامنا هنا طبيعة ووظيفة الكنيسة . ويحسن تقسيم هذه الفقرة الى اربعة اقسام .

١ ــ الحجر الذى رفضه البناؤون :

وردت فى هذه الفقرة كلمة « الحجر » كثيـرا . وقد أشير الى ثلاث فقرات رمزية فى العهد القديم . لندرسها واحدة تلو الاخرى .

١ ــ أول اشارة وردت على لسان يسوع نفسه . فمن اهم الأمثلة المعبرة والتى تكشف امامنا الحقيقة والتى قالها يسوع مثل الكرامين والأشرار . ففى هذا المثل اخبرنا يسوع كيف أن الكرامين تتلوا العبيد واحدا تلو الآخر حتى انهم فى النهاية قتلوا الابن . كان يريد أن يبين كيف أن أمة اسرائيل رفضت مرارا وتكرارا أن تصغى لصوت الأنبياء وكيف اضطهدتهم ، وكيف بلغ هذا الاضطهاد مداه بموت يسوع نفسه . ولكن بعد هذا الموت تنبأ يسوع عن الانتصار حين اقتبس ما جاء فى سفر المزامير « الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ... (متى ٢١ : ٤٢ ، مرقس ١٢ : ١٠ ، لوقا ٢٠ : ١٧) ، والاقتباس مأخوذ من (مزامير ١١٨ : ٢٢) . لقد كان هذا القول فى الأصل اشارة لأمة اسرائيل ذاتها .

قال ا . ك كركباترك ان « اسرائيل هى رأس الزاوية ، ومع أن قوى العالم احتقرتها ودفعتها بلا جدوى ، ولكن الله قد عين لها مقاما ممتازا فى هيكل ملكوته فى العالم . فالكلمات تعبر عن احساس اسرائيل بمقامها وأهميتها فى البرنامج الالهى » ، ولذا فان يسوع طبق هذه الأقوال على ذاته . فانه وان كان يبدو انه مرفوض من الناس الا انه معين فى البرنامج الالهى ليكون رأس الزاوية فى هيكل الله ، مكرما فوق الجميع .

٣ ــ وردت اشارات أخرى فى العهد القديم عن هذا الحجر الرمزى ، وقد اكتشف الكتاب المسيحيون الأوائل هذه الاشارات واستخدموها فى كتاباتهم وأولى هذه الاشارات وردت فى (اشعياء ٢٨ : ١٦) (١) ، فى الطبعة الأصلية نجد القول هكذا : « لذلك هكذا يقول السيد للرب . هأنذا أؤسس فى صهيون حجرا حجر امتحان حجر زاوية كريما أساسا مؤسسا.من آمن لا يهرب » .

---

(١) يقصد بالطبعة الاصلية طبعة الملك جيمس سنة ١٦١١ . (المعرب)

والاشارة هنا أيضا عن أمة اسرائيل . فالحجر الكريم الثابت هو الصلة القوية المتينة التى تربط الله بشعبه ، وتلك الصلة تتضح فى مجىء المسيا .

وهكذا فالكتاب المسيحيون الأوائل أخذوا هذا الجزء ونسبوه الى يسوع المسيح على أنه حجر الله الكريم الأساس المؤسس .

(٣) والفقرة الثانية وردت أيضا فى اشعياء . ونجدها فى الطبعة الأصلية هكذا : « قدسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم . ويكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتى اسرائين وفخا وشركا لسكان أورشليم (اشعياء ٨ : ١٣ و ١٤) ، وهذه الفقرة تعنى أن الله يقدم نفسه لشعب اسرائيل فمن قبله صار لهم سبب خلاص ونجاة ، ومن رفضه صار لهم رعبا وهلاكا . وهكذا أيضا ، أخذ الكتاب المسيحيون الأوائل هذه الفقرة وطبقوها على المسيح . فمن قبله صار له يسوع مخلصا وصديقا ، ومن رفضه صار له فخا ودينونة .

(٤) لكى نفهم ما جاء بهذه الفقرة ، يجب أن نضيف الى هذه الفقرات من العهد القديم ، فقرة من العهد الجديد . فلا يمكن لبطرس أن يفكر فى المسيح كحجر الزاوية وفى المؤمنين كمبنيين بيتا روحيا بالاتحاد مع المسيح ، دون أن يفكر فى كلمات يسوع له عندما أدلى باعتراف ايمانه العظيم فى قيصرية فيلبس ، فقد قال يسوع له : « انت بطرس ، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى (متى ١٦ : ١٨) فالكنيسة قد بنيت على هذا الايمان الواثق بيسوع ، والمؤمن كالحجر فى بناء الكنيسة ، مبنى بالايمان بيسوع المسيح .

هذا هو اذن مصدر ما ورد بهذه الفقرة من صور ورموز .

٢ — طبيعة الكنيسة .

نتعلم من هذه الفقرة ثلاثة أشياء عن طبيعة الكنيسة .

(١) فالمسيحى مشبه بحجر حى ، والكنيسة ببيت روحى (عدد ٥) .

وهذا يعنى بوضوح أن المسيحية مجتمع ، والمسيحى كفرد يجد مكانه اللائق به فقط عندما يكون مبنيا فى بناء الكنيسة . « فالديانة

يكون هناك مايسمى بالمسيحى الحر الذى يأنف من أن ينضم للكنيسة المنظورة فى أى شكل من اشكالها، فالذى يسمى نفسه كذلك ، فهو ليس بمسيحى على الاطلاق » .

هناك قصة أسبرطية شهيرة . فقد حكى أن ملكا اسبرطيا كان يفتخر أمام واحد من الحكام اثناء زيارته له ، بأسوار أسبرطة . فنظر الحاكم الزائر حوله ولكنه لم يجد أية أسوار .. فقال للملك الأسبرطى : « أين تلك الاسوار التى تتحدث عنها وتفتخر بها كثيرا ؟ » ! فأشار الملك الى حراسه الاسبرطيين الاشداء وقال : « هؤلاء هم أسوار أسبرطة ، ان كل رجل منهم بمثابة حجر فى هذا السور » .

ومن هذا يتضح أنه طالما أن الحجر أو لبنة البناء بمفردها فانها تظل عديمة القيمة ، انها تصبح ذات نفع فقط عندما تدخل فى البناء ، انها قد صنعت لهذا السبب ، وعندما تدخل فى البناء فانها تتمم عملها وتحقق الغرض الذى وجدت من أجله . وهكذا بالنسبة للمسيحى . فلكى يحقق الهدف من وجوده لا يصح أن يبقى بمفرده ، فعليه أن يبنى فى بناء الكنيسة ويصير جزءا منها .

فلنفرض أنه فى وقت الحرب جاء رجل وقال : « انى أود أن أخدم بلدى وأدافع عنه ضد الاعداء » ، فلو حاول أن ينفذ عزمه بمفرده ، لما عمل شيئا ولكنه يستطيع تحقيق ذلك بالانضواء تحت لواء جيش بلاده .

وان أراد أحد أن يدافع عن غاية عظمى ، فانه يجب أن يندمج مع أولئك الذين يتفقون معه فى نفس المثل والأفكار . وهكذا بالنسبة للكنيسة . فالمسيحية الفردية ليست مسيحية ، ان المسيحية رابطة أخوية داخل نطاق مجتمع الكنيسة .

(٢) المسيحيون كنهوت مقدس (عدد ٥) . توجد صفتان غالبتان فى الكاهن :

(ا) فالكاهن شخص قريب من الله ، ووظيفته تقريب الناس الى

الله . لقد كان كل امتياز القرب من الله قاصرا على فئة قليلة وهم فئة الكهنة وحدهم ، وبالأخص رئيس الكهنة . فهو وحده الذى له الحق فى دخول قدس الاقداس فى حضرة الله . ولكن بيسوع المسيح ، الطريق الحى الجديد ، أصبح الاقتراب الى الله امتياز كل مسيحى ، مهما كان بسيطا أو غير متعلم .

ثم أن كلمة كاهن ، تعنى باللاتينية (Pontifex) التى تعنى (بانى القنطرة) ، فالكاهن هو الشخص الذى يعمل كقنطرة تأتى بالآخرين الى الله ، والمسيحى عليه واجب وله امتياز الاتيان بالآخرين الى المخلص الذى قد وجده هومن قبل واحبه .

(ب) الكاهن هو الشخص الذى يقدم الذبائح الى الله ، والمسيحى يجب أن يقدم ذبائحه لله دائما . فى العهد القديم كانت نقدم ذبائح حيوانية ، ولكن ذبائح المسيحى هى ذبائح روحية . المسيحى يقدم عمله ذبيحة لله ، وكل ما يعمله يعمله لمجد الله ، ولذا فان ابسط ما يقوم به المسيحى من اعمال انما هى لمجد الله . فالمسيحى يقدم عبادته ذبيحة الله ، وعندما يحدث هذا فان عبادة الله لا تضحى ثقلا بل فرحا وامتيازا . فهى ليست شيئا مملا ، بل انها شىء محبب نقدم فيه أفضل ما عندنا لله . والمسيحى أيضا يقدم ذاته ذبيحة لله . قال بولس : « قدموا أجسادكم ذبيحة حية مرضية عند الله (رومية ١٢ : ١) . فان ما يطلبه الله منا ، هو محبة قلوبنا ، والخدمة المخلصة له فى حياتنا . هذه هى الذبيحة المسيحية الكاملة التى يجب على كل مسيحى تقديمها .

٣ — ان وظيفة الكنيسة هى أن تحدث بحسنات الله . أى أن وظيفة الكنيسة الشهادة أمام الناس عن اعمال الله العظيمة ... ان ذلك ببساطة يعنى أن وظيفة المسيحى هى أن يحدث الآخرين عما صنع له الله من جميل . فالمسيحى بحياته وبكلماته هو شهادة عما عمله معه الله فى المسيح .

٣ — مجد الكنيسة :

فى عدد (١٠) نقرأ عن الاشياء التى يشهد لها المسيحى ، الاشياء التى عملها الله معه .

(١) فالله دعا المسيحى (من الظلمة الى نوره العجيب) .٠، المسيحى مدعو من الظلمة الى النور ، فعندما يتعرف الانسان بيسوع المسيح ، فانه يتعرف بالله . فلا يصبح بعد فى حاجة للظن والتخمين عن الله ، أو أن يفكر فى الله كالاله المجهول البعيد ، قال يسوع : « من رآنى فقد رأى الآب » . (يوحنا ١٤ : ٩) ففى يسوع نور معرفة الله . وعندما يتعرف شخص ما بالمسيح ، فانه يتعرف على الصلاح . وفى المسيح يجد النموذج الذى يقيس عليه كل اعماله وكل دوافعه . وبذلك يعرف الصلاح الحقيقى ، النموذج الكامل والمثال التام فى شخص يسوع المسيح . عندما يعرف شخص ما يسوع ، فانه بذلك يعرف الطريق . فلا تصبح الحياة بالنسبة له طريقا مجهولا دون أى نجم يهديه أو يقوده ، أو طريقا شائكا لا يعرف له اول ولا آخر . ففى المسيح يضحى الطريق ممهدا واضحا .

وعندما يتعرف الانسان بالمسيح فانه يصل الى نبع القوة . فلا فائدة من معرفتنا لله دون أن تكون عندنا القوة لخدمته . ولا نفع من معرفة الصلاح ان كنا عاجزين عن الوصول اليه . ولا قيمة لرؤية الطريق الصواب اذ كنا غير قادرين على السير فيه . ففى المسيح لنا امتيازات عظمى ، وفيه أيضا لنا القوة على التابع بتلك الامتيازات .

٢ ــ ان الله قد جعل الذين ليسوا شعبا شعب الله . ان بطرس يقتبس هنا قول هوشع (١ : ٦ و ٩ و ١٠ ، ٢ : ١ و ٢٣) .وهذا يعنى أن المسيحى مدعو ليحتل مكانا بارزا . ان الذى يحدث دائما فى هذا العالم أن الشخص يستمد عظمته لا من ذاته بل من العمل الموكل اليه . فعظمته فيما يقوم به من مهمة ملقاه على كاهله .وعظمة المسيحى ترجع لأن الله قد اختاره لاتمام المهمة التى أرادها الله ليقوم بها فى العالم . ولا يمكن لأى مسيحى أن يكون شخصا عاديا ، لأن كل مسيحى هو رجل الله .

٣ ــ ان المسيحى كان غير مرحوم وأما الآن فمرحوم . ان أعظم ما يميز الديانات الأخرى هو الخوف من الله . وأما المسيحى فقد اكتشف محبة الله فى المسيح يسوع ، وهو يعلم انه لا داع له بأن يخاف من الله ، لأن تلك المحبة قد أزالت الخوف من نفسه .

٤ ـ وظيفة الكنيسة :

فى عدد (٩) يستخدم بطرس عددا من العبارات التى تعد تلخيصا لوظيفة الكنيسة . فهو يدعو المسيحيين « جنس مختار ، كهنوت ملوكى ، أمة ، مقدسة ، شعب اقتناء » ، ان بطرس متعمق فى دراسة العهد القديم ، فكل تلك العبارات هى أوصاف لشعب اسرائيل ولتلك الأوصاف مصدران رئيسيان :

ففى اشعياء (٤٣ : ٢١) ، يسمع اشعياء صوت الله قائلا : « هذا الشعب جبلته لنفسى » . وفى سفر الخروج أيضا (١٩ : ٥ و ٦) يقول الله (فالآن ان سمعتم صوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لى كل الارض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » ، فالمواعيد العظمى التى أعطاها الله لشعبه اسرائيل قد آلت للكنيسة التى هى اسرائيل الجديد ، اسرائيل الله . وكل لقب من الالقاب السابقة ملىء بالمعنى .

١ ـ فالمسيحيون (شعب مختار) : وهذا يقودنا الى الحديث عن العهد الذى قطعه الله مع شعبه اسرائيل (خروج ١٩ : ٥ و ٦) ففى هذا العهد دخل الله فى علاقة خاصة مع شعب اسرائيل ، فقد طلب منهم أن يكونوا شعبا خاصا له ، وأن يكون الها لهم . ولكن هذه الصلة كانت تعتمد على قبول اسرائيل لشروط العهد وحفظهم للناموس . فتلك العلاقة لا تقوم الا اذا « سمعتم صوتى وحفظتم عهدى » (خروج ١٩ : ٥) ، ونتعلم من هذا أن المسيحى مختار لثلاثة أشياء (أ) انه مختار لامتياز . فالمسيحى مدعو لامتياز الشركة والرابطة بينه وبين الله فى المسيح . فالله قد أصبح خليلا وهو أصبح خليل الله . (ب) انه مختارا (للطاعة) . ان تلك الصلة تعتمد أساسا على الطاعة . فالأمتياز يجلب معه المسئولية ، والمسيحى مختار ليصبح ابن الله المطيع . انه ليس مختارا ليفعل ما يريد هو ، انه مختار ليفعل ما يريده الله . وليس امتيازه فى أن ينفذ ارادته ، بل فى اتمام ارادة الله .

(حـ) أنه مختار (للخدمة) . فله شرف خدمة الله . وامتيازه أن يستخدم لتنفيذ مقاصد الله . ولكنه لن يصلح لذلك الا عندما يطيع الله وينفذ

رغباته . فالمسيحى مختار لامتياز ، ومختار للطاعة ، ومختار للخدمة — ان هذه الحقائق الثلاث العظمى تسير جنبا الى جنب .

٢ — المسيحيون (كهنوت ملوكى) : لقد عرفنا من قبل أن هذا يعنى أن لكل مسيحى حق الاقتراب من الله ، وأن كل مسيحى يجب أن يقدم لله ذاته وعبادته وعمله .

٣ — المسيحيون هم على حد تعبير الكتاب « أمة مقدسة » : ان كلمة «مقدس»تعنى باليونانية (Hagios) ، وقد رأينا من قبـل أن تلك الكلمة تعنى « مختلف » ، فالمسيحى قد اختير ليكون مختلفا عن الآخرين . وهذا الاختلاف راجع لأنه مكرس لتنفيذ ارادة الله ولخدمته . فقد يتبع الآخرون مثل وطرق العالم ، ولكن ناموس المسيحى الوحيد وصايا الله وارادة الله . فلا يصح لأى شخص أن يخطو خطوة واحدة فى طريق المسيحية ما لم يتأكد مقدما انه ملزم أن يختلف عن باقى الناس .

٤ — المسيحيون هم «شعب اقتناء» : كثيرا ماترجع قيمة شىء ما الى الشخص الذى يمتلكه . فقد يكتسب شيئا عاديا قيمـة خاصة ، اذا كان يمتلكه شخص مشهور . فى كل متحف نجد أشياء عادية من ملابس وعصى واقلام وكتب وقطع من الاثاث ، ولكن قيمة تلك الأشياء تعزى لأن شخصا عظيما قد استخدمها يوما ما . فتلك الملكية قد اكسبت تلك الاشياء قيمتها الحالية . وهكذا بالنسبة للمسيحى . فقـد يكون المسيحى شخصا عاديا ، ولكنه يكتسب شرفا وعظمة وامتيازا لانه ملك لله . فعظمة المسيحى تنسب الى انه ملك لله .

اسباب السيرة الحسنة

أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَاءَ وَنُزَلاَءَ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ . وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا . (٢ : ١١ و ١٢)

ان الوصية الأساسية فى هذا الجزء أن يمتنع المسيحى عن (الشهوات الجسدية) ، ويجدر بنا أن ندرك ما يقصده بطرس من وراء ذلك . فعبارات مثل « خطايا الجسد » و « الشهوات الجسدية » لم تعد تستعمل كما كانت فى الماضى . فعندما نتكلم عن « خطايا الجسد » فاننا نعنى بذلك الخطية الجنسية ، ولكن « خطايا الجسد » فى العهد الجديد تعنى شيئا أكثر من ذلك بكثير . ويورد لنا بولس فى (غلاطية ٥ : ١٩ - ٢١) قائمة بخطايا الجسد ، وتحوى القائمة الخطايا التالية : « زنا ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ، سخط ، تحزب ، شقاق ، بدعة ،حسد ، قتل، سكر ، ببطر ، وأمثال هذه».ويتضح من هذا أن هناك أكثر من مجرد الخطايا الجسدية ، فخطايا الجسد تحوى شيئا أكثر من الخطايا الجنسية وكل شهوات الجسد . وكلمة « جسد » فى العهد الجديد نعنى شيئا أكثر من مجرد الجسد والطبيعة الجسدية ، وأنها تعنى «الطبيعة البشرية البعيدة عن الله » انها تعنى الطبيعة البشرية الغير متجددة والغير مفدية ، وتعنى الطبيعة البشرية بلا مسيح ، انها تعنى الحياة بدون مثل عليا ، وبدون معونة المسيح ونعمته وتأثيره .« فالشهوات الجسدية » و « خطايا الجسد » لا تعنى فقط الخطايا الكبرى ، بل تشمل كل خطايا الكبرياء والحقد والكراهية والبهتان والفكر الشرير ، التى هى طابع الطبيعة البشرية الساقطة الآثمة . فالمسيحى يجب أن يمتنع عن كل تلك الخطايا . ويذكر بطرس سببين ، يمتنع المسيحى من أجلهما عن تلك الخطايا .

١ - فالمسيحى يجب أن يمتنع عن تلك الخطايا لأنه (غريب ونزيل) . وهما كلمتان تستعملان للتعبير عن الشخص الذى يقيم فى بلد غريب،أو الذى يقيم مؤقتا فى مكان ما بعيدا عن وطنه فهو لا يعد مواطنا فى المكان المقيم فيه ، ولكنه ينتمى لدولة أخرى . واستخدمت الكلمتان فى وصف الآباء الاول فى تنقلاتهم ، وخاصة ابراهيم الذى تغرب فى أرض الموعد لأنه كان ينتظر المدينة التى صانعها وبارئها الله (عبرانيين ١١ : ٩ و ١٣) ، وللتعبير أيضا عن بنى اسرائيل عندما كانوا غرباء فى أرض مصر واستعبدوا فيها قبل أن يدخلوا أرض الموعد . (أعمال ٧ : ٦) .

ولذا فان هاتين الكلمتين تعنيان حقيقتين عظيمتين عن المسيحى :

(ا) فالمسيحى بحق غريب فى هذا العــالم ، ولأنه غريب فى العالم ، فانه لا يمكن أن يقبل قوانين هذا العــالم وطرته ومثله . قد يقبل الآخرون هذه القوانين والمثل ، ولكن المسيحى ينتمى لملكة الله ، ويجب أن يتبع قوانين تلك المملكة فى حياته . ان المسيحى يحيــا على الأرض ، ولذا فانه يجب أن يتمم كل ما عليه من مسئوليات والتزامات فى الأرض ؛ ولكن وطنه هو السماء ، ولذا فانه يجب أن يطيع قوانين السماء .

(ب) أن المسيحى يقيم على الأرض اقامة ليست دائمة . انه يسير فى طريقه نحــو وطن آخر ، ولذا فلا يصح أن يوجد فى حياته ما يعطــله عن الوصول لهدفه . لا يجب عليه أن يرتبك بأمور العــالم حتى أنه لا يستطيع منهــا فكاكا . لا يصح أن يخضع لعــادات وطرق تؤثر فى شخصيته لدرجة أنه لا يصلح بعدئذ للملكوت . لا يجب على المسيحى أن يدنس نفسه ، وبذلك يحرم من الوجود فى حضرة الله .

ان المسيحى يجب أن يمتنع عن الشهوات الجسدية لأن ناموسه هو ناموس الملكوت ، وغايته الفرح الأبدى فى حضرة الله .

أعظم رد وأعظم دفاع

٢ — ولكن بطرس يقــدم لنا سببا قويا آخر لامتناع المسيحى عــن الشهوات الجسدية . فقد كانت الكنيسة الاولى معرضة لنيران المسيحى عن فكانت الاتهامات الكاذبة والشائعات المغرضة توجه دائما ضد المسيحيين ، والطريقة العملية الوحيــدة للقضاء على تلك الشائعات أن يثبت المسيحيون بحياتهم المقدسة كذب هذه الاتهــــامات . « وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة » .

وفى اليونانية توجد كلمتان بمعنى « حسن » ، كلمة (Kalos) التى تعنى بديع وجذاب ومحبوب ، وكلمــة Agathos التى تعنى جيد فى النوع . وهذا ما تعنيه كلمة (Honestus) فى اللاتينية ، انها تعنى بديع ، جميل ورشيق . ولذا ، فان بطرس يقول ان المسيحى يجب أن تكون حياته وكل سلوكه محبوبا وبديعا وجميلا، حتى يظهر للجميع أن كل الشائعات ضده باطلة ولا أساس لها من الصحة .

هنا اذن تبدو الحقيقة العظمى فى المســــــيحية ، فأعظم دفاع عن المسيحية هو المسيحى الحقيقى ، ولذلك فسواء أردنا أو لم نرد ، فان كل مسيحى هو بمثــــابة اعلان عن المسيحية . فهو اما أن يحبب الآخرين فى المسيحية بسلوكه ، واما أن يجعلهم يقللون من شأن المسيحية . ان أقوى ارسالية فى العالم هى حياة المسيحى ، وان اظهار الحياة المقدسةامام الناس، كان يعد فى الكنيسة الأولى أمرا ضروريا لأن الاثنيين كانوا يقومون بحملات دعاية مغرضة ضـــد الكنيسة المسيحية . ومن بين شائعاتهم التى أطلقوها ما يأتى :

١ ــ لقــد بدت المسيحية فى بادىء الامر وثيقة الصلة باليهود . فكان يسوع يهودى الجنس ، وكذلك بولس ، وكان مهــد المسيحية فى أورشليم ، ولذا فان أول معتنقيها كانوا من اليود قطعا . فكانت المسيحية ترتبط فى ذهن الوثنى باليهود ، وقد ظلت ردحا من الزمن تعد احـــــدى طوائف الديانة اليهودية . ثم أن العــداء للسامية من قديم الزمان ، فقد كان اليهـــــــود شعبا مكروها . يقدم لنا (فرند لاندر) عينة من الشائعات التى كانت تطلق ضـــد اليهود فى كتابه « الحياة والآداب الرومانية فى عهد أول امبراطورية » : «طبقا لما جاء فى رويات تاكتيتوس فانهم (اليهود) علموا معتنقى اليهودية الجدد أن بحتقروا الآلهة قبل كل شيء وأن يبغضوا وطنهم الاصلى والا يعيروا التفاتا لوالديهم وأولادهم واخوتهم وأخواتهم .وقال (جوفينال) ان موسى علم اليهـــود الا يروا الطريق لأى شخص أو يرشدوا المسافر العطشان الى نبع المياه ، ما لم يكن يهوديا . ويعلن (أبيون) (Apion) انه فى حكم انطيوخس ابيفانس،كان اليهود كل سنة يسمنونيونانيا، ويقدمونه كذبيحة فى يوممعين فى احــدى الغـــابات ويأكلون أمعاءه ثم يقسمون على أن يكرهوا اليونان كراهة أبدية . هذه هى الأشياء التى اعتقــد الوثنيون بصحتهــا بخصوص اليهود ، ومن ثم فقد شملت الكراهية المسيحيين أيضا .

٢ ــ ولكن ، بخلاف تلك الشائعات التى كانت موجهة ضـــد اليهود ، كانت هناك شائعات أخرى ضـــد المسيحيين مباشرة . فقد اتهم المسيحيون بأكل لحوم البشر . وقد قام الاتهام نتيجة لتحريف ما قاله يسوع فى العشاء الاخير : « هذا هو جسدى » و « هذه الكأس هى العهــد الجديد بدمى »

ولذا فقد اتهم المسيحيون بقتل طفل وأكله فى ولائمهم . واتهموا أيضا بممارسة حرية الاتصالات الجنسية وأنهم قوم يطلقون العنان لشهواتهم . وهذا الاتهام قام على أساس أن المسيحيين يدعون اجتماعهم Agape اى وليمة الحب ، وقد حرف الوثنيون القصد من تلك الاجتماعات فأذاعوا أنها حفلات ترتكب فيها الشائنات ، وتقوم على مجرد اللذات الحسية .

واتهم المسيحيون أيضا بافسادة التجارة . وهذا الاتهام يرجع لاتهام بولس لصائغى افسس (أعمال ١٩ : ٢٤ — ٤١) .

واتهموا أيضا بهدم العلاقات العائلية لما كان يحدث فى العائلات عندما يعتنق بعض أفراد العائلة الديانة المسيحية ، ويرفض باقى افراد العائلة ذلك . واتهموا بتهييج العبيد ضد سادتهم ، والواقع ان المسيحية قد أشعرت كل فرد بحقة وكرامته . واتهموا أيضا « بكراهية الجنس البشرى » على أساس أن المسيحى يعتبر أن هناك عداء مستحكما بين الكنيسة والعالم. وفوق هذا كله فقد انهموا بعدم ولائهم لقيصر ، لأنه لا يمكن لاى مسيحى أن يسجد لتمثال الامبراطور أو يحرق له البخور أو ينادى بأن قيصر رب ، لأنه لا يعترف سوى بيسوع المسيح وليس آخر .

هذه هى الاتهامات التى كانت موجهة ضد المسيحيين . وكانت الطريقة الوحيدة التى نادى بطرس باتباعها ازاء تلك الاتهامات ، أن يحيا المسيحى حياة تثبت بطلان هذه الاتهامات . عندما أخبر أفلاطون بأن هناك شخصا مايروج ضده شائعات مغرضة كان رده: «ان سلوكى سوف يثبت كذب هذا الشخص » وهذا هو نفس رأى بطرس . قال يسوع نفسه ، ولا شك أن قوله كان يجول بخاطر بطرس ، « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » . (متى ٥ : ١٦) وهذه الفكرة شىء مألوف لدى اليهود ، ففى احدى الكتب التى التى كتبت فيما بين العهدين القديم والجديد ورد هذا القول : « ان فعلتم الصلاح يا أولادى ، فان الناس والملائكة تباركم ، ويتمجد الله بسببكم بين الأمم ، ويهرب منكم الشيطان . » (عهد نفتالى ٨ : ٤) .

ومن حقائق التاريخ المذهلة ، أن المسيحيين قد أثبتوا بحياتهم بطلان

هذه الاتهمات التى روجها الوثنيون . ففى الجزء الأول من القــرن الثالث الميلادى ، قام سيلسوس (Celsus) بأقوى هجوم منظم ضد المسيحيين اتهمهم فيه بالجهل والغباء واتباع الخرافات وكل شيء ما عدا فساد الاخلاق . وفى النصف الأول من القرن الرابع استطاع ايوسيبيس ، مؤرخ الــكنيسة العظيم . أن يكتب قائلا : « لقد نمت الكنيسة الجامعة فى المجد والاتساع والقوة ، وأشاعت فى أمم الأرض من يونان وبرابرة روح التقوى، والبساطة والتواضع ، والطهارة ، التى تنبع من حياة أفرادها كمـــا أذاعت فلسفتها أيضا . وقد اختفت كذلك كل الاتهمات المغرضة ضد الكنيسة ، وقد ساد تعليمنا وحده وقد اعترف الجميع بعظمته وتسامحه وسمو عقائدنا الالهية عن جميع العقائد الاخرى . حتى انه لا يجرؤ أحد منهم الآن أن يلصق تهمة باطلة بعقيدتنا أو أى اشاعة كاذبة كما سر اعداؤنا القــدامى أن يفعلوا . . . (أيوسيبيس والتاريخ الكنسى ٤ : ٧ : ١٥) حقيقة أن موجات الاضطهاد لم تكف حتى ذلك التاريخ ، لأن المسيحى لا يمكن أن يصرح بأن قيصر رب ، ولكن سمو حياة المسيحيين قد أخرس كل الاتهـــامات والدعايات المغرضة ضـد الكنيسة .

فأمامنا هنا باعث قوى، والهام صادق، وهو انه يحسن سيرتنا وسمو حياتنا اليومية يمكننا أن نجذب البعيدين الذين لا يؤمنون الى المسيحية .

واجب المسيحى

فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ . إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ . أَوْ لِلْوُلاَةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ . لأَنْ هٰكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكِّتُوا جَهَالَةَ النَّاسِ الأَغْبِيَاءِ .
(٢ : ١٣ — ١٥)

١ ـــ كمواطن :

يبدأ بطرس هنا فى الكتابة عن واجب المسيحى فى مختلف قطـــاعات

الحياة ، ويستهل ذلك بالكتابة عن واجب المسيحى كمواطن فى البلد الذى يحيا فيه . فالعهد الجديد لا يحبذ أى نوع من أنواع الفوضى . قال يسوع : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . (متى ٢٢ : ٢١) . وقد أكد بولس أن الحكام مرتبين من الله ويستمدون سلطانهم من الله ، وأن من يعمل الصلاح لا يخاف منهم (رومية ١٣ : ١ — ٧) . وفى الرسائل الرعوية يطلب من المسيحى أن يصلى لكل الذين فى منصب (١ تيموثاوس ٢ : ٢) فالعهد الجديد يطلب من المسيحى أن يكون مواطنا صالحاً ونافعا للبلد الذى يحيا فيه .

لقد قيل ان الخوف هو السبب فى بناء المدن ، وان الناس اختفت خلف الجدران حتى تكون فى مأمن . فالناس قد اتحدت معا واتفقت على أن تتبع قوانين معينة حتى يستطيع الشخص الشريف الصالح أن يؤدى عمله فى أمان ، وأن يكون فى سلام ، وحتى يمتنع الشخص الشرير عن فعل الشر . والعهد الجديد يوضح لنا أن الله قد قصد أن تكون الحياة منظمة ، وأن الدولة معينة من الله لحماية هذا النظام .

وأن فكرة العهد الجديد منطقية وعادلة ، لأنه ينادى بأن الشخص لا يحق له أن يتمتع بأية امتيازات تمنحها له الدولة ما لم يتحمل المسئوليات والواجبات التى تتطلبها الدولة منه . فلا يصح لرجل شريف أن يأخذ كل شىء لنفسه دون أن يعطى شيئا فى مقابل ذلك .

ولكن كيف نقيس ذلك على حياتنا العصرية ، وعلى واجبنا كمواطنين اليوم ؟ أشار كارنفيلد أن هناك اختلافا جوهريا بين الدولة فى وقت العهد الجديد ، والدولة كما نعرفها الآن . فقد كانت الدولة قديما دولة دكتاتورية ، كان الحاكم يحكم فيها حكما مطلقا ، وواجب المواطن الوحيد الخضوع والطاعة التامة للدولة ، ودفع الضرائب التى تحددها الدولة (رومية ١٣ : ٦ و ٧) ، فقد كان الاساس هو الخضوع للدولة .

ولكننا لا نعيش فى ظل دولة دكتاتورية ، ان دولتنا ديموقراطية ، وفى الدول الديموقراطية هناك شىء أكثر من مجرد الخضوع المطلق للدولة . الحكومة الديموقراطية ليست فقط حكومة الشعب ، انها أيضا لأجل الشعب وبالشعب . وان ما يطلبه العهد الجديد من المسيحى أن يوفى بمسئولياته والتزاماته من نحو الدولة . وفى الدول التى تتمركز فيها السلطة فى يد فرد ،

يعنى هذا الالتزام الخضوع التـــام . ولكن ما هـــو الالتزام فى دول ديموقراطية ؟ وبمعنى آخر ، اذا كان الخضوع للدولة هو الالتزام الوحيد على المواطن فى الدول الدكتاتورية ، فما هو المطـلوب من المواطن فى الدولة الديموقراطية ؟

حقا ، فى كل دولة يلتزم المواطن بقدر معين من الخضوع . كما ذكر كارنفيلد يجب أن يكون هناك « نوع من التنازل الارادى من الفـرد نحـو الآخـرين ، مفضلا صالح الآخرين على مصلحته الخاصـة ، محبا للعطاء أكثر من الأخذ ، وأن يخـدم أكثر من أن يخـدم » . ان الاساس فى الدولة الديموقراطية ليس الخضوع ، بل التعـاون ، لان واجب المواطن ليس أن يخضع للحكم فقط ، بل أن يشترك فى الحـكم . ومن ثم ، فواجب المواطن أن يشترك فى حكم الدولة ، انه يجب أن يشترك فى الحـكم المحلى للمدينة والأقاليم والمحافظة حيث يقطن ، انه يجب أن يشترك فى الحياة العامة وفى أدارة اتحادات العمال أو الرابطة أو النقابة ذات الصلة بتجارته أو حرفته أو وظيفته . والواقع ، أنها لمأساة العصر الحالى أن قليلا من المسيحيين يوفون بالتزاماتهم من نحو الدولة والمجتمع الذى يعيشون فيه .

أن المسيحى يجب أن يذكر جيدا أن تعليم العهد الجديد ينادى انه يجب أن يعفى بالتزامه كمواطن فى بلده ، يجب أن يدرك جيدا أنه اذا كان واجب المسيحى فى الدول الدكتاتورية الخضوع والطاعة الا أن واجبـه فى الدول الديموقراطية أعظم وأكثر مسئولية فواجبـه التعـاون فى كل ما يتعـلق بمصالح الدولة والحكومة والادارة .

يبقى لنا أن نقول ان المسيحى عليه التزام أعظم من التزامه نحـو الدولة . فبينما يتحتم عليـه أن يعطى كل ما لقيصر لقيصر ، فانه يجب أن يعطى ما لله لله . انه يجب أن يضع فوق كل اعتبار أنه ينبغى أن يطاع أكثر من الناس (أعمال ٤ : ١٩ ، ٥ : ٢٩) . فقد يصح أن يجتاز المسيحى أوقاتا ينبغى عليه فيها أن يتمم واجبه نحو الدولة برفضه طاعتها ، وباصراره على طاعة الله ، لأنه ان عمل ذلك فانه يشهد للحق على الاقل ، وقديستطيع أن يجبر الدولة على أن تتخذ الحل المسيحى .

واجب المسيحى

كَأَحْرَارٍ وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُتْرَةٌ لِلشَّرِّ بَلْ كَعَبِيدِ اللهِ .

(٢ : ١٦)

يمكن تحريف أى تعليم مسيحى ليكون سترة نعمل الشر . فتعليم النعمة يمكن اساءة تفسيره على أساس أنه يبيح ارتكاب الخطية . وتعليم محبة الله يمكن اساءة فهمه على أنه اباحة لكسر ناموس الله . وتعليم الحياة الأبدية يمكن تحريفه على انه مناداة باهمال هذا العالم . وليس هناك تعليم يسهل تحريفه كتعليم الحرية المسيحية .

فهناك اشارات وردت فى العهد الجديد اسىء فهمها كثيرا . فبولس يخبر أهل غلاطية بأنهم قد دعوا للحرية ، فلا يصح أن يصيروا الحرية فرصة للجسد (غلاطية ٥ : ١٣) ، ونقرأ فى رسالة بطرس الثانية عن أولئك الذين يعدون بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد (٢ بطرس ٢ : ١٩) . وحتى أعظم المفكرين الوثنيين ، قد نادوا بأن الحربة التامة هى فى الواقع نتيجة للطاعة الكاملة . قال سنيكا : « أن من يستعبد للجسد لا يمكن أن يكون حرا » و « الحرية فى طاعة الله » وقال شيشرون : « اننا عبيد للقوانين حتى نستطيع أن نتحرر » ، ونادى بلوتارك أن كل شخص شرير عبد ، واعلن ابكتيوس انه لا يمكن لأى شرير أن يكون حرا .

ويمكن لنا نحن أن نقول ان الحرية المسيحية مشروطة دائما بالمسئولية المسيحية . والمسئولية المسيحية مشروطة بالمحبة المسيحية . والمحبة المسيحية هى انعكاس محبة الله . ولذا فالحرية المسيحية يمكن تلخيصها فى عبارة أوغسطينوس الخالدة : «احب الله ، واعمل كما تريد» .

ان المسيحى حر لأنه عبد الله . فحريتنا التامة فى خدمة الله . والحرية المسيحية لا تعنى أن نكون أحرارا لنفعل كما نريد فى تنفيذ ما تمليه علينا دوافع وميول طبيعتنا الساقطة . ان الحرية المسيحية تعنى الحرية أن نعمل لا حسب ما نريد نحن ، بل ما ينبغى عمله .

وفى هذا المقام ، علينا أن نعود للحقيقة العظمى التى ذكرناها من قبل . ان المسيحية (مجتمع) ، والمسيحى ليس فرد منعزل عن الآخرين . انه عضو فى هذا المجتمع ، وحريته داخل نطاق هذا المجتمع . ولذا فان الحرية المسيحية هى حرية الخدمة . ففى المسيح وحده يتحرر الانسان من الذات والخطية ويصبح عنده الدافع نحو الصلاح . فى المسيح وحده يتحرر الانسان من الأنانية ويسعى ليصبح خادما عظيما كما ينبغى أن يكون . ان الحرية فى أن يحمل الانسان نور المسيح ، وعندما يقبل المسيح ملكا وربا على حياته .

تلخيص واجبات المسيحى

أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ . أَحِبُّوا الإِخْوَةَ . خَافُوا اللهَ . أَكْرِمُوا الْمَلِكَ .
(٢ : ١٧)

نجد هنا تلخيصا لواجب المسيحى فى أربع نقاط :

١ — (أكرموا الجميع) . قد يبدو لنا أنه لا يوجد ثمة داع لهذا القول ، ولكن فى الوقت الذى كتب فيه بطرس الرسالة كان ذلك القول ضروريا . وكما سنرى فيما بعد ، كان يوجد فى الامبراطورية الرومانية ٦٠ مليونا من العبيد ، وكان كل واحد منهم لا يعامل كانسان بل كمجرد سلعة ، فلا حقوق له على الاطلاق . فكأن بطرس يقول « أذكروا حقوق الانسان وكرامته ، اذكروا أن كل انسان فى هذا العالم شخص وليس سلعة » ، هل يمكن اعتبار الانسان كسلعة تباع وتشترى ؟ ، ان الرئيس قد يعامل مرءوسيه كأدوات للانتاج ، وحتى فى الدول التى تعمل لصالح أبنائها ، هناك خطر قائم أن يعامل أفراد الشعب كمجرد أرقام أو كبطاقات فى فهرس البطاقات . قال جون لورنس فى كتابه «المسيحى ينظر الى العالم»، ان احدى الحاجات الملحة للدولة « أن لا تنسى أن أولئك المدرجين فى المستندات والأوراق الرسمية ليسوا سوى مخلوقات الله ، وأنه يجب معاملتهم على هذا الاساس ، وليس كمجرد أرقام فى تلك المستندات » ، وبمعنى آخر أن هناك خطرا فى عدم استطاعتنا أن نرى الرجال والنساء فى مكانتهم اللائقة بهم . ويتضح هذا ايضا فى دائرة المنزل . فعندما لا ننظر الى اى انسان الا

من زاوية خدمته لمصالحنا ، وتحقيق أهدافنا ، فاننا فى الواقع لا نعتبره انسانا بل سلعة . فالخطر الداهم ينجم من اعتبار أقرب المقربين الينا وكأنهم أدوات وجدت لراحتنا — اننا بذلك نعاملهم كمجرد سلع .

٢ — (أحبوا الأخوة) . ان احترام الناس داخل نطاق المجتمع المسيحى لهو شىء اقوى وأعمق من مجرد الاحترام . انها محبة ، فالمحبة يجب أن تسود الكنيسة . وأن أصدق تعريف للكنيسة هو انها « أسرة كبيرة » . ان الكنيسة هى عائلة الله الكبرى ، والمحبة تربط أفرادها . وقد قال المرنم : « هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الاخوة معا » . (مزمور ١٣٣ : ١) .

٣ — (خافوا الله) قال كاتب سفر الأمثال : « رأس الحكمة مخافة الله » (أمثال ١ : ٧) وكان يستحسن لو لم تكن الترجمة « رأس الحكمة مخافة الله » بل « أساس » الحكمة مخافة الله ، كما جاءت فى هامش الطبعة الاصلية . وأن كلمة (مخافة) هنا لا تعنى الرعب ، بل تعنى الرهبة والاحترام . وانها لحقيقة واضحة اننا لن نحترم الناس ونقدرهم قبل أن نخاف الله ونرهبه . واننا لايمكن أن نزن الأمور بميزانها الصحيح قبل أن نعطى الله حقه من العبادة والاحترام .

٤ — (اكرموا الملك) يعتبر ذلك الأمر من أغرب الأوامر الأربعة التى وردت فى هذا العدد ، وذلك لأن بطرس هو كاتب تلك الرسالة ، اذن فالملك المشار اليه هو نيرون . وأن تعليم العهد الجديد بهذا الخصوص ينادى بأن الحاكم مرسل من الله لحفظ النظام بين الناس ، وانه يجب أن يلقى احتراما حتى ولو كان نيرونا .

واجب الخدم

أَيُّهَا الْخُدَّامُ كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّادَةِ لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطْ بَلْ لِلْعُنَفَاءِ أَيْضاً . لِأَنَّ هٰذَا فَضْلٌ إِنْ كَانَ أَحَدٌ

مِنْ أجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ اللهِ يَحْتَمِلُ أحْزَانًا مُتَألِمًا بِالظُّلْمِ. لِأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إن كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ. بَلْ إنْ كُنْتُمْ تَتألَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرَ فَتَصْبِرُونَ فَهَذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللهِ. لِأَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أيْضاً تَألَّمَ لِأجْلِنَا تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ. الَّذِي إذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً وَإذْ تَألَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ. لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخِرَافٍ ضَالَّةٍ لَكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا.

(٢ : ١٨ — ٢٥)

ان هذه الفقرة موجهة الى اكبر عدد من القارئين والسامعين لتلك الرسالة ، لأن بطرس يكتب فيها للخدام والعبيد . الذين كانوا يمثلون السواد الأعظم فى الكنيسة الأولى .

والكلمة اليونانية التى استخدمها بطرس للتعبير عن (الخدام) ليست كلمة (Douloi) وهى اكثر الكلمات شيوعا للتعبير عن (العبيد) انه يستخدم كلمة (Oiketai) وهى تعبر عن العبيد الذين فى خدمة المنزل .

ولكى نفهم ما يقصده بطرس جيدا ، يجب أن نعى شيئا عن طبيعة العبودية والخدمة فى عصر الكنيسة الأولى . فقد كان فى الامبراطورية الرومانية حوالى ٦٠ مليونا من العبيد ، ولقد كان هناك عدد قليل من العبيد فى روما منذ أقدم العصور ، ولكن الرق قد بدأ منذ الفتح الرومانى ، لأن العبيد كانوا يجلبون كأسرى حرب . وكان العبيد يعدون بالملايين فى وقت

كتابة العهد الجديد . ولم يقم العبيد بمجرد الاعمال المنزلية فحسب ، فقد كان منهم الأطباء والمعلمون والموسيقيون والممثلون والوكلاء والكتبة. ولم يكن السادة يقومون بأداء أعمالهم ، فكان العبيد هم الذين يؤدون العمل لكى يحيا المواطنون فى رفاهية عاطلة . ولم يكن عدد العبيد يتناقص . ولم يكن يسمح للعبيد بالزواج ، ولكنهم كانوا يستخدمون كأداة للانجاب ، وكان الأطفال الذين ينجبون يعدون ملكا للسيد وليس نوالديهم ، تماما كما أن الحملان التى تولد فى قطيع من الغنم تعد ملكا لصاحب القطيع ، وليس للغنم .

وقد يكون خطأ أن نعتقد بأن جميع العبيد كانوا تعساء وغير سعداء ، فقد كان كثير من العبيد موضع حب وثقة بين أفراد العائلات ، ولكن مع ذلك ، فهناك حقيقة أساسية تطغى على كل شىء . فلم يكن العبد يعد شخصا فى القانون الرومانى ، بل كان سلعة ، ولم تكن له أية حقوق شرعية . فمهما أحسنت معاملته ، فانه ما يزال سلعة ، لا حق له فى امتلاك أى شىء ، حتى نفسه لم تكن ملكا له . فلم يكن هناك ما يسمى بالعدالة من ناحية العبد . قال ارسطوطاليس : « يمكن أن تكون هناك صداقة أو عدالة تجاه الجماد ، أو تجاه حصان أو ثور ولا حتى بالنسبة للعبد ، لأنه لا يوجد أى تشابه بين السيد والعبد ، فالعبد اشبه ما يكون بأداة صماء » يقسم (فارو) أدوات الزراعة الى ثلاث فئات ـ ناطقة وغير ناطقة وجماد ، فالناطقة « تشمل العبيد والغير ناطقة تشمل الماشية ، والجماد يشمل العربات » ، والفرق الوحيد بين العبد والحيوان أو عربة الحقل هو أن العبد قادر على الكلام . ويوجز (بيتر كريسولوجس) الأمر قائلا : «أن كل تصرف من السيد نحو العبد ، ان كان بغير استحقاق أو بغضب ، طوعا أو كرها منه ، متذكرا او ناسيا ، بعلم أو بغير علم ، فهو قضاء وعدلا وقانونا » ، اى أن ارادة السيد أو حتى أهواء السيد هى القانون الوحيد للعبد .

فالحقيقة الأساسية فى حياة العبد ، أنه حتى ان أحسنت معاملته فانه يظل سلعة ، لا حق له فى اى حقوق جوهرية للفرد ، ولا يعرف ما يسمى بالعدالة .

مشكلات الوضع الجديد

فى وسط تلك الظروف جاءت المسيحية برسالتها ، أن كل انسان له قيمة فى نظر الله ، وبالأخبار السارة أن الله يحب كل انسان . وكان نتيجة ذلك أن الحواجز الاجتماعية فى الكنيسة قد زالت . فكان (كالستوس) ، وهو واحد من أوائل الاساقفة فى روما ، عبدا . لقد كانت النسبة الغالبة من المسيحيين الأوائل نفرا متواضعا ، كان عدد كبير منهم عبيدا ، وقد كان يحدث فى احدى الاجتماعات الأولى أن يقود الاجتماع أحد العبيد ، ويكون سيده عضوا فى الكنيسة . لقد كان ذلك موقفا ثوريا جديدا ، له أمجاده وله مشكلاته أيضا . وفى هذه الفقرة يحث بطرس العبد أن يكون صالحا وعاملا أمينا ، فهو يخبر العبيد أن يخضعوا للسادة ويطيعونهم . فقد كان يجول بخاطر بطرس خطرين من أخطار الموقف الجديد .

١ — لنفترض أن كلا من السيد والعبد قد أصبح مسيحيا . فهناك خطر اذن أن يستغل العبد تلك العلاقة الجديدة ، فيهمل فى أداء عمله ولا يؤدى واجبه،ويتباطأ فى القيام بالمفروض عليه.وقد يحس أنه طالما أنه هو وسيده مسيحيان فانه يفعل ما يحلو له ، وأن ذلك مدعاة للافلات من العقاب . فهناك كثير من الناس الذين كانوا يستغلون طيبة وعطف السادة المسيحيين . ويظنون أنهم ما داموا مسيحيين كسادتهم ، فان هذا يعطيهم الحق فى النجاة من العقاب . ولكن بطرس يوضح أن العلاقة بين المسيحى وأخيه تحمل فى طياتها العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان . فالمسيحى فى الواقع يجب أن يكون عاملا افضل من أى شخص آخر ، ومسيحيته ليست مدعاة لتهربه من العقاب اذا أخطأ ، بل انها يجب ان تسلحه باتباع الأوامر الصادرة اليه بأكثر دقة ، وتجعله يصدع لصوت ضميره اكثر من اى شخص آخر .

٢ — كان هناك أيضا خطر من أن الكرامة التى اتت بها المسيحية الى العبد ، قد تجعله يعصى ، ويسعى لابطال الرق كلية . كثير من دارسى العهد الجديد يندهشون لعدم وجود ما ينص على القضاء على الرق فى العهد الجديد أو حتى مجرد الاشارة الى أن الرق خطأ . والسبب فى ذلك بسيط .

فتشجيع العبيد أن يثوروا ضد سادتهم يؤدى الى خطـر ماحق . فقد قامت ثورات كهذه ، ولكنها سرعان ما أخمدت فى الحال . وتعليم كهـذا قد يجعل المسيحية تشتهر بـأنها ديانة ثورية انقـلابية . مهنـاك بعض الأشياء التى يجب أن تتم فى بطء ، وهناك بعض المواقف التى نحتاج للصبر ، وقد يؤدى فيها الاجراء السريع الى ما لا تحمد عقبـاه مع عدم التوصل الى النتائج المرجوة . (فخميرة) المسيحية كان يجب أن تتفاعل فى العـالم أجيالا طويلة قبل أن يصير استئصال الرق حقيقة واقعة . وأن بطرس بريـد أن يؤكـد أن العبيـد المسيحيين يجب أن يظهروا للعالم أن مسيحيتهم لا تجعلهم متذمرين ثوريين أو عصـاة ، بل عمالا يؤدون عملهم دون أن يكون هناك ما يخجلون منه ، وأن سرورهم هو فى أداء عملهم اليومى بأمانة . فقـد يحدث كثيرا أنه عندما لا تكون الظروف مواتية فان المسيحى يجب أن يؤدى واجبه على الوجه الأكمـل بالرغم من تلك الظروف ، ويقبل ذلك حتى تؤدى (خميرة) المسيحية عملها فى النهاية .

نظرة جديدة الى العمل

ولكن المسيحية لم تكتف بتقديم حلول سلبية للمشكلة . لقد قدمت ثلاثة مبادىء عظمى يسترشد بها العبد والخادم .

١ــ فالمسيحية قد خلقت علاقة جديدة بين السيد والعبد . فعندما أرسل بولس العبد الهارب انسيمس الى فليمون ، لم يقترح ابدا أن يطلق فليمـون سراح انسيمس . ولم يقترح أنه لايصح أن يكون فليمون سيدا وأنسيمس عبدا كل ما قاله ان فليمون يجب أن يقبل أنسيمس لا كعبد ، ولكن كأخ محبوب (فليمون ١٦) . ان المسيحية لم تلغ الفـوارق الاجتماعية ولا قضت على الفروق القائمة بين السيد والعبد ، ولكنها خلقت علاقة جديدة بينهما تتخطى حدود تلك الفوارق وتغيرها . فحيث توجـد أخوة حقيقية ، فلا يهم تسمية شخص بالسيد والآخر بالعبد . ان الرابطـة الجديدة بينهما تحيل هـذه الفوارق التى فرضتها ظروف المجتمع ، الى أخوة صادقة . ان الحل العملى لمشكلات العالم يكمن فى العلاقة الجديدة بين الانسان واخيه والتى تأتى بها المسيحية .

٢ — ان المسيحية قد اتت بنظرة جديدة للعمل . فالعهــد الجديد يوضح لنــا أن كل ما نعمله يجب أن نعمله لأجل يسوع المسيح . يكتب بولس قائلا : « وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع » (كولوسى ٣ : ١٧) ، « فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئا فافعلوا كل شيء لمجد الله . (١ كورنثوس ١٠ : ٣١) . فمن المبــادىء المسيحية أن العمــل لا يعمل من أجل سيد أرضى ، ولا من أجل مجد شخصى ، وليس ايضا لأجل مغنم مادى ، ان العمل يعمل لأجل الله . فصحيح أن الشخص المسيحى يجب أن يعمل ليكسب لقمة العيش ويجب أن يعمل ليرضى سيده ، ولكن فوق كل ذلك فان عمل المسيحى يجب أن يكون تاما حتى لا يكون هنــاك ما يخشى منه أمام الله . ان المسيحى خادم الله فمهما كان متواضعا ، فانه ما دام للصالح العام فانه يعمل لأجل الله .

٣ — ولكن عند تطبيق هذه المبادىء على الموقف فى الـكنيسة الاولى — هب أن الموقف لم يتغير — فهناك اذن سؤال هام يلح علينــا . لنفرض أن شخصا ما مسيحيا ، وهب انه يعــامل الآخرين وفقا لنظرته المسيحية للأمور ، فيتمم عمله على الوجه الأكمل، ولكن لنفرض انه عومل فى مقابل ذلك بقسوة وظلم واهانة واساءة — فماذا اذن ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتضح من موقف « العبد المتألم » كمــا ورد فى العهــد القديم . لقد أجاب بطرس على هذا السؤال بأن ذلك هو ما حدث بالضبط مع يسوع . وأن يسوع هو نفسه « العبد المتألم » فالأعــداد من (٢١ — ٢٥) مملوءة باقتباسات مما جاء فى اشعياء (٥٣) . ففى ذلك الأصحاح نجــد الصورة المتكاملة لعبد الله المتألم، الذى تم كل شيء عنه فى شخص المسيح . فكان المسيح بلا خطية ، ومع ذلك فانه أهين وتألم ، ولكنه تحمل كل هذه الآلام والاهانات بسبب المحبة التى جعلته يأتى ليموت من أجل خطايا الجنس البشرى . وبذلك فانه ترك لنا مثــالا لكى نتبع آثار خطواته (عدد ٢١) والكلمة التى يستعملها بطرس تعبــيرا عن « مثالا » قد تعنى شيئين : فهى قــد تعنى الاطار الخارجى لاحــدى الصور أو الرسومات التى تحتاج الى تكملة، وقد تعنى السطر الأول فى أحدى كتب تعلم الخط ، وهو السطر الذى يحاول الطفل كتابة سطور على نمطه ، فالمسيح قد قدم لنا نموذجا لنعمل مثله . فان كان علينا أن نتحمل الاهانة والظلــم والاساءة ، فاننا يجب أن نجتــاز فيما قد اجتاز هو من قبل . ولربمــا كان

يفـكر بطرس فى حقيقة عظمى وقتئذ . فان آلام المسيح كانت لأجل خطية الانسان ، فقـد تألم لارجاع البشر الى الله . وانه بسبب الآلام التى يتحملها المسيحى بثبات بالغ ، وبمحبـة قـوية فانه بذلك يقدم مثالا حيا للآخرين ، فيهتدون به الى الله . ولعل تلك الآلام التى يتحملها المسيحى تقود الناس الى الله ، وبذلك يكون المسيحى مشتركا فى آلام المسيح الفدائية عن البشر .

اسمان عظيمان من أسماء الله

١ ـ راعى نفوس البشر :

فى آخر عدد من هذا الأصحاح ، نجد اسمين عظيمين من أسماء الله ؛ فان الله هو (راعى نفوسنا وأسقفها) . واننا نحتاج للتأمـل قليلا فى هذين الاسمين العظيمين .

١ ـ فالله (راعى نفوس البشر) ، وكلمة (راعى) من أقدم صفات الله . فقد قال المرنم فى أحب مزمور له « الرب راعى » (مزمور ٢٣ : ١) ، وقال اشعياء : « كراع يرعى قطيعه . بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقـود المرضعات » (اشعياء ٤٠ : ١١) .

والملك العظيم الذى أرسله الله الى اسرائيل ، كان ليرعاهم . فحزقيال يستمع لوعد الرب يقول له : «واقيم عليا راعيا واحدا فيرعاها عبدى داود هو يرعاها وهو يكون لهـا راعيا » (حزقيال ٣٤ : ٢٣ ، ٣٧ : ٢٤) .

وهو نفس اللقب الذى يتخذه المسيح لنفسه ، عنـدما أسمى نفسه « الراعى الصالح» ، وعندما قال « ان الراعى الصـالح يبـذل نفسه عن الخراف » (يوحنـا ١٠ : ١ ـ ١٨) ، وقد اعتبر المسيح الرجال والنسـاء الذين لم يعرفوا الله والذين ينتظـرون ما يمنحه المسيح اياهم ، اعتبرهم كغنم لا راعى لهـا (مرقس ٦ : ٣٤) وأن الامتيـاز العظيـم الممنوح لخـادم المسيح أن يرعى قطيع الله (يوحنا ٢١ : ١٦ ، ١ بطرس ٥ : ٢) .
وقـد يصعب على أولئك الذين يعيشون فى مدن وبلاد صـناعية أن يفهموا حقيقة منظر الراعى ، ولكن المنظـر فى الشرق منظر فريد ومعبر .

وخاصة فى اليهـودية . فقد كان يوجد فى اليهـودية هضبة عالية تتوسطها ، وهنـاك خطر فى كلا الجانبين . فكان فى الغرب أراضى جرداء ، ومن الشرق الصخور المرتفعة الشديدة الانحدار والتى تنحدر انحـدارا فجائيا لمسافة ٢٠٠٠ قـدم حتى البحر الميت . فكانت الأغنـام ترعى على الهضبة الضيقة حيث الحشائش المتفرقة ، ولم تكن هنـاك أية أسوار لحماية القطيع من السقوط ، وكانت الخراف تتجول . ولذا ، فكان الراعى حـذرا للغاية لئـلا يلحق الضرر بالقطيـع . يصف السير جورج آدم سميث فى كتابه « جغرافية وتاريخ الارض المقدسة » راعى اليهودية بالقول : « غالبا ما تترك الاغنام عندنا دون راع ، ولكنى لا اذكر أنى رايت قطيعا من الاغنام فى الشرق دون راع . ففى بلاد كاليهودية ، حيث تتناثر الحشائش هنا وهنـاك فى الاقليم دون أية أسوار ، وحيث توجد بها الممرات المضللة التى كثيرا ما توجد بها الحيوانات المفترسة ، لا يمكن الاستغناء عن انسان يرعى القطيع . فعلى تلك الهضاب المرتفعة التى تعوى فيها الضباع بالليل ، تجد الراعى وهو ساهر ، وقـد أضناه التعب والبرد ، نجده حذرا مسلحا ، مستندا على عصاه متجها ببصره نحو قطيعه المتبعثر ، وكل واحد من أفراد قطيـعه يحتل مكانا فى قلبـه ، عندما ترى ذلك تدرك لماذا احتل الراعى مكانا بارزا فى تاريخ بلاده ، ولماذا أطلق اسمه على ملكهم ، وجعل رمزا للرعاية والعـناية ، ولمـاذا اعتبره المسيح عنوانا لبذل النفس والتضحية » .

والواقع ، أن كلمة راع تبرز لنا بوضوح طبيعة محبـة الله الساهرة علينا ، والمضحية لأجلنا ، وذلك لاننا قطيعه « اننا شعبه وغنم مرعاه » . (مزمور ١٠٠ : ٣) .

٢ ـ أسقف نفوسنا :

(٢) ان كلمة « أسقف » هى ترجمة غير دقيقة للكلمة . لقـد وردت الكلمة باليونانية (Episkopos) ، ولهذه الكلمة اليونانية تاريخ حافل . فى الياذة هوميروس يدعى « هيكتور » بطل أهل طروادة (Episkopos) ، وهو الذى أنقذ مدينة طروادة وأمن حيـاة نسائها وأطفالها . فان كلمة (Episkopos) تستخدم للتعبير عن الآلهة التى تؤمن على المعاهدات التى يعقدها البشر وعلى الاتفاقات التى يتوصلون اليهـا ، والتى تحمى المنـازل والعائلات . فمثلا العـدل ، يعتبر الرقيب (Episkopos) الذى يضمن أن

الانسان يكفر عما ارتكب من اخطاء .

ففى (قوانين) افلاطون نجد أن حماة حمى الـــدولة هم أولئك الذين يشرفون على الألعاب التى يقوم بها الاطفال وعلى تغذيتـــهم وتعليمهم حتى (يشبوا أصحاء فى أجسادهم ، وحتى لا ينجرفوا فى تيار العادات الخاطئة) ، والناس الذين يدعوهم افلاطون بوكلاء التجارة (Episkopos) هم الذين « يشرفون على السلوك الشخصى ، ويلاحظون أى انحـــراف فى السلوك ، لمعاقبة أولئك الذين يستحقون العقاب » .

وفى القـــوانين والنظم الاثينية كان الـــ (Episkopos) هم الحكام والاداريون والمفتشون الذين يرسلون لمراقبة الولايات حتى يتأكدوا من تنفيـــذ القانون والنظـــام . وفى رودس كان خمســـة من الولاة (Episkopoi) يهيمنون على القانون والنظام فى الدولة .

من ذلك نرى أن كلمة (Episkopos) متعددة المعانى ، ولكنها دائما تحمل معنى سام . انها تعنى حامى حمى الأمن العام ، والمهيمن على الكرامة والحق والامانة ، والرقيب على التعليم الدقيق والآداب العامة ، ومنفـــذ القانون العام والنظام .

فعندما ندعو الله بأسقف (Episkopos) نفوسنا فاننا نعنى بذلك انه حامينا ، وولينا ، وقائدنا ، ومرشدنا .

ان الله راعى نفوسنا وحاميها . فبمحبته يرعانا ، وبقـــوته يحمينا ، وبحكمته يرشدنا ويقودنا الى الطريق الصحيح .

الأصحاح الثالث

الأثر الطيب للسيرة الطاهرة

كَذَلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ. مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ.

(٣ : ١ و ٢)

. . يتحدث بطرس الآن عن المشاكل العائلية التى كان لابد أن تحدث بسبب المسيحية . فعندما يتحول أحد أفراد العائلة فيصير مسيحيا ، بينما يظل الطرف الثانى على ما هو عليه ، كان لابد أن تنشأ مشاكل نتيجة لذلك . وقد يبدو غريبا أن نصائح بطرس للزوجات ستة أضعاف نصائحه للأزواج ، ولكن هذا لأن مشاكل الزوجة تفوق بكثير مشاكل الزوج . فعندما يربح الزوج للمسيح ، فانه من الطبيعى أن يأخذ زوجته معه للكنيسة ؛ ومن ثم لا تكون هناك أى مشكلة . ولكن اذا صارت الزوجة مسيحية ، فان ذلك أمر لم يكن متوقعا حدوثه فى العالم القديم ، وكان يعد سببا فى مشاكل حادة . فلم يكن للسيدات أية حقوق فى جميع مجالات الحياة فى الحضارة القديمة . ففى القانون اليهودى ، لم تكن المرأة شيئا يذكر ، وكانت ملكا لزوجها تماما كما كان يمتلك قطيعا من الغنم والماعز ، لم تكن تستطيع أن تتركه مع أنه يستطيع أن يطردها فى أية لحظة . فان تغير المرأة ديانتها ، بينما يظل الزوج على ديانته ، فهذا شىء لم يكن يتصوره أحد . وكان على المرأة فى الحضارة اليونانية أن « تقبع داخل الدار وأن تكون مطيعة لزوجها » ، وكانت المرأة الصالحة هى المرأة التى ترى وتسمع وتتكلم بأقل قدر ممكن . فلم يكن لها أى كيان مستقل أو فكر مستقل عند زوجها ، ويستطيع زوجها أن يطلقها غالبا وفق أهوائه ما دام يرد لها ما دفعته من مال .

ولم تكن للمرأة أيضا حقـوق فى ظل القانون الرومانى . فكانت تعامل حسب القـانون كطفلة ، فعندما كانت فى عصمة والدها كانت تخضع لنفـوذ الأب وقد كان القـانون يخول له حق الحياة والموت لها ، وعند زواجهـا كانت تخضع أيضا لنفوذ زوجها . وكان خضوعا مطلقا حتى صارت تحت رحمته تماما ، كتب كـاتو (Cato) الضابط الرومانى قائلا : « انك لو ضبطت زوجتك متلبسة بجريمة الخيانة الزوجية ، فلك الحق فى قتلهـا دون أن تعاقب قانونا » ولقد كان محرما على السيدات الرومانيات شرب الخمر ، ولقـد ضرب (اغناطيوس) زوجته حتى الموت عندما وجدها تشرب الخمر . وطرد (سولبيكيوس جالوس) زوجته لأنها ظهرت فى الشوارع بدون برقع . وطلق (انتستيوس فيتوس) زوجته لأنه رآها تتكلم سرا مع امرأة متحـررة أمـام الناس . وطلـق (بوليوس سيمبرنيوس) زوجتـه لأنه رآها مرة تذهب الى الألعاب العامة . فقد كانت الحضارة القديمة تحرم على أية سيدة أن تتخذ قرارا بنفسها. فكم وكم اذن تكون مشكلة الزوجة التى تصير مسيحية بينما يظل زوجها فى عبادة آلهة أجداده ؟ ، انه يستحيل علينا أن ندرك خطورة الموقف بالنسبة للزوجة التى تجرؤ على أن تعتنق المسيحية فى ذلك الوقت . فما هى نصيحة بطرس ازاء موقف كهذا ؟ لنلاحظ أولا ما لم ينصح به بطرس . انه لم ينصح الزوجة أن تترك زوجهـا ، وبهذا اتخذ نفس الموقف الذى اتخذه بولس (١ كورنثوس ٧ : ١٣ ــ ١٦) . فكل من بطرس وبولس يرى أن الزوجة المسيحية يجب أن تظل مع الزوج الوثنى ما لم يطردها . انه لم يقـل للزوجة أن تبشر أو أن تجـادل أو توبخ زوجهـا . انه لم يقل للزوجة ان تنادى بأن ايمانها يعلن أنه لا فرق بين عبد وحر ، أممى ويهـودى ، ذكر وأنثى ، بل الجميع واحد فى نظر المسيح الذى تعرفت به . فما الذى قاله اذن ؟

انه يجدها شيئا بسيطا ــ أن تكون زوجة صـالحة . فبسيرتها الطاهرة ، يمكنها أن تكون عظـة صامتة تتخطى حواجز العداوة والضغينة فتربح زوجها للسيد . انهـا يجب أن تكون (خاضـعة) . وهو ليس الخضوع المستكين الذليل ، انه الخضوع الذى وصفه أحـدهم بالقـول « انه الخروج عن نطـاق الذات » ، انه الخضوع القـائم على موت الكبرياء ، والتحرر من الذات ، والرغبة الصادقة للخدمة . انه ليس خضوع

الخوف ، بل خضوع المحبة الكاملة .

انها يجب أن تكون « طاهرة » ، يجب أن تتسم حياتها بالعفاف والأمانة القائمتين على المحبة .

انها يجب أن تحيا فى (خوف) . ويجب ان تشعر على الدوام بأن العالم كله هو هيكل الله ، وأنها تحيا دائما فى حضرة المسيح .

ان الزوجة التى أصبحت مسيحية لا يصح ان ترتبك بأمور العالم المربكة . ان سلاحها الوحيد هو سيرتها الطاهرة ، وحياتها كعظة صامتة .

الزينة الحقيقية

وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ مِنْ ضَفْرِ الشَّعَرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ . بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ . فَإِنَّهُ هٰكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضًا الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَى اللهِ يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ . كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرٰهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ سَيِّدَهَا الَّتِي صِرْتُنَّ أَوْلاَدَهَا صَانِعَاتٍ خَيْرًا وَغَيْرَ خَائِفَاتٍ خَوْفًا الْبَتَّةَ .

(٣ : ٣ — ٦)

تكلم (بنجل) أحد المفسرين القدامى عن « الثياب التى كانت تتطلب مزيدا من الجهد والوقت » .

.. لقد رأينا من قبل أن المرأة لم تكن تأخذ بأى قسط فى الحياة العامة قديما ، فلم يكن للنساء ما يشغلهن أو يمتص وقتهن ، ولذا فقد ثار الجدل

حول السماح لهن بما يشغلهن فى الملبس والزينة . فنادى (كاتو) الضابط الرومانى ، بالبساطة فى الملبس . فرد عليه (لوكيوس فاليروس) قائلا : « لماذا يغمط الرجال النساء حقهن فى الزينة والملبس ؟ ليس للسيدات الحق فى تولى الوظائف العامة أو الكهانة أو احراز أى نصر فليس لهن أية حرفة يعملن بها ، فكيف اذن يشغلن أوقاتهن ان لم يتزين ؟ » . فالاهتمام الزائد بالتزين كان ولا يزال دليلا على عدم وجود اهتمامات أعظم تشغل الذهن .

ولقد هاجم الأخلاقيون القدامى الرفاهية الزائدة كما فعل معلمو المسيحية . قال (كونتليان) استاذ علم البلاغة الرومانى : « ان الرداء المحتشم هو الذى يضفى على لابسه وقارا واحتراما كما قال الشاعر اليونانى ، ولكن الملبس المثير للغرائز يفشل فى تزيين الجسم ، ولا يكشف الا عن تفاهة الفكر وانحطاطه » ، وقال الفيلسوف ابكتيتوس معبرا عن تفاهة الحياة التى تحياها المراة قديما : « عندما تبلغ الفتاة الرابعة عشرة من عمرها ، كان الرجال يسمونها « سيدة » . وهكذا عندما لا يجد السيدات أمامهن مستقبلا سوى أنهن يقاسمن الرجال فراشهن فانهن يبدأن فى تزيين أنفسهن ، فهذا هو كل عزائهن . ولذا فعلينا نحن الرجال تقع مسئولية افهامهن أنهن لا يحترمن ولا يكرمن سوى عندما يكن متواضعات ومحتشمات » .

وهكذا نرى أن أبكتيتوس وبطرس يتفقان .

توجد فى العهد القديم فقرات تعدد بعض أنواع الزينة ، وتهدد بيوم الدينونة الذى تزول فيه كل هذه الأشياء . والفقرة موجودة فى (اشعياء ٣ : ١٨ ــ ٢٤) فالفقرة تتحدث عن « زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والاساور والعصائب والسلاسل والمناطق والاحراز ، والخواتم وخزائم الانف والثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس ، والمرائى والقمصان والعمائم والأزر وحناجر الشمامات والبراقع » .
ويجدر بنا ان نشير الى الزينة عند اليونان والرومان ، فقد كانت هناك طرق عديدة جدا لتزين الشعر .. فقد كان يموج ويصبغ تارة باللون

الاسود وغالبا باللون الاصفر . وكان الشعر المستعار منتشرا بكثرة حتى أننا نجـده فى مقـابر المسيحيين فى زمن الرومان ، وكان يستورد هـذا الشعر المستعار مـن المانيا ، وأحيانـا من الهنـد . وكانت العصائب والامشاط تصنع من العاج وأصداف السلاحف ، وأحيانا من الذهب المرصع بالجواهر .

وكان اللون الأرجوانى هو اللون المفضل لملابس السيدات . وقد كان وزن رطل الصوف الأرجوانى بعد تنقيته مرتين يكلف الف دينـار . وقـد استورد فى سنة ما من الهند بضائع من الحرير والعطور والجواهر بمـا قيمته مليون جنيه . وكانت تستورد بضائع مماثلة من بلاد العرب . وكانوا يفضلون استخدام المـاس والأحجار الكريمة كالزمرد واليـاقوت والعقيق والزبرجد .

ويحكى أن شخصا اسمه « ستروما نونيوس » كان عنده خاتم يقدر ثمنه بـ ٢١٢٥٠ جنيها ، وكانت اللآلىء تفضل على كل شىء ، فقـد أحضر يوليوس قيصر لسرفيليا لؤلؤة تساوى ٦٥٢٥٠ جنيها . وكانت الاقراط تصنع من اللآلىء ، وقـد أخبرنا سنيكا عن السيدات اللاتى كن يلبسن أكثر من لؤلؤة فى أقراطهن ، وحتى الأحذية كانه تحلى باللآلىء . وكان نيرون عنده حجرة جدرانها مزينة باللآلىء . وقـد رأى بلينى لوليا بولينا زوجة كاليجولا تلبس فستانا مرصعا باللآلىء والاحجار الـكريمة ويبلغ ثمنه ٤٥٠ر٠٠٠ جنيهـا .

جاءت المسيحية اذن الى عالم تسوده الرفاهيـة ويسير الى حافة الهـاوية فى نفس الوقت . فما كان من بطرس سوى أنه طلب التحى بمـا يزين القلب «الروح الوديع الهادى الذىهو قدام الله كثير الثمن». فتلك هى الجواهر التى تحلى النساء التقيات . الم تدع سارة ابراهيم بكل خضـوع « سيدى » . (تكوين ١٨ : ١٢) ، ويدعو اشعياء سـارة بأم رجال الله الأتقياء . (اشعياء ٥١ : ٢) ، وأنه اذا تحلى الزوجات المسيحيات بفضائل التواضع ، والوداعة والعفاف ، فانهن يصرن بناتها ، ويصبحن ضمن أهـل بيت الله .

فالزوجة المسيحية التى تحيا فى مجتمع وثنى تجد أمامها كثيرا من الاغراءات أن تحيا حياة الرفاهية واللامبالاة ، لقد كانت فى موقف يجعلها تحت رحمة أهواء زوجها . ولكنها يجب أن تحيا حياة الخدمة المضحية والصلاح والثقة الهادئة المطمئنة ، ان هذه الحياة هى أفضل عظة يمكن تقديمها لزوجها لتربحه للمسيح . فبدون كلمة تقدر أن تربح أولئك الذين يعصون كلام الله . ان هذه الفقرة تعد من الفقرات القليلة فى الكتاب التى تؤكد جمال الحياة المسيحية الناصعة .

واجبات الزوج

كَذٰلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً كَالْوَارِثَاتِ أَيْضاً مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيٰوةِ لِكَيْ لاَ تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ .

(٣ : ٧)

مع أن هذه الفقرة قصيرة ، الا أنها تحوى جوهر الفضائل المسيحية . ان أهم ما يميز تلك الفضائل هو انها ليست من جانب واحد ، انها متبادلة . فالمسيحية لا تضع كل الالتزامات والواجبات فى جانب واحد فاذا تحدثت عن واجبات العبيد ، فانها تتحدث أيضا عن مسئوليات السادة ، واذا تحدثت عن واجبات البنين ، فانها تتحدث كذلك عن مسئوليات الآباء . (أفسس ٦ : ١ — ٩ ، كولوسى ٣ : ٢٠ — ٤ : ١) . لقد تحدث بطرس عن واجبات الزوجات ، والآن يتجه للحديث عن واجبات الأزواج . ان أى زواج يجب أن يقوم على واجبات متبادلة ، والتزامات متبادلة أيضا . فأى زواج تكوم فيه الامتيازات فى جانب ،والمسئوليات فى الجانب الآخر لهو زواج غير متكافىء ومعرض للفشل .

ولنلاحظ أن ذلك لم يكن مألوفا فى العالم القديم ، فقد كانت فكرة جديدة جاءت بها المسيحية . فلم تكن للمرأة أى حقوق قديما . لقد

اقتبسنا من قبل قول (كاتو) عن حقوق الزوج ، ولكننا لم نكمل الحديث ، وها هو بقية الحديث ، قال كاتوا : « لو ضبطت زوجتك متلبسه بجريمة الخيانة الزوجية ، فلك الحق فى قتلها دون أن تخشى القانون ، ولكن اذا ضبطتك هى ، فانها لا تجرؤ على أن تمسك باصبعها ، والواقع أنه ليس لها الحق فى ذلك » ودلالة ذلك أن القانون الرومانى يضع كل الالتزامات على الزوجة ، وكل الامتيازات فى جانب الزوج . ولكن ما يميز التعاليم الاخلاقية التى تنادى بها المسيحية أنها لا تمنح امتيازا دون أن يكون مقابله مسئولية والتزاماً .

فما هى اذن مسئوليات الزوج ؟

١ — انه يجب أن يكون (فطنا) ، مقدرا لظروف زوجته ، مراعيا مشاعرها . كانت أم (سومرست موم) الكاتب الروائى الشهير جميلة جدا ، وكانت الدنيا مقبلة عليها ، ولكن زوجها كان قبيحا . فسأل أحدهم أم سومرست قائلا لها : « لم تظلين مخلصة لذلك الرجل القبيح الذى تزوجتيه ؟ » . فكان ردها : « لأنه لا يسىء الى قط » ، فالفطنة وتقدير الزوج كانا بمثابة الرابطة القوية بين الزوجين ، التى لا تنفصم عراها .

وأما القسوة التى يصعب احتمالها ، فقد لا تكون عمدا ، ولكنها غالبا نتيجة عدم التروى والتسرع .

٢ — انه يجب أن يتسم بروح الفروسية ، انه يجب أن يتذكر أن النساء الجنس الأضعف ، وأنه يجب معاملتهن برفق تام . فى العالم القديم لم تكن الفروسية معروفة ، ولكنها فى الشرق كانت — ولا زالت — منظرا مألوفا ، أن ترى الرجل يمتطى حمارا بينما تجلس زوجته خلفه ممسكة به .

ان المسيحية نادت بأن يعامل الرجل المرأة بترفق كامل .

٣ — انه يجب أن يذكر أن للنساء حقوقا روحية معادلة . فالمرأة (وارثة لنعمة الحياة) . لم تكن المرأة لتشارك فى العبادة عند اليونان

والرومان وحتى فى المجامع اليهودية ، ليس للسيدات نصيب فى العبادة . وحتى اذا سمح لهن بالدخول الى المجمع ، فانهن يجلسن بمعزل عن الرجال الذين يقومون بفروض العبادة ، وكن يحجبن وراء ستار ، ولذلك لأنه ليس لهن الحق فى المشاركة فى العبادة . ولكن المسيحية جاءت بمبـــدأ ثورى . فالنساء لهن حوق روحية متساوية، على هذا الأساس يجب أن تتغير النظرة اليهن تغييرا شاملا ويعاملن كالجنس الآخر تماما .

٤ ــ وأخيرا ، فانه ما لم يدرك الرجل هذه الالتزامات ويســـير بموجبها ، فانه يوجد (عائق) بينه وبين الله فى الصلاة . وقد عبر (بج) عن ذلك بقوله : « ان أنات الزوجة المتألمة تجعل الله لا يسمع صلوات الزوج » وهنا تبرز حقيقة عظمى ، فعلاقتنا بالله لا يمكن أن تكون سليمة اذا كـانت علاقتنا بالآخرين غير سليمة ، فعندما نكون فى سلام مـع بعضنا البعض ، حينئذ يمكننا أن نكون فى سلام مع الله .

علامات الحياة المسيحية

وَالنِّهَايَةُ كُونُوا جَمِيعاً مُتَّحِدِي الرَّأْيِ بِحِسٍّ وَاحِدٍ ذَوِي مَحَبَّةٍ أَخَوِيَّةٍ مُشْفِقِينَ لُطَفَاءَ. غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهٰذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً. لِأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيٰوةَ وَيَرَى أَيَّاماً صَالِحَةً فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ. لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ لِيَطْلُبِ السَّلَامَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ. لِأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى الْأَبْرَارِ وَأُذُنَيْهِ إِلَى طِلْبَتِهِمْ. وَلٰكِنَّ وَجْهَ الرَّبِّ ضِدُّ فَاعِلِي الشَّرِّ.

(٣ : ٨ ــ ١٢)

نجد بطرس هنا يجمع كل الصفات العظمى فى حياة المسيحى ، وكل الفضائل المسيحية :

١ — يضع بطرس فى مقدمتها « الوحدة المسيحية » . ويجدر بنا أن نشير الى كل ما ورد فى العهـد الجديد عن الوحدة المسيحية ، حتى نرى كيف أن تلك الوجوه تحتل مكانا بارزا فى فكر العهد الجديد . وأن أساس كل شىء نجده فى كلمات يسوع عندما صلى لأجل شعبه ليكونوا واحـدا ، ويكونوا مكملين الى واحد ، ليكونوا واحدا كما انه والآب واحد (يوحنـا ١٧ : ٢١ — ٢٣) .

ولقـد تمت هذه الصـلاة فى الأيام المجيدة الأولى للـكنيسة ، لأن المسيحيين كانوا واحدا فى الجسد والنفس (أعمال ٤ : ٣٢) . ويحث بولس الشعب مرارا وتكرارا من أجل هذه الوحدة ويصلى لأجلها . ويذكر مسيحى رومية أنهم برغم تعددهم الا أنهم جسد واحـد ، ويطلب اليهم أن يفتكروا فكرا واحدا . (رومية ١٢ : ٤ و ١٦) . وعندما يكتب لمسيحى كورنثوس ، يستخدم نفس الوصف عن المسيحيين كأعضاء فى جسد واحد برغم تعـدد مواهبهم واختـلافها (١ كورنثوس ١٢ : ١٢ — ٣١) ، ويطلب الى أهـل كورنثوس المتخاصمين الا يكون بينهم انشقاقات بل يكونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد (١ كورنثوس ١ : ١٠) ، ويخبرهم بأن الخصومات والانقسامات من الجسد ، وهى تدل على أنهم يسلكون بحسب البشر ، وليس فيهم الفكر الذى كان فى المسيح . (١ كورنثوس ٣ : ٣) . ولاننا جميعـا نشترك فى الخبز الواحد فاننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد (١ كو ١٠ : ١٧) . وأنهم فى النهاية يجب أن يكونوا فكرا احدا وأن يعيشوا فى سلام (٢ كو ١٣ : ١١) ، وأنه فى يسوع المسـيح نقض حائط السياج المتوسط أى العداوة ، واصبح اليهود واليونانيون وحدة واحدة (أفسس ٢ : ١٣ و ١٤) وعلى المسيحيين أن يحتفظوا بوحدانية الروح مع رباط السلام متذكرين أن لنا ربا واحدا وايمانا واحدا ومعمودية واحـدة والها واحـدا أبا للجميع (أفسس ٤ : ٣ — ٦) . ويطلب أيضا من أهل فيلبى أن يثبتوا فى روح واحد مجاهدين معا بنفس واحدة لايمان الانجيل وأن يتمموا فرح بولس عندمـا يفتكروا فكراً واحداً ولهم محبة واحدة بنفس واحدة ،وهو يطلب الى أفودية وسنتيخى أن تفتكرا فكرا واحدا فى الرب. (فيلبى ١ : ٢٧ ، ٢ : ٢ ، ٤ : ٢).

ففى كل جزء من أجزاء العهـــد الجديد ، نجد التركيز على الوحـــدة المسيحية ، لا كرجاء للمسيحيين أن يتحدوا بل كاعلان واضح أن المسيحى لايمكن أن يحيا الحياة المسيحية ما لم تكن له علاقة وثيقة بالآخرين ، ولا يمكن للكنيسة أن تكون هى الكنيسـة المسيحية بحق ما دامت منقسمة على ذاتها . وأنه لمن المؤسف أن يبقى الأفراد فى منازعات فى علاقاتهم الشخصية ، كمـا انه من المؤلم أيضا ألا تستطيع الكنيسة تحقيق الوحدة الذاتية .

ويكتب كارنفيلد فى هذا الصـــدد قولا جميلا نقتبسه هنا برغم أنه مطول نوعا : « ان العهـــد الجديد لا يتحدث عن هذا الاتحـــــاد فى المسيح كشىء كمالى مرغوب فيه مع أنه غـــير لازم ، بل على أنه شىء أســاسى فى بنيان الكنيسة ذاتها ، فالانقسامات ، سواء كانت منازعات بين الاعضاء كأفراد أو التحزبات أو الانقسامات الطائفية الحالية تجلب العار على الانجيل ذاتـــه وهى علامة على أن أعضاء الكنيسة (جسديون) . وكلما درسنا العهـــد الجديد بأكثر تدقيق ، كلمــــا أحسسنا بألم وأسى بسبب خطيـــة تلك الانقسامات ، واجتهدنا فى الصلاة وجاهدنا لأجل سلام الكنيسة ووحدتها على الأرض .

اننا لا نعنى بالوحـــدة الفكرية التى نجاهد لأجلهـــا نوعا من التشابه والوحدة التى يحلو للبيروقراطيين تحقيقها ، انها وحدة تذوب فيها الخلافات القوية والفوارق بسبب اختـــلاف الجنس أو اللون او الذوق او المزاج أو المركز الاجتماعى أو الاقتصادى ، الى نوع من العبـــادة المشتركة والولاء المشترك . ان وحدة كهذه لا تتأتى الا عنـــدما يتضع المسيحيون ويتحلون بالشجاعة الكافية ، ويعتبرون الوحدة المسيحية أهم من ذواتهم والاشـــياء المحببة لديهم ، فلا يتخذون الاختلافات العقائدية ، والتى لا تنبع سوى من عدم التعمق فى فهم الانجيل ، كذريعة للانفصال والفرقة ، بل كدافع للاجتهاد فى روح واحد مشترك لأجل سماع صوت المسيح واطاعته » وما زال هذا الصوت الالهى يتحدث الينا برغم حالتنا الراهنة هذه .

٢ ـــ ويبرز بطرس بعد ذلك فضيلة التعاطف « بحس واحد » فالعهد الجديد يحتم علينا هذا الواجب . فعلنا أن نفرح مع الفرحين ، ونبكى مع

الباكين . (رومية ١٢ : ١٥) .

وعندما يتألم عضو تتألم معه جميع الأعضاء ، وعندما يكرم عضو تفرح معه جميع الاعضاء . (١ كورنثوس ١٢ : ٢٦) ، وهذا ينطبق على المسيحيين كأعضاء فى جسد المسيح .وأن أبرز شىء فى هذا المقام أن التعاطف والانانية لا يجتمعان ، فطالما أن الذات هى كل شىء فى حياة الانسان ، لايمكن أن يوجد العطف . فالعطف يعتمد على الرغبة فى نسيان الذات ، وفى الخروج من نطاقها ، وفى محاولة المشاركة فى آلام الآخرين واحزانهم . والعطف يدخل القلب عندما يمتلكه المسيح .

٣ — والعلامة الثالثة للحياة المسيحية هى « المحبة الأخوية » . وهذا يرجع بنا للكلمات التى قالها يسوع : « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً ... بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضا لبعض » (يوحنا ١٣ : ٣٤ و ٣٥) . فالعهد الجديد يتحدث هنا بتحديد ظاهر ودقة بارزة حين يقول : «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة لأننا نحب الأخوة . من لايحب أخاه يبقى فى الموت . كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس » . (١ يوحنا ٣ : ١٤ و ١٥) . « ان قال أحد انى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب » (١ يوحنا ٤ : ٢٠) . فالحقيقة البسيطة هى أن محبة الله ومحبة الانسان تسيران جنبا الى جنب ، وليس لاحداها غنى عن الأخرى ، فان كانت هذه المحبة للاخوة غير موجودة فى حياة الفرد أو الكنيسة فان محبة الله لا تثبت داخل هذا الفرد أو هذه الكنيسة. وان أبسط امتحان لحقيقة ديانتنا يرجع لمحبتنا للآخرين .

٤ — والعلامة الرابعة التى يبرزها بطرس هى « الشفقة » . ان الشفقة تكاد تصبح من الفضائل المفقودة . فالحياة العصرية التى نحياها تطمس الذهن ، وتخدر الاحساس بالشفقة . قال كارنفيلد فى هذا الصدد : « لقد تعودنا سماع الاذاعة كل صباح محدثة ايانا عن أخبار الغارات التى تشترك فيها آلاف قاذفات القنابل . وتعودنا أيضا على سماع أخبار ملايين الناس الذين أصبحوا من اللاجئين » .

اننا نقرأ مثلا ، عن آلاف الجرحى والمصابين فى حوادث الطرق ، دون

أن تتحرك فينا أية عاطفة ، ناسين أن كل حادثة منها تعنى جسداً محطماً وقلباً كسيراً . ففى الأحوال الراهنة فى القرن العشرين يسهل علينا كثيراً أن نفقد عنصر الشفقة ، وأسهل من ذلك أن نكتفى بمجرد لحظة عابرة من التأسف دون أن نتقدم لنقوم بأى عمل ايجابى .

ان الشفقة نابعة من طبيعة الله ذاته ، وتلك العاطفة أساسها يسوع المسيح ،فهى عظيمة المقدار لدرجة أن الله قد أرسل ابنه ليموت عن البشر،أن شفقة المسيح كانت عظيمة لحد أنها اقتادته للصليب ، فلا مسيحية بدون عنصر الشفقة .

٥ — وخامس شىء يضعه بطرس فى هذه القائمة هو (اللطف) أو التواضع . ان هذه الصفة مصدرها شيئان . انهما تنبع أولا من الاحساس بأننا خليقة الله . فنحن خلائق فى حضرة الله الخالق . فالمسيحى لطيف لأنه يدرك دائما بأنه يعتمد على الله كلية ، ولأنه يتذكر أنه من ذاته لا يستطيع أن يفعل شيئاً .

وتنبع ثانية من المقارنة التى يعقدها المسيحى . فقد يقارن المسيحى نفسه بجاره فيشعر أنه ليس أقل منه فى شىء ، وعندما يقارن نفسه بزملائه ، لا يخاف من المقارنة فى شىء . ولكن نموذج المسيحى الذى يقيس عليه نفسه هو المسيح ، وعندما يقارن المسيحى ذاته بتلك المحبة الالهية المتجسدة ، وبذلك الشخص الكامل الذى لم توجد فيه خطية ما ، فانه يشعر بأخطائه دائما . عندما يتذكر المسيحى اعتماده الدائم على الله ، وعندما يضع نصب عينيه المثال المسيحى الكامل ، فانه يكون لطيفا ومتواضعا على الدوام .

٦ — وأخيرا ، وفى النهاية تتوج تلك القائمة بالغفران . فالمسيحى مدعو لنوال الغفران الالهى ، ومطالب لغفران زلات الآخرين . ولا يمكن الفصل بينهما ، فعندما نغفر للآخرين زلاتهم فان الله يغفر لنا زلاتنا . (متى ٦ : ١١ و ١٤ و ١٥) . والعلامة المميزة للمسيحى أنه يغفر للآخرين كما غفر له الله (أفسس ٤ : ٣٢) .

واخيرا يلخص بطرس كالعـــــــادة كل ما قاله باقتباس ما جاء فى مزمور (٣٤) ، عن الاشخاص المقبولين من الله والمرفوضين منه .

أمان المسيحى وسط تهديد العالم

فَمَنْ يُؤْذِيكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِالْخَيْرِ . وَلَكِنْ وَإِنْ تَأَلَّمْتُمْ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ فَطُوبَاكُمْ . وَأَمَّا خَوْفَهُمْ فَلاَ تَخَافُوهُ وَلاَ تَضْطَرِبُوا . بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ .
(٣ : ١٣ و ١٤ و ١٥)

ترينا هذه الفقرة تعمق بطرس فى دراسة العهد القديم . توجد فقرتان فى العهد القديم تصلحان كأساس لتلك الفقرة . وبطرس لم يقتبس هاتـــين الفقرتين كماهما،كما أنه يمكنه كتابة هذه الفقرة ما ام يدرس هاتين الفقرتين. واول جملة فى هذه الفقرة تذكرنا بقول اشعياء (٥٠ : ٩) : «هوذا السيد الرب يعيننى . من هو الذى يحكم على » وعندما يتحدث بطرس أيضا عن طـــرد الخوف ، فانه كان يفكر فيما ورد فى (اشعياء ٨ : ١٣) حيث يقول النبى : « قدسوا رب الجنود . فهـــو خوفكم وهو رهبتكم » .

توجد ثلاثة افكار فى هذه الفقرة :

١ ـــ يبدأ بطرس بالتركيز على ضرورة التمسك بمحبـــــــة الخير والصلاح . يتخذ الانسان عدة مواقف تجاه الصلاح . فقـــد يكون الصلاح بالنسبة له حمـــلا ، وقد يكون مدعاة للضيق كما قـــد يكون الصلاح بالنسبة للانسان شيئا يرغب فيه رغبة غير محددة المعالم ، ولكنه على غير استعداد أن يدفع الثمن عرقا وجهـــدا . والكلمة التى ترجمـــت محبين للخير هـــى الكلمة المترجمة «غيور» ، وقد كان «الغيورون» جماعة الوطنيين المتعصبين لبلادهم ، والذين تعهدوا واقسموا على تحرير بلادهم بكل وسيلة ممكنة . انهم على استعداد أن يضحوا بأرواحهم وبراحتهم ، وبأقاربهم وأحبابهم فى سبيل حبهم الجارف لبلادهم .

وبطرس يعنى بذلك أن نحب الصلاح بنفس القوة التى يحب بهـــــا الوطنيون المتحمسون بلادهم . قال السير جون سيلى : « ان القلب الذى لا يحب حبا عميقا ليس بالقلب النقى ، كمـــــا أن الفضيلة التى تخلو من الحماس المتدفق لهى فضيلة عرجاء » .

فعندما يغرم الانسان بحب الصلاح ، فانه لا يعـــــود ينجذب للطرق الخاطئة كما أن المسالك المضللة تفشل فى السيطرة على تفكيره .

٢ — يتحدث بطرس بعد ذلك عن موقف المسيحى من الألم . لقــد أشير قبلا الى أننا محاطون بنوعين من الالم . فهنـــاك الالم الذى نجتـــاز فيه كبشر . فلأننا آدميون ، فلابد أن نجتاز الالم الجسدى والموت ، والندم والقلق الفكرى والضنى الجسدى . فكل هذه الاشياء موضوعة على كل انسان . ولكن هناك الم نجتاز فيه لاننا مسيحيون . فقد نواجه بشىء من الجفاء والاضطهاد،وقد نضحى من أجل المبدأ ونختار الطريق الصعب ثم نمر فى متاعب الحياة المسيحية . ولكن توجد فى الحيـــاة المسيحية أيضا بركة خاصة تعيننا على كل الصعاب . السؤال الآن هو: من اين تأتى تلك البركة؟ وما أسبابها ؟

٣ — ويرد بطرس على ذلك بالقول ان المسيحى هو الشخص الذى يحتل المسيح المكان الاول فى حياته . فعلاقته بالله فى المسيح أسمى شىء عنـــده فى الحياة فاذا كان قلب الانسان متعلقا بالامور الارضية والممتلكات المـــادية ، والسعادة العالمية ، واللذات الحسية ، والراحـــة والرفاهيـــة الارضية ، فانه يكون أكثر تعرضا للخطر من اى انسان آخــر . لانه من طبيعة الاشياء التقلب ، ولذا فقد يفقد كل شىء فى لحظـــــة ، قد يقلب له الدهر ظهر المحبة ويجـــد نفسه فى النهـــــاية محروما من كل شىء . ان شخصا كهـــذا يسهل جدا أن يصاب بالأذى والضرر من كل جانب . ولكن من الناحية الاخرى ان كان شخص يعطى المسيح المكان الاول فى حياته ، وان كان أهم شىء بالنسبة له علاقته مع الله ، فهــــذه العلاقة لا يمكن أن تنتزع منه ، ولا يمكن لأى موقف أن يحرمه من التمتع بتلك العلاقة . ولذلك فهـــو فى أمان تام . ان كنـــــزه الثمين لا يمكن لأية حوادث أو متاعب أن

تمسه بأذى . انه حتى فى وسط الآلام يتمتع المسيحى بالبركة . فعندما يتألم لأجل المسيح،فانه يظهر ولاءه للمسيح ويشارك فى آلام المسيح. وعندمايكون الالم ناجما عن مواقف بشرية ، فانه لا يمكن أن يحرمه من أعز شيء عنده فى الحياة . لا يمكن لاحد أن يتهرب من الالم ، ولكن آلام المسيحى لا تؤثر على اقدس الاشياء التى يعتز بها ، وأغلاها على قلبه .

الدفاع عن المسيح

مُسْتَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ . وَلَكُمْ ضَمِيرٌ صَالِحٌ لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ يَشْتِمُونَ سِيرَتَكُمُ الصَّالِحَةَ فِي الْمَسِيحِ يُخْزَوْنَ فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ .

(٣ : ١٥ ب ر ١٦)

لابد أن يدافع المسيحى عن عقيدته التى يؤمن بها ، وعن الرجاء الذى يتمسك به فى وسط عالم كان ولا يزال يضمر له العداء . ويتحدث بطرس هنا عن دفاع المسيحى عن عقيدته المسيحية .

١ — يجب أن يكون دفاعنا منطقيا . فالمسيحى يجب أن يقدم تعبيرا منطقيا عن حالته وموقفه الذى يتمسك به . كان اليونانى المثقف يعتقد أنه من دلائل ذكاء الانسان قدرته على التعبير عن اعماله ومعتقداته تعبيرا منطقيا . ويعبر عن ذلك (بج) بقوله : « ان الذكى هو الذى يناقش مسائل السلوك مناقشة تتسم بالذكاء والود » .

ولكى نقوم بذلك يجب أن نعرف ما نؤمن به ، ونفكر فيه مليا ، ويجب أن تكون عندنا القدرة على التعبير عنه بذكاء ومنطق . اننا يجب أن ندافع عن عقيدتنا دفاع من اكتشف شيئا جديدا يؤمن به ، وليس كمن يسرد قصة عتيقة مل من تكرارها .

انه من مآسى الزمن الذى نعيش فيه انه يوجد العدد الكبير من

أعضاء الكنائس الذين لو سؤلوا عما يعتقدون لما استطاعوا الاجابة بشيء ، ولو سئلوا لماذا يعتقدون بما يعتقدون به لأصبحوا عاجزين عن الرد . ان المسيحى يجب أن يعمل الفكر فيما يعتقد حتى يستطيع مجاوبة من يسأله عما يعتقد وعن سبب اعتقاده .

٢ — يجب أن يكون دفاعه « بوداعة » . هناك أناس كثيرون يدافعون عن عقائدهم بنوع من الزهو والفطرسة ، وكأن كل من لا يوافقهم فى الرأى يعد غبيا أو حقيرا لا ضمير له . انهم يحاولون أن يفرضوا معتقداتهم على الآخرين قسرا وعنوة . ولكن المسيحية يجب أن تقدم للآخرين بروح المودة والحكمة والتسامح الذى يجذب الناس لمعرفة الحق .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أنه يمكن جذب الكثيرين الى الايمان المسيحى بينما لا يمكن اجبار أحد على ذلك .

٣ — يجب أن يكون الدفاع أيضا « بخوف » ، أى ان أى دفاع من جانب المسيحى يجب أن يتسم بروح مسيحية ، وبطريقة يرضى عنها الله ليست هناك مناظرات اتسمت بالحدة والمرارة مثل المناظرات اللاهوتية . والشيء المؤسف أنه ما من خلافات سببت مرارة كهذه كالخلافات الدينية . ففى أى تقديم للمسيح أمام الناس وفى أى دفاع عن العقيدة المسيحية يجب أن تكون لغة المحبة هى اللغة السائدة طوال الحديث .

٤ — ويقرر بطرس أخيرا أن افضل دفاع هو الحياة المسيحية . ليكن المسيحى ذا ضمير صالح ، وليواجه النقد بسيرة صالحة غير ملومة . فان سلوكا كهذا يخرس كل تشهير ودعاية كاذبة ، ويجرد الانتقاد من كل سلاح . ان دفاع المسيحى الذى لا يقاوم هو الحياة المسيحية . قال احدهم : « ان المسيحى هو الشخص الذى تكون حياته سببا فى هداية الكثيرين الى الله .

عمل نعمة المسيح المخلصة

ليست الفقرة (٣ : ١٧ — ٤ : ٦) من أصعب الفقرات فى رسالة

بطرس فحسب ، بل انهـا من أصعب الفقرات فى العهـد الجديد كله ، وانها أساس مادة من أصعب مواد الايمـان ، وهى التى تقول ان المسيح « كرز للأرواح التى فى السجن » . ولذا يستحسن قراءة الفقرة كلها ، ثم دراستها بعد ذلك بالتفصيل .

لِأَنَّ تَأَلُّمَكُمْ إِنْ شَاءَتْ مَشِيئَةُ اللهِ وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ خَيْرًا أَفْضَلُ مِنْهُ وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ شَرًّا . فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثَمَةِ لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ .
(٣ : ١٧ و ١٨ (١))

لقـد قلنا ان هذه الفقرة من أصعب الفقـرات فى العهـد الجديد كله ، ولكنها تبدأ بعبارات يفهمها أى واحد . ان بطرس يريد أن يقول انه حتى اذا اضطر المسيحى أن يتألم ظلمـا من أجل ايمانه ، فانه يسلك الطريق الذى سلك فيه ربه ومخلصه . ان المسيحى المتألم يجب أن يذكر أن ربه قـد تألم من قبـل . وبرغم ضيق مجـال هذين العـددين الا أن بطرس يذكر أمورا عظمى عن عمل المسيح وعن موته .

١ ــ انه يوضح ان عمل المسيح فريد فى نوعه . « فالمسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا » ، انهـا مرة واحدة لم تتكرر ، « لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة » (رومية ٦ : ١٠) ، ان ذبائح الكهنة كانت تقدم كل يوم ، ولكن المسيح قدم نفسه كذبيحة كاملة مرة واحدة (عبرانيين ٧ : ٢٧) والمسيح قـدم مرة لكى يحمل خطـايا كثـيرين (عبرانيين ٩ : ٢٨) ، ونحن مقدسون بتقديم جسد يسوع مرة واحـدة (عبرانيين ١٠ : ١٠) ، والعهـد الجديد يؤكد مرارا أن الذى حدث على الصليب لن يكون هناك داع لحدوثه ثانية ، وأن الخطية قد هزمت تماما . وأنه على الصليب قد أجرى الله العمل الذى يكفل غفران خطية الانسان ، وكل خطية ارتكبها جميع البشر فى جميع الأزمنة . ان ذبيحة المسيح على الصليب ، تختلف عن أى ذبيحة أخرى ، وفيهـا الكفاية التامة ، وليست هنـاك أى ضرورة لحدوثهـا ثانية .

٢ ــ انه يوضح أن الذبيحة كانت لأجل الخطية . فالمسيح مات مرة لأجل الخطايا . وهذه هى العقيدة المسيحية . فبولس يقول ان المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب (١ كورنثوس ١٥ : ٣) ، وانه بذل نفسه لأجل خطايانا (غلاطية ١ : ٤) ، وأن كل رئيس كهنة ، ويسوع المسيح هو رئيس الـكهنة الكامل ، يقدم ذبائح عن الخطايا (عبرانيين ٥ : ١ و ٣) ، وأن المسيح كفارة لأجل خطايانا (١ يوحنا ٢ : ٢) . والعبارة التى وردت فى اليونانية (لاجل خطايانا) تعنى ذبيحة الخطايـا . فعبارة « ذبيحـة الخطية » مذكورة فى (لاويين ٥ : ٧ ، ٦ : ٣٠) وهذا يعنى أن بطرس يقرر أن موت المسيح يعنى الذبيحة التى تكفر عن خطايا الشعب . أو بأسلوب آخر نقول ان الخطية هى العائق فى علاقة الناس بالله وعمل الذبيحة اعادة تلك العلاقة المفقودة . فموت المسيح على الصليب ــ مهما تعددت التفسيرات له ــ كان كفيلا باعادة العلاقة المقطوعة بين الانسان والله . وقـد عبر عن ذلك تشارلس وسلى بالقول :

انني لا أخشى أية دينـونة
فيسـوع هـو كل شيء لى
وانني أحيـا فيـه وحـده
مسربلا بثيـاب البر الالهى
وبذلك أقترب من العرش الابدى بجساره
واطالب بالاكليل الذى نلته فى المسيح

قد لا نتفق كلنا فى تفسير ما حدث على الصليب ، لانه حقا كما قـال تشارلس وسلى فى نفس الترنيمة « انه لسر عجيب » ، ولكننا نتفق فى شيء واحد ــ فعن طريق صليب المسيح قد أصبحت لنا علاقة مع الله .

٣ ــ انه أيضا يقرر أن تلك الذبيحـة كانت (كفارية) . ان المسيح مات مرة لاجل خطايانا ، البار من أجل الاثمة . فان يقاسى البـار من أجل الاثمة شيء غير عادى ، وقد يبدو لاول وهـلة أن ذلك ظلم . قال ادون روبرتسون فى هذا الصدد : « ان الغفران دون سبب هو وحده الذى يمحو

الخطية التى لا مبرر لها » : ان المسيح قد تألم لأجلنا ، والسر العظيم هو أن الذى لم يستحق أن يتألم ، تحمل الالم لاجلنا نحن الذين كنا نستحق هذا الالم . انه ضحى بذاته حتى يستعيد علاقتنا بالله .

٤ ـ انه يقرر أن عمل المسيح كان لكى « يقربنا الى الله » . ان المسيح مات مرة لأجل خطايانا ، البار لاجل الاثمة لكى « يقربنا الى الله » . والكلمة اليونانية المترجمة « لكن يقربنا الى الله » . الكلمة لها أساسان . فهى ترجع لأصل يهودى .

(ا) انها مستخدمة فى العهد القديم للتعبير عن تقريب الكهنة أمام الله . فوصية الله تقول : « وتقدم هرون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء » (خروج ٢٩ : ٤) . فاليهود كانوا يعتقدون أن الكهنة وحدهم لهم حق الاقتراب الى الله . فعامة الشعب لهم حق الوجود فى المعبد ضمن القسم المخصص للأمميين أو للسيدات أو للاسرائيليين ، ولكن ليس لهم الحق فى الدخول بعد ذلك ، فالرجل العادى ليس له الحق فى الاقتراب من المكان المخصص للكهنة ، فى المكان القريب من الله ومن الكهنة ، الرئيس وحده له الحق فى دخول قدس الاقداس . ولكن يسوع المسيح يقربنا الى الله ، انه يفتح الباب لجميع الناس لكى يقتربوا الى الله .

(ب) والكلمة لها أصل يونانى كذلك ، فهى تعنى « حق الاقتراب » ، لنا « حق الدخول الى النعمة » (رومية ٥ : ٢) « وحق القدوم الى الآب » (أفسس ٢ : ١٨) ، « وبه لنا جراة وقدوم بايمانه عن ثقة الى الله » (أفسس ٣ : ١٢) .

وقد كانت تلك الكلمة باليونانية ذات معنى خاص . ففى البلاط الملكى ، كان هناك موظف وكانت وظيفته أن يقرر من يستحق أن يوجد فى حضرة الملك ، ومن لا يستحق أن يعطى هذا الحق . وعلى هذا الاساس ، فان يسوع المسيح ، هو الذى يقرب الناس الى حضرة الله ، وهو الذى يفتح الطريق أمامهم للاقتراب منه ، عن طريق العمل الفدائى الذى تممه .

وعندما نتقدم قليلا فى قرائتنا للفقرة ، نجد حقيقتين عظيمتين أخريين ، واضحتين فى كلام بطرس عن عمل المسيح .

فى (٣ : ١٩) يقول بطرس ان يسوع ذهب وكرز للأرواح التى فى السجن وفى (٤ : ٦) يقول ان الموتى قد بشروا . وسوف نرى ، انه من المحتمل جدا أن يكون المسيح قد بشر بالانجيل فى مقر الموتى فى الفترة بين موته وقيامته ، أى انه بشر بالانجيل لأولئك الذين لم يستمعوا ، للذين لم يستمعوا طيلة حياتهم له ، وهنا نجد فكرة عظمى ، فهذا يعنى أن عمل المسيح غير محدود فى مداه ، وانه يصل الزمن بالأبدية ، وهذا العالم بأى عالم آخر . وهى تعنى ايضا أنه ما من انسان دب على الارض يعتبر محروما من نعمة وانجيل الله .

٦ — واخيرا ، فان بطرس يرى عمل المسيح متوجا بالنصر التام النهائى . فهو يقول ان المسيح بعد قيامه وصعوده للسماء ، جلس فى يمين الله ، وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له (٣ : ٢٢). وهذا يعنى أنه ما من شىء فى الأرض والسماء خارج نطاق مملكة المسيح .

انه قد جاء بالصلح بين البشر وبين الله ، ففى موته جاء بالاخبار السارة للموتى ، وفى قيامته هزم الموت وقوات وملائكة مخضعة له ، وجلس فى يمين عرش الله . وفى هذا منبع الاعتقاد العظيم بأنه ما من خليقة فى السماء أو على الأرض خارج نطاق ملكوت المسيح وسلطانه . فالمسيح المتألم اصبح المسيح المنتصر ، والمسيح المصلوب أصبح المسيح المتوج .

النزول الى الجحيم

مُمَاتاً فِى الْجَسَدِ وَلَـكِنْ مُحْيىً فِى الرُّوحِ . الَّذِى فِيهِ أَيْضاً ذَهَبَ فَـكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِى فِى السِّجْنِ . إِذْ عَصَتْ قَدِيماً حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِى أَيَّامِ نُوحٍ إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى الَّذِى فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ أَىْ ثَمَانِى أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ . فَإِنَّهُ لأَجْلِ هٰذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضاً لِـكَىْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ وَلَـكِنْ لِيَحْيَوْا حَسَبَ اللهِ بِالرُّوحِ .

(٣ : ١٨ ب — ٢٠ ، ٤ : ٦)

لقد قلنا من قبل اننا نواجه هنا فقرة من اصعب الفقرات ،ليس فقط فى رسالة بطرس ، ولكن فى العهد الجديد كله ، واذا كان علينا أن نفهم ما تعنيه فعلينا أن نستمع لنصيحة بطرس لنا حين يأمرنا أن « ننطق أحقاء ذهننا » أثناء دراستنا .

وفى هذه الفقرة تتمركز عقيدة «النزول الى الجحيم» ، ويجب أن نلاحظ أولا أن هذه العبارة غير دقيقة . فالفكرة التى نجدها فى العهد الجديد ليست أن يسوع نزل الى الجحيم بل الى « هادس » Hodes فى سفر الاعمال (٢ : ٢٧) نجد — كما نجد فى كل الترجمات الحديثة — هذا القول ولاتترك نفسى فى الهـــاوية » (هادس) ، وليست لا تترك نفسى فى (الجحيم) » . والاختلاف هو كما يلى : ان الجحيم هو مكان العذاب ، وعقاب الأشرار ، ولكن (هادس) فى الفكر اليهودى ، هو المكان الذى يجتمع فيه الموتى .

فقـــد كان اليهود يؤمنون بعقيدة غامضة عن الحياة بعد الموت . انهم لم يفكروا فى مجرد وجود السماء وجهنم فقط ، انهم كانوا يعتقدون فى وجـــود عالم غامض ، تتحرك فيه الأرواح كالاشباح فيما يشبه الظلام حيث لانور ولا قوة ولا بهجة . هذا هو (هادس) ، انه أرض الظلال ، تهيم فيها أرواح البشر جميعا بعد موتهم . وقد كتب اشعياء يقول : « لأن الهاوية لا تحمدك . الموت لا يسبحك . لايرجو الهابطون فى الجب أمانتك » . (اشعياء ٣٨ : ١٨). وكتب المرنم : « لأنه ليس فى الموت ذكـــرك فى الهـــاوية من يحمـــدك » . (مزمور ٦ : ٥) . « ما الفائدة من دمى اذا نزلت الى الحفرة . هل يحمدك التراب . هل يخبر بحقك » (مزمور ٣٠ : ٩) « أفلعلك للأموات تصنع عجائب أم الأخيلة تقوم تمجدك . هل يحدث فى القبر برحمتك او بحقك فى الهلاك . هل تعرف فى الظلمة عجائبك وبرك فى أرض النسيان » (مزمور ٨٨ : ١٠ — ١٢) « ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر الى أرض السكـــــوت » . (مزمور ١١٥ : ١٧) « كل ما تجـــده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب اليهـــا » (جامعة ٩ : ١٠) .

هذه هى العقيدة اليهودية بخصوص الحياة بعد الموت. انه عالم من الظلال والنسيان وزوال الفقرة ، يحرم الناس فيه من الحياة والنور والله .

ويمضى الزمن ، برزت فكرة وجود درجات من العقاب . فبعض الناس يستمرون للأبد فى هذه الهارية ، وللبعض الآخر نعتبر بمثابة سجن تظل فيه الأرواح حتى الدينونة النهائية ، حين يمحقهم غضب الله (اشعياء ٢٤ : ٢١ و ٢٢ ، ٢ بطرس ٢ : ٤ ، رؤيا ٢٠ : ١ - ٧) ولذا ، فيجب أن نذكر أن (الهاوية) لا تعنى منهم كما تفهموا ، بل أن المسيح نزل الى الموتى فى عالمهم الغامض هذا .

• • •

ان عقيدة النزول الى (الهادس) - كما يجب أن نسميها - مبنية على عبارتين وردتا فى هذه الفقرة . فعبارة تقول ان يسوع ذهب « وكرز للأرواح التى فى السجن » (٣ : ١٩) ، ثم عبارة تقول ان الانجيل « بشر به للموتى » (٤ : ٦) وقد اختلف المفكرون فى تفسيرهذه العقيدة .

١ - بعض المفكرين لا يؤمنون بهذه العقيدة أساسا . انهم يبطلونها كلية ، وذلك للاستناد على دعامتين :

(أ) ان بطرس يقول ان المسيح بشر بالروح للأرواح التى فى السجن ، الأرواح التى عصت قديما فى أيام نوح ، وقت بناء الفلك فيقولون ان هذا يعنى أن المسيح كرز فى زمن نوح نفسه ، أى أن المسيح كان يكرز ويبشر للناس الأشرار فى أيام نوح بالروح ، وأن المسيح لم يكرز لهم بعد أن ماتوا وذهبوا (للهادس) ، فى الفترة ما بين موته وقيامته ، بل فى أيام نوح كرز المسيح بالروح ، قبل تجسده ، للناس الخطاة . وأن هذه الفكرة تبطل عقيدة النزول الى الهاوية كلية ، وتجعل تلك الكرازة للناس قديما فى زمن نوح . وكثيرون من الدارسين قد قبلوا تلك الوجهة ، ولكننا لا نعتقد أنها الفكرة المستقاة من كلمات بطرس .

(ب) ولكن لو تأملنا فى ترجمة (موفات) ، لوجدنا أنه ينادى بشىء مختلف عن هذا . فترجمته تقول : « أن المسيح قد مات بالجسد ، ولكنه أحيى فى الروح والذى فيه أيضا ذهب أخنوخ وبشر للأرواح التى فى السجن اذ عصت قديما حين كانت أناة الله تنتظر فى أيام نوح اذ كان الفلك يبنى » أن موفات يبرز أخنوخ فى الفقرة ، مع أن أخنوخ لم يرد اطلاقا فى الطبعة الأصلية فكيف توصل موفات اذن الى هذه الترجمة ؟ ان اسم أخنوخ لم يرد فى

اى مخطوطة يونانية للكتاب ، ولكن الدارسين يخضعون النص اليونانى احيانا لطريقة تسمى « emendation » اى (تلافى الأخطاء) . وهذه الطريقة تعنى ما يأتى :

قد يظن بعض الدارسين احيانا أن هناك خطأ فى النص كما هو : اى أن الكاتب قد نقله خطأ ، وأنه بهذه الصورة التى هو عليه لا يفيد معنى . ولذا فانهم يقترحون تغيير كلمة أو اضافة كلمة ، هذا مع أن التغيير أو الاضافة لا تظهر فى أى مخطوطة يونانية .

وفى هذه الفقرة اقترح (رندل هارس) أن كلمة أخنوخ قد سقطت أثناء نقل ما كتبه بطرس ، ولذا وجب ارجاعها ثانية .

قد يجد بعض القراء متعة فى معرفة كيف أدخل (رندل هارس) تعديله ، مع أن هذا يلزم ابراز النص اليونانى،ولذا فاننا سنوضح الطريقة التى اتبعها نورد هنا فى السطر العلوى الكلمات اليونانية بحروف انجليزية وأسفلها الترجمة العربية لها :

thanatotheis	men sarki
مماتا	فى الجسد
zoopoiètheis	de pneumati
محيى	فى الروح

en hà	kai tois	en phulakè
الذى فيه	أيضا الى	فى السجن
pneumasi	poreutheis	ekèruen
الأرواح	ذهب	كرز

هذه هى الفقرة باليونانية ، وترجمة كلماتها بالعربية . لقد اقترح رندل

هارس انه بين كلمة (kai) و(tois) قد سقطت كلمة (أخنوخ) . وتفسيره لذلك ، انه حيث أن نقل ما بالكتب يتم عادة عن طريق الأملاء ، فإن الكتبة معرضون لأن تسقط منهم الكلمات المتتابعة ، اذا تشابهت فى الفاظها. وفى هذه الفقرة نجد تشابها فى اللفظ بين :

en hà Kai و Enoch

ولذا فان رندل هارس ظن انه من المحتمل جدا ان كلمة أخنوخ قد حذفت خطأ لهذا الفرض .

ما الداعى لادخال (أخنوخ) فى هذا المشهد ؟ ان اخنوخ كان دائما شخصية غامضة جذابة . « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » (تكوين ٥ : ٢٤) وفى فترة ما بين العهدين القديم والجديد ، رويت أساطير عديدة عن أخنوخ ، وقد دونت كتب كثيرة تحمل اسمه . واحدى هذه الاساطير تقول انه مع أن أخنوخ بشر ، الا انه عمل « كمبعوث الله » للملائكة الذين اخطأوا بقدومهم الى الأرض واغرائهم لبنات الناس (تكوين ٦ : ٢) . وقد قيل فى سفر أخنوخ انه ارسل من السماء ليعلن لأولئك الملائكة مصيرهم النهائى (أخنوخ ١٢ : ١) ، وقال لهم انه بسبب مسلكهم هذا ، ليس لهم سلام أو غفران الى الأبد (أخنوخ ١٢ و ١٣) . ولذا ، فانه حسب ما تقول الاسطورة اليهودية ، ان أخنوخ ذهب الى هادس معلنا المصير المحتوم للملائكة الساقطين . ولذا فان رندل هارس اعتقد أن هذه الفقرة تشير الى أخنوخ وليس الى يسوع، وقد وافق موفات على وضع أخنوخ فى الترجمة . وانه رأى يتسم بالمهارة ويبعث على الاثارة ، ولكنه يجب أن يرفض دون شك ، لانه ليس دليل هناك عليه البتة ، وليس من الطبيعى ادخال اخنوخ الى المشهد ، حيث أن الحديث كله يدور عن عمل المسيح .

• • •

رأينا لذلك أن محاولة ابطال ما جاء بهذه الفقرة قد فشلت .

٢ ــ والمحاولة الثانية لتفسير الفقرة هى محاولة « التحديد » . وهذه الوجهة هى وجهة عدد من المفسرين الكبار للعهد الجديد ــ فهم يعتقدون أن

بطرس يقول أن يسوع ذهب للهـــادس وكرز هناك ، ولكنه لم يكرز لــكل سكان هادس . فعدد من المفسرين يحدون هذه الكرازة بمختلف الطرق كمـــا يأتى :

(ا) قيل أن يسوع كرز فى هادس ، لأرواح البشر الخطاة العصاة فى أيام نوح . والذين يعتنقون هذا الرأى يقولون انه حيث أن هؤلاء الخطاة فى زمن نوح كانوا من الشر والعصيان بمكان حتى أن الله أرسل الطوفان وأهلكهم (تكوين ٦ : ١٢ و ١٣) ، فاننا نعتقد أنه لا يوجد انسان خارج رحمة الله .

فقد كان هؤلاء الناس من أردأ الخطاة ، ولكنهم اعطـــوا فرصة أخرى للتوبة ، ولذا فان أراد البشر لا زالت لديهم فرصة للتوبة فى المسيح .

(ب) قال آخرون ان يسوع كرز للملائكة الســـــاقطين ، ولكنه لم يكرز بالخلاص لهم بل بالمصير المحتوم وبالهـــــلاك المريع لهم . لقد سبق أن ذكرنا هؤلاء الملائكة . وقصتهم مذكورة فى (تكوين ٦ : ١ ــ ٨) . لقد رأوا ان بنات الناس حسنات ،فجاءوا الى الأرض ، واغروهن ، وانجبـــوا منهن اطفـــالا ، وبسبب عملهم هذا ، قد استنتج ان شر الانسان عظيم وان تصوراته شريرة كل يوم .

ويتحدث بطرس فى (٢ بطرس ٢ : ٤) عن الملائكة الساقطين وعن انهم طرحوا فى سلاسل الظلام فى جهنم وسلموا محروسين للقضاء . وانهم هم الذين ــ كما يعتقد بعضهم ــ قد بشر لهم أخنوخ .

ويوجد من يعتقد أن المسيح لم يكرز لهم بفرصة أخرى للتوبة والرحمة بل كدليل على انتصاره الكامل ، قـــد أعلن لهـــم المصير المحـــتوم والهلاك الابـــدى .

(ج) يعتقد آخرون أن المسيح قد كرز لأولئك الذين كانوا أبرارا فى الماضى فقط ، وانه قادهم من الهادس الى فردوس الله .

والفكرة تتلخص فيما يلى : لقد رأينا كيف أن اليهود كانوا يؤمنون بأن كل

الموتى تذهب لهادس ، أرض الظلال والنسيان . وان هذا ينطبق على الناس قبل مجيء المسيح ، ولكن المسيح قد فتح أبواب السماء للجنس البشرى ، وانه عندما عمن ذهب الى هادس وبشر بالأخبار السارة لكل الابرار فى جميـــع العصور واقتادهم الى الله . والواقع أن هذه صورة رائعة . والذين ينادون بهذا الرأى يقولون ان المسيحى لا يجتـــــاز الآن فى هادس بسبب ما عمله المسيح ، بل ان باب فردوس الله مفتوح أمامه حالما ينتهى المشهد الأرضى .

٣ ـــ هناك أيضا الوجهة القائلة بأن ما يقصده بطرس هو أن يسوع المسيح ذهب بين موته وقيامته الى عالم المـــوتى ، وبشر بالانجيل هناك . فبطرس يقول ان يسوع بعد مات بالجســـــد ؛ واقيم فى الروح ، وانه كرز بالروح . وهذا يعنى أن يسوع اتخذ جسما بشريا ، وانه كان خاضعا لحدود الزمان والمكان فى أيام تجسده، وانه مات بهذا الجسد الذى حطم وعذب وسال دمه فوق الصليب . ولكنه عندما قام ثانية فانه بجسد روحانى ، متحررا من ضعفات البشر ، ومن قيـــود الزمان والمكان ، بحيث أصبح الكون كله هو الخير الذى يوجد فيه . اذن فتبشير الموتى قد حدث أثناء تلك الحالة الروحية .

وأننا نتساءل الآن : ما هى الحقائق وراء هذا التعليم ؟

ان هذا التعليم ينطوى على تقسيم مادى قد عفا عليه الزمن . فالتعليم ينادى بالنزول الى الهادس . فكلمة (نزول) توحى بأن الكون مكون من ثلاثة أدوار ، الفردوس من فوق مثبت فوق السماء ، وهادس من تحت الأرض ، ولكن بغض النظر عن هذا التقسيم الجغرافى المادى ، فان التعليم يحوى حقائق أبدية ثابتة وثمينة . انه يحوى ثلاث حقائق عظمى .

(ا) ان كان المسيح نزل الى هادس ، اذن فيسوع مات حقا ولم يكن موته نوعا من التظاهر او التمثيل . ولا يمكن تفسير موته على انه نوبة اغماء فوق الصليب وماشابه ذلك . فانه قد اختبر الموت حقا ، وقـــام حقا ، وذلك يجلعنا أيضا نفكر فى المسيح الذى اجتاز كل الاختبارات البشرية من ميـــلاد وحياة وموت . وان أبسط ما يقــــال عن هذا التعليم ، أنه يؤكد أن المسيح مشابه لنا فى كل شيء حتى فى الموت .

(ب) ان كان المسيح نزل الى هادس ، فان هذا يعنى انتصار المسيح الشامل، وهذه الحقيقة نجدها واضحة فى العهد الجديد. فبولس يصرح بأن كل ركبة « مافى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض يجب أن تجثوا باسم يسوع » (فيلبى ٢ : ١٠) . ويعلمنا سفر الرؤيا أن ترانيم الحمد تنبعث من كل خليقة « فى السماء ، وعلى الارض ومن تحت الأرض » (رؤيا ٥ : ١٣) . والذى صعد الى السماء هو الذى نزل أولا الى أقسام الأرض السفلى (أفسس ٤ : ٩ و ١٠) . فالخضوع الكلى من كل ما فى الكون نجده واضحا فى تعليم العهد الجديد .

(جـ) لو نزل المسيح الى هادس وبشر هناك ، اذن ليست هناك أى بقعة فى الكون لم تصلها رسالة النعمة . توجد فى هذه الفقرة الاجابة على أكثر الأسئلة غموضا فى الايمان المسيحى — ماالذى سوف يحدث لأولئك الذين عاشوا قبل المسيح ، وللذين لم يصلهم الانجيل ؟ أنه لا خلاص بدون توبة ، وكيف يتوب من لم يسمع عن محبة الله ؟ ان كان لا يوجد اسم به ينبغى أن نخلص الا اسم يسوع ، فما مصير أولئك الذين لم يسمعوا عن هذا الاسم ؟ علق (جوستن مارتر) قديما على هذه النقطة بالقول :

« ان الرب ، اله اسرائيل القدوس ، تذكر موتاه النائمين فى باطن الأرض وجاءهم ليخبرهم ببشائر الخلاص المفرحة » .

نعم . . ان النزول الى هادس يحوى الحق الثمين الذى يعلن انه ما من انسان عاش على ظهر هذه الأرض ، قد حرم من رؤية المسيح ومن تقديم خلاص الله له .

يوجد الكثيرون الذين اذ يهتمون بعقيدة « النزول الى الجحيم » ، قد يعتبرون العبارة خالية من اى معنى لهم ، ولذا فقد فضلوا تركها جانبا ونسيانها . وقد يحسن أن نفكر فيها كصورة شعرية جميلة أكثر من أن تكون تعليما لاهوتيا ، وجميل أن تكون هذه العقيدة غذاء للقلب من أن تكون عقيدة يؤمن بها العقل .

ولكن لايصح أن ننسى أنها تحوى ثلاث حقائق عظمى — الحقيقة الأولى

أن المسيح لم يذق طعم الموت نحسب ، بل شربه حتى الثمالة ، وحقيقة انتصار المسيح الشامل ، وحقيقة أنه ما من مكان فى هـــذا الكون لم تصـــل اليه نعمة الله .

معمودية المسيحى

الَّذِى مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الآنَ أىْ الْمَعْمُودِيَّةُ . لاَ إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ . الَّذِى هُوَ فِى يَمِينِ اللهِ إِذْ قَدْ مَضَى إِلَى السَّمَاءِ وَمَلاَئِكَةٌ وَسَلاَطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ لَهُ .

(٣ : ٢١ و ٢٢)

تبدو الفقرة من عدد ١٨ـــ٢٢ وكأنها بعيدة عن صلب الموضوع الذى كان يتحدث بطرس فيه . فقد كان بطرس يتحدث عن الناس الاشرار الفاسدين الذين عصوا الله فى أيام نوح ، وأخيرا لقوا حتفهم . ولكن ثمانى أنفس قـــد خلصت فى الفلك ـــ نوح وزوجته ، وأولاده سام وحام ويافث ، وزوجاتهم . وقد خلصوا بالماء فى الفلك . ونجـــد أن فكرة خـــلاصهم بالماء تحول تفـــكير بطرس فجأة الى المعمودية المسيحية ، لأن المعمودية هى أيضا نجاة بالماء ، وكأن بطرس يقول حرفيا ان المعمودية هى (مثال) لنوح وأهله فى الفلك . وهذه الكلمة (مثال) تقودنا للتفكير فى العهد القديم بطريقة خاصة . فهناك كلمتان مرتبطتان ببعضهما أشد الارتباط . هناك كلمة (tupos) التى تعنى (ختم) ، وكلمـــــــة : (antitupos) وتعنى (بصمة الختم) ، وهناك صلة وثيقة بين الختم وبصمته ـــ فكلاهما يشبه الآخر تماما . ولذا فان هنـــــــاك أشخاصا وحوادث فى العهد القديم لها آثارها أو ما يشبهها تماما فى العهد الجديد ، فحوادث العهد القديم وشخصياته بمثابة الختم ، ولها ما يقابلها فى العهد الجديد وكأنها بصمة هذا الختم ، وكلاهما متشابهان . أو قد نقول : ان حادث العهد القديم يرمز ويشير الى حادث العهد الجديد . وأن علم البحث عن الرموز أو الاشياء واشباهها من العهدين القديم والجديد ، قد تطور كثيرا .

ومن الأمثلة البسيطة الواضحة على ذلك ، خروف الفصح ، وكبش الفداء اللذان يرمزان الى يسوع الذى حمل خطايانا ، ووظيفة رئيس الكهنة فى تقديم ذبائح عن خطايا الشعب تشير الى عمل المسيح الفدائى لخلاصنا . وهنا يرى بطرس أن نجاة نوح وعائلته بالماء يشير الى المعمودية .

فى هذه الفقرة يتحدث بطرس عن ثلاثة أشياء عظمى عن المعمودية . ويجب أن نتذكر أولا أنه فى تلك الحقبة من تاريخ الكنيسة ، كان يجرى العماد للبالغين ، عماد أولئك الذين انضموا للمسيحية من الوثنية ، والذين أعلنوا ايمانهم ، وساروا فى حياة وسلوك مختلف عما كانوا عليه .

١ — أن المعمودية ليست تطهيرا جسديا ،حسب انها تطهير القلب والنفس والحياة تطهيرا روحيا .انها ليست حماما لغسل الجسم، انها غسل للحياة بالنعمة ، وأن تأثيرها يجب أن يبقى فى نفس الانسان وعلى حياته .

٢ — ان بطرس يسمى المعمودية « سؤال ضمير صالح نحو الله » (عدد ٢١) وتبرز أمامنا هنا صورة رائعة . ان الكلمة التى يستخدمها بطرس هى كلمة « سؤال » ، وقد كانت هذه الكلمة باليونانية تعبر عن عمل فنى ، لقد كانت كلمة ذات صلة بالقانون ، ففى كل عقد عمل كان هناك سؤال محدد واجابة عليه تجعل العقد سارى المفعول . لقد كان السؤال هو : « هل تقبل شروط العقد وتتعهد بمراعتها ؟ » ، وكانت الاجابة أمام الشهود هى « نعم ». فبدون هذا السؤال والاجابة عليه ، كان يعد العقد باطلا . والاصطلاح الفنى باليونانية عن هذا السؤال واجابته هو نفس الكلمة المستخدمة هنا وكأنى ببطرس يقول : ان الله يقول للشخص القادم من الوثنية عند المعمودية المسيحية : « هل تقبل شروط خدمتى ؟ هل تقبل امتيازاتها ومواعيدها كما تقبل مسئولياتها والتزامها ؟ » ، فيجيب الشخص المعمد قائلا : «نعم» ،ونحن نستعمل كلمة (فريضة) أى(فريضة العماد)، والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية التى تعنى (يمين الولاء) الذى يردده الجندى الداخل فى خدمة الجيش . ويوجد نفس المشهد فى هذه الفريضة . فنحن لا يمكن أن نسأل هذا السؤال وننتظر الاجابة سوى فى معمودية الكبار ، أما فى الصغار فيجب توجيه السؤال للوالدين ، ولكن كما قلنا من قبل ، ان المعمودية فى الكنيسة الأولى كانت معمودية الكبار الذين يأتون لاعتناق المسيحية من الوثنية ، أما

اليوم فيجب توجيه السؤال للمنضمين الى الكنيسة . فعندما ننضم لعضوية الكنيسة ، فان الله يوجه لنا هذا السؤال : « هل تقبل شروط خدمتى بما فيها من امتيازات والتزامات ؟ » . ونحن نجيب : « نعم » . يجب أن يفهم أعضاء الكنيسة اهمية عضويتهم للكنيسة .

٣ — ان تأثير واهمية المعمودية ترجع لقيامة يسوع المسيح . فنعمة الرب المقام طهرنا . فنحن اثناء المعمودية نتعهد أمام الرب المقام ، ونحن أمامه كذلك نطلب القوة والنعمة لكى نحفظ تعهداتنا بالنسبة له . وان التعهدات التى تؤخذ على الوالدين اثناء معمودية أطفالهم ، يجب تطبيقها علينا كذلك عند انضمامنا للكنيسة بمحض اختيارنا .

الاصحاح الرابع

واجبات المسيحى

فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية فإن من تألم فى الجسد كف عن الخطية . لكى لا يعيش أيضاً الزمان الباقى فى الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله . لأن زمان الحيوة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة . الأمر الذى فيه يستغربون أنكم لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدفين . الذين سوف يعطون حساباً للذى هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات .

(٤ : ١ — ٥)

مطلوب من المسيحى ان يهجر طرق الوثنية والفساد ، ويحيا كما يريد منه الله . ان بطرس يقول : « فان من تألم فى الجسد كف عن الخطية » ، ماذا تعنى هذه الآية ؟ يصعب أن نحدد ما تعنيه . ولكن هناك ثلاثة احتمالات واضحة لذلك .

١ — هناك اعتقاد راسخ عند اليهود بأن الالم فى حد ذاته أكبر مطهر ، وانه كما أن النار تطهر الذهب ، هكذا فالألم يطهر النفس . ويتحدث باروخ

الـكاتب عن اختبارات شعب اسرائيل قائلا : « ولذلك فانهم قـد أدبو حتى يتقدسوا » (١٣ : ١٠) . ويقول أخنوخ مشيرا الى تطهير أرواح الناس : « وكلما ازداد الم اجسادهم حدة ، فان تغييرا مماثلا بمقدار الالم يحـدث فى أرواحهم الى الأبد ، لانه أمام رب الارواح ليس من يتفوه بكلمة كذب»(٦٧ : ٩). ويتحدث كاتب سفر المكابيين الثانى عن آلام الشعب قائلا : « أناشد كل من يقرأ هذا السفر الا ييأس أو يخاف أو يرتعب بسبب هذه المصائب ، لأن كل هذا العقاب ليس للهلاك بل لتأديب أمتنا. فان عدم ترك الخطاة ليعلموا زمنا طويلا حسب رأيهم بل معاقبتهم فـورا علامة احسـان عظيم . لأن الرب (ليس كما على الأمم الاخرى) يطيل اناته ليعاقبهم بملء الخطايا فى العذاب هكذا قضى أن يكون علينا لئلا نترك الى الانقضاء فيجازينا أخيرا حسب خطايانا. لاجل هذا فحينما يوبخ بالبلايا شعبه لا يخذله » فالفكرة هنا أن الألم يقدس ، وأن أكبر عقوبة يصبها الله على أى انسان أن يهمله ويتركه دون عتاب . «طوبى للرجل الذى تؤدبه يارب وتعلمه من شريعتك » . (مزمور ٩٤ : ١٢)، وقال اليفاز : « هوذا طوبى للرجل الذى يؤدبـه الله . (أيوب ٥ : ١٧) . « لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله » (عبرانيين ١٢ : ٦) .

ان هذه الفكرة تعنى أن التأديب بالألم هو واسطة الشفاء من الخطية . انها فكرة عظيمة . انها تمكننا ، كما قال براوننج من أن « نرحب بكل ضائقة تد تجعل الارض طريق أمامنا وعرا » ، ان هذه الفكرة تجعلنا نرى المعانى الكامنة فى اختبارات الحياة ، وأن نشكر الله من أجل الاختبارات المؤلمة التى تخلص نفوسنا . ولكن بالرغم من عظمة هذه الفـكرة ، فانها قد لا تكون الفكرة التى قصدها بطرس .

٢ ـ يعتقد (بج) أن ما يقصده بطرس من عبارة « من تألم فى الجسد كف عن الخطية » ، ان ذلك الألم الذى يجتاز فيه الشعب هو الالم الناتج عن الاضطهاد ، وعدم التقدير وسوء المعاملة بسبب التمسك بالايمان المسيحى .

ويوضح (بج) ذلك بالقول : « ان من يحتمل الالم بوداعة وخوف ، ومن يحتمل كل ما يأتى به الاضطهاد عليه ، ولا يشترك فى الطرق الشريرة ، فانه لا يفعل الخطية ، ولا يصبح للاغراء أى تأثير عليه بعد » لأن من مـر فى الاضطهاد ،ولم ينكر اسم المسيح ، ودافع عن الايمان ، فانه يخرج من ذلك وله شخصية ثابتة وايمان راسخ ، فلا يمكن لاى اغراء أن يمسه بسوء . ثم

هناك فكرة عظيمة أخرى ، وهى أن كل تجربة وكل اغراء ليس القصد منه أن يجعلنا نسقط ، بل يجعلنا اقوى وأمتن وفى حالة أفضل وكل اغراء نتغلب عليه يجعلنا فى موقف يسهل علينا فيه مقاومة الاغراء الآخر ، وكل تجربة نتغلب عليها تمكننا من مواجهة أى تجربة أخرى ، ومن تحدى الضربة القادمة . وانها لفكرة رائعة ، ولكن من المشكوك فيه أن تكون هى الفكرة المقصودة .

٣ — هناك تفسير آخر ، ومن المحتمل أن يكون التفسير الصحيح . يقول بطرس : « من تألم فى الجسد كف عن الخطية » ، لقد كان بطرس يتحدث عن المعمودية ، وأوضح صورة للمعمودية فى الكتاب نجدها فى رومية (٦) . ففى هذا الاصحاح يتحدث بولس عن اختبار المعمودية قائلا : «اننا دفنا معه بالمعمودية للموت وقمنا مع المسيح لنسلك فى جدة الحياة» . انها تعنى الموت عن الخطية، والقيامة لنحيا للبر . انها تعنى التشبه بالمسيح فى كل شىء ، فى حياته ، وتجاربه وآلامه وموته وأخيرا قيامته . ونحن نعتقد أن هذا هو ما يقصده بطرس هنا . لقد تكلم من قبل عن المعمودية ،والآن يقول:«ان من اشترك بالمعمودية فى آلام المسيح وموته،قد قام فى جدة الحياة معه ، حتى أن الخطية لن تسودكم » (رومية ٦ : ١٤) . ويجب أن نذكر ثانية ، أن هذه المعمودية المشار اليها هى معمودية الكبار ، معمودية الشخص الذى يأتى للمسيحية طواعية واختيارا من الوثنية ، ففى اثناء معموديته فانه يشارك المسيح آلامه وموته ، كما يشاركه أيضا حياته المقامة وقوته المقامة ، ولذا فانه ينتصر على الخطية .

عندما يحدث ذلك ، فان الشخص يودع حياته السابقة فى الخطية . فتنتهى من حياته سيطرة الكبرياء واللذات العالمية ، وتبدأ حياة الله فيه . ليس ذلك بالأمر الهين ، لان رفقاء الانسان السابقين يضحكون عليه وعلى « النقاوة » التى تتسم بها حياته . ولكن المسيحى يعلم جيدا أن دينونة الله قادمة ، وأن كل ما فى الأرض سيزول وأن المسرات الأبدية التى سينالها ستعوضه ألف مرة عن الملذات الوقتية الزائلة التى قد هجرها .

فَإِنَّهُ لِأَجْلِ هٰذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضاً لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ وَلٰكِنْ لِيَحْيَوْا حَسَبَ اللهِ بِالرُّوحِ .

(٤ : ٦)

ان هذه الفقرة الصعبة،تنتهى بآية يصعب تفسيرها.فتبرز أمامنا ثانية فكرة تبشير الانجيل للموتى . هناك ثلاثة معان مختلفة لكلمة « موتى » .

١ — فقد قصد بها موتى الخطية ، ليس الموتى بالجسد ، ولكن هؤلاء الذين تحت تأثير الخطية القاتل .

٢ — قصد بها آخرون — الموتى الذين ماتوا قبل المجيء الثانى للمسيح . انهم موتى ، ولكنهم سمعوا بالانجيل قبل موتهم ، وأنهم سيتمتعون بالمجد .

٣ — فسرها آخرون على أنها تعنى ببساطة كل الموتى . وليس من شك فى أن هذا هو المعنى الصحيح ، فبطرس كان يتحدث عن نزول المسيح الى مقر الموتى ، وهنا يعود لفكرة كرازة المسيح للموتى .

ولكن ما معنى القول : انهم مع أنهم (قد دينوا حسب الناس بالجسد) ، (بشر بالانجيل لهم لكى يحيوا حسب الله بالروح ؟) .

ليس من معنى كاف قدم لتفسير هذه الآية ، ولكننا نعتقد أن افضل تفسير هو كما يأتى : ان الموت هو أجرة الخطية ، وهذا ينطبق على كل انسان . ولقد قال بولس فى هذا الصدد : « وكأنما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » ، (رومية ٥ : ١٢) .

فلو لم توجد خطية ، لما كان هناك موت . فالموت عقوبة الخطية ، ولذا فالموت فى حد ذاته دينونة . ولذا ، فان بطرس يقول ، ان الموت يعنى دينونة

الجميع . فلأنهم بشر فهم تحت دينونة الموت . ولكن برغم ذلك فان بطرس يتحدث عن تلك الفكرة المدهشة عن أن المسيح نزل الى عـــالم الموتى وبشر بالانجيل هناك ، وهذه الحقيقة عينها تعنى أنه برغم أن الموتى قد دينوا بحكم الموت الا أن الموتى ما زالت لهم فرصة أخرى ليـــزكوا الانجيل ، وليحيـــوا بروح الله .

وأن هذه الآية من أعجب الآيات فى الــكتاب المقــدس ، لأنه اذا كان تفسيرنا يقرب من الحقيقـــة ، فانه يجعلنا ندرك شيئا مثيرا جدا عن انجيل الفرصة الثانية .

اقتراب النهاية

وَإِنَّمَا نِهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِ ٱقْتَرَبَتْ .

(٤ : ١٧)

اننا نجد هذا التنبيه فى كل العهد الجـــديد ، فبولس يحضنا قائلا انها ساعة لنستيقظ من النـــوم ، لأنه قد تناهى الليل وتقـــارب النـــهار (رومية ١٣ : ١١ و ١٢) ،ويكتب الى أهل فيلبى قائلا : « أن الرب قريب » (فيلبى ٤ : ٥) ويكتب يعقــوب « ان مجىء الــرب قد اقترب » (يعقوب ٥ : ٨) ، ويقول يوحنا « انها الساعة الأخيرة » (١ يوحنا ٢ : ١٨) .ويقول يوحنا أيضا فى سفر الرؤيا«أن الوقت قريب» ، فيسمع صوت المسيح المقام شاهدا « نعم . أنا آتى سريعا » (رؤيا ١ : ٣ ، ٢٢ : ٢٠) .

يوجد كثيرون يعتبرون هذه الفقرات من العهد الجديد كالغاز ، لأنهـــا اذا فسرت حرفيا ، فان ذلك يعنى أن كتاب العهـــد الجديد مخطئون . فقد مر تسعة عشر قرنا دون أن تأتى النهاية . ان هذه الفقرات تمثل مشكلة أمام دارسى الكتاب المقدس ، ولكن هنـــاك أربعة احتمـــالات لتفسير هـــذه العبارات :

١ ــ ان الافتراض الأول الذى نواجهه أن كتاب العهـــد الجديـــد كانوا مخطئين ، وأنهم كانوا يتوقعون مجىء المسيح ونهاية العـــالم فى عصرهم وجيلهم ، ولكن كل هـــذا لم يحدث . لو اعتقدنا هذا الاعتقاد فانه يكون من

المستغرب أن تترك الكنيسة المسيحية هذه الكلمات كما هى فقد كان يمكن حذف تلك الكلمات من وثائق العهد الجديد ، ومع ذلك فقد تركت كما هى . فالعهد الجديد لم يثبت على ما هو عليه الآن سوى فى القرن الثانى . وعندما ثبت نهائيا ، فان عبارات كهذه قد ثار حولها جدل كبير . والتفسير المقبول لذلك ان اهل الكنيسة الاولى لم يفكروا مطلقا انهم كانوا على خطأ ؛ واعتقدوا فى صحة تلك الكلمات .

٢ — هناك تفسير آخر ينادى بأن النهاية قد جاءت فعلا . فمجىء المسيح كان بمثابة تتويج للتاريخ ، فبه غزت الأبدية الزمن ، وبه تدخل الله فى مجرى الحوادث البشرية ، وفيه تمت جميع النبوات . وفيه جاءت النهاية. فبولس يتحدث عن نفسه وعن شعبه أنهمهم الذين انتهت اليهم أواخر الدهور (١ كورنثوس ١٠ : ١١) ، ويتحدث بطرس فى عظته الأولى عن نبوءة يوئيل فى انسكاب الروح وعما سوف يحدث فى الأيام الأخيرة ، ويقول ان هذه الأيام هى تحقيق لما جاء فى النبوة ، وأن الناس يعيشون فعلا فى الايام الأخيرة التى تحدث عنها النبى (أعمال ٢ : ١٦ — ٢١) .

فلو قبلنا ذلك ، فان هذا يعنى أن التاريخ قد انتهى بمجىء المسيح . وأن المعركة قد انتهت بالفوز ، وأنه لم يتبق سوى فلول قليلة تقف موقف المعارضة ، ستكتسح نهائيا . ان ذلك يعنى أننا نعيش فى هذه اللحظات فى « أواخر الأيام » ، وذلك طبقا لما أسماه أحدهم « خاتمة التاريخ » .

ان هذه الوجهة شائعة وصحيحة ، ولكنها تسبق الحوادث .

فالشر منتشر كما هو ، والانسان عاص كما كان ، والعالم لم يزل رافضا للمسيح ، ولم يقبله بعد كملك . قد نكون فى « أواخر الأيام » ، ولكن الفجر ما زال بعيدا عنا .

٣ — هناك أيضا من يفسرون كلمة «قريب» فى ضوء التاريخ . فالتاريخ لا حدود له . ولتوضيح ذلك قالوا ، فلنفرض أننا نشبه الزمن كله بعمود فى ارتفاع مسلة كليوباترا ، ووضعنا طابع بريد واحد فى أعلاه ، فان التاريخ المدون يمثل طول ذلك الطابع بينما يمثل التاريخ الغير مدون أى عصور ما قبل التاريخ باقى طول ذلك العمود . فعندما نفكر فى الزمن بهذه الطريقة ،

فان كلمة « قريب » تضحى كلمة نسبية . فقد كان المرنم على حق حرفيـــا وتاريخيا عندما قال : « ان الف سنة فى عينى الله كهـــزيع من الليل » (مزمور ٩٠ : ٤) . وفى هذه الحـــالة فان كلمة « قريب » قد تعنى قرونا وأجيالا ، دون أن يكون هناك أى خطأ فى استعمالها .

ولكن من المؤكد أن كتاب الكتاب لم يقصدوا استعمال كلمة « قريب » بهذا المعنى ، لأنهم لم يكن عندهم فكرة عن التـــــاريخ بهـــذا المعنى المشار اليه .

٤ — توجد خلف كل ذلك حقيقة بسيطة . وهى حقيقة شخصية ولا يمكن التهرب منهـا . فبالنسبة لـكل واحد منا « الوقت قريب » ، ولكل واحد منا الساعة تجرى وتقترب . فيمكن أن يقال عن كل انسان انه سيموت . فالرب قريب لـكل واحد منا . ونحن لا يمكن أن نتنبأ بالساعة أو اليوم الذى سنذهب فيه لملاقاة الهنـــا ، ولذلك فالحياة يجب أن نحيـــاها فى ظل الأبدية .

قال بطرس « انما نهاية كل شىء قد اقتربت » . قد يـكون المفـكرون الأوائل على خطأ عندما ظنوا قديما أن نهاية العـالم قد دنت ، ولكنهم تركوا لنا تحذيرا ، وهو أن النهاية قريبة من كل شخص منا ، وأن هذه التحذيرات لهى بالغة الأهمية بالنسبة لنا ، نظرا لتلك الحقيقة : الآن كما كانت قديما .

الحياة فى ظل الأبدية

فَتَعَقَّلُوا وَٱصْحُوا لِلصَّلَوَاتِ . وَلٰـكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَكُنْ مَحَبَّتُـكُمْ بَعْضِـكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً لِأَنَّ ٱلْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ ٱلْخَطَايَا .

(٤ : ٧ ب ، ٨)

عندما يتحقق الانســان من قرب مجىء المســيح ، فانه يخضع نفسه

لسلوك معين . وبطـــرس يطـــالب هنـــا بأربعة أشيـــاء علـــى المسيحى أن يتبعهـــا :

١ ــ انه يقول اننا يجب ان (نتعقل) . والعقل الذى يستخدمه بطرس اشتقه اليونان من الفعل الذى يعنى (يحفظ سالما) واهم ميزة للتعقل رؤية الأمور فى وضعها الصحيح ، ان التعقل يؤدى الى معرفة ما هو مهم وما هو غير مهم ، فهـــو لا يقود الى الاندفاع الفجائى أو الانجراف فى تيار الأهواء ، وهو لا يؤدى الى التعصب الغير متزن ولا الى عدم المبـــالاة والاهمال . اننا نرى الأمور فى وضعها الصحيح ، ونزنها بميزانها الدقيق فقط عندما نراها فى ضوء الابدية .

فعندما يحل الله مكانته الــلائقة به فى حياتنـــا ، نجد أن كل الأشيـــاء تحتل أيضا مكانها الصحيح .

٢ ــ انه يقول أيضا اننا يجب ان (نصحوا) أى أن نكون يقظين . ان هذا الفعل فى الأصل يعنى « حالة الصحو » ، على النقيض من « حالـــة السكر » ، ثم أصبح بعدئذ يعنى « التصرف بعقل وفطنة » . ان ذلك لا يعنى ان المسيحى يفقد فرحه ليصبح فى جو من الــكآبة ، بل يعنى أنه لا يصح أن يتصرف فى الحياة تصرفات طائشة خالية من الشعور بالمســـئولية . فأخذ الأمور على محمل الجد يعنى تقدير أهمية الاشياء ، وتقدير عواقبها فى الزمن الحاضر والأبدية ، والاحساس بنتائجها وأثرها علينا وعلى الآخرين ، وعدم اعتبار الحياة ملهاة نتلهى بها بل تقديرها حق قدرها ، مع الايمـــان بأننـــا مسئولون عن كل ما نعمل ، وأننا سوف نعطى حسابا عن كل عمل خيرا كان أم شرا .

٣ ــ انه يقول اننا يجب ان نعمل ذلك حتى نصلى كمـــا ينبغى . أى كأن بطرس يريد أن يقول اننا يجب أن تكون لنا حياة الصلاة . فعندما يكون عقل الانسان غير متزن ، وعندما يسمح بالأحقـــاد أن تتملك عليه ، وعندما يتصرف فى الحيـــاة تصرفا طائشا أنانيا ومتجـــردا من المسئولية ، فمن الواضح انه لا يمكنه أن يصلى كما يجب . انه سوف لا يعرف ماذا يطلب ، وبذلك يطلب رديئا . اننا نتعلم الصلاة ، عندما نتصرف فى الحيـــاة بحكمة وتعقل ، عندئذ نقول : « لتكن ارادتك » فى كل شىء . ان أهم داع للصلاة

هو الرغبة الملحة ، لا لنحصل على ما نشتهى ، بل أن نكتشف ارادة الله من نحونا .

٤ — انه يقول (لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة) . أى انه يحثنا على ان نداوم المحبة لبعضنا البعض . والكلمة التى يستخدمها بطرس ليصف المحبة المسيحية لها معنيان : انها تعنى المحبة الدائمة الثابتة الغير متقلبة . ان محبتنا يجب الا تتقلب . ولكن الكلمة تعنى أكثر من ذلك ، انها تعنى المحبة التى تمتد الى الأمام كما يتقدم العداء فى الجرى . ويذكرنا كارنفيلد .أن ذلك يعنى « انه عندما يقفز الحصان تكون كل عضلة فى جسمه فى وضع مشدود ، كالرياضى » ، ان أمامنا هنا حقيقة مسيحية اساسية . فالمحبة المسيحية ليست رد فعل عاطفى سهل . انها تتطلب بذل جهد عقلى وروحى . انها تتطلب تحريك كل عصب وعضلة بالمعنى الروحى . انها تعنى محبة أولئك الغير جديرين بالحب ، انا تعنى المحبة برغم الاساءة والاهانة ، انها تعنى المحبة حتى عندما تقابل بالجفاء .

ان المحبة المسيحية هى المحبة الثابتة ، التى تتطلب كل جهد بشرى .

ولذا ، فان المسيحى فى ضوء الأبدية يجب أن يحفظ نفسه فى حالة التيقظ والتعقل ، وأن يكون مصليا ومحبا .

قــوة المحبــــــة

يقول بطرس : « ان المحبة تستر كثرة من الخطايا » . ان هذا القول يعنى ثلاثة أشياء ، ولا داعى للمفضالة بينها ، فكلها تؤدى المعنى ، وكلهـــا قيمة .

١ ـــ ان القول قد يعنى أن محبتنا يمكن أن تتغاضى عن خطايا كثيرة . قال صاحب الأمثال : « المحبة تستر كل الذنوب » (أمثال ١٠ : ١٢) .

فان احببنا شخصا ، فانه من السهل علينا أن نغفر له . وذلك لا يعنى أن المحـــبة عمياء ، ولكن المحبة تتجه الى الشخص بكل ما فيــه ، حتى الى اخطائه . ان المحبة تساعـــد على الصبر . فمـــن السهل أن نصبر علـــى أخطاء أولادنا من أن نحتمل أولاد الغرباء . فان كنا حقا نحب الآخرين ، فاننا يمكن أن نتقبل أخطاءهم ونحتمل سخافاتهم ، حتى أننا نصبر على قساوتهم وجفوتهم أيضا . فالمحبة حقا تستر كثرة من الخطايا .

٢ ـــ قد يعنى أيضا أنه اذا كنا نحب الآخرين ، فان الله يتغاضى عن كثير من الخطـــــايا التى فينـــا . فى الحياة صنفان من الناس . فقد نصادف أناسا لا يرتكبون أخطاء جسيمة تكون عرضـــة لحديـــث الناس ، فليس فى حياتهم ما ينتقدون عليه ، انهم مستقيمون ، أخلاقيون ومحترمون ، ولكنهم قليلوا العطف ، ولا يستطيعون أن يفهموا لماذا يرتكب الآخرون أخطاء ، ولذا فهم جامدون غير مرنين . ونقابل صنفا آخر من النـــاس يرتكبون أخطـــــاء عديدة ، ويقعون تحت تأثير العادات الضارة الغير لائقة ، التى تجعل الآخرين يتقولون عليهم بما لا يجب ، ولكنهـــم شفوقون عطـــوفون ، انهم يغفـــرون ويساعدون ويعملون على راحة الآخرين ، ولا يدينونهم . ان القلب يعطـــف على النوع الثانى من الناس ، ونقول أيضا ان الله هكذا . فالله يحب الانسان الذى يحب ويساعد الآخرين .

٣ ـــ ان القول قد يعنى أيضا : أن المحبة : تستر كثرة من خطايانـــا . ان ذلك القول لهو صحيح كل الصحة . ان معجزة النعمة هى أنه برغم أننا خطاة فالله أحبنا ، ولهذا أرسل ابنه .

انه قول مبـــارك ، وكيفما فسرناه ، فما زالت المحبة تستر كثرة من الخطـــايا .

المسئولية المسيحية

كُونُوا مُضِيفِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضــاً بِلَا دَمْدَمَةٍ . لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَـذَ مَوْهِبَةً يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَوُكَلَاءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ .

(٤ : ٩ و ١٠)

فى هذا الجزء من الرسالة ، يسيطر على عقل بطرس التفكير فى قرب النهاية . ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أنه لا يحث الناس نتيجـــة لذلك أن يبتعدوا عن العالم ويكرسوا جهودهم فى شبه حملة خاصة لخلاص نفوسهم ، بل انه يحثهم على أن يذهبوا للعالم لخدمة الآخرين . ان قرب النهـــاية كان مدعاة لا للانفصال عن العالم فى محاولة كسب خلاص قائم على الأنانية ؛ بل ان بطرس كان يعتبره سببا فى الاهتمام بالعـــالم فى محاولة جديـــة لخدمـــة الآخرين .

فبطرس يرى أن الانسان السعيد هو الذى جاءتـــه النهاية لا تجـــده منعزلا فى صومعة ، أو متعبـــدا فى دير ، بل منهمكا فى العــــالم فى خدمـــة بنى جنسـه .

١ ـــ ان بطرس يحث الشعب ـــ قبل كل شىء ـــ أن يكون مضيافا . فلولا كرم الضيافة لما وجدت الكنيسة الأولى. فالمرسلون الأوائل الذين كانوا يسافرون لنشر الانجيل لم يكن لهم مكان ينزلون فيه لولا ضيافـــة المسيحيين لهم .

فالفنادق الموجودة وقتئذ كانت مكلفة ، وقذرة ، وموبوءة . فلولا ضيافة المسيحيين الأوائل ، لفشل عمل المرسلين الأوائل . وهكذا نجـــد أن بطرس

ينزل عند سمعان رجل دباغ (أعمال ١٠ : ٦) ، وبولس ورفاقه ذهبوا الى مناسون القبرسي وهو تلميذ قديم (أعمال ٢١ : ١٦) وكثيرون غيرهم اذ فتحوا بيوتهم للرسل . سهلوا عمل الكرازة المسيحية .

ولكن الضيافة لم تكن قاصرة على المرسلين فقط ، لقد كانت الكنائس المحلية فى حاجة اليها . لم تكن هناك أية مبانى للكنائس لمدة مائتى عام تقريبا منذ بدء انتشار المسيحية ، ولذا فقد كانت الكنيسة مضطرة للاجتماع فى منازل أولئك الذين كانوا على استعداد أن يقدموا بعض الحجرات من منازلهم ، لهذا الغرض . ولذا نقرأ عن الكنيسة التى كانت فى بيت اكيلا وبريسكلا (رومية ١٦ : ٥ ، ١ كورنثوس ١٦ : ١٩) ، والكنيسة التى كانت فى بيت فليمون (فليمون ٢) فلولا أولئك الذين فتحوا بيوتهم ، ما كانت الكنيسة قد اجتمعت للعبادة على الاطلاق .

فلا عجب اذن ، ان كان يذكر مرارا وتكرارا ، أن واجب الضيافة محتم على المسيحيين . فالمسيحى يجب أن يعكف على اضافة الغرباء (١ تيمو ثاوس ٣ : ٢) ، وارامل الكنيسة يجب أن يضفن الغرباء (١ تيمو ثاوس ٥ : ١٠) .

والمسيحى لا يصح أن ينسى اضافة الغرباء وأن يذكر ان بها (بالمحبة) اضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون (عبرانيين ١٣ : ٢) . والأسقف يجب أن يكون مضيفا للغرباء (تيطس ١ : ٨) ، ويجب أن يذكر أنه قيل لأولئك الذين على اليمين : « كنت غريبا فآويتمونى » ، وللذين على اليسار « كنت غريبا فلم تأوونى » (متى ٢٥ : ٣٥ و ٤٣) .

فقد كانت الكنيسة فى البداية تعتمد على كرم ضيافة أعضائها ، وليومنا هذا ، ان أعظم هبة يمكن أن تقدم هى اضافة البيت المسيحى لشخص غريب فى مكان غريب .

٢ ــ أى موهبة يتمتع بها الفرد ، يجب أن يضعها طوعا واختيارا لخدمة المجتمع . هذه فكرة مالوفة فى العهد الجديد ، يفصلها بولس فى (رومية ١٢ : ٣ ــ ٨ ، ١ كورنثوس ١٢) . فالكنيسة فى حاجة الى كل موهبة يتمتع بها كل فرد .

قد تكون موهبة فى الحديث ، أو الموسيقى ، أو القـدرة على زيارة الآخرين . وقد تكون مهـارة خاصة يمكن استخدامها فى خدمة الـكنيسة . وقد تكون منزلا او نقودا يمتلكها احدهم . ان اى موهبة أو عطية قد توضع تحت تصرف الكنيسة .

والمسيحى يجب أن يعتبر نفسه وكيلا لله . فقد كان الوكيل يقوم بوظيفة هامة فى العـالم القديم . قد يكون عبـدا ، ولكن كل ما يملكه سـيده تحت تصرفه . لقـد كان هناك نوعان من الوكلاء : الموزع الذى كان مسئولا عن كل ما يتعلق بتصريف الشـئون المنزلية والذى يوزع المؤن المنزلية ، وشريف الأرض الذى كان مسئولا عن أملاك سيده ، والذى كان يمثل سيده امام المستأجرين . لقد كان الوكيل يعلم جيدا انه ما من شىء تحت سيطرته ملك له ، ولكن كل شىء ملك لسيده . وكان لا يملك تنفيذ اى شىء سوى بعد استشارة سيده ، وهو مسئول عن كل ما يعمل أمام سيده .

والمسيحى يجب أن يقتنع تماما بأن كل ما يمتلكه من متـاع مادى أو صفات شخصية ليس لذاته ، بل أن الكل لله ، وانه يجب أن يستخدم ما عنده كما يريد الله منه أن يعمل ، وانه مسئول مسئولية تامة أمام الله . ان كان الأمر كذلك ، فان المسيحى يجب أن يتأكد أن عليه اسـتخدام كل ما يملك فى خدمة الآخرين .

مصدر وغاية كل كفاح مسيحى

إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ . وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ آمِينَ .
(٤ : ١١)

يتجه تفكير بطرس هنا الى وجهين من أوجه نشاط الكنيسة المسيحية ، النشاط التبشيرى ، ونشاط الخدمة العملية . والـكلمة التى يستخدمها بطرس للتعبير عن « أقوال » هى كلمة (Logia) ، وهى تستخدم للدلالة

من أمور الهية.فالوثنى كان يستخدمها بقصد التعبير عن الاعلانات التى تأتيه من الآلهة أو هكذا اعتقد ، والمسيحى يستخدمها للتعبير عن كلمات الوحى وكلمات المسيح . ولذا فكانى ببطرس يقول : « ان كانت تقع مسئولية التبشير على أحد ، فعليه الا يبشر مقدما آراءه الخاصة أو يظهر اى تحيز ، بل عليه أن يبشر بالرسالة التى يمنحها الله اياه . » ، قيل عن أحد المبشرين العظام انه كان « يستمع الى الله قبل أن يتكلم الى الشعب » ، وقيل عن مبشر آخر انه « عندما كان يبشر ، كان يسكت قليلا أثناء تبشيره ، وكأنه يستمع لصوت يأتيه من بعيد » . هنا يكمن السر فى قوة الكرازة .

ثم أن بطرس يذهب للقول ، انه اذا كان مسيحى يقوم بتأدية اية خدمة مسيحية ، فعليه أن يؤديها (كما من قوة يمنحها الله ، وكأنه يقول : (عندما تقوم بخدمة مسيحية ، لا يصح أن تؤديها كما لو كنت تتفضل بالقيام بخدمة شخصية أو تتبرع مما عندك ، بل يجب أن تؤدى الخدمة وانت مدرك تماما انك تعطى ما أعطاك الله) .

ان تفكيرا كهذا يحفظ المعطى من كل كبرياء ، ويترك للعطية كرامتها .

ان الهدف من كل شىء أن يتمجد الله . ان هدف الكرازة ليس الاعلان عن المبشر ، بل تقريب الناس من الله . وليس الهدف من الخدمة تقديم الشكر للمعطى واذاعة صيته ، بل لتوجيه نظر الناس الى الله .

يذكرنا سلوين أن شعار عهد البركة للرهبان يكون من أربعة حروف وهى (LOGD) والتى تعنى باللاتينية (ليتمجد الله فى كل شىء) . أن الكنيسة تعود لمجدها ، وتكثر النعمة لها ، اذا كف أعضاؤها عن تمجيد أنفسهم ، وعملوا بدلا من ذلك على تقديم المجد لله . ويجدر بنا أن نضع هذه الحروف أمامنا (LOGD) دائما حتى لا ننسى أن كل شىء يجب أن يعمل لمجد الله ، ولانكار الذات .

حتمية الاضطهاد

أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ . . بَلْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِيحِ افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضاً مُبْتَهِجِينَ .

(٤ : ١٢ و ١٣)

من الطبيعى ان يخشى الأمميون الاضطهاد اكثر من اليهود . فالاممى العادى لم يختبر الاضطهاد ، ولكن اليهود قد مروا فى اضطهادات كثيرة ، فالاضطهاد جزء من تراثهم . ولقد كان بطرس يكتب لمسيحيين كانوا امميين قبلا ، ولذا كان يحاول مساعدتهم فى فهم حقيقة الاضطهاد . ليس من السهل ان يصبح الانسان مسيحيا . فالحياة المسيحية تتطلب العزلة ، وقد تؤلب الآخرين على الشخص المسيحى وتجر عليه المشاكل والاضطهاد ، وتجعله يضحى بالكثير . ولذا يحسن التفكير فى بعض المبادىء الهامة ، التى يلفت بطرس نظرنا اليها .

١ — يعتقد بطرس أن الاضطهاد ضرورى . فالانسان الطبيعى دائما يكره وينبذ ، ولا يقبل بارتياح كل ما هو مختلف ؛ والمسيحى بالضرورة مختلف عن العالم . فهذا الاختلاف الذى يظهر فى الحياة المسيحية ، يضفى على المسألة نوعا من الحدة والتوتر . فالمسيحى يأتى بمثل جديدة أمام العالم ، وهو يواجه العالم مقدما المسيح بطريقته الخاصة . أى أن المسيحى يقوم مقام الضمير فى اى مجموعة من البشر يتعامل معها ، وكثيرون يودون اسكات لذعات الضمير . فالصلاح الذى يبدو فى حياة المسيحى يعتبر تذى واساءة ، فى عالم يعد الصلاح عقبة فى طريقه .

٢ — من رأى بطرس أن الاضطهاد امتحان . انه امتحان من زاويتين . فاخلاص اى شخص لأى مبدأ يمكن اختباره برغبة الشخص فى أن يضحى ويتألم فى سبيل هذا المبدأ ، ولذا فان اى نوع من الاضطهاد هو بمثابة

امتحان لايمان الفرد . ولكن من زاوية اخرى يمكننا ان نقـــول ان المسيحى الحقيقى فقط هو الذى يضطهد . فالمسيحى الذى يشارك العالم والذى يخلط ويجمع فى حياته بين النقيضين ، سوف لا يتعـــــرض حتما للاضـــطهاد . فالاضطهاد ، من الناحيتين ، هو امتحان لصحة ايمان الشخص .

٣ ـــ والآن نتجه بعيـــوننا الى اشياء عظمى ، فالاضطهاد هو مشاركة فى آلام يسوع المسيح . عندما يتألم ويضحى انسان من اجل مسيحيته ، فانه يسلك نفس الطريق التى سلكها سيده ، ويشـــارك فى حمل الصليب الذى حمله سيده ايضا . ان هذه الفكرة مألوفة فى العهد الجديد . « ان كنا نتألم معه لـــكى نتمجد ايضا معه » . (رومية ٨ : ١٧) . وان اشتياق بولس أن يدخل (فى شركة آلام المسيح) (فيلبى ٣ : ١٠) . « أن كنا نصبر ، فسنملك ايضا معه » (٢ تى ٢ : ١٢) .ان كنا نذكر ذلك : فان اى تضحية أو آلام فى سبيل المسيح تعد امتيازا وليست عقوبة .

٤ ـــ الاضهاد طريق المجد .والصليب هو الطريق الى التاج .ولا يمكن ان يكون المســـــيح مديونا لأحد ، فاكليله وفرحه معـــدان للشخص الذى اتبعه ولم يحد عنه فى جميع الظروف حلوها ومرها .

بركات الآلام من اجل المسيح

إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ لأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ . أَمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ فَيُجَدَّفُ عَلَيْهِ وَأَمَّا مِنْ جِهَتِكُمْ فَيُمَجَّدُ . فَلاَ يَتَأَلَّمْ أَحَدُكُمْ كَقَاتِلٍ أَوْ سَارِقٍ أَوْ فَاعِلِ شَرٍّ أَوْ مُتَدَاخِلٍ فِي أُمُورِ غَيْرِهِ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ كَمَسِيحِيٍّ فَلاَ يَخْجَلْ بَلْ يُمَجِّدُ اللهَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .

(٤ : ١٤ ـــ ١٦)

يتحدث بطرس هنـــا عن أمور عظمى . فهـــو يقول ، انه ان كان أحد يتألم من أجل المسيح فان روح المجـــد يحل عليه . وقد وردت هذه العبارة

باليونانية لتعنى حرفيا (وجود المجد يحل عليكم) ، ونحن نعتقد أنها تعنى شيئا واحدا . فاليهود كانوا يعتقدون فيما يسمونه (الشكينة) وهى الوهج المضىء عند حضور الله ذاته . وأننا نجد ذلك بوضوح فى العهد القديم . فموسى يقول : « وفى الصباح ترون مجد الرب » (خروج ١٦ : ٧) « وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام » أثناء تقديم الناموس لموسى (خروج ٢٤ : ١٦) وفى خيمة الاجتماع ، كان الله يجتمع مع شعب بنى اسرائيل فيتقدس بمجد الرب (خروج ٢٩ : ٤٣) . وعندما اكملت خيمة الاجتماع « غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن » . (خروج ٤٠ : ٣٤) . وعندما جىء بتابوت العهد الى هيكل سليمان ، نقرأ عن أن « السحاب ملأ بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب ، لأن مجد الرب ملأ بيت الرب » (ملوك الأول ٨ : ١٠ و ١١) .

من ذلك نرى انه كثيرا ما نجد فكرة (الشكينة) أى مجد الله المضىء بنور منظور ، تتكرر باستمرار فى العهد القديم .

واعتقاد بطرس هو أن شيئا من هذا القبيل يحل على الشخص الذى يتألم لأجل المسيح . وعندما كان استفانوس يحاكم ، وعندما أصبح من المؤكد انه سيحكم عليه بالموت،كان كل من ينظر اليه ، يرى وكأن وجهه وجه ملاك (أعمال ٦ : ١٥) . فالتعبير باسم المسيح يضحى مجدا ، نفس مجد الله يحل على الشخص المتألم لأجل المسيح .

ويذهب بطرس الى القول اننا يجب أن نتألم كمسيحيين ، (وليس كفاعلى شر) والشرور التى يبرزها بطرس فى هذا المجال واضحة ، حتى يصل الى آخرها ، وهى باليونانية (allotriepiskopos) ، ولم يعثر على هذه الكلمة فى اليونانية ، وقد يكون أن بطرس الفها . وسنحاول أن نكتشف معناها . انها قد تحوى ثلاثة معان ، كلها تصلح . ان الكلمة مصدرها كلمتان . كلمة (allotrios) التى تعنى « ذلك للآخرين » ، وكلمة (episkopos) التى تعنى «ينظر أو يتطلع الى» ، والكلمة لذلك تعنى النظر أو التطلع فيما يخص الآخرين .

١ - والنظر الى ما يمتلكه الآخرون قد يعنى اشتهاءه . وهذا هو

تفسير الكتاب المقدس اللاتينى لتلك الكلمة ، كما فسرها « كلفن » كذلك ، فقد فسرت على أساس أن المسيحى لا يجب أن يكون طماعا .

٢ ـــ فالنظر الى ما يمتلكه الآخرون قد يعنى الاهتمام الزائـــد بشئون الآخرين ، والتدخل الغير مرغوب فى أمورهم . وهـــذا هو أكثر المعـــانى صحة . فهناك مسيحيون يتدخلون تدخلا غير محبب فى شـــئون الآخرين ، وبذلك يحدثون ضررا بالغا بتدخلهم الذى لا يتسم بالحكمة أوحسن التصرف، أو بالنقـــد والاعتراض على أمور الآخرين . فالمسيحى لا يصح أن يكون هكذا ، ونحن نعتقد أن هذا المعنى من أفضل المعانى المقدمة لشرح هـــذه الكلمة .

٣ ـــ ولكن هناك احتمال ثالث . فكلمة allotrios تعنى (ما يخص شخصاً آخر) ، أى (كل ما هو أجنبى وغريب عن النفس) . فلو فسرنـــا الكلمة على هذا الأساس ، فان الكلمة تعنى التطلع الى كل ما هو غريب وأجنبى عن النفس . وبالنسبة للمسيحى ، فان هـــذا يعنى ، ســـوء تصرفه وقيامه بأمور لا تليق به كمسيحى . وهذا يعد تحـــذيرا للمسيحى ألا يشغل نفسه باهتمامات أو مطامع مادية أو أى عمل يعطلـــه عن سيره فى الحياة المسيحية .

ان كل المعانى الثلاثة محتملة ، وكل التحذيرات الثـــلاثة مناسبة ، ولكننا نعتقد أن المعنى الثالث هو أنسبها . فبطرس يوصى بأنه اذا كان لابد من أن المسيحى يتألم لأجل المسيح ، فانه يجب أن يتألم بحيث يمجـــد الله والاسم الذى دعى عليه ، فسلوكه وحياته أكبر دليل على أنه لم يكن يستحق الألم الذى تعرض له . فبسلوكه فى الحياة ، وبطريقته فى تحمل الآلام ، يمجد المسيحى الاسم الذى ينتسب اليه .

تسليم كل الحياة لله

لِأَنَّهُ الْوَقْتُ لابتِدَاءِ الْقَضَاءِ مِنْ بَيْتِ اللهِ . فَإِنْ كَانَ أَوَّلاً مِنَّا فَمَا هِيَ نِهَايَةُ الَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ اللهِ . وَإِنْ كَانَ الْبَارُّ

بِالْجُهْدِ يَخْلُصُ فَالْفَاجِرُ وَالْخَاطِىءُ أَيْنَ يَظْهَرَانِ . فَإِذاً الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ .

(٤ : ١٧ — ١٩)

يؤكد بطرس ضرورة عمل الصـــلاح ، لأن الدينونة قادمة . والقضاء سيبدأ من بيت الله . فحزقيال يسمع صوت الله ، معلنــــــا الدينونة على شعبه ، فالصوت يقول : « ابتدئوا من مقدسى » (حزقيال ٩ : ٦) . فحيث تعظم الامتيازات الممنوحة ، يكون القضاء أشد . واذا كان القضاء سيشمل كنيسة الله ، فماذا سيكون مصـــــير أولئك الذين قسوا قلوبهم ، ورفضوا الدعوة المقدمة من الله ؟! وبطـــرس يـــدعم أقواله مستشهدا بمـــا جاء فى (أمثال ١١ : ٣١) « هوذا الصديق يجازى فى الارض فكم بالحرى الشرير والخاطىء » .

واخيرا ، فان بطرس يناشد شعبه الاستمرار فى عمل الخـــير ، وان يستودعوا حياتهم لله مهما يحدث لهم ، فهو الخالق الذى يجب ان يتــكلوا عليه . والــكلمة التى يستخدمها بطرس للتعبير عن تسليم الحياة لله تعبر عن (ايداع نقود عنـــد صديق موثوق فيه) . ففى الأيام الغابرة لم يكن هناك بنوك ، وكانت هناك أماكن قليلة آمنة يمكن ايداع النقـــود فيهـــا . ولذا ، فقبـــل أن يقوم الانسان برحلة ، كان دائمـــا يترك نقوده عند صــــديق مؤتمن . وهذه الثقة كانت تعد من أقدس الأشياء فى الحياة . وكان الصديق مرتبطا برد المبلغ ، وذلك حسب ما يتطلبه الشرف والدين .

يحكى لنا هيرودوتس (٦ : ٨٦) قصة عن هذه الثقة . فقد اتى شخص ماليزى الى اسبرطة ، لأنه كان قد سمع عن شرف أهل أسبرطة ، فأودع ماله عنـــد أحدهم وكان يدعى (جلوكس) . وقال له انه فى الوقت المناسب سيأتى أولاده ويطالبون بالنقــــود ، ويأتون بما يثبت شخصيتهم بما لا يدع مجالا للشك . وقد مر الوقت ، وجاء الأولاد . فأنكر (جلوكس) اى مال أودع فى حيازته ، وقال انه لا يتذكر شيئا من هذا القبيل ، وطلب مهلة لمـــدة أربعة

شهـــور ليفـــكر فى الأمر . فرحل الأولاد وهم حزانى . فاستشار جلوكس الآلهة ، فحذروه من أن يعمل عمـــلا كهذا ، وانه يجب ان يعطيهم النقود ، فعمل كذلك وأرجع النقود ، ولـــكنه مات بعد قليل ، وماتت كل اسرته ، ولم يتبق من كل عائلته فرد واحد فى وقت هيرودوتس ، لأن الآلهة غضبت منه من مجرد تفكيره فى خيانة الثقة التى منحت له . فمجرد التفكير فى خيانة العهـــد كان يعد خطية مميتة .

فلو استودع شخص حياته لله ، فان الله لا يمكن أن يخيب امله . وان كانت ثقة كهذه يقدسها الناس ، فكم وكم بالنسبة لله ؟

وقد قال يســـوع نفس هـــذه الـــكلمات حين قال : « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » (لوقا ٢٣ : ٤٦) . فيسوع قد استودع حياته بلا تردد فى يد الله ، واثقا أن الله لا يمكن ان يتركه أو يخيبه . وهكذا نحن . فما زالت النصيحة القديمة أفضل النصائح ، وهى (ثق بالله وأعمل الصلاح) .

الاصحاح الخامس

شيوخ الكنيسة

أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن . ارعوا رعية الله التى بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط . ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى .

(٥ : ١ — ٤)

هنــاك فقرات قليلة فى الكــتاب توضــح اهمية وظيفة الشيوخ فى الكنيسة الأولى . ان بطرس يكتب خاصة الى الشــيوخ ، وهو الذى يعد رئيس الرسل ، لا يتردد فى أن يلقب نفسه أخوكم الشيخ . وانه لجدير بنا أن نتأمل قليلا فى تاريخ وأصل تلك الوظيفة . والتى تعدمن أقدم وأهم الوظائف فى الكنيسة .

١ — ان هذه الوظيفة لهــا أصل يهودى . ان بداية ظهور هــذه الوظيفــة يرجع للوقت الذى كان بنو اسرائيل فيه يتجـــولون فى البرية فى طريقهم نحــو أرض الميعــاد . فعندما شعر موسى بثقل مسئولية قيــادة الشعب على كاهله وحده ، اختار سبعين شيخا جعل الرب روحه عليهم (١١ : ١٦ — ٣٠) وبعد ذلك أصبح الشيوخ من العلامات المميزة للتراث اليهودى ، فنجــد أن الشيوخ « أصدقاء للأنبياء » (ملوك الثانى ٦ : ٣٢) « وكمستشارى الملوك » (ملوك الأول ٢٠ : ٨ ؛ ٢١ : ١١) ، وزمــلاء للرؤساء فى تنفيذ وتصريف شئون الأمة (عزرا ١٠ : ٨) ، وكان لكل قرية ومدينة شيوخها الذين يجتمعون عند باب القــرية أو المدينة لتنفيذ العدالة

(تثنية ٢٥ : ٧) . وكان الشيوخ رؤساء المجمع ، انهم لم يقوموا بخدمة الوعظ ، ولكنهم كانوا مسئولين عن نظام المجمع والاشراف عليه ، وكانوا يشرفون على أعضائه . وكان الشيوخ أيضا يكونون الشطر الأعظم من السنهدريم ، المحكمة العليا لليهود ، ويذكرون دائما جنبا الى جنب مع رؤساء الكهنة والحكام والكتبة والفريسيين . (متى ١٦ : ٢١ ، ٢١ : ٣٣ ، ٢٦ : ٣و٥٧ ، ٢٧ : ١و٣ ، لوقا ٧ : ٣ ، أعمال ٤: ٥ ، ٦ ، ١١: ١:٢٤) وفى سفر الرؤيا نجد هناك أربعة وعشرين شيخا حول العرش فى السماء . (رؤ ٤ : ٤) . فواضح أن نظام الشيوخ جزء لا يتجزأ من العقيدة اليهودية فى طقسها الدينى والاجتماعى .

٢ — ان لهذه الوظيفة أصل اغريقى . وخاصة فى المجتمعات المصرية ، حيث نجد ان الشيوخ هم قادة المجتمع ، وأنهم مسئولون عن تصريف الشئون العامة ، كما أن مستشارى المدن مسئولون عن تصريف شئون المجتمع فى المدينة . فنجد أن سيدة قد اعتدى عليها تطلب تنفيذ العدالة من الشيوخ . وعندما كان القمح يجمع كضريبة عند زيارة أحد الحكام ، نجد أن الموظفين المسئولين عن ذلك هم « شيوخ الحصادين » وهم يشرفون على اصدار اللوائح العامة ، وتصريف شئون الأرض ، وجمع الضرائب . وفى آسيا الصغرى ، كان يطلق على أعضاء المجالس والشركات لقب شيوخ . وحتى فى المجتمعات الدينية الوثنية نجد أن « شيوخ الكهنة » كانوا مسئولين عن حفظ النظام . ففى معبد (سوكنو بايوس) نجد شيوخ الكهنة يحاكمون كاهنا متهما باطالة شعره ويلبس الملابس الصوفية — وهى تهمة لحقت بذلك الكاهن لأنه ترفه ترفها لا يليق بكاهن .

فقبل أن تأتى المسيحية ، كان هذا اللقب ينم عن الكرامة والوقار عند اليهود وفى العالم اليونانى الرومانى .

وظيفة الشيخ فى المسيحية

وعندما نتجه بأنظارنا للكنيسة المسيحية، نجد أن وظيفة الشيخ وظيفة أساسية . فكانت عادة بولس أن يعين شيوخا فى كل كنيسة بشر فيها ، وانشاها . وقد أقيم الشيوخ فى كل كنيسة فى أول رحلة تبشيرية

(أعمال ١٤ : ٢٣) وقـد ترك تيطس فى كريت ليعين شيـوخا فى كل مدينة (تيطس ١ : ٥) .

وكان الشيوخ مسئولين عن التنظيم المالى بالكنيسة ، فقد سلم لهم . بولس وبرنابا المال المرسـل لاعانة فقراء أورشـليم فى وقت المجـاعة (أعمال ١١ : ٣٠) .

وكان الشيوخ يحتلون المراكز القيادية فى الكنيسة ، فنجدهم يشتركون فى اصدار قرارات مجلس أورشليم ، التى بموجبهـا فتح باب الكنيسة على مصراعيه للأمم ، ومن هذا نفهم أن هؤلاء الشـيوخ كانوا بمثابة رؤساء الكنيسة وقادتها (أعمال ١٥ : ٢ ، ١٦ : ٤) . وعندما جاء بولس فى زيارته الاخيرة لأورشليم ، كان يحدث المشايخ بما تم معه : وهم أيضا الذين اقترحوا عليه الاعمال التى يجب أن يقوم بها . (أعمال ٢١ : ١٨ — ٢٥) .

ومن بين الفقرات المؤثرة فى العهـد الجديد : الفقرة التى يودع فيهـا بولس شيوخ أفسس . فالشيوخ — كمـا وصفهم بولس — هم رعاة لقطيع الله ، ومدافعون عن الايمان . (أعمال ٢٠ : ٢٨ و ٢٩) . ويعلمنا يعقوب أن الشيوخ يقومون أيضا بخدمة الشفاء الالهى فى الكنيسة عن طريق الصلاة والمسحة بالزيت (يعقوب ٥ : ١٤) .

ومن الرسائل الرعوية نفهم أن الشيوخ كانوا حكاما ومعلمين ، وانهم كانوا يتقاضون أجرا عن عملهم فى الكنيسة . (تيموثاوس الأولى ٥ : ١٧ ، عبارة « كرامة مضاعفة » يحسن ترجمتها « أجرة مضاعفة ») .

فعندما يحتل واحد منصب الشيخ فى الكنيسة ، فان شرفا كبـيرا يخلع عليه ، لأنه ينخرط فى سلك اقدم وظيفـة دينية فى العـالم ، والتى يرجع تاريخها فى المسيحية واليهودية الى أربعة آلاف سنة مضت . عندما يأخـذ شخص تلك الوظيفة فان مسئولية كبرى تقع على كاهله ، لانه معين لرعاية قطيع الله ، ولحماية الايمان .

تبعات وامتيازات الشيوخ

وفى هـذه الفقرة يوضح بطرس مجموعة من التبعـات والامتيازات

الممنوحة للشيوخ . ويجب ملاحظة أن كل ما يقـــوله بطرس لا ينطبق على الشيوخ فحسب ، بل على كل من يعمل فى حقل الخـــدمة المسيحية ، داخل وخارج الكنيسة .

فالعضو يجب أن يقبل الوظيفة (طواعية واختيارا) ، ولكن هذا لايعنى أن يتحين الفرص للحصول على تلك الوظيفة ، ولا يعنى قبوله الوظيفة دون فهم ما تنطوى عليه من مسؤلية . ان أى شخص مسيحى يتردد فى قبول أى وظيفة عليا ، لأنه يعلم عدم استحقاقه وعدم جدارته ، صحيح أن الخـدمة المسيحية تنطوى أيضا على نوع من الاجبـــار . فقد قال بولس : « الضرورة موضوعة على فويل لى ان كنـت لا ابشر » (كورنثوس الأولى ٩ : ١٦) . وقال أيضا « محبة المسيح تحصرنى » (كورنثوس الثانية ٥ : ١٤) . ولكن هناك من يتقبلون الوظيفة ويعتبرونها كأنها واجب ممل ، وعبء ثقيل ،كما لو كانت حمـــلا لا يقدرون عليه .

فمن الممكن أن يطلب من شخص القيام بعمل ما ، ومن جانبه فانه يمكن أن يقـــوم به ، ولكنه قـــد يؤديه بطريقة تنم عن مضضه وضيقه ، حتى أنه يفسد كل شيء . ان بطرس لا يقول ان الانسان يجب أن يتهافت على الوظيفة بعـــدم اكتراث أو بروح الغرور ، ولكنه يقول ان كل مسيحى يجب أن يقبل على الخدمة المسيحية بروح التقدير برغم ادراكه بعدم أحقيته .

والشيخ اذ يقبل هـــذه الوظيفة ، (لا يصح أن يكون طامعا فى الربح القبيح) . وهى صفة كان يكرهها الاغريقى كثيرا . كتب (ثيوفراستوس)الروائى الاغريقى العظيم ، فى وصفه لتلك الشخصية التى تتصف بهذه الصفة قائـــلا : « ان الدناءة ـــ كما يمكن ترجمتها ـــ هى الرغبـــة فى الربح القبيح . والشخص الدنىء هو الشخص الذى لا يقدم طعاما كافيا لضيوفه ، بينما يأخذ لنفسه نصيب الأسد » .

وهو يغش النبيذ بالماء ، ولا يذهب للمسرح الا عندما يحصل على تذكرة مجانية ولا توجد عنـــده نقود تكفى لدفع الأجرة ، فيستعير دائما من رفـــاق السفر . وعندما يبيع القمح فانه يستخدم مكيالا قاعه مرتفع الى أعلى ، ومع ذلك يحـــاول تسوية السطح . ويحاول أن يحسب ما تبقى من الطعام بعـــد الغـــذاء لئلا يأكل منه الخدم شيئا . ثم انه يتهرب من تقديم اية هدية عنـــد زفاف أحد معارفه . ان الدناءة صفة قبيحة » .

وواضح انه كان فى الكنيسة الاولى اناس يتهمون المبشرين والخــدام بانهم يحرصون على وظائفهم بسبب الفائدة التى تعـــــود عليهم منهــا . فبولس يعلن مرارا وتكرارا انه لم يشته متاع أحــد ، وانه عمل بيديه ليفى بحاجاته ، وانه لم يثقل على أحد (أعمــال ٢٠ : ٣٣ ، تســـالونيكى الاولى ٢ : ٢٩ ، ١ كورنثوس ٩ : ١٢ ، كورنثوس الثانية ١٢ : ١٤) . ومن المؤكد أن كل المناصب الكنسية قديما ، كانت ذات أجور منخفضة جدا ، والتحــذير الدائم بألا يكون ذوو المناصب محبين « للربح القبيح » يبين انه كان هناك منهم اناس يشتهون مالا أوفر (١ تيموثاوس ٣ : ٣ و ٨ ، وتيطس ١ : ٧ و ١١) . وما يوضحه بطرس هنــا ، وهو جدير بالاهميــة لأنه حقيقى ، أنه ما من شخص مسيحى يقبل منصب او يؤدى خدمة بسبب ما ينتفع به منها . ان رغبته يجب أن تنحصر فيما يقدمه لا فيما يأخذه منها .

ان الشيخ يجب أن يقبل الوظيفة ، ولا يصح أن يكون ســـائدا على الأنصبة ، بل أن يكون راعيا ومثالا للقطيع . ان الطبيعــة البشريــة أحيانــا تفضل الشهرة والقوة على المــال . فهناك اناس يحبون السلطة ، حتى ولو كانت تلك السلطة على نطاق ضيق . فملتون تصور الشيطان مفضلا أن يحكم فى جهنم من أن يخــدم فى السماء . وتحدث شكسبير عــن الانسان المتكبر المتسربل فى ثياب السلطة ، الذى يقوم بأداء حيــل ماكرة تجعل حتى الملائكة تبــكى .

ان أهم ما يميز الراعى هو اهتمامه المتزايد بالرعية ، والقيام علــى التضحية لأجل الخراف . وان اى شخص يقبل أى منصب كنسى بقصــــد الشهرة أو اظهــار السلطة أو التحكم ، فانه يفسد كل شىء .

لقــد قال يسوع لتلاميذه الذين يطمعون فى المناصب : « أنتم تعلمون أن الذين يحسبون رؤساء الامم يسودونهم وأن عظماءهم يسلطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم . بل من اراد ان يصير فيكم عظيما يكون لــكم خادما » . (مرقس ١٠ : ٤٢ — ٤٤) .

المثال الطيب الذى يقدمه الشيوخ

فى عدد (٣) توجد عبــارة يصعب ترجمتهــا ، ومع ذلك فهى عظيمـــة

الاهمية . ففى الطبعة الاصلية وردت العبارة بمعنى أنه لا يصح أن يسود الشيوخ على أنصبة الله . ولكن من الملاحظ أن كلمة (الله) مكتوبة بحروف صغيرة مما يعنى أنها ليست موجودة فى اليونانية ، وان المترجمين قد أضافوها لتوضيح المعنى . وقد فسرناها نحن على أن الشيوخ لا يصح أن يطغوا على أولئك الذين قسم لهم أن يرعوهم .

والعبارة التى وردت فى الطبعة الاصلية بمعنى (أنصبة الله) ذات مغزى خاص :

١ ـــ انها قـــد تعنى « قرعة أو نصيب » . وهى مستخدمة بهـــــذا المعنى (متى ٢٧ : ٣٥) ، الذى يوضح كيف أن الجنود تحت الصليب كانوا يلقون قرعة ليعرفوا من يمتلك ثياب يسوع .

٢ ـــ انها قد تعنى أيضـــا « الوظيفة التى تأتى نتيجة قرعة » . وهى الكلـــمة المستخدمة فى أعمال (١ : ٢٦) والتى تبين كيف أن التلاميذ قـــد ألقوا قرعة ليروا من سيرث وظيفة يهوذا الخائن .

٣ ـــ انها تعنى كـــذلك « الميراث المقسوم لشـــــخص ما » ، وهى مستخدمة فى (كولوسى ١ : ١٢) ، حيث نجد الحديث عن مـــيراث القديسين

٤ ـــ وفى اليونانية القديمة ، تعنى الكلمة غالبا « قطعة أرض مقسمة على المواطنين بواسطة السلطات المدنية » .

واذا حاولنا تفسير ذلك نقول ان وظيفـــــة الشيوخ وأية وظيفة أخرى لا تعطى لنا بسبب اى استحقاق فينا ، انها دائما مقسومة لنا من الله . انها ليست شيئا نستحقه ، انها شىء يمنح لنا بنعمة الله .

ولكننا يمكن أن نذهب الى أبعد من ذلك . أن « كليروس » تعنى شيئا مقسوما ، انهـــا الشى المعين لأى انسان . والآن فى (تثنية ٩ : ٢٩) نقرأ أن اسرائيل هو ميراث الله ، والكلمة المستعملة هى (Kleros) اى أن اسرائيل هو الشعب المخصص لله ، والمكرس له ، بارادة الله واختياره .

ان (اسرائيل) اكليروس الله ، والكنيسة اكليروس الشيخ ، فكما أن (اسرائيل) معينة لله ، فكذلك واجبات الشيخ فى الكنيسة مقسومة له ومرتبة له . ان هذا يعنى أن موقف الشيخ أو أى شخص يحتل أى منصب كنسى فى الخدمة المسيحية ، من شعبه ، تماما كموقف الله من شعبه .

ثم هناك فكرة اخرى عظيمة . (فى عدد ٢) توجد عبارة فى المخطوطات اليونانية لم ترد فى الطبعة الاصلية . وقد ترجمناها كما يأتى :

« ارعوا رعية الله التى بينكم نظارا لا عن اضطرار بل بالاختيار (كما يريد منكم الله) » والعبارة التى ترجمناها « كما يريد منكم الله) وهى تعنى باليونانية بكل بساطة (مثل الله) ، فبطرس يقول للشيوخ « ارعوا رعية الله كما يرعاها الله » ، فكما كان اسرائيل من نصيب الله ، فالناس الذين نخدمهم فى الكنيسة أو أى مكان آخر هم من نصيبنا ، وموقفنا منهم يجب أن يكون كموقف الله ، اننا يجب أن نرعاهم كالله .

يا لها من رؤيا مجيدة ! يا له من مثال طيب ; ويا له من واجب مقدس ! ان واجبنا أن نظهر للناس طول اناة الله ، وغفرانه ، ومحبته العاملة لخلاصنا ، وعطيته التى لا يعبر عنها . ان الله قد عين لنا عملا لنقوم به ، ولذا فاننا يجب أن نقوم به كما يقوم به الله . هذا هو اسمى مثال للقيام بالخدمة المسيحية فى الكنيسة .

ذكريات عن المسيح

ان موقف بطرس — وهو يستعرض تلك الفترة — من اجمل المواقف . فهو يبدأ الحديث مع من يتكلم اليهم بالقول « أنا اخوكم الشيخ » ، انه لا يتحدث بتعال عليهم ، انه يحدثهم كزميل لهم . وانه لا يعزل نفسه عنهم وكأنه اسمى منهم . انه يبين انه شريك لهم فى الاختبار المسيحى . والمشاكل التى تعترضهم فى طريق المسيحية . ولكن بطرس يختلف عنهم فى شىء واحد ، ان له ذكريات عن يسوع ، وهذه الذكريات تضفى صبغة خاصة على الفترة . فالذكيات نتزاحم فى ذهن بطرس اثناء حديثه .

١ ــ انه يصف نفسه (كالشاهد لآلام المسيح) لاول وهلة قد نشك فى هذه العبارة لانه مكتوب ، انه بعد القبض على يسوع فى البستان « تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (متى ٢٦ : ٥٦) . ولكن عند التفكير قليلاً ، سنجد انه قد أعطى لبطرس أن يشاهد آلام المسيح عن كثب أكثر من اى شخص آخر ، مما حز فى نفسه أكثر من اى شخص آخر أيضا .

فبطرس تبع يسوع حتى فناء دار رئيس الكهنة ، وعندئذ انكر بطرس يسوع ، فى وقت الضعف ، ثلاث مرات ، وتمت المحاكمة ، واخذوا يسوع وهنا نجد اكثر العبارات فى العهد الجديد اثارة للشجن :«فالتفت الرب ونظر الى بطرس . .فخرج بطرس الى الخارج وبكى بكاء مرا»(لوقا ٢٢: ٦١و٦٢). ففى هذه النظرة رأى بطرس ، آلام قلب القائد الذى يخونه تابعه فى ساعة الشدة، فالحق أن بطرس كان شاهدا لآلام المسيح عند انكار الناس له،ولهذا السبب عينه نجد أن بطرس كان شغوفا وغيورا حتى يظهر الناس ولاءهم واخلاصهم لسيدهم فى الخدمة .

٢ ــ انه يصف نفسه (كشريك للمجد العتيد ان يعلن). وان لهذه العبارة ما يدعمها مما حدث فى حياة بطرس ، وما هو عتيد أن يستعلن فى المستقبل . فبطرس قد سبق أن لمح وتذوق شيئا من هذا المجد على جبل التجلى .

فهناك كان الثلاثة مثقلون بالنوم « فلما راوا مجده » لوقا ٩ : ٣٢). لقد رأى بطرس المجد . ولكنه علم أيضا ان هناك مجداً آخرا ، لأن يسوع وعدهم بالمشاركة فى المجد عندما يأتى ابن الانسان ليجلس على كرسى مجده . (متى ١٩ : ٢٨) . فبطرس اذن قد تذكر الاختبار الذى مر به ، والوعد الذى قاله المسيح له .

٣ ــ لا شك انه عندما تحدث بطرس عن رعاية قطيع الله ، كان يفكر فى العمل الذى كلفه به المسيح ، عندما امره بأن يرعى غنمه (يوحنا ٢١ : ١٥ ــ ١٧) . فمكافأة المحبة كانت تعيينه راعيا ، ولذا فان بطرس يتذكر العمل المكلف به من قبل المسيح .

٤ — عندما تحدث بطرس عن يسوع كرئيس الرعاة، فان أكثر من فكرة قد تزاحمت فى ذهن بطرس ، فان يسوع قد شبه نفسه بالراعى الذى يعرض حياته للخطر بحثا عن الخروف الضال حتى يجده (متى ١٨ : ١٢ — ١٤ ، لوقا ١٥ : ٤ — ٧) . والمسيح أرسل تلاميذه الى خراف بيت اسرائيل الضالة (متى ١٠ : ٦) ، والمسيح قد تحنن على الجماهير التى كانت مطروحة كغنم لا راعى لها (متى ٩ : ٣٦ ، مرقس ٦ : ٣٤) ، وفوق الكل ، فان يسوع قد شبه نفسه بالراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف (يوحنا ١٠ : ١ — ١٨) . انه لمنظر فريد ، منظر المسيح كالراعى ، وامتياز بطرس كراع لقطيع المسيح لهو — فى نظره — من أعظم الامتيازات التى تمنح لخدام المسيح .

ثوب التواضع

كَذلِكَ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ وَكُونُوا جَمِيعاً خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ لأَنَّ اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً .

(٥ : ٥)

يعود بطرس هنا للحديث عن انكار النفس ، فان ذلك هو الدليل على أن الشخص مسيحى . ويدعم اقواله باقتباس ما جاء فى العهد القديم : « الله يقاوم المستكبرين، واما المتواضعين فيعطيهم نعمة » (أمثال ٣:٣٤) .. نجد هنا أيضا أن ذكريات بطرس عن المسيح تحتل مكانا ساميا فى حياته ، وأنها تسيطر على تفكيره ولغته . فبطرس يطلب من شعبه أن « يتسربلوا بالتواضع » ، والكلمة التى يستخدمها للتعبير عن (تسربلوا) هى كلمة غير عادية ، فهذه الكلمة تطلق على الثوب الذى يثبت بعقدة ، فوق الجسم . وكانت تستخدم بصفة عامة عن الملابس الوقائية ، فالكلمة تعبر عن الاكمام التى توضع فوق أكمام الثوب وتربط خلف الظهر وكانت تستخدم أيضا للتعبير عن « مريلة » الخادم . لقد ارتدى يسوع نفسه مرة مئزرة كهذه . ففى العشاء الأخير قال يوحنا عن يسوع أنه « أخذ منشفة واتزر بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ » (يوحنا ١٣ : ٤ و ٥) .

فيسوع اتزر بثياب التواضع ، ولذا فان أتباعه يجب أن يفعلوا كذلك.
ونفس هذه الكلمة تستخدم للتعبير عن نـوع آخر من الثياب الطويلة التى
كانت تلبس للدلالة على الـكرامة والشهرة .

ولذا ، فلاكتمال المنظر ، يجب أن نضع الصورتين معـا . فيسوع
اتزر وقام بالخدمة ، اكثر أنواع الخدمة تواضعا . لقد غسل ارجل التلاميذ،
ولذا فاننا يجب ان نلبس ثياب التواضع فى خدمة المسيح وخدمة الآخرين .
ولكن نفس هذا الثوب سوف يصبح رداء للكرامة ، لان خادم الجميع هـو
الاعظم فى ملكوت السموات .

قوانين الحياة المسيحية (١)

فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَىْ يَرْفَعَكُمْ فِى حِينه .
مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِى بِكُمْ .

اُصْحُوا وَاسْهَرُوا لِأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ يَجُولُ
مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ . فَقَاوِمُوهُ رَاسِخِينَ فِى الإِيمَانِ عَالِمِينَ أَنَّ
نَفْسَ هٰذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِى الْعَالَمِ .

وَإِلٰهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِى دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِىِّ فِى الْمَسِيحِ
يَسُوعَ بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيراً هُوَ يُكَمِّلُكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ وَيُقَوِّيكُمْ
وَيُمَكِّنُكُمْ . لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ . آمِينْ .
(٥ : ٦ — ١١)

يتحدث بطرس هنا بلغـة الامر ، واضعـا بعض قوانين الحياة
المسيحية .

١ — فهناك قانون التواضع أمام الله . فالمسيحى يجب ان يضع نفسه

تحت يد الله القوية. والتعبير (يد الله القوية) هو تعبير شائع في العهد القديم ، فقد استخدم كثيرا بالنسبة لانقاذ الله لشعبه عندما أخرجهم من مصر . فقال موسى : «لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر » (خروج١٣ : ٩) «أنت قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة » (تثنية ٣ : ٢٤) . والله قد أخرج شعبه من مصر بيد شديدة (تثنية ٩ : ٢٦). فالفكرة هنا أن يد الله القوية هي المهيمنة على مصير شعبه ، ان كان يقبل ارشاده ويخضع له . فبعد تجارب الحياة المتنوعة ، قال يوسف لاخوته الذين حاولوا مرة القضاء عليه : « أنتم قصدتم لي شرا ، أما الله فقصد به خيرا » (تكوين ٥٠ : ٢٠). فالمسيحي لا يبغض أبدا تجارب الحياة أو يثور ضدها ، لأنه يعلم أن يد الله القوية على دفة حياته ، وأن مصير حياته بيد الله .

٢ — ثم هناك أيضا قانون الطمأنينة المسيحية . فالمسيحي يجب أن يلقي كل همه على الله . قال المرنم : « الق على الرب همك . فهو يعولك » (مزمور ٥٥ : ٢٢) . وقال يسوع « لا تهتموا للغد » (متى ٦ : ٢٥ — ٣٤) . والسبب في هذه الثقة هو تأكدنا ويقينيتنا أن الله يهتم بنا . فكما قال بولس ، ان الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين ، فكيف لا يهبنا معه كل شيء . (رومية ٨ : ٣٢) . وهذا يجعلنا نتأكد أنه بسبب اهتمام الله بنا ، فان الحياة هي لخيرنا ، وبهذه اليقينية ، فاننا نتقبل كل اختبارات الحياة ، عالمين أن كل الاشياء تعمل معا للخير للذين يحبونه (رومية ٨ : ٢٨) .

٣ — ثم أيضا قانون المجهود المسيحي ، والسهر المسيحي : اننا يجب أن نصحوا وأن نستيقظ . فكوننا نلقي كل حملنا على الله ، لا يعطينا الحق في أن نجلس صامتين ولا نفعل شيئا . لقد كانت نصيحة كرمويل الى كل واحد من جنوده : « ثق بالله ، واستعد للقتال » ، فالثقة والمجهود يسيران جنبا الى جنب . فبطرس علم جيدا كيف أن السهر ضروري ، لأنه تذكر كيف أنه في جسثيماني نام هو والتلاميذ الآخرون ، بينما كان يجب عليهم أن يسهروا مع المسيح (متى ٢٦ : ٣٨ — ٤٦) . فالمسيحي هو الشخص الذي يثق ، ولكنه في نفس الوقت ، يبذل كل مجهوده وقواه في العمل في خدمة المسيح .

٤ — وهناك أيضا قانون المقاومة المسيحية . فالشيطان يتحفز ليبحث

له عن فريسة . وهنا تذكر بطرس ايضا كيف ان الشيطان قد غلبه عندما انكر ربه . فالشيطان خصم الانسان العنيد ، وايمان الشخص يجب أن يكون كسور منيع لا تنفذ منه سهام العدو ، بل تتحطم وترتد عنه خائبة . فالشيطان (كالبلطجى) يتقهقر عندما يقاوم بشجاعة وعنف بقوة المسيح وبالشركة معه .

٥ — واخيرا ، يتحدث بطرس عن قانون الالم المسيحى : انه يقول انه بعد أن يجتاز المسيحى فى الألم ، فان الله يكلمه ويثبته ويقويه ويمكنه .

أن كل كلمة يستخدمها بطرس تحمل صورة حية . فكل منها تخبرنا شيئا عن قصد الله من الألم الذى يجيزنا فيه .

(١) فعن طريق الالم فان الله (يكملنا) * وهذه الكلمة يصعب ترجمتها . فهى فى الأصل تستخدم للتعبير عن اصلاح الكسور وهى نفس الكلمة المستخدمة فى (مرقس ١ : ١٩) عن اصلاح الشباك .

انها تعنى اعادة الشىء المفقود الى مكانه ، واصلاح المكسور ، واعادة الجزء الناقص ، ولذا ، فان قبول الالم بتواضع وثقة ومحبة ، يضيف الى شخصية الانسان ما نقص منه ، ويصلح من ضعفاته ، ويمده بالعظمة الحقيقية .

قيل عن السير ادوارد الجرا انه استمع مرة الى بنت صغيرة كانت تغنى احدى أغنياته التى الفها ، وكان صوتها يمتاز بنقاوة بالغة ووضوح وعمق ، وكانت ذات فن فى الأداء جعلها تتغلب بسهولة على كل الصعوبات الفنية فى المقطوعة ، وعندما انتهت من الغناء ، قال السير ادوارد برفق : « ستصبح عظيمة حقا عندما يحدث لها شىء يحطم قلبها » . يحكى (بارى) كيف فقدت أمه ابنها المحبوب ويقول : « هذا هو السر فى أن والدتى قد

---

* وردت فى الانجليزية بمعنى (يردنا) (المعرب) .

اكتسبت عينين حانيتين ، وان الامهات الأخريات كن يذهبن اليها عندما يفقدن أطفالهن ، ليشعرن بالعزاء » فالألم قد جعل منها ، ما لا يمكن للحياة السهلة أن تفعله ، فالله قصد لنا الألم ، ليجعل صدى النغمات الحلوة يتردد فى حياتنا .

(ب) وعن طريق الالم ، فان الله (يثبت) الانسان ، والكلمة تعنى يثبت كالجرانيت . فألم الجسم ، وأسى القلب يفعل شيئا من اثنين للانسان . فاما أن يجعله ينهار ، واما أن يخرج منه بقوة فى الشخصية لا يمكن الحصول عليها بدونه . انه يخرج من الألم ، كالرياضى بعد أن يمر فى التدريب الصعب، وقد صلب عوده وقوى جسمه لتحمل أى صعاب . انه يخرج من الألم كالصلب بعد اجتيازه فى النار .

(جـ) عن طريق الالم ، (يقوى) الله الانسان ، والفعل يعنى (يملأ بالقوة) . وهنا نجد نفس المعنى يتردد ثانية . فالحياة بلا مجهود أو نظام تصبح حياة هزيلة ضعيفة . لا أحد يعرف أهمية الايمان بالنسبة له ، ما لم يمتحن ايمانه فى بوتقة الالم . ان الايمان الذى اجتيز فى الالم والحزن واليأس والخسارة ، وخرج منها أكثر ضياء ووهجا لهو ايمان ثمين حقا . ان الريح يطفىء الشعلة الضعيفة ، ولكن نفس الريح يحيل الشعلة القوية الى ضوء أكثر وهجا . وهكذا بالنسبة للايمان .

(د) أن الله (يمكن) الانسان عن طريق الألم . والفعل يعنى (يضع الأساس) . فعندما نقابل الألم والحزن نصل الى أساس الايمان ، وعندئذ فقط نكتشف ما هى الأشياء الغير متزعزعة . فعندما تصاب حياتنا بالأخطار، نعرف حقا ما هى الأشياء الزائلة والتى ليست سوى زينة واهية ،وما هى الاشياء الجوهرية الأساسية. ففى تجارب الحياة ، نكتشف الحقائق العظمى التى هى أساس الحياة ، والتى لا يمكن الاستغناء عنها .

اننا يجب أن نتذكر أن الألم لا يمكن ان يصنع كل هذه الأشياء لكل شخص . فقد يقود الألم الانسان الى المرارة والتذمر واليأس . وقد ينزع ايمانه كلية ان كان عنده شىء من الايمان . ولكن اذا قبل الألم فى محبة

وثقة ، مع اليقين بأن يد الاب ما أبدا تضر الابن ، عندئذ فقط نخرج من الالم بفوائد ما كان يمكن أن تتحقق عن طريق الحياة الهينة السهلة .

الاخ الامين

بِيَدِ سِلْوَانُسَ لأَخِ لأَمِينِ كَمَا أَظُنُّ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ وَاعِظاً وَشَاهِداً أَنَّ هٰذِهِ هِيَ نِعْمَةُ اللهِ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي فِيهَا تَقُومُونَ .

(٥ : ١٢)

يشهد بطرس هنا أن ما كتبه هو نعمة الله ، ويأمر شعبه أن يثبتوا فيها برغم الصعاب .

انه يقول انه كتب ذلك(بيدسلوانس)والعبارة اليونانية تعنى أن سلوانس كان وكيله وأداته فى الكتابة . وسلوانس هى الصيغة الكاملة للاسم سيلا ، وغالبا هو نفس سلوانس الذى ورد ذكره فى رسائل بولس ، وسيلا الذى ورد فى سفر الأعمال وعندما نستجمع كل ما ورد عن سيلا أو سلوانس ، نجد انه كان حقا من قادة وأعمدة الكنيسة الأولى .

فقد ارسل سلوانس مع برنابا يهوذا الملقب برسابا الى انطاكية ومعهما القرار الخطير لمجمع اورشليم القاضى بفتح أبواب الكنيسة للأمميين ، وقد ذكر فى نفس الحادثة انهما كانا من الرجال المتقدمين فى الكنيسة . (أعمال ١٥ : ٢٢ و ٢٧) . ولم يسلما الرسالة فقط كمجرد حاملين لها ، بل وعظا الاخوة بكلام كثير وشدداهم لانهما كانا نبيين . (أعمال ١٥ : ٣٢) وفى أول رحلة تبشيرية ترك مرقس بولس وبرنابا وعاد اخيرا الي أورشليم من بمفيلية (اعمال ١٣ : ١٣) ، واستعدادا للقيام بالرحلة التبشيرية الثانية رفض بولس أن يأخذ مرقس معه ثانيا ، وكانت النتيجة أن برنابا اتخذ مرقس كرفيق له ، وأخذ بولس سلوانس كرفيقه (أعمال ١٥ : ٣٧ — ٤٠) . ومن ذلك الوقت فصاعدا كان سلوانس يعد يد بولس اليمنى . فكان مع بولس فى فيلبى ، وهناك قبض عليه وسجن مع بولس (أعمال ١٦ : ١٩ و ٢٥ و ٢٩) ،

وانضم الى بولس فى كورنثوس ، وبشر بالانجيل معه هناك . (أعمال ١٨ : ٥ ، ٢ و كورنثوس ١ : ١٩) .

وهكذا نجد شدة ارتباط سـلوانس ببولس حتى أنه ذكر فى رسالتى تسالونيكى مع بولس وتيموثاوس كالمرسلين للرسـالة . (١ تسالونيكى ١ : ١ ، ٢ت سالونيكى ١ : ١) . فواضح أن سلوانس كان شخصية بارزة فى الكنيسة الأولى .

وكما رأينا فى المقدمة ، انه من شبه المؤكد أن سلوانس كان اكثر من مجرد ناسخ لرسالة بطرس الاولى ، أو حامل الرسالة الذى سلمها .

ومن احدى صعوبات الرسالة الأولى امتياز اللغة اليونانية التى كتبت بها . فاللغة ذات صبغة خاصة من الامتياز حتى أنه من المستحيل أن يكون بطرس الصياد الجليلى هو الذى كتبهـا . أما سلوانس فلم يكن رجلا ذا اهمية خاصة فى الكنيسة فقط ، ولكنه كان أيضـا مواطنـا رومانيا (أعمال ١٦ : ٣٧) ، وقد نال حظا من التعليم يفوق بكثير مما ناله بطرس . ويحتمل جدا أن يكون سلوانس قد كتب جزءا كبيرا من هذه الرسالة .

لقد سمعنا انه فى الصين عندما كان يريد أحد المرسلين ان يكتب رسالة الى شعبه ، فانه غالبـا ما يكتبها بأحسن لغة صينية يفهمها ، ثم يعطيهـا لواحد من الصينيين المسيحيين ليصححها ، وينقحهـا ، أو قد يخبر احـد المسيحيين الصينيين ما يريد أن يقوله ، ويتركه ليكتب ذلك على الورق ثم يوقع عليها المرسل بعد ذلك . فمن المحتمل أن هذا هو ما فعله بطرس . فاما انه أعطى الرسالة لسلوانس لينقحها فتبدو فى لغة يونانية سليمة ، أو انه أخبر سلوانس ما كان يريد أن يقوله وترك سلوانس ليـدون ذلك على القرطاس ، ثم اضاف بطرس هذه الثلاثة أعداد الأخيرة كتحيته الشخصية .

لقد كان سلوانس واحدا من الرجال الذين لم تكن الكنيسة لتستغنى عن خدماتهم . ولكنه كان مكتفيا بأن يحتـل المقعد الثانى ، وأن يكون مجرد اسم ، لا أن يأخذ مكان الصدارة بل مكانا ثانويا ، طالما أن عمل الله يسير

نحو التقدم . لقــد اكتفى سلوانس بأن يكون مساعدا لبولس ، حتى ولو كان ذلك يعنى مجرد ذكر اسمه فى نهاية الرسالة ولكن التاريخ يسجل امام الجميع انه كان المساعد الأمين لــكل من بطرس وبولس ، فقد كانا يعتمدان عليه كثيرا . واننا نريد امثال سلوانس فى الكنيسة . كنيسة العصر الحديث كما كان فى الكنيسة الأولى ، نريد هؤلاء الذين وان لم يستطيعوا ان يكونوا كبطرس أو كبولس ، ولكنهم يكونون كسلوانس الخادم الأمين الذى لا يمكن لبولس أو بطرس ان يستغنى عن خدماته .

التحيـــــــة

تُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الَّتِي فِي بَابِلَ الْمُخْتَارَةُ مَعَكُمْ وَمَرْقُسُ ابْنِي .

(٥ : ١٣)

مع ان هذا العدد يبــدو سهلا ، الا انه يحتــاج لــكثير من الدراسة المضنية فهو يبرز بعض المشاكل التى يصعب حلها .

١ — من الذى أرسل هذه التحية ؟ ، تقول الطبعة الاصلية « الكنيسة التى فى بابل المختارة معكم تسلم عليكم » ، ولكن عبارة « الكنيسة » مكتوبة بحروف صغيرة مما يعنى انها لم ترد فى اليونانية ، بل وردت فقط عبــــارة « المختارة معكم فى بابل » ، والعبارة فى صيغة المؤنث .

هناك احتمالان لذلك .

(ا) هناك احتمال ان الطبعة الأصلية صحيحة . وهــذا هــو راى موفات حين يترجم العبارة هكذا « اختكم الكنيسة فى بابل » ، فيمكن تفسير العبارة على انــها تعنى ان عروس المسيح هى التى تسلم عليهم . وان هذه الوجهة من النظر تنادى على العموم بأن الكنيسة هى المقصودة هنا .

(ب) ولكن يجب ان نذكر انه لم ترد كلمة « كنيسة » فى اليونانية ، وان هــذا قد يشير ايضا الى سيدة مسيحية معــروفة جيدا . فان كان الأمــر كذلك ، فان افضل اقتراح هو ان الاشارة هنا الى زوجة بطرس .

نحن نعلم أن زوجة بطـــــرس قد اصطحبته في رحلاته التبشـــــيرية (١ كورنثوس ٩ : ٥) . يقول أكليمندس الاســــكندري (ستروماـــانيس ٧ : ١١ : ٦٣) انهـــا ماتت شهيدة ، ونفذ فيها حكم الموت أمام أعين بطرس ، بينما كان يشجعها بقوله : « اذكرى الرب » . لقد كانت زوجة بطرس شخصية معروفة في الكنيسة الأولى .

ونحن لا نريد أن نبدى حكما قاطعا هنا ، فربما من المحتمل أن تكون الاشارة للكنيسة ، ولكن ليس من المستحيل أن بطرس يشير هنا الى زوجته ورفيقته في الخدمة ، في التحية التي يرسلها .

٢ ــ أين كتبت هذه الرسالة ؟ ان التحية مرسلة من (بابل) .

هناك ثلاثة احتمالات لذلك :

(ا) لقد كانت هناك (بابليون) في مصر . لقد كانت قريبة من القاهرة ، وكان قد أسسها اللاجئون البابليون من أشور ، ولذا فقد دعيت باسم مدينة أسلافهم . ولكن في الوقت الذى كتبت فيه الرسالة كانت عبارة عن معسكر حربى تقريبا ، ولم يرتبط اسم بطرس بمصر ابدا ، ولذا فاننا لا نعتقد أن تكون بابليون هذه هى مكان كتابة الرسالة .

(ب) كانت هناك مدينة (بابل) في الشرق . فقد أخذ اليهود أسرى الى بابل هذه . ومنهم كثيرون لم يعودوا لمواطنهم . لقد كانت بابل هذه مركزا للدراسات اليهودية . فأعظم تعليق على الناموس اليهودى يسمى « التلمود البابلى » . ولقد كان يهود بابل يشكلون قوة كبيرة ، حتى أن يوسيفوس أصدر نسخة خاصة من دراساته التاريخية لهم ، فليس من شك في أنه كانت هناك فيبابل مستعمرة خاصة بهم، ولذافمن الطبيعى أن يبشربطرس رسول اليهود ويعمل هناك . ولكننا لا نجد اسم بطرس مرتبطا ببابل ، فليس هناك أى دليل ملموس على وجوده هناك . ولقد اعتبر كثير من العلماء (مثل كالفن وارزمس) ان بابل هذه هى المدينة الشرقية العظيمة المشار اليها في الرسالة ، ولكن على العموم ، فاننا نعتقد أن كل الاحتمالات تخالف ذلك .

(جـ) كانت روما تسمى ببابل من اليهود والمسيحيين على السواء .

فاننا نجـد فى سفر الرؤيا وصفا لبابل بأنهـــا الزانية التى سكرت بدم القديسين والشهداء (رؤيا ١٧ و ١٨) . فكل ما كانت تتميز به بابل قديما من طابع خاص ، كالشر والشهوة والرفاهية والخطية قد تجسد فى روما . ان اسم بطرس مرتبط بروما ، وهناك احتمال أن تكون الرسالة قد كتبت من هنـــاك .

٣ — وأخيرا ، من هو مرقس الذى يدعوه بطرس بابنه ، والذى يرسل باسمه التحية ؟ لو اعتبرنا أن المختـــــارة هى زوجة بطرس ، فان مرقس قد يكون ابن بطرس . ولكن فى هذه الحالة فان هناك احتمالا أكبر أن يكون مرقس هو مرقس الذى كتب الانجيل . فالتقليد دائمـــا يـــربط بين بطـــرس ومرقس ، ويشير الى أن بطرس له صلة بانجيل مرقس . ان بابياس الذى عاش حوالى نهاية القرن الثانى ، والذى كان جامعـــا للحوادث الأولى ، يصف انجيل مرقس فيقول : « ان مرقس الذى كان مفسرا لأقوال بطرس ، كتب بدقة ولكن ليس بالترتيب ، كل ما جمعه مما قاله يسوع أو فعله لأنه لم يكن تابعا ليسوع ولم يكن يسمع أقواله مباشرة ، وأنه كان تابعا لبطرس ، كما قلت ، مؤخرا ، وقد عمل بطرس على أن يقدم تعاليمه لتفى بحـــاجة الشعب ، دون محاولة تقديم كلمات الرب بصورة منتظمـــة . ولذا ، فان مرقس لم يكن مخطئا فى تدوين بعض الاشياء من الذاكرة، لأن اهتمامه الأوحد كان الا يحذف أو يبطل أى شىء مما قد سمعه » .

ان انجيل مرقس ، حسب قول بابياس ، ليس سوى عظات بطرس . ويقول ايرينايوس أيضا انه بعد موت بطرس وبولس فى روما : « كتب الينا مرقس ، تلميذ بطرس ومفسر أقـــواله ، كل ما بشر به بطرس » . انه من الاقوال المتواترة أن مرقس يعد بحق كابن لبطرس ، ويحتمل جدا أن تكون تلك التحية منه .

والآن لنلخص كل ما جاء بهذا العدد . « فالمختارة فى بابل » قد تكون الكنيسة أو زوجة بطرس ، باعتبارها هى أيضا شهيدة وبابل قد تكون المدينة الشرقية القديمة ، ولكن الاحتمال يتجه الى انها روما المدينة العـــريقة فى الشر . ومرقس قد يكون ابن بطرس والذى لا نعرف عنه شيئا ، ولكن من المحتمل جدا أن يكون مرقس كاتب الانجيل ، الذى كان يعد كابن لبطرس .

سلام المحبـــــة

سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةِ الْمَحَبَّةِ. سَلَامٌ لَكُمْ جَمِيعِكُمُ الَّذِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. آمِينَ.

(٥ : ١٤)

اكثر ما يثير الاهتمام هنا الأمر بأن يقبل كل واحد الآخر بقبلة المحبة .

لقد كانت القبلة جزءا مكملا للعبادة المسيحية والشركة ، وانه من المتعة لنا أن ندرس كيف نشأت وكيف أبطأت بالتدريج في الكنيسة .

لقد كانت عادة اليهود أن التلميذ يقبل معلمه على خده ، وأن يضع يديه على كتف معلمه ، وهذا ما فعله يهوذا مع المسيح (مرقس ١٤ : ٤٤) وكان اليهود يعتبرون القبلة تحية الترحاب والاحترام ، ولنا أن نعرف مقدار تقدير المسيح لها ، عندما نعلم أنه حزن عندما لم تعط له (لوقا ٧ : ٤٥) . وأن رسائل بولس تنتهى دائما بتلك الوصية أن نسلم على بعضنا البعض بقبلة مقدسة (رومية ١٦ : ١٦ ، ١ كورنثوس ١٦ : ٢٠ ، ٢ كورنثوس ١٣ : ١٢ ، ١ تسالونيكى ٥ : ٢٦) .

ولقد كانت القبلة فى الكنيسة الأولى تمثل جزءا هاما من العبادة المسيحية . فيتسائل ترتليان قائلا: «كيف تكون العبادة كاملة عندما تخلو من قبلة المحبة ؟ » وأية ذبيحة تلك التى ينفض الناس بعدها دون سلام ؟ » . فالقبلة ، كما يرينا ترتليان ، كانت تسمى « بالسلام » ، وكان للقبلة أهمية خاصة فى خدمة العشاء الربانى . فأوغسطينوس يقول انه عندما كان المسيحيون يجتمعون للتناول من مائدة الرب ، « كانوا يظهرون صفاءهم الداخلى ، بالقبلة الظاهرية » . لقد كانت القبلة دائما تؤدى بعد انصراف الأعضاء الجدد قبل عمادهم ، حيث لا يتبقى سوى أعضاء الكنيسة فقط ، وبعد الصلاة مباشرة قبل احضار مائدة الرب . يقول جوستن مارتر فى هذا الصدد : « بعد أن نفرغ من الصلاة ، يحيى كل منا الآخر بقبلة . ثم يحضر الى رئيس الاجتماع الخبز وكأس النبيذ » (١ : ٦٥) .

ولقد كان يسبق القبلة هذه الصلاة : « لأجل عطية السلام والمحبة الطاهرة ، الغير مدنسة بالرياء أو بالمكر » ، ولقد كانت القبلة دليلا على أن «نفوسنا متحدة ، وعلى نسياننا كل الاخطاء» (القديس سيريل من أورشليم ، المحاضرات التعليمية ٢٥ ــ ٥ ــ ٣) . لقد كانت القبلة علامة على نسيان كل الاهانات وعلى غفران كل الاخطاء ، وأن كل المجتمعين على مائدة الرب واحد في الرب .

لقد كانت هذه عادة جميلة ، ولكن واضح ، للأسف ، أنها كانت عرضة لاساءة استخدامها . فيبدو بوضوح ، من كثرة الانذارات المقدمة ، أن تلك العادة الجميلة قد أسيء استخدامها . فيصر (أثينو جوراس) على أن القبلة يجب أن تؤدى باهتمام بالغ لأنه « اذا تدنست بأى فكر شرير ، فانها تحرمنا من نوال الحياة الأبدية » .

ويقول أوريجانوس : ان قبلة السلام يجب أن تكون «مقدسة ، طاهرة ومخلصة » وليست كقبلة يهوذا . ويدين أكليمندس الاسكندرى الطريقة المعيبة فى استخدام القبلة ، التى يجب ان تحوطها الرهبة لأن « بعض الاشخاص يسيئون استخدام القبلة مما يجعل الكنيسة تدوى بصوتها ، مما يترك مجالا للشبهات الدنسة ، والاقوال الشريرة » (بايداج ٣ : ١١) . ويتحدث ترتليان عن تردد الزوج الوثنى فى قبول المسيحية عندما يفكر فى أن زوجته قد تقبل فى الكنيسة بهذه الطريقة .

وقد قضى على المشاكل الناجمة عن القبلة بالتدريج فى كنيسة الغرب . وفى القرن الرابع اقتصرت القبلة على أولئك الذين ينتمون لنفس الجنس ــ فالكهنة يحيون الاسقف ، والرجال يحيون الرجال والنساء للنساء . وقد ظلت القبلة على هذا المنوال حتى القرن الثالث عشر فى كنيسة الغرب . وقد كانت القبلة تستبدل احيانا بأشياء أخرى . فقد كانت تستخدم أحيانا لوحة معدنية او خشبية عليها صورة المصلوب فى بعض الاماكن . فكان يقبلها الكاهن أولا ثم الجمهور ، الذى كان كل منهم يقبلها ويعطيها للآخر ، كدليل على حبهم المتبادل فى المسيح وللمسيح . وما زالت هذه العادة سارية المفعول فى الكنائس الشرقية ، كما انها ما زالت باقية فى الكنيسة اليونانية ، واما الكنيسة الأرمنية قد استعاضت عن القبلة بانحناءة رقيقة .

ولقد كانت القبلة تستخدم أيضا فى مواقف أخرى فى الكنيسة الأولى . فعند العماد ، كان يقبل الشخص المعمد أولا من معمده ، ثم من كل الجمهور كدليل على الترحيب به فى عائلة المسيح . وكان كذلك يقبل الأسقف المرتسم حديثا « قبلة فى الرب » .

وكانت تستخدم أيضا فى الزواج كتدعيم له وموافقة عليه ، وهو شىء طبيعى مأخـــوذ من الوثنية . والذين كانوا ينازعون الموت كانوا يقبلون الصليب أولا ثم يقبلون من جميع الحاضرين . وكان الموتى يقبلون قبـــل دفنهم .

وأما بالنسبة لنا نحن ، فقد نعتبر القبلة تقليدا كان متبعا منـــذ زمن بعيد . كان يتبع منذ أن كانت الكنيسة أسرة واحدة ، وشركة متينة ، وعندما كان المسيحيون يعرفون بعضهم بعضا جيدا ويحـــبون بعضهم حقا . ومن مآسى الكنيسة فى العصر الحديث ، وأن أعضاءها وجمهورها الكبير لا يعرف بعضه بعضا ، كما أنه لا يريد معرفة بعضه الآخر ، وأنه لا يستخدم القبلة الا كطقس فقط . انها عادة محببة قد بطلت ، عندما فقدت الشركة المسيحية دعائمها بداخل الكنيسة .

يقول بطرس « سلام لكم جميعكم الذين فى المسيح يسوع » ولذا ، فان بطرس يستودع شعبه لسلام الله الذى هو أعظم من كل مصاعب وأحزان الحياة .

رسالة بطرس الثانية

مقدمة رسالة بطرس الثانية

السفر المهمل ومحتوياته :

قد يحق لنا القول ان رسالة بطرس الثانية هى أحد الأسفار المهملة فى العهد الجديد ، فقليلون يقرأونه بتدقيق ، واقل القليل من يدرسه بالتفصيل . ويقول سكوت ان رسالة بطرس الثانية « اقل شأنا من رسالة بطرس الاولى ، من كل الوجوه » ، ويذهب الى حد القول « انها اقل شأنا من كل كتب العهد الجديد » . وكما سنرى ، انها أدرجت بصعوبة ضمن أسفار العهد الجديد ، وان الكنيسة ظلت لمدة طويلة تجهل عنها كل شىء. ولكن ، قبل أن نبحث فى تاريخ الرسالة ، دعنا نتأمل قليلا فى محتويات الرسالة :

اناس فاسدون :

لقد كتبت رسالة بطرس الثانية لايقاف نشاط بعض الناس الذين كانوا يناوءون الكنيسة العداء . فتبدأ الرسالة بتأكيد أهمية القول ان المسيحى هو الشخص الذى هرب من الفساد الذى فى العالم (١ : ٤) ، وانه يجب أن يتذكر دائما تطهير خطاياه السالفة (١ : ٩) .

فعلى المسيحى واجب أن يظهر فى حياته الفضيلة والصلاح والقداسة، تلك الفضائل التى تؤدى الى فضيلة المودة والمحبة الأخوية . (١ : ٥-٨).

ولتبرز صفات أولئك الذين يوبخهم بطرس فى رسالته الثانية . انهم يحرفون الكتب المقدسة لتخدم أغراضهم (١ : ٢٠ ، ٣ : ١٦) ، وانه بسببهم يجدف على الايمان المسيحى (٢ : ٢) . وانهم طامعون فى الربح ، ويتجرون بالآخرين (٢ : ٣ ، ٢ : ١٤ و ١٥) . وان مصيرهم الهلاك كمصير الملائكة الساقطين (٢ : ٤) ، وكمصير الناس قبل الطوفان (٢:٥) ، وأهل سدوم وعمورة (٢ : ٦) ، وبلعام النبى الكذاب (٢ : ١٥) . وانهم

حيوانات لا تحكمهم سوى غرائزهم الحيوانية (٢ : ١٢) ، وتسيطر عليهم شهواتهم (٢ : ١٠ ، ٢ : ١٨) . وعيونهم مملوءة فسقا (٢ : ١٤) . وأنهم جسورون ، معجبون بأنفسهم ويفترون على ذوى الأمجاد (٢ : ١٠ و ١٨).

وأنهم يحسبون تنعم يوم لذة وهم يتنعمون فى غرورهم (٢ : ١٣) . ويتحدثون عن الحرية وهم انفسهم عبيد شهواتهم (٢ : ١٩) . وهم ليسوا مخدوعين فحسب ، ولكنهم يخدعون الآخرين ويضلونهم (٢ : ١٤ ، ٢ :١٨). وهم أردأ ممن لم يعرفوا الحق ، لانهم مع علمهم بطريق البر ، فانهم يرتدون الى الشر ، مثل كلب قد عاد الى قيئه أو كخنزيرة مغتسلة الى مراغة الحمأة (٢ : ٢٠ — ٢٢) .

يتضـــح من ذلك أن بطرس يصف أولئك الرافضين للناموس الأدبى ، والذين يستخدمون نعمة الله كسترة لارتكاب الشرور . ويحتمل أن يكونوا ضمن طائفة الغنوسيين الذين كانوا ينادون بأنه ليس شىء صــــالح سوى الروح ، وأن المادة فى جوهرها شر ، ولذا فان كل ما نعمله بأجسادنا لايهم ، وأنه يمكننا أن نشبع كل رغباتنا دون أن يكون لذلك أى تأثير . لقــد كانوا يحيون حياة مجردة من كل فضيلة ، ويشجعون الآخرين على عمــل ذلك ، وأنهم يبررون ما يفعلونه بتحريف طريق البر ، وتحريف كلمة الحــق لترضى أهـــواءهم .

انكار المجىء الثانى :

ثم ان هؤلاء الناس ، أنكروا أيضا المجىء الثــــانى (٢ : ٣ و ٤) ، وقالوا بأن هذا العالم ثابت وجامد ، تظل فيه كل الاشياء على ما هى عليه ، وأن الله متباطىء جدا ، حتى أنهم افترضوا أن المجىء الثانى لن يحدث أبدا . ورسالة بطرس الثانية ترد على ذلك بالقول ان هذا العـــــــالم ليس جامدا ، وأنه قد سبق أن هلك بالطوفان ، وأنه سوف يهلك بالنار الهــلاك الأخير (٣ : ٥ — ٧). وأن ما يحسبونه تباطؤاً من جانــب الله ، ليس سوى امهال وطول أناة من ناحيته ليعطى الناس فرصة أخرى للتوبة (٣:٨ و ٩) . ولكن يوم الهلاك قادم (٣ : ١٠) . وأننا ننتظر أرضا جديدة وسماء جديدة ، وأن الصلاح والتقوى ضرورة أساسية لخلاصنا فى اليوم الأخير (٣:١١—١٤). وبولس الرسول يتفق مع ما يقوله بطرس ، برغم أن رســـــائله قد يصعب

فهمها ، مما يجعل المعلمين الكذبة يحرفون أقواله عن عمد (٣ : ١٦) . وأن واجب المسيحى أن يثبت فى الايمان ، وأن ينمو فى النعمة ومعرفة ربنا يسوع المسيح (٣ : ١٧ و ١٨) .

شكوك الكنيسة الاولى :

هذه هى محتويات الرسالة . ولقد كان ينظر الى هذه الرسالة بعين الشك لفترة طويلة ، وعدم الاكتراث . واننا لا نجد لهـا أثرا حتى بعد سنة ٢٠٠ م،ولانجدها مدرجة ضمن لائحة موراتورى التى يرجع تاريخها الىسنة ١٧٠ م ، والتى كانت تعتبر أول قائمة رسمية بأسماء اسفار العهد الجديد . ولم يرد ذكرها أيضـا فى الطبعة اللاتنية القـديمة للكتاب المقـدس ، ولا فى العهد الجديد للكنيسة السورية الأولى .

وهذا يرجع لان علمـاء الاسكندرية اما انهم لم يعرفوها أو لانهم كانوا يشـكون فيها . أن اكليمندس لم يكتب شيئا عن هذه الرسـالة ضمن ما كتبه عن محتويات اسفار الكتاب المقدس . ويقـول أوريجانوس انه : « ربما قد ترك لنا بطرس غير رسالته المعترف بها من الجميع ، رسـالة أخرى ، وهو أمر غير مؤكد » .

وعلق ديديموس على الرسالة ، ولكنه ختم مؤلفه بالقول : « لا يجب أن يغيب عن بالنا أن هذه الرسالة مشكوك فى صحتهـا ، قد تقرأ أمام الناس ، ولكنها ليست ضمن أسفار الكتاب القانونية » . وقال ايوسيبيس عالم قيصرية العظيم ، والذى قام بأجراء بحوث قيمة فى الأدب المسيحى فى عصره : « ان رسالة بطرس المعروفة بالرسالة الأولى ، معتـرف بها من الجميع ، وقد استشهد بها كثير من الشيوخ القدامى فى كتاباتهـم ، وهـذا لا يدع مجالا للشك فى صحتها ، ولكن الرسالة المعروفة باسم رسالة بطرس الثانية فنحن نعرف ، حسبما تسلمناه ، أنها غير قانونية ، هذا بالرغم من أن بهـا فائدة كبيرة للكثيرين ، وانها تقرأ دائما جنبا الى جنب مع الأسفـار الأخرى للكتاب المقدس » .

ولم تدرج الرسالة الثانية ضمن أسفار العهـد الجديد حتى القـرن الرابع .

الاعتراضات :

يكاد يجمع العلماء ــ المعاصرون منهم والقدامى ــ على أن بطرس ليس هو كاتب الرسالة الثانية . وحتى جون كلفن قد اعتبر أنه من المستحيل أن يتحدث بطرس عن بولس كما تتحدث هذه الرسالة عنه (٣ : ١٥ و ١٦) ، بالرغم من أنه يؤمن بأن شخصا آخرا كتب الرسالة بناء على طلبه . ولكنه لم يكن على استعداد أن يعتقد بأن الرسالة كما هى قد جاءت من يد بطرس ذاته . فما هى اذن الاعتراضات على أن بطرس هو كاتب الرسالة الثانية المرتبطة باسمه .

١ ــ أن الكنيسة الأولى قد ترددت كثيرا فى قبولها . فلو كانت حقا من نتاج بطرس ، لما ترددت الكنيسة فى قبولها والترحيب بها منذ البدء .

ولكن ما حدث كان على عكس ذلك ، كما رأينا . فلم يرد أى استشهاد للرسالة فى أى مناسبة لمدة القرنين الأولين ، ثم نظر اليها بعين الشك والريبة طوال قرن آخر ، ولم تقبل سوى فى أواخر القرن الرابع .

٢ ــ وأن محتويات الرسالة أيضا تجعل من الصعب الاعتقاد بأن بطرس هو كاتبها . فلم يرد فى الرسالة ذكر آلام المسيح أو قيامته أو صعوده ، ولا من ذكر للكنيسة كاسرائيل الحقيقى . ولم يرد شىء عن الايمان كالشىء الذى يجمع بين الرجاء الذى لايقهر واليقين الثابت ولم يذكر شىء عن الروح القدس أو الصلاة أو المعمودية أو دعوة الناس بالحاح أن يتبعوا المثال المقدم لهم فى شخص يسوع المسيح ، كل تلك الأمور التى لو انتزعت من رسالة بطرس الأولى لما تبقى شىء يذكر ،ومع هذا فلم يذكر شىء عنها فى الرسالة الثانية .

٣ ــ انها مختلفة عن الرسالة الأولى كل الاختلاف فى أسلوبها ومعناها . وقد عرف ذلك منذ وقت جيروم . لقد كتب جيروم يقول : « ان سمعان بطرس كتب رسالتين تسميان بالعامتين أو الجامعتين ، وأن كثيرين ينكرون صحة نسبة الرسالة الثانية الى بطرس بسبب اختلاف

أسلوبها عن الرسالة الأولى » ، وأن اليونانية التى كتبت بها الرسالة صعبة جدا . فيصف كلوج هذا الأسلوب الذى دونت به الرسالة بأنه متكلف وغامض ، ويقول أيضا ان هذه الرسالة هى السفر الوحيد فى العهد الجديد الذى يتحسن اسلوبه بالترجمة . كتب الأسقف شيز يقول : « ان الرسالة يغلب عليها طابع البلاغة المتكلفة والمصطنعة ، ومحاولة التظاهر بالفصاحة . فالكاتب يبدو طموحا فى كتابة أسلوب يفوق قدرته الأدبية » ، ويستنتج من ذلك أنه من الصعب الاقتناع بأن بطرس هو كاتب هذه الرسالة . ويقول موفات ان : « رسالة بطرس الثانية اكثر طموحا وملاءمة لروح العصر من رسالة بطرس الأولى ، ولكن اسلوبها الذى يتميز بالغموض وعدم وضوح الفكرة يجعلها فى مكانة اقل من رسالة بطرس الأولى » ، هذا وقد يمكن القول ــ كما ادعى جيروم ــ انه بينما كان سلوانس هو اليد اليمنى لبطرس فى كتابة الرسالة الأولى ، فان بطرس قد استخدم شخصا آخرا فى كتابة الرسالة الثانية ، ومن هنا يتضح سر اختلاف الأسلوب فى الرسالتين .

ولكن مايور يعقد مقارنة بين الرسالتين . فيقتبس بعض الفقرات العظمى فى رسالة بطرس الأولى ، ثم يقول : « انى أعتقد أنه ما من شخص قرأ هذه الكلمات الا وأحس ، أنه لا توجد كلمات اكثرتعبيرا وأدق وصفا لسر المسيحية الناهضة فى بداية عهدها ، وعن القوة التى قهرت العالم ، من تلك الكلمات والعبارات التى يتجسم فيها الايمان والرجاء والمحبة والفرح والتى تتخلل رسالة بطرس الأولى ، وأنه لم ترد عبارات فى مثل هذه القوة لا فى رسائل بولس ولا حتى فى رسائل يوحنا . أما بالنسبة لرسالة بطرس الثانية فلا يمكن لأحد أن يدلى بتصريح كهذا . نعم أنها مملوءة بالاثارة والعمق ، الا أنه ينقصها روح العطف ، وشعلة المحبة التى تميز الرسالة الأولى ... وأن تغير الظروف لا يمكن أن يكون سببا فى تغير النغمة الذى نلمسه حالما نفرغ من قراءة الرسالة الاولى لنتجه لقراءة الرسالة الثانية » .

ان استنتاج ذلك العالم المحافظ هو أنه ما من تعليل لاختلاف الأسلوب بين الرسالتين سوى اختلاف شخصية من كتب الرسالة الأولى عن الثانية، والاختلاف الكلى بين جو الرسالتين .

فمن الناحية اللغوية توجد ٣٦٩ كلمة فى رسالة بطرس الأولى لم ترد فى رسالته الثانية ، كما أنه يوجد ٢٣٠ كلمة فى الرسالة الثانية لم ترد فى الرسالة الأولى . ان هذا ليس مجرد اختلاف فى الأسلوب . فالكاتب قد يغير أسلوبه ومفرداته بسبب اختلاف المستمعين واختلاف المناسبة . ولكن الاختلاف بين الرسالتين هو اختلاف جوهرى وشامل حتى أنه من غير المحتمل أن يكون شخص واحد كتب الرسالتين .

٤ — هناك بعض الدلائل من رسالة بطرس الثانية تشير بوضوح الى أن الرسالة ترجع لتاريخ متأخر . فلابد أنه قد مر وقت طويل حتى أن الناس بداوا يفقدون الأمل فى المجىء الثانى كلية (٣ : ٤) . ثم نجد الحديث عن الرسل كرجال الماضى (٣ : ٢) . والآباء — وهم مؤسسو الايمان المسيحى — لم يكونوا فى زمن الرسالة سوى ذكريات شاحية عن الماضى البعيد ، فقد مرت أجيال بين كتابة الرسالة وبين بدء ظهور الايمان المسيحى (٣ : ٤) .

وتوجد اشارات تحتاج لمرور الزمن حتى يمكن تفسيرها . كالاشارة الى قرب موت بطرس (١ : ١٢ — ١٤) ، وهى قريبة الشبه بنبوة يسوع فى (يوحنا ٢١ : ١٨ و ١٩) ، هذا مع أن الانجيل الرابع لم يكتب حتى سنة ١٠٠ م .

ومن الاشارة الى رسائل بولس (٣ : ١٥ و ١٦) ، ومن هذه الفقرة التى وردت فيها الاشارة يتضح أن رسائل بولس كانت منتشرة فى كل مكان ، وانها أصبحت عامة ، ثم أنها كانت تعتبر ضمن أسفار الكتاب المقدس جنبا الى جنب مع « الرسائل كلها » (٣ : ١٦) . وأن رسائل بولس لم تجمع وتنشر سوى حتى سنة ٩٠ م ، ومن المؤكد أنها لم تحتل مكانة مقدسة جنبا الى جنب مع باقى الكتب المقدسة سوى بعد مرور وقت طويل على كتاباتها .

وهذا يثبت أنه من المستحيل أن يكتب مثل هذا الكلام عن رسائل بولس سوى حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى .

ان الادلة كلهـا تكاد تجمع على ان رسالة بطرس الثانية كتبت فى وقت متأخر . وانه لم يستشهد بهـا حتى القرن الثالث . وان علمـاء الكنيسـة الاولى العظام لم ينسبوها لبطرس ، هذا مع انهم لم يشكوا مطلقا فى اهميتها . والرسـالة نفسها ايضا بها اشارات تحتاج لوقت طويل حتى يمكن تفسيرها . وان اهم ما يميز رسالة بطرس الثانية هو انهـا آخر سفر كتب فى العهـد الجـديد ، وآخر سفر أيضـا ادرج ضمن أسـفار العهـد الجديد .

اسم بطـرس :

ولكن ، كيف ارتبطت الرسالة باسم بطرس ؟ ان الجواب على هذا السؤال ، هو انها ارتبطت به عن قصـد . قد يبدو ذلك غريبا ، ولـكننا يجب أن نتذكر أن تلك كانت عادة شائعة وطبيعية قديما . فرسـائل افلاطون لم يكن أفلاطون هو كاتبها ، بل أن تلميذا لأفلاطون هو الذى كتبها باسم معلمه . وقد اتبع اليهود ذلك التقليد كثيرا فى كتاباتهم . وقد كتبت كتب كثيرة فى فترة ما بين العهـدين القديم والجديـد تحمل اسماء كسليمان واشعياء وموسى وباروخ وعزرا واخنوخ وكثيرون غيرهم .

وفى زمن العهـد الجديد ، يوجد أدب بكامله يحمل اسم بطـرس ، فهناك انجيل بطرس ، وعظات بطرس ، ورؤيا بطرس .

هناك حقيقة واضحة تفسر هذا التقليد المتبع فى الكتابة وتجعلهـا معقولة . فقـد كان الهراطقة أنفسهم يكتبون كتبا مضللة وملحدة تحمـل أسماء الرسـل العظام وقد ادعو أن تلك الكتب هى التعاليم السرية لمؤسسى الكنيسـة العظام وأنهم تسلموها منهم شفاها . وقد ردت الكنيسـة بالمثل على هذه الكتب ، فأصدرت كتبا أبرز فيهـا رجالها التعـاليم التى كان لابد أن يقولها الرسل فى مواجهة ذلك . فليس هناك أى وجه غرابة بالنسبة لكتاب يحمل اسم بطرس ، مع أن بطرس لم يكتبه . فان يكتب أحد المعـلمين المجهولين كتابا كهذا كان يعد عملا لا غضاضة فيه فى ذلك العصر . قد يكون ذلك الشخص متواضعا اذ يقدم الرسالة التى أعطاها له الروح القدس

تحت اسم بطـــــرس ، لانـــه يحس أن اسمه غير جـــــدير أن ينسب الى الرسـالة .

ان رسـالة بطرس الثانية ليست رسـالة سهلة ، ولكنها رسـالة ذات اهميـــة عظمى ، لأنهــــا كتبت الى أناس كانوا يقللون من شـــأن الآداب المسيحية والتعاليم المسيحية ، وكان يجب ن يوقف كل ذلك عند حده قبـــل أن يستفحل خطر تلك التعاليم المضللة .

الأَصْحَاحُ الأَوَّلُ

الشخص الذى فتح الأبواب

سِمْعَانُ بُطْرُسُ عَبْدُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَرَسُولُهُ إِلَى الَّذِينَ نَالُوا مَعَنَا إِيمَاناً ثَمِيناً مُسَاوِياً لَنَا بِبِرِّ إِلٰهِنَا وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .
(١١ : ١.١)

تستهل هذه الرسالة باشارة جميلة لكل ذى عين بصـــيرة ، ومعرفة كافية بالعهد الجديد . ان بطرس يكتب : « الى الذين نالوا معنا ايمانا ثمينا مساويا لنا » ـــ وهو يسمى نفسه (سمعان بطرس) .

من هم اولئك الناس ؟ ، هنـــاك جواب واحد على ذلك :

لابد أن أولئك النـــاس كانوا من الأمم ، تمييزا لهم عن اليهـــــــود الذين كانوا فى مركز فريد كشعب الله المختـــار . فالذين لم يكونوا قبـــلا شـــعبا صاروا شعب الله المختار (١ بط ٢ : ١٠) ، والذين كانوا أجنبيين وغرباء عن عهد الموعد ، وبعيدين صاروا قريبين (أفسس ٢ : ١١ ـــ ١٣) ان بطرس هنا يوضح ذلك ، مستخدما كلمة لها مدى عميق فى آذان الذين سمعوها . فايمانهم ثمين ومساو لايمان بطرس .

والـــكلمة باليونانية هى (isotimos) ، ان كلمـــــة (isos) تعنى (مساو) و (Time) تعنى (كرامة) . وقد كانت تلك الكلمة تعبر عن الغرباء والأجانب الذين كانوا يمنحـــون حـــق الاقامة كمواطنين فى بلد غريب عنهم . فيوسيفوس ، مثلا ، وهو يكتب عن انطاكية ، يقـــــول ان اليهود فى انطاكية كانوا يمنحون كل حقـــوق المواطنين ، أى أنهم كانوا

مساوين للمكدونيين واليونان سكان المدينة الاصليين ، فى الكرامة والامتياز. ولذا فان بطرس يوجه رسالته الى أولئك الذين كانوا من الأمميين المحتقرين، ولكنهم حصلوا على حقوق كمواطنين مثلهم مثل اليهـــود ، والرســـل أيضا ، فى مدينة وملكوت الله .

هناك شيئان يجب ملاحظتهما عن هذا الامتياز العظيم والعجيب المقدم للأمميين : (أ) لقد منح لهم هذا الامتياز كنصيب . أى أنهم لم يكتسبوه عن جدارة وأنهم لم يستحقوه ، لقد صار لهم هـــذا النصيب ليس بسبب أى استحقاق فيهم ، تماما كمـــا ينال أحدهم جائزة عن طريق القاء قرعة ، وليس بسبب أى مجهـــود خاص ، وبمعنى آخر ، فانه يمكن القـــول ان الامتياز والكرامة اللذين نالوهما كانا بسبب النعمة .

(ب) ثم أن الامتياز الذى حصلوا عليـــه جاء اليهم نتيجة عدل الهمـــم ومخلصهم يسوع المسيح . لقد نالوا هذا الامتياز لأن الله لا يحابى بالوجوه ، فالله ليس عنده « أمة مختـــارة » أو جنس سام ، وأن نعمة الله وفضله وامتيازاته مقدمة دون محاباة لكل أمم الارض .

والآن ، ما علاقة ذلك بالاسم « سمعان » الذى يدعى بـــه بطرس ؟ يدعى بطرس فى معظم الاحيـــان بهذا الاسم فى العهـــد الجديد ، ولقـــد كان اسمه قبـــلا سمعان ، قبل أن يلقبــــه يسوع بصفـــا أو بطــــرس (يوحنا ١ : ٤١ و ٤٢) ، ولكن هنـــاك حادثة أخرى فقط فى العهـــــد الجديد ، دعى فيهـــا بطرس باسم (سمعان) فأين وردت هذه الحادثة ؟ لقـــد ذكرت فى قصة مجمع أورشليم فى (أعمـــــال ١٥) ، فقد قرر مجمع الكنيسة فتح الأبواب على مصراعيها للأمميين .

فيعقوب يقول بهذه المناسبة : « سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولا الامم ليأخذ منهم شعبا على اسمه » (أعمال ١٥ : ١٤) ، دعى بطرس بسمعان فى تلك المناسبة العظمى عندما فتح أبواب الكنيسة على مصراعيها للأمم . وهنـــا فى هذه الرسالة يبدأ بطرس بالتحية للامميين ، الذين نالوا بنعمة الله ، حق الاقامة كمواطنين فى ملكوت الله كاليهود والرسل أيضا ، ونجد انه يلقب باسم سمعان ، والمناسبة الاخرى فقط التى لقب فيهـــا

بهذا الاسم كانت عندما كان الاداة الفعـــــالة فى منح هذا الامتيــــاز للأمميين .

فعندما يدعى بطرس (سمعان) ، فان الاسم يذكرنا بأن بطرس هــو الرجل الذى فتح الأبواب . انه فتح الأبواب لكرنيليوس ، قائد المائة الأممى (أعمال ١٠) ، واستخدم سلطانه كرسول فى فتح الابواب للأمميين فى مجمع أورشليم (أعمال ١٥) . فان يدعى بطرس باسم (سمعان) ، فان هذا يذكرنا بأنه الشخص الذى فتح الابواب الموصدة .

الخــدمة المجيــدة

ان بطرس يلقب نفسه (بعبد) يسوع المسيح . والـكلمة تعنى أكثر من مجــرد (خادم) ، انها تعنى (عبد) . ان هذا اللقب يدل على التواضع ، وأن أعظم الرجال يعتبرون هذا اللقب دليلا على الكرامة . فموسى القــائد العظيم ، والمشرع كان يلقب بعبد الله (تثنية ٣٤ : ٣٥ ، مزمور ١٠٥ : ٢٦ ، ملاخى ٤ : ٤) . ويشوع القائد العظيم أيضا يسمى بعبـــد الله (يشوع ٢٤ : ١٩) . وداود أعظم الملوك كان عبـــد الله (٢ صموئيل ٣ : ١٨ ، مزمور ٧٨ : ٧٠) .

وبولس فى العهد الجديد كان يلقب بعبد يسوع المسيح (رومية ١ : ١ ، فيلبى ١ : ١ ، تيطس ١ : ١) ، ويفتخر كل من يعقوب (يعقوب ١ : ١) ، ويهوذا (يهوذا ١) بهذا اللقب . وفى العهد القديم ، يلقب الانبياء بعبيد الله (عاموس ٣ : ٧ ، اشعياء ٢٠ : ٣) . وفى العهــد الجــديد نجد أن خادم المسيح هو اللقب الذى يطلق على الانسان المسيحى ، انه عبد (doulos) المسيح (أعمال ٢ : ١٨ ، ١ كورنثوس ٧ : ٢٢ ، أفسس ٦ : ٦ ، كولوسى ٤ : ١٢ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ٢٤) ان هــذا اللقب يدل على معنى سـامٍ عميق .

١ ــ فعندما يدعى المسيحى بعبد الله ، فان هذا يعنى أنه ملك لله . ففى العالم القديم ، كان السيد يمتلك العبيد تماما كما يمتلك ادواته الصماء. ان الخادم يمكنه أن يستبدل سيده ، ولكن العبد لا يستطيع . فالمسيحى يعتبر ملكا لله .

٢ ــ المسيحى كعبد لله يعنى أنه تحت تصرف الله بالتمام . قديما كان السيد يعمل ما يحلو له بالعبـــد ، فقد كان يتصرف بالعبد كما يتصرف بأدواته الصماء ، فقد كان يملك حق الحياة والموت بالنسبة للعبد . ان المسيحى ملك لله ، اذ أن الله يرسله حيث شاء ، ويفعل به ما يريد .

ان المسيحى هو الشخص الذى يعتبر أنه ليس له حقوق ذاتية ، لأنه يسلم كل حقوقه تسليما تاما لله .

٣ ــ ان تسمية المسيحى بعبد الله تعنى أنه يطيع الله طاعة عمياء . فقد كان أمر السيد فى الناموس القديم هو القانون الوحيد للعبد . وحتى لو أمر العبد بأن يفعل شيئا مخالفا للناموس ، فانه لم يكن يستطيع أن يعترض على ذلك، لأن أمر السيد هو ناموسه الوحيد. فالمسيحى عليه أن يسأل هذا السؤال فى مواجهة أى موقف : «يارب . ماذا تريد منى أن أفعل ؟ » ، ان أمر الله هو ناموسه الوحيد .

٤ ــ تسمية المسيحى بعبد الله تعنى أنه يجب أن يكون دائما فى خدمة الله . فالعبد قديما لم يكن لديه أى وقت خاص به ، لا أعياد ولا أوقات فراغ ، ولا اتفاق يحدد ساعات العمل . فكل وقته كان ملكا لســـيده . والمسيحى بالمثل ، لايمكنه أن يقسم وقته قسمين وقت لله ، ووقت لنشاطه الخـــاص ليعمل ما يريد . فالمسيحى يجــب أن يخصص كل لحظـــة من حياتــه فى خدمة الله .

ونشير أيضا الى نقطة أخرى . فبطرس يتحدث هنـــا عن عدل الهنا ومخلصنا يسوع المسيح . وبعض النسخ تترجمها هكذا « بر الله ومخلصنا يسوع المسيح » ، كما لو كان يشار الى شخصين ، الله والمسيح ، ولـــكن (موفات) والطبعة الامريكية للكتاب ترينا فى اليونانية ، أن المشـــار اليه شخص واحد فقط ، فالعبـــارة وردت هكذا « الهنـــا ومخلصنا يســـــوع المسيح » ، وأهمية ذلك ترجع لأن العهد الجـــديد نادرا ما يستخدم ذلك . فالعبارة كما وردت تسمى المسيح بالله . والآية المشابهة لهـــا هى صرخة توما عنـــدما تعرف على الرب اذ قال : « ربى والهى » (يوحنا ٢٠ : ٢٨) وليس هذا مثار جدل ، أو موضوع بحث لاهوتى ، لأن بطرس وتوما اذ يدعـــوان

المسيح بالله ، فانهما يعبران عن شعورهما القلبي بالتعبد لله ، وليس تعبيرا عن موضوع لاهوتي ، ففي أعماق مشاعرهما القلبية ، احسا بأن التعبيرات البشرية تعجز عن أن تعبر عن ذلك الشخص الذي يدعوانه بالرب .

المعـرفة الثمينة

لِتَكْثُرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَيَسُوعَ رَبِّنَا .

(١ : ٢)

ان بطرس يـكتب هنا عبارة قد تبدو غريبة . فالنعمة والسلام تأتى من (المعرفة) ، معرفة الله ويسوع المسيح ربنا . ماذا يقصد بذلك ؟ هل يعزى الاختبار المسيحى الى شيء يعتمد على المعرفة ؟ ام ، انه يقصد شيئا خلاف ذلك ؟ .

لنبحث أولا فى الكلمة التى يستخدما تعبيرا عن المعرفة . فالكلمة هى (epignôsis) ، وقد تعنى هذه الكلمة معنيين .

(أ) قد تعنى ازدياد المعرفة . فالكلمة (gnôsis) هى الكلمة اليونانية الدالة على المعرفة ، وهنـا نجدها مسبوقة بحرف الجر (epi) الذى يعنى (نحو) أو فى اتجاه ، اذن فكلمة (epignôsis) يمكن تفسـيرها على انهـا المعرفة التى تتجه دائما فى اتجاه الشيء الذى يراد معرفته. فالنعمة والسلام تكثر للمسيحى اكثر واكثر ، بمعرفته ليسوع المسيح افضل وافضل . فكلما تثبت المسيحى من معرفته ليسوع المسيح ، كلما أدرك معنى النعمة واختبار السلام . وكلما تعرفنا بالمسيح معرفة أفضل ، كلما أدركنا عظمة النعمة ، وتأكدنا من اختبار السلام الذى يفوق كل عقل .

(ب) والـكلمة تعنى معنى آخر ، فهى باليـونانية تعنى دائمـا (ملء المعرفة).ان (بلوتارك) يستخدم هذه الكلمه مثلا للتعبير عن المعرفة العلمية بالموسيقى تمييزاً لها عن المعرفة الناجمة عن مجرد الهواية . ولـذا فان الكلمة هنا قد تعنى المعرفة بالمسيح ، تلك المعرفة التى نسميها « أعظم علم بالحياة » ، فالعلوم الأخرى قد تجلب مهـارة جديدة أو معرفة جديدة أو قدرات خاصة ، ولكن سيد العلوم كلهـا ، هو معرفة يسوع المسيح ، فتلك المعرفة وحدها هى القادرة على أن تأتى بالنعمـة التى يحتاجها الانسان

والسلام الذى يسعى البشر للحصول عليه .

ولكن هناك أكثر من ذلك . فقد كان بطرس يستخدم الفـــاظا كانت شائعة الاستعمال فى عصره ، وكانت مليئة بالمعنى . فقد كانت كلمـــــة (المعرفة) مستعملة كثيرا فى العقائد الوثنية فى الوقت الذى كتبت فيه هـــذه الرسالة .

خذ مثلا لذلك ، فاليونان عرفوا (Sophia) التى تعنى (الحكمة) ، بأنها معرفة الأمور البشرية والالهية معا . ولقد كان باحثو اليونان يبحثون عن الله وعن معرفته بطريقتين رئيسيتين :

(ا) لقد كانوا يبحثون عنه بالتفـــكير الفلسفى . فقد كانوا يحاولون الوصول الى الله بقوة الفكر المطلق . وهذا كان يقتادهم لمواجهة صعاب جمة؛لان الله غير محدود،وعقل الانسان محدود،والمحدود لايمكن أن يدرك غير المحدود . لقد قال صوفر قديما : « االى عمق الله تتصل ام الى نهـــاية القدير تنتهى ؟ » (أيوب ١١ : ٧) ان معرفة الله يمكن التوصل اليهـــــا ، ليس بسبب اكتشاف العقل البشرى ، بل لأن الله أراد أن يظهر نفسه .

هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى ، فانه اذا كانت الديانة تبنى على تفكير فلسفى ، فواضح اذن انها تكون حينئذ للقليلين فقط على احسن الفروض ، لانه لا يمكن للجميع أن يكونوا فلاسفة ، وعندئذ يترك البسطاء بعيدين عن الله . ان بطرس لا يمكن أن يقصد بالمعرفة هذا المعنى .

(ب) وقد كانوا أيضا يبحثـــون عن تلك المعــــــرفة بالله عن طريق التصوف . لقد كانوا يبحثون وراءها عن طريق اجتيــــازهم فى اختبـــارات صوفية غامضة للبحث فى الأمور الألهية ، حتى يمكن للواحد منهم أن يقـــول لله : « أنا هو أنت وأنت أنا » ، لقد كان ذلك هو طريق الديانات الغامضة ، فقد كانت كلهـــا فى جوهرها تعبر عن مأساة درامية بطلهـــــا اله يقاسى ويموت ويقوم ثانية . وقد كانت تلك التعاليم السرية تعـــد جيـــدا لتقـــدم للناس الذين يراد تعليمهم بتعاليم تلك الديانات ، وكان لابد من الصيام الطويل والامتناع عن جميع المسرات وتهيئة الجو النفسى الملائم قبل تأدية الفرائض الدينية ، وذلك عن طريق الموسيقى والضوء المعين المعــد لـــكل مناسبة ،

وحرق البخور . وكان الهدف من كل ذلك ، اعداد المعتنقين لتلك الديانات اثناء مشاهدتهم لتلك الطقوس الغـــامضة ، أن يندمجوا في ما يشاهدونه حتى يتحدوا مع ذلك الاله المتألم ثم المائت ثم المقام .

وهنا نواجه مصاعب أيضا . فليس الجميع متصوفين ، وليس الكل بقادرين على اجتياز هذا الاختبار . ثم أن اختبار كهذا لا يلبث أن يزول أمام الواقع . قد يترك اثرا ، ولكنه لا يمكن أن يكون اختباراً دائما ، فالتصـــوف هو امتياز يتمتع به الاقلية ، وهو دائمــا اختبار فوق العادة .

(هـ) فان كانت معرفة المسيح لا يمكن التوصل اليها بالأفكار الفلسفية أو بالاختبارات الصوفية ، فما هى اذن ؟ وكيف يمـكن التوصل اليهـا ؟ . يوضح لنا العهـد الجديد أنها « معرفة شخصية » ، ان بولس لا يقول « انى عالم (بمـا) آمنت » ولكنه يقـــول « انى عالم (بمن) آمنت » (١ تيموثاوس ١ : ١٢) فالمعرفة المسيحية بالمسيح هى معرفة شخصية به ، انها معرفة المسيح كشخص وانشـاء علاقة شخصية معـه تنمو على مر الأيام .

وعندما يتحدث بطرس عن النعمة والســلام الذى يكثر بمعرفة الله ويسوع المسيح ، فانه لا يتحدث عن المعرفة العقلية كأساس للديانة ، ولكنه يقول ان المسيحية تعنى علاقة شخصية بيسوع المسيح .

قدرة المسيح الالهية

كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الْإِلٰهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيٰوةِ وَالتَّقْوَى بِمَعْرِفَةِ الَّذِى دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ . اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ لِكَىْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الْإِلٰهِيَّةِ هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِى فِى الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ . وَلِهٰذَا عَيْنِهِ وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ قَدِّمُوا فِى إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً وَفِى

الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً . وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى . وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً وَفِي الْمَوَدَّةِ الْأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً .
(١ : ٣ — ٧)

فى الجزء الأول من هذا القسم ، فى عدد (٣ و ٤) ، نجد صورة عظمى ورائعة ليسوع المسيح .

١ — فهو (مسيح القوة) : ففيه القوة الالهية ، التى لا يمكن أن تهزم أو تفشل فى النهـاية . من مآسى الحياة فى عالمنا البشرى ، أن المحبة الارضية دائمـا تبوء بالفشـل ، لأن المحبـة هذه لا تستطيع أن تعطى ما تريد أن تعطيه ، ولا تستطيع أن تفعل ما تريد ، ولذا فهى تقف عاجزة حيال الشخص المحبوب الذى يواجه الخطر . ولكن لا يجب أن يغيب عن بالنا أن محبة المسيح لاتقهر ، اذ أنهـا المحبة المنتصرة دائما ، وذلك لأن قوة المسيح تظـاهرها وتساندها .

٢ — انه (مسيح الكرم) : فهو يهب لنا كل ما هو ضرورى لحياتنا ، وكل ما هو لازم لاكمال مسيحيتنا وتقوانا . ويجب ملاحظة أن الكلمة التـى يستخدمها بطرس تعبيرا عن التقوى تعنى الديانة العملية . ان بطرس يريد أن يقول ان يسوع المسيح يخبرنا عن كل ما يتعلق بالحياة ، ثم يمكننا من أن نحياها كما يجب ، وهو يعطينا الديانة التى لاتعنى الهروب من الحياة ؛ بل تعنى الاندماج فى الحياة والانتصار عليها .

٣ — انه مسيح (المواعيد الثمينة والعظمى) : ان ذلك لا يعنى أنـه يأتى لنـا بجميع المواعيد العظمى والثمينة ، بقـدر ما يعنى أن تلك المواعيد تصبح لنا بالمسيح وفيه . وقد عبر بولس عـن ذلك ، بأسلوب مختلف حين قال ان « مواعيد الله فيها النعم والأمين فى المسيح » (٢ كورنثوس ١ : ٢٠) أى أن المسيح يقول : « نعم .. ليكن كذلك » لجميع مواعيد الله .

فهو يثبتها ويضمنها لنا . قيل — انه ما مادمنا نعرف المسيح ، فكل وعد

يصادفنا فى الكتاب ، فاننا نستطيع أن نقــول عنه فى الحال « هذا الوعد لنا » .

٤ ــ انه المسيح الذى به « نهرب من الفساد الذى فى العالم » لقــد قابل بطرس اناسا كانوا يستخدمون نعمــة الله كستيرة وعــذر لارتــكاب الشرور . لقد أعلنوا أن النعمة هى اعظم شيء فى العالم ، وان النعمة كافية لتغطية كل خطية . ولذا ، فليس ثمة داع للقلق . فالخطية لا تهم لأن نعمة المسيح تكفى لغفرانها ، والخطية تقدم لتلك النعمة فرصا جديدة لكى تكثر وتعمل . ولكن هذا القول مصدره اناس يحبون الخطيــــــة ، وعندهم نية الخطأ . ولكن يســــــوع المسيح هو الشخص الذى يستطيع ان يخلصنا من جاذبية شهوة العـــالم ، ويطهرنا وينقينا بحضوره وقوته . فالسير مع المسيح يعنى النجاة من فساد العالم . صحيح انه ما دمنا نعيش فى هذا العــالم ، فان الخطية لابد أن تغرينا ، ولكن بحضور المسيح معنــــا ، فاننا يمكن أن نتحصن ضد اغرائها .

٥ ــ انه المسيح الذى يجعلنا « شركاء الطبيعة الالهية » وهنـــــا يستخدم بطرس تعبيراً يعرفه المفكرون الوثنيون جيدا . فقد كانوا يحدثون كثيرا عن المشاركة فى الطبيعة الالهية . ولكن هناك فرق واضح ــ فقد كانوا يؤمنون بأن الانسان كما هو ، به شيء من الطبيعة الالهيـــــة ، واعتبروا الانسان الهيا فى ذاته . وكل ما على الناس أن يسمنوه هو أن يحيوا فى اتفاق مع الطبيعة الالهية الكامنة فيهم .

ولكن هذا مخالف لما هو مشاهد فى الحيــاة فنحن نرى أمامنا المرارة والــكراهية والشهوة والجـــريمة ، ونرى فى كل مكان الفشل الاخلاقى ، والعجز الروحى ، وعدم تحقيق المثل العليـــا . اننا فى كل عصر نشاهد عجز الانسان التام عن الوصول الى الاهداف الروحية أو تحقيق المثل العليا . ولكن المسيحية تنادى بأنه فى مقــدور البشر أن يشاركوا الطبيعة الالهية . ان المسيحية تواجه واقع البشر كمـــا هو ، ولكنها فى نفس الوقت لا تضع حدودا لمـــا يمكن أن يحققه الانسان .

قال يسوع « لقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يوحنا

١٠ : ١٠) . كما قال احد الآباء القدامى عن يسوع : « أنه يمكننا من ان نصير مثله » . ان الانسان بمقدوره أن يشارك الطبيعة الالهية ــ ولــكنه لا يمكن أن يصل الى تحقيق هذا الهدف سوى فى المسيح يسوع ، ففيه وحده يمكن تحقيق ذلك .

الاستعداد للسير فى الطريق

فى هذه الفقرة يحثنا بطرس على تجميع كل قوانا لاعداد أنفسنا بمجموعة من الفضائل العظمى . والكلمة التى يستخدمها « وهبت » لنا كلمة ذات أهمية كبرى ، وهو يستخدم نفس الكلمة فى عدد (١١) حين يتحدث عن أنه (قــدم لنا بسعة الدخول الى الملكوت الأبدى) .

وتعــد هذه الــكلمة ضمن احدى الــكلمات اليونانية المعبرة ذات الماضى الحافل . فالفعل (epichorégein) مشتق من الاسم (Chorégos) والذى يعنى حرفيا(قائد الفرقة الموسيقية) . ربما كان من أعظم ما أهــداه الاغريق للعالم ، واثينا بالذات ، هى تلك التمثيليات الدرامية والروائية التى كتبها اناس مثــل اسكيلوس ، وسوفوكليس ، ويوروبيدس ، والكتب الأدبية والفنية التى ما زالت تعد من أعظــم ما يعتز به العــالم . لقــد كانت الروايات تحتاج لفرق موسيقية كبرى ، لانها كانت جزءا لا يتجزأ من نفس التمثيليات . ولذا كان انتاج مثل هذه التمثيليات مكلفا للغاية . وقد كان فى اثينا قديما مواطنون يأخذون على عاتقهم مهمة جمع وتدريب واعداد الفرق الموسيقية. وكانت هذه التمثيليات تقدم فى المناسبات والأعياد الدينية الهامة. فمثــلا ، فى مدينة ديونيسية قدمت ثلاث تمثيليات درامية وخمس فكاهية ، وخمس أخرى من الأغانى الحماسية التعبدية . وكان لابــد من البحث عن اشخاص يقومون بتدريب واعداد الفرق اللازمة لمثل هذه الحفــلات . وأن تمثيليات كهــذه كانت تكلف الشخص مبلغ ٣٠٠٠ دراخما ، وكان يعــد من الشرف تدريب واعداد مثل هذه الفرق الاعداد اللائق . وأن الرجال الذين كان يوكل اليهم هذه المهمة ، يتبرعون من مالهم الخاص لهم ، وبدافع حبهم لبلدهم ، هؤلاء النــاس كان يطلق عليهم لقب (Chorégoi) ، والفعل (Chorègein) يعنى القيام بهذه المهمة . والكلمة لذلك ، تعنى الاعداد

بسعة ووفرة ، أنها لا تعنى الاعداد الضعيف الذى لا يكلف كثيرا ، انها تعنى الانفاق بسخاء وعن طيب خاطر ، وبذل كل الامكانيات وللنقـــود اللازمة الجديرة بحفل ممتاز .

وقد تطور استعمال الكلمة بعد ذلك ، واتسع مدلولها واصبحت لاتعنى فقط اعداد الفرق المسرحية ، بل تعنى أيضا اى اعداد من أى نوع ، فقـــد تطلق الـــكلمة على اعداد الجيش بكل ما يلزمه من امدادات ومؤن ، كمـــا تعنى اعداد النفس بكل ما يلزمها من فضائل جميلة فى الحياة . ولكن الفكرة تحمل دائما الاعداد بسخاء وعن سعة .

ولـــذا فان بطرس يحث شعبـــه أن يسلحـــوا انفسهم بكل فضيلة ، ولا ينبغى أن يكون هذا التسلح بأقل قـــدر ممكن من الفضـــائل ، بل يجب التسلح بأكبر عدد ممكن منها . ان الكلمة التى يستخدمها بطرس تحثنا بألا نقنع سوى بمستوى عال رفيع من الحياة الفضلى .

ولكن يجب الا يفوتنا شىء آخر . ففى عدد ٥ و ٦ يذهب بطرس الى القول اننا يجب أن نضيف فضيلة الى أخرى حتى نصل الى المحبة المسيحية ، وذلك حسب الطبعة الاصلية . وهنا يذكرنا بالفـــكرة الرواقية القائلة بأنه يجب أن يكون فى الحياة تقدم أخلاقى مطرد وهو ما أسموه (Prokopè) وهى كلمة يمكن أستخدامها للتعبير عن (تقدم الجيش نحو هدفه) . ويجب أن يكون فى الحياة المسيحية مثل هذا التقدم الاخلاقى المستمر . يستشهد موفات بمثل يقول : « ان الحياة المسيحية لا يجب أن تكون عبارة عن حركة مبدئية يعقبهـــا قصور ذاتى مزمن » فقد يغلب أن يكون الأمر هكذا . لحظة من الحماس فى بدء الحياة المسيحية ، ثم فشل فى تحقيق المطـــالب المسيحية بعد ذلك .

وهذا يأتى بنا الى فكرة أساسية أخرى . فبطرس يأمر شعبه ان يبذلوا « كل اجتهاد » للقيام بذلك . اى انه فى الحيـــاة المسيحية يجب أن يتلاقى المجهود البشرى مع نعمة الله . كما قال بولس « تمموا خلاصكم بخـــوف ورعدة ، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجـــل المسرة » (فيلبى ٢ : ١٢ و ١٣) . صحيح أن الايمان هو أساس كل شىء ، ولـــكن

الإيمان الذي لا يظهر في الحياة العملية ليس ايمانا على الاطلاق ، كمـــا يعلن بولس . فالايمان ليس ضروريا فقط لتصديق مواعيد المسيح ، ولـكنه ضرورى أيضا لتتميم مطاليب المسيح . يشير بج الى أن أرسطوطاليس في احد مؤلفاته قد كتب مناقشة عن سر السعادة ، يقول فيها انه توجد ثلاث نظريات تدور حول سر السعادة . (١) فالسعادة قد تأتي بالمران والتعـليم وتكوين عادات صالحة . (٢) وهى هبة من الله كما تسم للواحد . (٣) والسعادة وليدة الصدفة ، وهى تحت رحمة ظروف متقلبة . والحقيقة من وجهة النظر المسيحية — أن السعادة تعتمد على هبة من الله وعلى مجهوداتنا الخاصة . وكذلك نحن لا نكسب الخلاص أى نحصل عليـه بمجهودنا ، ولكننا في نفس الوقت يجب أن نبذل كل اجتهاد للتقدم نحو الغرض ، وهو الحيـاة المسيحية المبـاركة . ويعلق بنجل على هذه الفقرة ، فيطلب منا مقارنة ذلك بمثـل العشر عذارى ، الخمس الحكيمات والخمس الجاهلات ، فيقول : « ان الشعلة قد وهبت لنا من الله وبدون اى مجهود خاص ، ولكن الزيت هو نتيجة المجهود البشرى المخلص ، حتى يمكن للشعلة أن تضطرم وتنير » .

ان الايمان لا يجرد الانسان من الأعمال ، وسخاء الله لا يعنى الانسان من بذل المجهود . ان الحياة في أسمى حالة لهـا وانبلهـا ، هى ارتباط بين مجهوداتنا ونعمة الله .

سلم الفضـــائل

لنتأمل اذن في قائمة الفضائل التى يجب اتباعها بكاملها ، ويجب أن نشير هنا الى أن قوائم الفضائل هذه كانت شائعة قديما ، فلم تكن الـكتب بهذا الشيوع ، كما كانت غالية الثمن ، وكان من المتعذر الحصول عليها . ولذا كان معظم أنواع التعليم يحصل عليه الطـالب شفاها ثم يحـاول أن يستذكره عن طريق قوائم تسهل عليه جمع المعـلومات وحفظها . وأن قوائم الفضائل أمر شائع في العهـد الجديد . فبولس يذكر ان ثمر الروح هو محبة ، فرح ، سلام ، طـول أناة ، لطـف ، صـلاح ، ايمـان ، وداعة ، تعفف (غلاطية ٥ : ٢٢ و ٢٣) . وفى الرسائل الرعوية ، نجـد أن رجـل الله يجب أن يتبع البر والتقـوى والايمـان والمحبـة والصبر والوداعة (١ تيموثاوس ٦ : ١١) . وفى كتـــاب « راعى هرمس »

(الرؤى ٣ : ٨ : ١ — ٧) نجد هذه الفضائل : الايمان والتعفف ، والبساطة والبراءة ، والوقار والفهم والمحبة . وفى « رسالة برنابا الثانية » نجد أن الايمان يحتاج للاحتمال وخوف الله وأن الصبر والتعفف ضروريان لنا ، وعندما نتحلى بهذه الفضائل فان ذلك يقودنا لامتلاك الحكمة والتعقل والفهم والمعرفة . لنتأمل اذن فى هذه القائمة من الفضائل الواحدة بعد الأخرى :

١ — تبدأ هذه القائمة (بالايمان) . فالايمان هو اساس كل شىء . والايمان هو الاعتقاد بأن ما يقوله يسوع المسيح حق ، وهو الثقة التامة فى مواعيده ، والانصياع الكامل لوصاياه . انه اليقين الكامل بأن قبول المسيح والثقة فى أقواله هو الطريق الى السعادة والسلام والقوة هنا وفى الأبدية .

٢ — يضاف الى الايمان ، ما تسميه الطبعة الاصلية « الفضيلة » ، وما نسميه نحن « الشجاعة » . والكلمة باليونانية هى (areté) ، وهذه الكلمة نادرة فى العهد الجديد ، انها الكلمة اليونانية المثلى للتعبير عن (الفضيلة). انها تعنى (التفوق والامتياز) ، وهى قد تعنى شيئين :

(أ) ان (aretè) اليونانية تعنى التفوق المجدى الذى يأتى بالنتائج الباهرة . والكلمة تستخدم للتعبير عن الارض الخصبة المثمرة التى تأتى بالمحصيل الوفيرة ، وتستخدم ايضا للتعبير عن اعمال الآلهة العظيمة النافعة .

وهى تعنى الفضيلة التى تخلق المواطن الصالح النافع ، انها الفضيلة التى تجعله خبيرا فى فن المعيشة .

(ب) والكلمة تعنى غالبا باليونانية « الشجاعة » . يقول بلوتارك ان الله هو مصدر « الشجاعة » ، فلا عذر للجبن ، وفى سفر المكابيين الثانى نقرأ قصة اليعازر وكيف انه فضل الموت على أن يبطن نواميس الله والآباء ، وتنتهى القصة بأن موته يعد نموذجا للشجاعة النادرة النبيلة ، وتذكارا مجيدا للفضيلة ، ليس فقط للشبان ، ولكن للأمة كلها (٢ مكابيين ٦ : ٣١) .

ولا داعى للمفاضلة هنا بين هذين المعنيين ، فكلاهما صائب .

فالايمان لا يظهر فى الانزواء فى صومعة بعيدا عن الناس ، أو فى أحد الأديرة البعيدة ، ولكنه يتلألأ فى الحياة المثمرة فى خدمة الله والانسان ، ثم أن الايمان يظهر فى الشجاعة تعلن عن صاحبها وعن مصدرها .

٣ ـ ويضاف للشجاعة « المعرفة » . والكلمة هى (gnõsis) وتوجد كلمتان مشابهتان لهذه الكلمة فى المعنى مع وجود اختلاف ظاهرى ، فالكلمة اليونانية (Sophia) تعنى الحكمة بمعنى « معرفة الامور البشرية والالهية ، وأسبابها » ، فالكلمة Sophia ، تعنى معرفة العلل الأولى ، والأشياء الروحية العميقة . ومن الناحية الأخرى نجد أن كلمة (gnôsis) تعنى « المعرفة العملية » ، انها معرفة ما يجب عمله تجاه موقف معين ، انها المعرفة التى تؤدى الى تطبيق المعلومات التى أتت بها الحكمة . انها المعرفة التى تمكن الانسان من حسن التصرف ، ومواجهة ظروف ومواقف الحياة مواجهة حكيمة ناجحة . ولذا فالايمان يلزمه الشجاعة والفاعلية ، اللذان يحتاجان بدورهما الى الحكمة العملية لمواجهة الحياة .

٤ ـ يضاف الى هذه العملية « التعفف » أو « ضبط النفس » . أن الكلمة باليونانية تعنى حرفيا (القدرة على ضبط النفس) وهى فضيلة تحدث عنها ، وكتب فيها عظماء الاغريق كثيرا .

فقد أفرد ارسطو طاليس أربع حالات مختلفة تحدد موقف الانسان من نزواته : فالحالة الأولى هى التى تخضع فيها النزوات للعقل خضوعا تاما ، فالمعركة تنتهى بفوز العقل . اننا نسمى هذه الحالة (بالاعتدال التام) . والحالة الثانية هى على النقيض تماما . فالعقل هنا يخضع للنزوات تماما ، ويخسر الانسان المعركة ، حيث تسود النزوات ، ويمكن تسمية ذلك « بالشهوة الجامحة » . وبين هاتين الحالتين نجد الحالة التى تدور رحى الحرب فيها بين المنطق والنزوات ، ولكن النزوات تسيطر ، وتستمر المعركة ، ولكنها معركة خاسرة . اننا نسمى هذا الموقف « بالتناقض » .

وهناك أيضا حالة حيث تدور المعركة بين العقل والنزوات وينتصر

العقل ، وتستمر المعركة ، ولكنها معـــركة رابحة ، اننا نسميها « ضبط النفس » أو « التعفف » .

ان ضبط النفس هذا يعد من اعظم الفضائل المسيحية ، والمكانة التى تفسحها التعاليم المسيحية لهذه الفضيلة ، مكانة بارزة مما يعـد دليلا على صحة هذه التعاليم . فالتعاليم المسيحية لا تنادى بأن الانسان مجرد من كل نزوة ورغبة أو عاطفة ، بل انها تفترض وجود هذه النزوات والرغبـات فى الانسان ، ولكنها تبقى تحت سيطرة ارادة الانسان ، ولذا فانها تبقى خادمة له ، وليست سيدا يتحكم فيه .

٥ ــ ويضاف الى « التعفف » فضيلة « الثبات » ، والكلمة باليونانية هى (hupomonè) . ان « كريستوم » يدعو هذه الفضيلة (بملكة الفضائل) وهى مترجمة « الصبر » ، ولكن الصبر كلمة سلبية فكلمة (hupomoné) اليونانية توحى بالشجاعة .

يعرف شيشرون هذه الفضيلة بأنها « الالم الاختيارى اليومى وتحمل الصعاب لأجل الفائدة المرجوة ، والكرامة » . ويكتب ديدموس الاسكندرى معلقا على سجايا أيوب فيقول : « ان تجشم البار للصعاب والآلام التى تقابله لا يعنى أنه فاقد الحس ، ولكن الفضيلة تحتم عليه أن يحتقر الآلام والمتاعب التى يحس بها فى سبيل الله » .

ان هذا الثبات المسيحى لا يعنى قبـول الالم هكذا ببساطة ، انه يعنى (عمل ايجابى فى مواجهتـــه) . قال كاتب العبرانيين عن يسوع : انه « احتمل الصليب مستهينا بالخـــزى من أجل السرور الموضوع أمامه » (عبرانيين ١٢ : ٢) . هذا هو الثبات . فالثبات المسيحى يعنى تحمل كل مـا تأتى به الأيام بشجاعة ، وتحويل أقسى الظروف والحوادث الى خطوات فى فى الطريق الى الأمام قدما نحو المسيح .

٦ ــ يضاف الى الصبر أو الثبات فضيلة « التقوى » . والـــكلمة الاصلية يصعب ترجمتها ، وحتى كلمة « تقوى » توحى بشىء غير جذاب . ان كلمة (eusebeia) كلمة ذات شعبتين . فالرجل الذى يتميز بهذه الصفة يعبد الله بالتمام ، ويعطى الله حقه ولكنه أيضا يخـــدم الآخرين ويعطيهم

حقهم . فالرجل الذى يتميز بهذه الصفة تربطه بالله علاقة سليمة كما تربطه بالبشر علاقة سليمة ايضا . فهذه الصفة تعنى التقوى والديانة ، من الناحية العملية وليس من الوجهة النظرية فحسب .

ولكى نفهم معنى هذه الكلمة تماما ، يستحسن أن نتأمل فى الرجل الذى كان يعتبره الاغريق خير ممثل لهذه الصفة ، هذا الرجل هو سقراط ، ان اكسينيفون يصفه بأنه « كان تقياً ومتديناً جداً حتى أنه لم يكن يخطو خطوة واحدة بدون ارادة السماء ، وانه كان مستقيما وعادلا حتى أنه لم يوقع بأنفه الأذى على أى انسان ، وكان معتدلا وضابطا لنفسه حتى أنه ما اختار أبدا الطريق الأسهل ، وأنه كان عاقلا وحكيما حتى أنه ما أخطأ أبدا فى التمييز بين الخطأ والصواب » (اكسينيفون ، ميمورابليا ١ : ٥ : ٨ — ١١) .

ويصف (واردفولر) الفكرة الرومانية حيال الشخص الذى يتميز بهذه الصفة بأنه «مرتفع عن المطامع والأهواء الفردية والانانية ، ففضيلة التقوى تعنى الاحساس بالواجب الذى لا يفارق الانسان ، الواجب ، أولا نحو الآلهة ، ثم نحو الأب والعائلة ، نحو الابن والابنة ، ونحو المواطنين ثم نحو الامة » .

ان كلمة (eusebeia) هى اقرب كلمة يونانية لكلمة (ديانة) . وكلما حاولنا تعريفها لنرى معناها ، فاننا ندرك أهمية الناحية العملية التى تنبر عليها الديانة المسيحية . فعندما يصبح الانسان مسيحيا ، فانه يواجه بواجب مزدوج ، واجب نحو الله ، وواجب ازاء الآخرين .

٧ — ويضاف الى التقوى ، (المودة الأخوية) . والكلمة تعنى (محبة الاخوة) . هناك من يعتبر أن التعبد الدينى يفصل الانسان عن الآخرين فمطالب الآخرين تعكر صفو صلاته ودراسته لكلمة الله ، وخلوته الروحية . وبذلك تضحى العلاقات البشرية وكأنها نوع من المضايقة . ان ابكتيتوس ، الفيلسوف الرواقى العظيم ، لم يتزوج ، وقد قال متهكما على فكرة الزواج ، بأنه بفلسفته يقدم للعالم اكثر بكثير مما لو أنتج « طفلين أو ثلاثة أطفال » ، وقال : « كيف يمكن لشخص يتفرغ لتعليم الجنس البشرى أن ينشغل باحضار وعاء يضع فيه ماء ، ليعطى حماما لابنه ؟ » ! .

ان بطرس يقول ان هناك خطأ فى الديانة التى تنادى بأن المطالب الشخصية والعلاقات البشرية تشكل تهديدا على الشخص المتدين ، أو أن تلك المطالب تحول بين الانسان والدين .

٨ ـــ واخيرا ، فسلم الفضائل بأسره يجب أن ينتهى بالمحبة المسيحية . فان المودة الاخوية ليست كافية ، فالمسيحى يجب ان يتصف بالمحبة التى تشبه فى مداها وعمقها محبة الله التى تجعله يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين . ان المسيحى يجب أن يتميز بهذه المحبة نحو جميع الناس ، تلك المحبة التى اظهرها الله من نحو المسيحى .

فى الطريق

لِأَنَّ هٰذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ . لِأَنَّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ هٰذِهِ هُوَ أَعْمَى قَصِيرُ الْبَصَرِ قَدْ نَسِيَ تَطْهِيرَ خَطَايَاهُ السَّالِفَةِ . لِذٰلِكَ بِالأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتَيْنِ . لِأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ لَنْ تَزِلُّوا أَبَداً . لِأَنَّهُ هٰكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسَعَةٍ دُخُولٌ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الأَبَدِيِّ .

(١ : ٨ ـــ ١١)

يحث بطرس شعبه هنا على الاستمرار فى صعود سلم الفضائل الذى ابرزه لهم ، وأن يثابروا على الصعود حتى النهاية . فكلما ازدادت معلوماتنا عن موضوع ما ، أصبحنا أهلا لمعرفة اكثر عن هذا الموضوع . وذلك لأن من له يعطى ويزاد ، والتقدم يقود الى مزيد من التقدم . ويقول موفات فى هذا

الصدد : « اننا نعرف عن المسيح اكثر بمقدار ما نحيا معه ولأجله » . كما تقول الترنيمة :

ليعترف كل قلب باسمك

ويعبدك دواما أبدا

وبالبحث عنك ، يلتهب حباً

ليراك اكثر وأكثر

فصعود سلم الفضائل يقربنا اكثر وأكثر من يسوع المسيح ، وكلما ارتقينا اكثر ، كلما ازددنا قدرة على دوام الترقى .

ومن الناحية الأخرى . اذا رفضنا بذل أى مجهود للترقى ، فانه لابد أن : (أ) نصير (عميانا) ، وبدون النور الهادى الذى يقودنا لمعرفة المسيح . فبطرس يوضح هنا أن السير بدون المسيح يعنى السير فى الظلام ، وعدم القدرة على رؤية الطريق . (ب) ونصير أيضا — حسب وصف بطرس — قصار النظر . ان قصر النظر فى الحياة يعنى رؤية الامور فقط كما تبدو فى الحال ، وعدم القدرة على النظر الى مدى بعيد ، ان قصر النظر الروحى يعنى تركيز عيوننا على الأرض ، وعدم التفكير فيما هو أبعد من ذلك . ولكن هذه الجملة قد تعنى « تقفل عيوننا » ، فمن السهل أن نغلق عيوننا على ما لا نريد أن نراه ، فنرى فقط الاشياء التى نريد أن نراها حيال أنفسنا وحيال العالم . فالسير بدون المسيح يعنى خطر قصر النظر أو اغماض عيوننا عن الحقيقة .

ثم يذهب بطرس الى القول ان عدم القدرة على تسلق سلم الفضائل يعنى (نسيان تطهير الخطايا السالفة) . يشير بطرس هنا الى المعمودية ، ففى ذلك الوقت كانت المعمودية للبالغين فقط ، فقد كان قرارا حاسما ذلك الذى اتخذه الشخص أن يترك طرقه القديمة ليتحول الى الطريق الجديد . فالانسان الذى لا يبدأ ، بعد المعمودية ، بالصعود فى سلم الفضائل ،فانه لم يدرك أو يتحقق من معنى الاختبار الذى اجتاز فيه . وقد يعتبر كثيرون أن

المعمودية بهذا المعنى مرادفة للانضمام لعضوية الكنيسة ، فالذى ينضم لعضوية الكنيسة ثم يظل على ما هو عليه ،فانه لم يفهم بعد معنى عضوية الكنيسة ، لأن انضمامنا للكنيسة يعنى بداية تقدمنا وصعودنا سلم الفضائل .

ويسبب كل ذلك ، فان بطرس يحث شعبه أن يجتهدوا ليجعلوا دعوتهم ثابتة ، ان هذا الطلب ذو أهمية بالغة . صحيح أن الدعوة من الله ، فهو الذى أهلنا لنكون ضمن رعية شعبه ، فبدون نعمته ورحمته ، لما استطعنا أن نعمل شيئا ولما توقعنا أى شىء . ان دعوته هى دعوة الشركة معه . ولكن هذا لا يعفينا من بذل اى جهد . لنأخذ تشبيها لذلك ، يساعدنا فى فهم الحقيقة ، والقياس مع الفارق :

لنفرض أن رجلا ثريا رحيما ، التقط غلاما فقيرا ، محروما من كل شىء ، وعرض عليه فرصة التعلم الجامعى بالمجان . ان هذا الشخص يقدم لهذا الغلام فرصة ما كان يحلم بها ، فهو امتياز عظيم لم يكن يتوقعه . ولكن هذا الغلام لا يمكن أن يتمتع بهذا الامتياز ، ما لم يعمل ويدرس ويتعب ، وكلما أتعب نفسه أكثر ، كلما استمتع بالامتياز المقدم له . فلكى يصبح الامتياز نافذ المفعول يجب أن يتوفر عنصران : المنحة المجانية ، ثم المجهود الشخصى . وهكذا بالنسبة لموقفنا مع الله .

فان الله قد دعانا برحمته ونعمته دعوة مجانية لم نكن لنستحقها ، ولكننا فى نفس الوقت ، يجب أن نبذل جهدا لكى نستمتع بهذا الامتياز وهذه الدعوة .

فان سرنا قدما فى هذا الطريق ، فان بطرس يقول لنا ، انه (يقدم لنا بسعة الدخول الى ملكوته الأبدى) ، ثم لا نعثر بعد ذلك فى الطريق (لن تزلوا أبدا) ، ان بطرس لا يقصد بهذه العبارة أننا لن نخطىء أو نرتكب أى خطأ ، انه يصور لنا نوعا من الزحف ، ولذا فانه يعنى أننا لن نعثر فى هذا الزحف المقدس ، ونترك فى المؤخرة . فلو بدأنا السير قدما نحو العلاء ، سيكون المجهود عظيما ، ولكن معونة الله تكون أعظم ، وبرغم كل

المجهـــود المضنى ، فانه يمكننا الا نعثر ، بل نستمر فى التقدم حتى نصل الى نهاية المطاف .

اهتمـــام الراعى

لِذَلِكَ لاَ أُهْمِلُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ دَائِماً بِهَذِهِ الأُمُورِ وَإِنْ كُنْتُمْ عَالِمِينَ وَمُثَبَّتِينَ فِي الْحَقِّ الْحَاضِرِ . وَلَكِنِّي أَحْسِبُهُ حَقّاً مَا دُمْتُ فِي هَذَا الْمَسْكَنِ أَنْ أُنْهِضَكُمْ بِالتَّذْكِرَةِ . عَالِماً أَنَّ خَلْعَ مَسْكَنِي قَرِيبٌ كَمَا أَعْلَنَ لِي رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ أَيْضاً . فَأَجْتَهِدُ أَيْضاً أَنْ تَكُونُوا بَعْدَ خُرُوجِي تَتَذَكَّرُونَ كُلَّ حِينٍ بِهَذِهِ الأُمُورِ . (١ : ١٢ ــ ١٥)

هنـــا يظهر اهتمام الراعى . يرينا بطرس فى هـــذه الفقرة شيئين عن تبشير المبشر ، ثم عن تعليم ومناشدة المعـــلم . فالتبشير أولا : هو تذكـــير الناس بمـــا يعرفونـــه قبـــلا . انه ارجـــاع الحقـــائق التى نســـوها لذاكرتهم ، اذ انهم يرفضون استرجاعها أو أنهم لم يقدروها حق قـــدرها أو لم يدركوها تماما . فقد يحدث غالبـــا أن يكون عمل المبشر والمعلم أن يقول للناس : « تذكروا ما تعرفونه ، وعيشوا وفقا لهذه المعرفة » ، ثم يذهب بطرس بعد ذلك الى التوبيخ والتحذير والتهديد ، ولكنه يقـــول قبل كل ذلك كلاما أشبه بالمديح . فهـــو يبدأ تحذيره بقوله ان شعبه عالم ومثبت فى الحق ، فلا يصح أن ننسى أنه غالبا ما يستطيع المبشر أو المعلم أو الأب أن يحقق نتائج أفضل بالتشجيع أكثر من التوبيخ .

واننا نستطيع أن نأتى بنتائج ايجابية أفضل فى اصلاح الناس ، يحفظ كرامتهم وماء وجوههم ، بدلا من اتهامهم وتوبيخهم . لقد كان بطرس حكيما لأنه عرف جيدا أن أفضل طريقة لجعل الناس ينصتون له أن يبين لهم أنـــه يثق فيهم .

فى هــذه الفقرة يشير بطرس الى موته الجسدى . انه يتحدث عن جسده كمـــا يتحدث عن خلع خيمـــة ، وهكذا فعل بولس ايضـــا (٢ كورنثوس ٥ : ٤) .

ولقد اعتاد قـدامى الـكتاب المسيحيين دائمـا ان يشبهوا الجسد بخيمة . فقـد كتب كاتب (الرسالة الى ديوجنيتس) قائلا : « ان النفس الخالدة تسكن فى خيمة فانية » ، والتشبيه يرجع الى رحلات الآباء فى العهد القديم ، فلم يكن لهم موطن اقامة ، لقـد كانوا يعيشون فى خيام لانهم كانوا فى طريقهم وسياحتهم نحو ارض الميعاد . ان المسيحى يعرف جيدا ان حياته فى العالم ليست اقامة دائمة ، ولكنها رحلة نحو العالم الآتى ، نحو الأبدية . ونجـد نفس الفكرة فى عدد (١٥) ، فبطرس يتحدث عن موته ، (كخروجه) ، ورحيله .

وان هذه الكلمة التى استخدمها بطرس (خـروج) ، قـد استخدمت للتعبير عن رحيل بنى اسرائيل من مصر ، وتوجههم نحو ارض الميعـــاد . ولذا ، فان بطرس لا ينظر الى الموت على انه النهاية ، ولا على انه التحول الى العدم والظلام ، ولكن على انه التوجه نحو أرض ميعاد الله .

ويقــول أن يسوع المسيح قد أخبره بقرب نهـايته . قد تكون هـذه اشارة لمـا أنبأ به يسوع بطرس ، تلك النبـوة التى وردت فى (يوحنـــا ٢١ : ١٨ و ١٩) ، عندما أنبأه يسوع انه يأتى يوم يعلق على خشبة . وأن ذلك اليوم كان قد قارب مجيئه .

ثم يذكر بطرس انه يجتهد أن يجعلهم يتذكرون كل حين هذه الأمـور بعـد خروجه من هذا العالم ، قد تكون هـذه اشارة الى انجيل مرقس . فالتقليد يقول ان انجيل مرقس هو خلاصة عظات بطرس . ان ايريناوس يقــول انه بعد موت بطرس وبولس ، فان مرقس الذى كان تلميذ بطـــرس قد دون كل ما اعتاد بطرس ان يبشر به . ويقــــول بابياس الذى عاش فى نهاية القرن الثانى ، والذى كان يجمع كل ما يتعلق بأخبار الكنيسة فى أيامها الأولى ، مرددا نفس ما قاله (ايريناوس) فيقول : « ان مرقس الـذى كان

مفسراً لأقوال بطرس ، قد كتب بكل دقة — ولكن بدون ترتيب — كل ماجمعه عما قاله يسوع أو عمله. وأنه لم يكن سامعا من الرب نفسه ، ولم يكن تابعا له ، ولكنه كان تابعا لبطرس ، كما قلت ، وترجع تبعيته لبطرس لوقت متأخر ، ولم يحاول بطرس أن يقدم كلمات الرب بصورة منتظمة . ولذا فان مرقس لم يكن مخطئا فى تدوين بعض الأشياء من الذاكرة ، لأن اهتمامه الوحيد كان تدوين كل ما سمعه دون أن يحذف أو يبطل منه شيئا » .

فالتقليد دائما يربط بين تبشير بطرس وانجيل مرقس ، وقد تعنى الاشارة الى خروج بطرس هنا الى أن تعليم بطرس سيكون فى متناول ايدى الشعب فى انجيل مرقس بعد وفاة بطرس .

وعلى اى حال ، فان هدف الراعى (بطرس) أن يقدم لشعبه الحق الالهى اثناء حياته على الأرض ، وانه سيجتهد فى جعلهم يتذكرون هذا الحق باستمرار بعد موته .

انه لم يكتب لهم ليتذكروا اسمه ، بل ليتذكروا اسم يسوع المسيح .

الرسالة الالهية والحق الالهى

لِأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ . لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الْآبِ كَرَامَةً وَمَجْداً إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهٰذَا مِنَ الْمَجْدِ الْأَسْنَى هٰذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ . وَنَحْنُ سَمِعْنَا هٰذَا الصَّوْتَ مُقْبِلاً مِنَ السَّمَاءِ إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ .

(١ : ١٦ — ١٨)

يأتى بطرس هنا الى الرسالة التى كان يريد أن يقدمها لشعبه .

فقد كانت رسالته عن « قوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه » . كما سنرى بوضوح حالما نتقدم فى دراسة الرسالة ، أن الهدف العظيم من هذه الرسالة ، تذكير الناس بيقينية مجىء يسوع المسيح الثانى . وأن الهراطقة الذين يهاجمهم بطرس كانوا ينكرون المجىء الثانى ، وذلك لأن تأخر ذلك المجىء قد جعل الناس يشكون فى امكانية حدوثه ، ولذا فان رسالة بطرس الثانية هى الرسالة التى كتبت اساسا لتأكيد حقيقة المجىء الثانى للمسيح .

لقد كانت هذه هى رسالة بطرس . فبعد أن دون بطرس هذا الحق ابتدأ يتحدث عن السلطان المعطى له ليقرر هذا الحق وهنا نراه يدلى بشىء، يبدو لأول وهلة ، غريبا. فهذا السلطان قد أعطى به لأنه كان مع يسوع على جبل التجلى ، وهناك رأى الكرامة والمجد المتقدمين للمسيح ، وسمع صوت الله يتحدث معه . أى أن بطرس يستشهد بقصة التجلى لا كتدعيم لقيامة يسوع ، كما هو شائع ، ولكن كدليل على مجد المسيح وانتصاره فى مجيئه الثانى .

وأن حادثة التجلى ذاتها قد ذكرت فى (متى ١٧ : ١ — ٨ ، مرقس ٩: ٢ — ٨ ، لوقا ٩ : ٢٨ — ٣٦) . فهل كان بطرس على حق فى الاستشهاد بها كشىء مماثل لمجىء المسيح الثانى أكثر منها دليلا على القيامة ؟

هناك شى فريد يتعلق بحادثة التجلى . ففى الأناجيل الثلاثة ، متى ومرقس ولوقا ، يرد ذكرها مباشرة بعد نبوة يسوع التى تقول ان هناك قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته (متى ١٦ : ٢٨ ، مرقس ٩ : ١ ، لوقا ٩ : ٢٧) وهذا يبين بكل تأكيد أن هناك ارتباطا وثيقا بين التجلى والمجىء الثانى .

ومهما قيل ، فانه من المؤكد ، أن غرض بطرس فى هذه الرسالة أن يذكر شعبه بضرورة الايمان الحى بمجىء المسيح الثانى ، وأنه يبنى أحقيته فى اعلان ذلك على أساس ما رآه على جبل التجلى .

فى عدد (١٦) من هــذه الفترة نجد كلمة عظيمــة الأهميــة فبطرس يقول : « لقــد كنا معاينين عظمته » . والكلمة المستخدمة للتعبير عن رؤية العين (معاينين) هى (epoptes) . وفى اللغــة اليونانية المستخدمة فى زمن بطرس ، كانت هذه الكلمة تعد كلمة ذات اصطلاح فنى . فلقد تحدثنا من قبل عن الديانات الغامضة . وأن تلك الديانات كانت كلها تحوى روائيات عاطفية ، تمثل فيهــا قصة اله يعيش ويقــاسى ويموت ، ثم يقوم ثانية لكى لا يسود عليه الموت بعد . ولم يكن يسمح للعابد بحضور هذه التمثيليات الا بعد أن يجتاز مرحلةطويلة من الاعداد والتعليم،بعدها يجتاز فىالاختبار الذى يجعله يتحد مع الاله المائت والمقــام . وعندما يصل الى هذه المرحلة — اى المرحلة التى كان يسمح له فيها بحضــور هذه الروائيات — فانه كان يعد مؤمنــا ، والاصطــلاح الفنى الذى يطلق عليه حينئذاك هو هذه االكلـــة (epoptes) اى انه قد اصبح معــدا ونال امتياز ان يكون شاهد عيان للاختبارات الالهية.ولذا فان بطرس ينادى بأن المسيحى هو شاهدعيانلآلام المسيح . فبعين الايمــان يرى المسيحى الصليب ، وباختبار الايمان يموت مع المسيح عن الخطية ، ويقام للبر . فايمانه قد جعله واحدا مع المسيح فى موته وقيامته وقوته .

اقــوال الانبيـــاء

وَعِنْدَنَا الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ وَهِيَ أَثْبَتُ الَّتِي تَفْعَلُونَ حَسَنًا إِنِ انْتَبَهْتُمْ إِلَيْهَا كَمَا إِلَى سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ وَيَطْلَعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ . عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ . لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ .

(١ : ١٩ — ٢١)

أن هذه الفترة صعبة ، لأنها ــ بجزيئها ــ تحتمل معنيين مختلفين وسنتأمل فى هذين المعنيين ، ولنبحث فى المعنى الاقل احتمالا اولا :

١ ــ ان العبارة الأولى فى هذه الفقرة قد تعنى : « ان النبوة تقدم لنا تأكيدا افضل عن المجيء الثانى » ، لو كان بطرس يعنى ذلك حقا ، فانه بذلك يقصد أن أقوال الأنبياء أكثر تأكيدا على صحة المجيء الثانى من الاختبار الذى اجتاز فيه على جبل التجلى . ومع أن ذلك امر بعيد الاحتمال . الا انه ليس من المستحيل أن يكون ذلك قصده .

ففى الزمن الذى كتب فيه بطرس الرسالة ، كان هناك اهتمام عظيم بأقوال النبوة ، وكان أعظم دليل على صحة المسيحية بالنسبة لهم هو تحقيق النبوة . واننا نجد حالات كثيرة تجدد فيها كثيرون فى ايام الكنيسة الأولى ليس عن طريق قراءة أسفار العهد الجديد ، بل عن طريق قراءة أسفار العهد القديم ، والتأكد من أن حياة المسيح كانت تتميما لأقوال النبوة . وتأييدا لذلك يمكن القول ان أعظم دفاع عن المجيء الثانى هو أن الأنبياء تنبأوا عنه .

٢ ــ ولكننا نعتقد أن الاحتمال الثانى افضل . فهذه الفقرة قد تعنى ايضا أن ما رآه بطرس على جبل التجلى ، يؤكد أن ما تنبأ به الأنبياء عن المجيء الثانى صحيح . لو فسرنا العبارة على هذا الأساس ، فانها تعنى أن مجد المسيح على جبل التجلى هو اكبر دليل على أن الأنبياء كانوا على حق عندما أنبأوا بمجيء الرب الثانى .

فمجد المسيح على قمة الجبل ورؤى الانبياء : كلها تؤكد أن المجيء الثانى حقيقة حية يجب أن يتوقعها جميع الناس ويستعدوا لها .

ولكن ــ كما قلنا من قبل هناك احتمال مزدوج ايضا بخصوص الجزء الثانى من الفقرة . فالطبعة الأصلية تقول « لم تأت نبوة فى الكتاب ذات تفسير خاص » .

١ ــ قال قدامى المفسرين ان هذه العبارة تعنى أنه « تفسير الأنبياء للحوادث التاريخية ، أو ذكرهم عن كيفية اماطة اللثام عن تلك

الحوادث ، فانهم لم يكونوا يعبرون عن آرائهم الخاصة ، ولكنهم كانوا يقدمون للناس الرؤى التى اظهرها الله لهم» . الواقع ، ان هذا المعنى كامل ومحتمل لقـــد كانت العلامة على بطلان رسالة النبى فى العهـــد القديم انه كان يتحدث عن نفسه ، ولم يكن يقول شيئا من عند الله . ان ارميا يدين هؤلاء الأنبيـــاء الكذبة بالقول انهم«يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب» (ارميا ٢٣ :٦ ١) . وحزقيال يقـــول : « ويل للأنبياء الحمقى الذاهبـــين وراء روحهـــم ولم يروا شيئا » (حزقيال ١٣ : ٣) . ويصف هيبوليتس الطريقة التى يتـــكلم بها الأنبياء عن الحق فيقول : « انهم لم يتكلموا بقوتهـــم ولم يعلنوا ما يريدون ، ولكنهم اعطـــــوا حكمة صـــــــــالحة ليقولوا الـــكلام الصحيح الذى جاءهم برؤى » .

لو فسرنا العبـــارة على هـــذا النحو ، فانها تعنى أنه عندما تكـــلم الانبياء لم يعلنوا عن رأيهم الشخصى أو يتنبأوا من عندهم ، فليس هناك أى اجتهاد فردى ، لقـــــد كانت الرؤيا من الله ، ولذا فان كلماتهم يجب أن تلقى اذنا صـــاغية .

٢ ـــ هذا ، ويمكن تفسير العبـــارة على نحو آخر ، فقـــد يقصد بها على ان نبوة الـــكتاب ليست من (تفسيرنا) الخاص . فقد كان بطرس وقتئذ يواجه موقفا كهـــذا ، اذن الهراطقة والأشرار كانـــوا يفسرون النبـــوات حسب اغراضهم ، وكانوا يحاولون شرح الرسالة النبوية بطريقة تلائم وجهة نظرهم وأغراضهم الخاصة . ان كان الأمر كـــذلك ، وهو ما نعتقده ، فان بطرس يقول : «لايمكن لأحد أن يقرب الكتب المقدسة ويفسرها وفق أهوائه وآرائه الشخصية ، انه لا يمـــكن أن يفسر الكتب المقدسة والنبوة بطريقة خاصة حسب ما يريد » .

ان هذا يعد أمرا بالغ الأهمية . فبطرس يصرح بأنه ما من انسان له الحق ان يفسر الـــكتب المقدسة بنفسه ولأجل نفسه ، أو يفسر شيئاً من عنـــده . فكيف يمكن تفسير الـــكتب المقدسة اذن ؟ ، للاجابة على هـــــذا السؤال . تسأل سؤالا آخرا . كيف تلقى الأنبياء رسالتهم ؟.

ان الأنبياء تلقوا رسالتهم من الروح . لقد قيل أحيـــــانا ان روح الله

استخدم الأنبياء كما يستخدم الـكاتب قلمه ، أو كما يستخدم الموسيقى آلته الموسيقية.ويمكن القول أيضا ان الأنبياء كانوا سلبيين تماما كالآت صماء فيد الله ، وعلى أى حال ، فان الروح هو الذى أعطى النبى رسالته . ونستنتج من ذلك أنه لا يمكن تفسير الرسالة النبوية وفهمها أيضا الا بمعونة الروح . كما قال بولس « قارنين الروحيات بالروحيات » (١ كورنثوس ٢ : ١٤و١٥) وكما قال اليهود عن الروح القدس ان له وظيفتين — فهو يأتى بالحق للناس، كما أنه يمكنهم من فهم ذلك الحق والتعرف عليه . ولذا . فان الكتب المقدسة لا يمكـن تفسيرها بأى اجتهـاد شخصى أو أى ابتـكار خاص أو بـأى هوى شخصى ، فالكتب المقدسة يجب تفسيرها بمعـونة الروح القـدس ، حيث أن الروح القدس هو مصدرها .

ماذا يعنى ذلك من الناحية العلمية ؟ انه يعنى شيئين :

(أ) ففى كل الأجيال والعصور ، كان الروح يعمل فى دراسى الـكتاب المقدس ، الذين بارشاد الله ، قاموا بتفسير الكتاب المقدس ، فلو أردنا تفسير الكتاب ، لا يصح أن ندعى بغرور ان تفسيرنا هو التفسير الصحيح . ولكننا يجب أن ندرس مؤلفات الكتاب العظام لنتعـلم منهم ، ما لقنه الروح لهـم .

(ب) ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك . فالمكان الوحيد الذى يستقر فيه الروح بصفة خاصة هو الكنيسة ، والمكان الوحيد الذى يعمل فيه الروح بنوع خاص هو الكنيسة ، ولذا فان الكتب المقدسة يجب أن تفسر فى ضـوء تعليم وايمـان وتقليد الكنيسة . فالله أبونا فى الايمان ؛ ولكن الكنيسة أمنـا فى هذا الايمـان . فان كان أحدهم يجـد أن تفسيره للـكتاب المقـدس يختلف مع تعليم الـكنيسة ، فانه يجب أن يفحص نفسه ليرى ان كان ينبع آراءه الشخصية بدلا من انصياعه لارشاد الروح القدس .

ان بطرس يصر على أن الكتب المقـدسة لا تحمل أى آراء بشرية ، ولكنها اعلان الله للجنس البشرى عن طريق روح الله ، ولذا فان تفسير هذه الكتب لا يصح أن يكون نتيجة أية آراء خاصة ، بل بقيادة نفس الروح الذى عمل فى قلوب دارسى الكتاب الأمناء ، والذى ما زال يعمل بصفة خاصـة فى الـكنيسة .

الاصحاح الثانى

الانبياء الـكذبة

وَلَـكِنْ كَانَ أَيْضاً فِي الشَّعْبِ أَنْبِيَاء كَذَبَة كَمَا سَيَكُون فِيكُمْ أَيْضاً مُعَلِّمُونَ كَذَبَةٌ الَّذِين يَدُسُّونَ بِدَعَ هَلاَكٍ وَإِذْ هُمْ يُنْكِرُونَ الرَّبَّ الَّذِى اشْتَرَاهُمْ يَجْلِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ هَلاَكاً سَرِيعاً .

(٢ : ١)

أن قيام الأنبياء والمعلمين الكذبة فى داخل الكنيسة ليس بالأمر المستبعد، لأن الانبياء الكذبة فى كل عصر كانوا يحاولون تضليل شعب الله ، وجلب الدمار والمصائب على الأمة . ويجدر بنا أن ندرس قصة هؤلاء الانبياء الكذبة فى العهد القديم ، لنرى صفاتهم ، وذلك لأن تلك الصفات كانت موجودة فى الانبياء الكذبة الذين كانوا فى زمن بطرس ، وما زالوا حتى وقتنا هذا .

١ — أن الأنبياء الكذبة كان كل همهم أن ينتشر اسمهم لا أن ينادوا بالحق . فكانت طريقتهم أن يخبروا الناس ما يريدون سماعه .كان الأنبياء الكذبة يقولون « سلام . سلام . سلام . ولاسلام » (ارميا ٦ : ١٤) . لقد كانوا يرون رؤى السلام ، بينما كان يقول الرب الاله انه لا سلام (حزقيال ١٣ : ١٦) .

وفى أيام يهوشافاط ، عمل صدقيا ، النبى الكذاب ، قرنى حديد وقال انه بهذه ينطح اسرائيل الأراميين حتى يفنوا ، وهدد ميخا ، النبى الصادق ، بالدمار اذا ذهب يهوشافاط الى الحرب ، لقد كان صدقيا بالطبع محبوبا ،

ولذا فان رسالة قبلت ، وذهب يهوشافاط للحرب مع الأراميين ، وهلك (ملوك الأول ٢٢) .

وفى أيام ارميا ، تنبأ حنانيا بقرب نهاية قوة بابل ، بينما تنبأ ارميا بعبودية كل الشعب لبابل ، وبالطبع كان النبى الذى اخبر الشعب ما يجب أن يسمعوه محبوبا لديهم (ارميا ٢٨) .

ويحدثنا ديوجينس ، الفيلسوف الزاهد العظيم ، عن المعلمين الكذبة فى عصره ، والذين كان كل همهم أن ينالوا اعجاب الجماهير .

ان أهم ما يميز النبى الكذاب انه يخبر الناس بما يحب أن يسمعوه ، ولا يخبرهم الحقيقة التى يجب أن يسمعوها . ان هدفه الشهرة ، وأمله نوال المديح .

٢ ـ لقد كان الأنبياء الكذبة يهتمون بالمغنم الشخصى . كما قال ميخا : «كهنتها يعملون بالأجرة وأنبياؤها يعرفون بالفضة » (ميخا ٣ : ١١) « انهم يعملون ما لايجب من أجل الربح القبيح » (تيطس ١ : ١١) ، انهم يظنون أن التقوى تجارة ، وجمع المال (١ تيموثاوس ٦ : ٥) .

اننا نرى مثل هؤلاء الناس الذين كانوا يستغلون الشعب المسيحى فى الكنيسة الأولى . قد قيل فى (الديداخ) ، وهو كتاب يسمى « تعليم الرسل الاثنى عشر » ، أو ما يمكن تسميته بأول كتاب لنظام الخدمة ، قيل فيه ان النبى الذى يطلب مالا او غذاء ، نبى كاذب . لقد قال عنهم (الديداخ) « انهم يتاجرون فى المسيح » ان النبى الكذاب شخص طماع يعتبر الناس اداة للاستغلال لتحقيق مآربه .

٣ ـ ان الانبياء الكذبة يعيشون حياة الاستهتار والانحلال . فاشعياء يقول : « الكاهن والنبى ترنحا بالمسكر ، تاها من المسكر » (اشعياء ٢٨ : ٧) وارميا يقول : « وفى انبياء اورشليم رأيت ما يقشعر منه . يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون ايادى فاعلى الشر .. ويضلون

شعبى بأكاذيبهم ومفاخراتهم » (ارميا ٢٣ : ١٤ و ٣٢) . ان حياة الأنبياء الكذبة مدعاة لارتكاب الشرور وليست حضا على عمل الصلاح .

٤ — ان النبى الكاذب — قبل كل شيء — هو شخص يقود الناس بعيدا عن الله بدلا من أن يقودهم الى الله . فالنبى أو الحالم الذى يقود الناس لكى « يذهبوا وراء آلهة أخرى » يجب أن يقتل بلا رحمة . (تثنية ١٣ : ١ — ٥ ، ١٨ : ٢٠) .

تلك كانت صفات النبى الكاذب قديما ، وصفة المعلمين الكذبة الذين كانوا يحاولون تضليل شعب الله فى زمن بطرس ، وما زالت لعصرنا هذا . تلك هى صفات المعلمين الكذبة .

خطايا الانبياء الكذبة ونهايتهم

فى هذا العدد ، يعدد لنا بطرس بعض الاشياء المتعلقة بهؤلاء الأنبياء الكذبة وأعمالهم .

١ — انهم (يدسون بدع هلاك) . ان كلمة (بدعة) باليونانية (hairesis) لها ماض عجيب ومثير فى نفس الوقت . انها مشتقة من الفعل اليونانى (haireisthai) الذى يعنى « يختار » ، لقد كانت فى الأصل كلمة ذات معنى جليل . لقد كانت تعنى ببساطة نوعا من العقيدة ومنهجا من السلوك اختاره الانسان لنفسه . ففى العهد الجديد نفسه نقرأ عن شيعة (hairesis) الصدوقيين والفريسيين والناصريين (أعمال ٥ : ١٧ ، ١٥ : ٥ ، ٢٤ : ٥) . لقد كان يمكن التحدث عن مذهب (hairesis) افلاطون ، وانت لا تقصد اكثر من مجرد أولئك الذين يدينون بمبادىء افلاطون الفكرية والفلسفية .

وكان ممكنا التحدث عن مجموعة من الأطباء ، يؤمنون بطريقة معينة فى العلاج ويمارسونها على انهم ينتمون الى مذهب (hairesis) معين .

فلم تكن هذه الكلمة (hairesis) تعنى أكثر من مجرد اعتقاد اختاره الشخص لنفسه ، وتمسك به . ولكن سرعان ما ظهرت هذه الكلمة بثوب

مخالف فى الكنيسة المسيحية . فبولس يضع الانشقاقات والبدع جنبًا الى جنب كشيئين يجب نبذهما (١ كورنثوس ١١ : ١٨ و ١٩) ، والبدع من اعمال الجسد ، والشخص المبتدع يجب أن ينذر مرة ومرتين ثم يعرض عنه (تيطس ٣ : ١٠) .

فلم هذا التغيير فى معنى هذه الكلمة ؟ ان الفرق يرجع الى انه قبل مجىء المسيحية وقبل مجىء يسوع ، الذى هو الطريق والحق والحياة ، لم تكن هناك حقائق مصدرها الله.فكان أمام الانسان عدد من العقائد المختلفة وكان عليه أن يختار منها ما يريد الايمان به . ولكن بعد مجىء المسيح ، ظهر الحق الالهى للبشر ، وكان على الناس اما قبول الحق أو رفضه .

وبمعنى آخر ، فبعد اعلان الله فى المسيح ، لم يعد هناك داع لاختيار العقيدة الاصلح ، ان الأمر اصبح ينحصر فى قبول اعلان الله أو رفضه . فالشخص المبتدع اذا هو الشخص الذى يؤمن بما يريد أن يؤمن به من عقائد بدلا من قبول حق الله الذى يجب الايمان به .

فما كان يحدث فى ايام بطرس ، هو أن بعض الناس الذين كانوا يدعون النبوة ، كانوا يحضون الناس سرا أن يؤمنوا بالاشياء التى يريدونهم أن يؤمنوا بها بدلا من الاشياء التى أعلن أنها هى الاشياء الحقيقية . انهم لم يعلنوا انفسهم مناهضين للمسيحية ، بل على النقيض ، واعلنوا أنهم خلاصة الفكر المسيحى وباكورته ، وبهذا أغووا كثيرين من الناس بعيدا عن حق الله لاتباع آراء بشرية ، بطريقة سرية وتدريجية ، لأن هذه هى البدعة أو الهرطقة .

٢ ــ هؤلاء الناس (انكروا الرب الذى اشتراهم) . أن فكرة شراء المسيح للناس فكرة مألوفة فى العهد الجديد . انها مأخوذة مما قاله هو ذاته ، فقد قال انه جاء ليبذل نفسه فدية عن كثيرين (مرقس ١٠ : ٤٥) . فالناس كانوا عبيدا للخطية والشر ، والمسيح قد اشتراهم بتقديم حياته لأجلهم ، ومن ثم قد منحهم الحرية ، وفك قيودهم .

قال بولس « اشتريتم بثمن » (١ كورنثوس ٧ : ٢٣) . « المسيح افتدانا من لعنة الناموس » (غلاطية ٣ : ١٣) . وفى سفر الرؤيا نجد

الترنيمة الجديدة التى يرنمها اهل السماء قائلين ان المسيح قد اشتراهم بدمه من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة (رؤيا ٥ : ٩) . وهذا يعنى شيئين : انه يعنى أن المسيحى قد صار ملكا للمسيح بالتمام ، بحق الشراء . ويعنى ايضا أن الحياة التى كلفت ثمنا كهذا لا يمكن أن تضيع هباء على الخطية أو على أشياء رخيصة تافهة .

ان المبتدعين والهراطقة فى زمن بطرس كانوا (ينكرون) الرب الذى اشتراهم . ماذا يعنى ذلك ؟ ربما يعنى أنهم يقولون انهم لا يعرفون المسيح ، وربما تعنى انهم ينكرون سلطانه . ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ، أو أنهم ليسوا أمناء مع انفسهم الى هذا الحد .

لقد رأينا من قبل كيف أن هؤلاء الناس قد ادعوا انهم مسيحيون ، بل واكثر من ذلك لقد ادعوا انهم أحكم من جميع المسيحيين وأكثرهم تقدما .

لنأخذ موقفا مشابها لذلك . لنفرض أن رجلا يقول انه يحب زوجته ، ولنفرض أنه يتعمد أن يكون غير أمين لها ، فهو اذا بأعماله وخيانته لها ينكرها ، ويكذب أقواله التى يدعى فيها حبه لها . ولنفرض أن شخصا يزعم أنه صديق حميم لشخص آخر ، ثم لنفرض أنه غير مخلص أو معين لذلك الشخص الذى يدعى صداقته ، فهو اذا بأعماله ينكر تلك الصداقة ويكذب كل ادعاءاته بخصوص ذلك.وبالمثل فان أولئك الناس الأشرار الذين كانوا يضايقون الشعب فى زمن بطرس كانوا يقولون انهم يحبون المسيح ويخدمونه ، ولكن ما كانوا يعلمون ويعظون به وما كانوا يعملونه كان يعد انكار له . فان أسوأ انكار للمسيح هو محاولة ابطال ما عمله المسيح بتحريض الشعب الذى مات لأجله للاتجاه نحو الشر .

٣ ــ ان (الهلاك) نهاية هؤلاء الناس . لقد كانوا يدسون بدع هلاك ، ولكن هذه البدع المهلكة سوف تعجل بهلاكهم هم . فأسرع وسيلة محققة للوقوع تحت دينونة هى تعليم الناس ارتكاب الشرور .

وَسَيَتْبَعُ كَثِيرُونَ تَهْلُكَاتِهِمْ . الَّذِينَ بِسَبَبِهِمْ يُجَدَّفُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ . وَهُمْ فِي الطَّمَعِ يَتَّجِرُونَ بِكُمْ بِأَقْوَالٍ مُصَنَّعَةٍ الَّذِينَ دَيْنُونَتُهُمْ مُنْذُ الْقَدِيمِ لاَ تَتَوَانَى وَهَلاَكُهُمْ لاَ يَنْعَسُ .

(٢ : ٢ و ٣)

فى هذه الفقرة القصيرة نرى أربعة أشـــــياء عن المعلمين الـــكذبة وتعاليمهم .

١ ـــ ان سبب تعليمهم الكاذب هو (الطمع) ، والكلمة باليونانية هى (pleonexia) ، ان (pleon) تعنى (أكثر) وكلمة (exia) مشتقة من الفعـــــــل (echein) وهو يعنى (يمتلك) . فكلمة (pleonexia) هى (الرغبة فى امتلاك شيء أكثر) ، ولكن الـــكلمة اكتسبت معنى خاصا . فليس خطأ امتـــلاك شيء أكثر ، فهناك حالات كثيرة يكون فيها الرغبـــــة فى تملك ما هو أكثر ، شيء لا غبار عليـــه انهـــا نعد رغبة شريفة ، فى حالات مثل الفضيلة أو المعرفة أو المهارة . ولكن كلمة (pleonexia) تعنى الرغبـــة فى امتلاك شيء محظور . ومن ثم فهى الطمع فى المال وفى امتـــــــلاك متاع الآخرين ، والرغبة الشريرة نحـــو شخص ما ، والطموح الغير مقـــدس فى الحصول على الشهرة أو القوة . ان التعليم الكاذب مصدره الطموح الشرير فى امتلاك شيء لا يحق امتلاكه . ان المنادى بالتعليم الكاذب يحاول أن يضع نفسه مكان المسيح ، لأن قصــــــده أن تحل افكاره مكان الحق الذى أتى به المسيح . والمعلم الكاذب متهم بانه يحاول اغتصاب المـــكان الذى يجب أن يحتله المسيح .

٢ ـــ ثم لنتأمل فى طريقة التعليم الـــكاذب . ان الطريقة هى استعمال (الأقوال المصنعة) فالضلال يسهل مقاومته عندما يقدم للناس فى صورة واضحة ، ولكن عندما يتستر فى ثياب الحق ، فانه يضحى خطرا . هناك محك

واحد ، فأى تعليم يجب امتحانه بأقوال المسيح نفسه. وعندئذ تنكشف حقيقته ويظهر بطلانه .

٣ ــ ثم لنلاحظ تأثير التعليم الباطل . ان تأثيره مزدوج . انه يشجع (كثيرين ليتبعوا تهلكاتهم) ، وهذه حالة الشخص الذى فقد الشعور بالخجل ، لقد مر بالمرحلة التى كان يخجل فيها من خطيته ويود لو يخفيها ، وأصبح يأخذ ما يريد أخذه ومتى وأين أراد ، ولم يعد يهمه الاسم الحسن الذى دعى عليه ، ولا يهمه حكم الناس عليه ، أو دينونة الله . ثم لا يجب أن ننسى القصد من تعليم هؤلاء المعلمين الكذبة . انهم كانوا يحاولون أن يستخدموا نعمة الله كتبرير للخطية . لقد كانوا يقولون للناس ان النعمة لا تفرغ ، ولذلك فهم أحرار ليخطئوا كما يريدون ، لأن النعمة كفيلة بالغفران .

لقد كانوا يقدمون نعمة الله بطريقة تجعل هذه النعمة مبررا للخطية .

ولكن هذا التعليم الباطل له تأثير آخر ، نبسببه كان (يجدف) على المسيحية . فما دام فى المسيحية أناس يتصرفون هكذا ، فواضح أن الناس تكره المسيحيين والكنيسة المسيحية . فكل مسيحى هو اعلان للمسيحية ، صالحا كان أم ضارا ، وليس هذا فى الأيام الغابرة فقط ، بل حتى يومنا هذا . فقد كان اتهام بولس لليهود أنه بسببهم يجدف على اسم الله (رومية ٢ : ٢٤) وفى الرسائل الرعوية نجد مناشدة للشابات أن يكن عفيفات خاضعات حتى لا يجدف على كلمة الله (تيطس ٢ : ٥) . فأى تعليم يخرج أشخاصا ينفرون الناس من المسيحية بدلا من جذبهم اليها ، فهو تعليم باطل ، مصدره أعداء المسيح .

٤ ــ ثم لنتأمل فى نهاية التعليم الكاذب ، وتلك النهاية هى (الهلاك) السريع . فقد صدر الحكم على الأنبياء الكذبة قديما . لقد أعلن العهد القديم مصيرهم المحتوم (تثنية ١٣ : ١ ــ ٥) . قد يبدو كما لو كان هذا الحكم غير سارى المفعول اليوم ، ولكن الحكم لا يتغير ، وسوف يأتى اليوم الذى سيدفع فيه المعلمون الكذبة أجرة ضلالهم . فلا يمكن لأحد أن يضل شخصا آخرا دون أن يقع تحت طائلة العقاب .

لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلاَئِكَةٍ قَدْ أَخْطَأُوا بَلْ فِي سَلاَسِلِ الظَّلاَمِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَسَلَّمَهُمْ مَحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ. وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ بَلْ إِنَّمَا حَفِظَ نُوحاً ثَامِناً كَارِزاً لِلْبِرِّ إِذْ جَلَبَ طُوفَاناً عَلَى عَالَمِ الْفُجَّارِ. وَإِذْ رَمَّدَ مَدِينَتَيْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ حَكَمَ عَلَيْهِمَا بِالِانْقِلاَبِ وَاضِعاً عِبْرَةً لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يَفْجُرُوا وَأَنْقَذَ لُوطاً الْبَارَّ مَغْلُوباً مِنْ سِيرَةِ الْأَرْدِيَاءِ فِي الدَّعَارَةِ. إِذْ كَانَ الْبَارُّ بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ يُعَذِّبُ يَوْماً فَيَوْماً نَفْسَهُ الْبَارَّةَ بِالْأَفْعَالِ الْأَثِيمَةِ. يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنْ يُنْقِذَ الْأَتْقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ وَيَحْفَظَ الْأَثَمَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ مُعَاقَبِينَ. وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ وَرَاءَ الْجَسَدِ فِي شَهْوَةِ النَّجَاسَةِ وَيَسْتَهِينُونَ بِالسِّيَادَةِ. جَسُورُونَ مُعْجِبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ لاَ يَرْتَعِبُونَ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَى ذَوِي الْأَمْجَادِ. حَيْثُ مَلاَئِكَةٌ وَهُمْ أَعْظَمُ قُوَّةً وَقُدْرَةً لاَ يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِمْ لَدَى الرَّبِّ حُكْمَ افْتِرَاءٍ.

(٢ : ٤ — ١١)

هذه الفقرة تجمع بين القوة والغموض بشكل واضح . انها تمتاز بعمق بلاغتها حتى هذا اليوم ، ولكنها تشير الى أمور كان لها أثرها العميق فى آذان من سمعوها قديما لأول مرة ، اذ أنها كانت مألوفة لديهم ، ولكنها غامضة بالنسبة لنا فى هذا العصر . انها تسرد ثلاثة أمثلة مألوفة للخطية ونتائجها المدمرة ، وترى كيف أنه فى حالتين منها قد محيت الخطية ليحل محلها البر برحمة ونعمة الله . ولنتأمل فى هذه الأمثلة واحدا تلو الآخر :

١ ــ خطية الملائكة :

قبل أن نسرد القصة التى تعتبر أساسا لهذه الفكرة اليهودية ، توجد كلمتان منفصلتان يجب أن نتأمل فيهما . يقول بطرس ان الله قد طرح الملائكة الذين أخطأوا فى « سلاسل الظلام » . تقول الطبعة اليونانية ان الله طرح الملائكة فى « تارتاروس (Tartarus) ، والفعل هو (tartaroun) وهذه الكلمة لا ترجع لأصل عبرى على الاطلاق ، بل انها يونانية الأصل . ففى الأساطير اليونانية كانت «تارتاروس» تعد الجحيم السفلى ، والمسافة بينها وبين « هادس » كالمسافة بين الأرض والسماء .

لقد كانت المكان الذى أعد خصصا ليطرح فيه العمالقة والجبابرة الذين عصوا على « زيوس » أبو الآلهة والبشر ، ولذا ، فقد كانت « تارتاروس » هى الجحيم السفلى والهاوية السحيقة التى طرح فيها اولئك الذين عصوا على القوة الالهية ، ليعاقبوا عقابا أبديا .

والكلمة الثانية الى يجب أن نتأمل فيها هى الكلمة التى تتحدث عن « هاوية الظلام » ، فهناك شىء من الشك بخصوص هذه الكلمة . توجد كلمتان يونانيتان فى هذه الفقرة ، غير شائعتين وقد يختلط معناهما . الكلمة الأولى هى الكلمة (Siros) أو (Seiros) ، لقد كانت هذه الكلمة فى الأصل تعنى صومعة كبيرة من الطين لخزن الغلال ، ثم أصبحت تعنى الأمكنة السفلى والحجرات التى تحفظ فيها الغلال ، وكانت تستخدم كصوامع . وقد أدخلت هذه الكلمة (Siros) الى اللغة الانجليزية فأصبحت (Silo) التى ما زالت تعبر عن الأبراج التى تحفظ فيها الغلال . ثم تطورت الكلمة فأصبحت تعنى الحفرة الى يصطاد فيها ذئب أوحيوان مفترس.فان كانت هذه هى الكلمة التى استخدمها بطرس (وهى كذلك وفقا لأحدث المخطوطات) فهى تعنى اذن الملائكة الأشرار طرحوا فى الهاوية السفلى العظمى ، معاقبين فى الظلام . وهذه تتفق مع فكرة وجود (تارتاروس) فى أسفل « هادس » . ولكن هناك كلمة مشابهة وهى (Seira) التى تعنى « سلسلة » وهى الكلمة التى تستخدمها الطبعة الأصلية حين تتحدث عن « سلاسل الظلام » (عدد ٤) ، وهى نفس الكلمة التى استخدمها يهوذا حين تحدث عن

« قيود أبدية » للملائكة الساقطين (عدد ٦) ، لأن الكلمة التى يستخدمها يهوذا هى (Desmoi) التى تعنى « سلاسل » أو « قيود » ، والمخطوطات اليونانية تستخدم أحيانا كلمة (Seiroi) التى تعنى « حفر » وكلمة (Seirai) التى تعنى « سلاسل » . ولكن أفضل المخطوطات تستخدم (Seiroi) أى « مهاوى » ، ولذا فان عبارة « مهاوى الظلام » معناها أفضل من « سلاسل الظلام ، ولذا فاننا نعتبر أن كلمة (Seiros) صحيحة .

ان قصة سقوط الملائكة قصة تضرب بجذور عميقة فى التراث اليهودى ، وقد أصابها كثير من التعديل بمضى الزمن . ان القصة الأصلية مذكورة فى سفر التكوين (٦ : ١ — ٥) وهنا نجد الملائكة يدعون «أبناء الله» حيث جرت العادة دائما فى العهد القديم . وفى سفر (أيوب) نجد أن « بنو الله جاءوا ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم » (أيوب ١ : ٦ ، ٢ : ١ ، ٣٨ : ٧) . ويتحدث المرنم عن « أبناء الله » (مزمور ٨٩ : ٦) وقد جاء هؤلاء الملائكة واغروا النساء الأرضيات ، وكانت ثمرة هذه الشهوة انجاب جنس من العمالقة ، وقد أتى هؤلاء بالشر على الأرض .واضح أن هذه قصة قديمة جدا تعود الى الوقت الذى كان الجنس البشرى فيه فى المهد ، اننا نجد هذه القصة كاملة فى (سفر أخنوخ) ، وقد استعار بطرس أقواله من هذا الكتاب الذى كان مألوفا جدا فى ذلك الوقت .

وكان يسمى الملائكة فى سفر أخنوخ (بالمراقبين) ، ويسمى قائدهم «سيمجازا» أو «عزازيل» . وبناء على أوامره نزلوا الى جبل (هرمون) فى أيام يارد أبو أخنوخ ، واتخذوا زوجات من الأرض ، ولقنوهن فن السحر وبعض الفنون الاخرى التى منحتهن قوة ، وأنجبوا نسلا من الجبابرة (النفيليم) أى الجبابرة الذين سكنوا أرض كنعان ، والذين كان الشعب يخافون منهم . (عدد ١٣ : ٣٣) . وقد أصبح هؤلاء الجبابرة من أكلة اللحوم ، وقد انغمسوا فى كل أنواع الشهوات والجرائم ، وخاصة التعالى على الله والبشر . وتوجد اشارات عديدة الى هؤلاء الجبابرة وكبريائهم فى الأدب (الأبوكريفى) . ففى سفر الحكمة (١٤ : ٦) نجد

كيف هلك هؤلاء الجبابرة . وفى سفر حكمة يشوع (١٦ : ٧) نجد كيف سقط هؤلاء الملائكة بحماقتهم . فلم تكن عندهم حكمة ، ولذا فانهم هلكوا فى غباوتهم (باروخ ٣ : ٢٦ — ٢٨) . ويقول يوسيفوس عنهم أنهم كانوا مغـــرورين ويحتقرون كل ما هو صـــــــالح ، وكانوا يثقون فقط فى قوتهم (١ : ٣ : ١ antiquities) . وايوب يقول ان الله ينسب للملائكة حمـــاقة (أيوب ٤ : ١٨) . ان هـــذه القصة العتيقة لها أثرها أيضا فى رسائل بولس . ففى كورنثوس الأولى ١١ : ١٠ يقول بولس ان النساء يجـــب أن يغطـــين روءسهن من (أجل الملائكة) . ان هذه العبـــارة الغريبة مرجعها الاعتقـــاد بأن جمال شعر النساء الطويل فى الأيام الغابرة قد اغرى الملائكة ، وبولس هنا يحض على عدم تكرار ذلك من جانب النساء حتى لا يغوين الملائكة . وقد كان نتيجة خطأ هؤلاء الملائكة ، أن انتشر الألم والبؤس والقسوة فى الأرض على يد هؤلاء العمالقة . فأرسل الله رؤساء ملائكته . فقيد رافائيل عزازيل من يديه ورجليه وطرحه فى الظـــــــلام ، وذبح جبرائيل الجبابرة ، والقى (بالمراقبين) أى الملائكة الساقطين فى مهاوى الظلام فى أسافل الجبال لمدة سبعين قرنا ، ثم قيدوا الى الأبد فى نار أبدية .

تلك هى القصة التى كانت تجول بخاطر بطـــرس ، والتى كان قراؤه يعرفونها جيدا . فعندما أخطأ الملائكة ، أتاهم الله بالهلاك ، فطرحوا الى الأبد فى مهاوى الظلام وأعماق الجحيم . تلك هى نتيجة خطية العصيان .

ولكن القصـــة لم توقف عنـــد هذا الحد ، فانهـــا تتكرر مرة أخرى فى أسلوب آخر فى هذه الفقرة أيضا من رســـالة بطرس الثانية . فعدد (١٠) يتحدث عن أولئك الذين يذهبون وراء شهوة الجسد ويستهينون بالسيادة . والكلمة المستخدمة هنـــا هى (Kuriotés) وهى لقب يطلق على احدى مراتب الملائكة . انهم يتكلمون بالشر على أمجاد الملائكة . والكلمة المستخدمة هنا هى (Doxai) وهى أيضا لقب من القاب الملائكة . انهم يشهرون بالملائكة ويتحدثون بالشر عليهم .

وهنا تتخذ القصة طورا آخر ، فواضح أن قصة الملائكة هذه قصـــة قديمة وبدائية ، اذ أنها تنسب الى الوقت الذى كان فيـــه الجنس البشرى فى المهد . واذ ابتدأ البشر يتطورون ويحللون هذه القصة ، وجدوا أنها — بهذا

الوضع — تحوى شيئا من الغمـوض وتخطى الحقيقة ، لانهـا تنسب الشهوة للملائكة الأطهار . ولذا فقد برزت فكرتان لتحليل القصة ، احداهما يهودية والأخرى مسيحية . فقد قيل أولا ، ان القصة لا دخل لها بالملائكة على الاطلاق ، فقيل ان بنى الله ليسوا سوى جماعة من البشر الصالحين الذين كانوا من نسل شيث وان بنات الناس هن النساء الشريرات اللواتى كن بنات قايين ، وأنهن أغوين الناس الصالحين . ولكن ليس هناك دليل كتابى يـؤيد هذا التفسير الذى لا يستند الى عبارات كتابية .

وقيل ثانية ان القصة رمزية فقط . فقد ادعى فيلون مثـلا ، أن القصة لم يقصد بها أن تفسر حرفيا ، وأنا تصـف سقوط النفس البشرية تحت اغراء الملذات الحسية . ويقول أغسطينوس انه لا يمكن تفسير القصة حرفيا ، وانه لا يمكن أن ينسب ما ورد فى القصة الى الملائكة . وقال سيريل الاسكندرى ان القصة لا يمكن أن تؤخذ حرفيا،لانه ألم يقل المسيح ان الناس فى الحياة الأبدية يكونون كالملائكة لا يزوجون ولا يتزوجون ؟ (متى ٢٢ : ٣٠) وقال كريسيستوم (Chrysesrtom) ان القصة لو اتخذت حرفيا . فانـها لا يمكن الا ان تكون تجديفا . وقال سيريل ان القصة لو فسرت تفسيرا حرفيا على أنها تعنى الملائكة فانها بذلك تكون باعثا على الخطية .

فواضح أن القصـة اعتبرت خطرة . ومن هنـا نجد تفسير ما يعنيه بطرس عندما يتحدث عن الناس الذين (يستهينون بالسيادة) ، ويتكلمون بالشر أو (يفترون على ذوى الامجاد) بالتشهير بهم . فالناس الذين كان يعارضهم بطرس كانوا يتخذون من عقيدتهم عذرا لاستباحة الشرور والفساد الأخلاقى . فقد أوضح سيريل الاسكندرى أن القصة كانت تتخذ فى عصره ذريعة لارتكاب المفاسد . فمن المحتمل اذن أن ما حدث فى عصر بطرس هـو أن الناس الأشرار وقتهـا كانوا يذكرون مثل الملائكة السـاقطين كتبرير لخطاياهم هم . لقد كانوا يقولون : « مادام الملائكة الذين جاءوا من السماء قد اتخذوا نساء فانيات ، فلماذا لانفعل نحن كذلك ؟ ، ان ما فعله الملائـكة ، يبرر ما نرتكبه نحن من شرور » ، لقـد كانوا بذلك يحتقرون الملائكة ، ويشهرون بهم ، وكانوا يعتبرون سلوكهم تبريرا لخطاياهم .

ولكن الفقرة تذهب الى ما هو أبعد من ذلك . ففى عدد (١١) تنتهى

القصة بغموض ، انه يقول (ان الملائكة وهم أعظم قـــوة وقدرة لا يقدمون عليهم لدى الرب حكم افتراء) . ماذا يعني بطرس بذلك ؟ .

مرة أخرى ، يشير بطرس الى اشياء كانت واضحة في عصره ، ولكنها غامضة بالنسبة لنا اليوم ، لأننا لا نعرف القصص والتقاليد التي يشير اليها . فقد تكون اشارته الى احدى قصتين :

(أ) قد تكون اشارته الى القصة التي أشار اليها يهوذا في (يهوذا ٩) أن القصة هي أن رئيس الملائكة ميخائيل قد كلف بدفن جسد موسى ، وقـــد طالب الشيطان بالجسد على أساس أن الأمر يخصه ، وأن موسى قد قتل مصريا ذات مرة . ولكن ميخـــائيل لم يتهم الشــــيطان ، ولـــكن كل ما قاله « لينتهرك الرب » . والمهم هنا هو أنه حتى ميخائيل رئيس الملائكة لم يورد حكم افتراء ضد الشيطان . ولكنه ترك الأمر لله .

فان كان ميخايل لم يشهر أو يتكلم بالشر على ملاك شرير (الشيطان) ، فكيف يمكن للناس أن يفتروا على ملائكة الله ؟ .

(ب) ولكن بطرس قد يكون مشيرا هنـــا الى تفاصيل أخرى عن قصة (أخنوخ) . فأخنوخ يقول انه عندما أصبح سلوك الجبابرة على الارض لا يطاق ، قدم الناس شـــــكاواهم الى رؤساء الملائكة ميخائيل ، ويوريل وجبرائيل ، ورافائيل . فأخذ رؤساء الملائكة الشـــكوى الى الله ، ولكنهم لم يثوروا ضـــد الملائكة الأشرار الذين تسببوا في ذلك ، ولم يفتروا ضدهم ، ولم يشهروا بهم ، ولكنهم بكل بساطة تركوا الأمر للهليتصرف (أخنوخ ٩) فحتى رؤساء الملائكة لم يفتروا على الملائكة الاشرار ، ولكنهم تركوا كل شيء لله .

فالموقف كما هو ظاهر من حديث بطرس ، هو أن الناس الاشرار وقتئذ والذين كانوا عبيدا للشهوة ادعوا أن الملائكة وما ارتكبوه يعد مبررا لهم على خطاياهم ، وأخذوا يشهرون بالملائكة ،فبطرس بذلك يذكرهم بأنه ولا رؤساء الملائكة قد جرأوا على التشهير بالملائكة ، فكيف اذن يمكن للبشر ان يفعلوا ذلك ؟ .

ان هذه فقرة غريبة وصعبة فى نفس الوقت ، ولكن معناها واضح . فحتى الملائكة الذين وقعوا فى خطيئة الشهوة عوقبوا ، فكم عقابا اشر يكون للبشر ؟ ، فالملائكة الذين عصوا على الله لم يمكنهم الافلات من نتـــــــائج عصيانهم ، فكيف يفلت البشر ؟ .

وليس للناس أن يلقوا اللوم على الآخرين ، ولا حتى على الملائكة ، فتمردهم وعصيانهم وشهوتهم ، كل هذا هـــو الذى أدى الى وقوعهم فى الخطيــــة .

٢ ــ الناس فى وقت الطوفان ونجاة نوح :

والمثل الثانى الذى يضربه بطرس للدليل على هلاك الأشرار ، يمكن أن يقال عنه أنه نتيجة للأول . فالخطية التى اتى بها الملائكة الساقطون أدت الى خطية الناس التى انتهت بالهلاك بالطوفان (تكوين ٦ : ٥) .

وفى أثناء هـــذا الهلاك ، لم ينس الله الذين تعلقوا به ، والذين قاوموا الشر ، والذين عاشوا فى الصـــلاح . فقـــد أنقذ نوحا وسبعة آخـــرين . والسبعة الآخرون كانوا زوجته ،وأبناؤه سام، وحام ، ويافث ، وزوجاتهم. والتقليد اليهودى يضع لنوح مكانة فريدة ، فلم يعتبره فقط الشخص الذى أنقذه الله من الطوفان ، ولكن اعتبره الكارز الذى أدى دوره كاملا فى محاولة ارجاع الناس عن طرقهم الرديئة .

يقول يوسيفوس : « اضطجع كثير من الملائكة مع النساء وانجبوا أطفالا ، كانوا عصـــاة واحتقروا كل صلاح بسبب اتكالهم على قوتهم ... ولـــكن نوح غضب وحزن على سلـــوكهم ، وحاول أن يحثهم على تغـــيير طرقهم وسلوكهم » . (١ : ٣ : ١ antiquities) لقـــد عرف نوح بأنه المبشر المرسل من الله الى عالم شرير .

والتركيز فى هـــذه العبـــارة يقع على نوح الذى نجا ، وليس على الرجال الذين هلكوا . فنوح يبرز كعينة من الناس الذين شملهم خلاص الله فى الوقت الذى هلك فيه الأشرار . وكانت أبرز صفتين فى نوح هما :

١ ــ ظل نوح أمينا ومطيعـــــــا لله فى وسط جيل عاص وغير مطيع

وخاطىء . وجاء بولس أخيرا ليحث الشعب الا يشاكلوا هذا الدهـر ، بـل يتغيروا عن شكلهم (رومية ١٢ : ٢) قـد يقـال ان اخطـر خطيـة هـى التشابه مع العالم ، فالتشابه مع الآخرين سهل دائما ، ولكن الاختلاف عنهم صعب . ولكن من أيام نوح حتى الآن ، كل من يخدم الله عليه أن يكون على استعداد أن يختلف مع العالم .

٢ ــ تحكى لنا القصة التى جاءت بعد ذلك عن صفة أخرى من صفات نوح . لقد كان نوح مبشر البر . والكلمة التى استخدمت للتعبير عن (مبشر) هى (Kèrux) ، التى تعنى حرفيـــا (مبعوث أو رسول) . كان أبكتيتوس يدعو الفيلسوف رسول الآلهة ، المبعوث من الآلهة للبشر . والمبشر هو الشخص الذى يأتى باعلانات للبشر من الله . ويبرز هنـــا أمر بالغ الأهمية . فالرجل الصالح لا يهتم فقط بخلاص نفسه ، ولكنـه يهتم بالمثـل بخلاص نفوس الآخرين . انه لا يعزل نفسه عن الناس ليعيش وحيدا من أجل الحفاظ على نقاوته وبرارته . انه يهتم بتقديم رسالة الله الى الناس . فليس اهتمامه الأوحد بخلاص نفسه ، بل بنجاة الآخرين كذلك . فالخلاص ليس أنانيا ، والانسان لا يمكن أن يحتفظ بالنعمة التى أخذها لنفسه فقط ، بل ان واجبه يحتم عليه أن يأتى بالنور للذين يجلسون فى الظـــلام ، وبالهداية للضالين ، وبالتحذير للذين يذهبون بعيدا . فالرجل الصالح يسير فى طريقه دائما نحو الله . ويكون للآخرين بمثابة اعلان يشير الى الله ، وصوت يدعو الناس الى الله .

٣ ــ هلاك سدوم وعمورة ونجاة لوط :

والمثل الثالث الذى يقدمه بطرس للتدليل على الخطية وعقابها ، وعلى الصلاح وثوابه ، هو هلاك سدوم وعمورة ونجاة لوط .

وهذه القصة المرعبة وردت فى (تكوين ١٨ و ١٩) . وتبـدأ القصـة بالتماس ابراهيم من الله ألا يهلك البار مع الأثيم،وتوسله الى الله بأنه‌ان كان هناك عشرة رجال صالحين فقط فى هاتين المدينتين ينقذ من فيهما (تكوين ١٨: ١٦ ــ ٣٣) . ثم نترى بعد ذلك سلسلة من أكثر الحوادث رعبا فى العـهد القديم . فيأتى الملائكة الى لوط فيحثهم على أن يمكثوا معه ، فيحيط بمنزله

رجال سدوم . طالبين أن يخرج لوط لهم هؤلاء الملائكة ليفعلوا معهم الشر ، وليتمموا شهوتهم القبيحة الشاذة (تكوين ١٩ : ١ — ١١) . وقد كانت هذه الفعلة بما فيها من اساءة للضيوف والضيافة ، واهانة الملائكة ، واضطرام الشهوات التى لا تقف عند حد ، كانت هذه بمثابة الختم على المصير المحتوم لهذه المدن .

وعند ما جاء الدمار من السماء عليهـا ، تم انقـاذ لوط وعائلته ، ما عدا زوجته التى نظرت الى الوراء فصارت عمود ملح (تكوين ١٩ : ١٢ — ٢٥) « وحدث لما أخرب الله مدن الدائرة أن الله ذكر ابراهيم وأرسل لوطا من وسط الانقلاب حين قلب المدن التى سكن فيها لوط » (تكوين ١٩ : ٢٩) . هذه قصة أخرى تدل على عقاب الخطية ، ونجاة البر . ونرى فى لوط — كما رأينا فى نوح — صفات الرجل البار .

١ — كان لوط يعيش وسط الشر ، ومنظر الشر أمام عينيه دائما كان محزنا لنفسه ومعذبا لروحه . يذكرنا موفات بما قاله نيومان : « ان صمام الأمن ضد الخطية ينتج من فزعنا منها » ، هذا شيء بالغ الأهمية . فالذى يحدث غالبا ، أنـه عندمـا تظهر الشرور لأول مرة ، يفـزع الناس منهـا ويصدمون بها ، ولكن بمضى الوقت ، يكفون عن الفزع من الشر ، وينظرون الى الشرور على أنها أمر عادى . هناك كثير من الأشـياء التى ينبغى أن نصطدم بها ، ونفزع منها . ففى عصرنا ، توجد مشكلة البغاء والانحـلال الخلقى ، ومأساة المسكر وحمى المقامرة التى انتشرت فى طول البـلاد وعرضها ، وانهيار الرابطة الزوجية وتفكك الأسرة ، والجريمة والقتل ، والاحياء الفقيرة التى وصل بها الفقر الى أحـط الدركات . والمحزن بـل والمؤلم هنا ، هو أن هذه الاشياء لم تعد تحرك ساكنا فى الناس . انها تعد أمور عادية وسط خضم هذا العصر . قد تعتبر هذه من الأشياء المؤسفة والتى يلعب فيها سوء الحظ دورا كبيرا ، ولكنها لا تعد أمورا تقشعر منهـا الأبدان أو تصطدم بالقيم والمثل ، ويستحسن لخيرنا بل ولخـير العالم ، أن نشعر دائما بالحساسية البالغة ضد الخطية .

٢ — عاش لوط فى وسط الشر ، ولكنه لم يتأثر به . ففى وسط شر سـدوم ظـل أمينـا لله ومطيعـا له . فالشخص وان كـان يعيش

وسط الشر ولكنه يبقى أمينا لله بنعمته ، فانه اذ يتـذكر حضـور الله الدائم معه ، فان ذلك يكون واقيا له من عدوى الخطية وترياقا له ضد سمومها . فليس هناك ما يستوجب أن يكون الانسان فريسة وعبدا للبيئة التى يتواجد فيها .

٣ ــ وعندما ساءت الأمور عما هى عليـه ، كان لوط على استعداد أن يكسر الحلقة التى تربطه بالبيئة التى يعيش فيها . لقد كان على استعداد أن يفعل ذلك ، بالرغم من انه لم يرد أن يفعل ذلك . ولأن زوجته لم تكن على استعداد أن تقطع صلتها بسدوم ، فانها هلكت . توجد عبـارة غريبة فى قصة العهد القديم ، والعبارة تقول انـه « لما توانى لوط أمسك الرجـلان بيده» (تكوين ١٩ : ١٦) . قد تأتى ظروف نجد فيها أن السماء تحـاول أن ترغمنا على أن نبعد عن الشر وعن تأثيره المغرى . فقد يجتاز اى انسان فى مثل هذا الموقف حيث يخير بين الاقامة فى مكان ما أو أن يجد الأمان فى مكان آخر ، ليبدأ بداية جديدة بقطع صلته بالماضى ، وقد يجتاز الواحد فى موقف يحتم عليه أن يخلص نفسه بالابتعاد عن وظيفته وبيئته وموقفه الراهن ، ليبدأ من جديد . ولقد كان سر نجاة لوط ، وهلاك زوجته لانها فشلـت فى التخلص من براثن الماضى .

صورة الشرير

تقدم لنا الأعداد من (٩ ــ ١١) فى هذه الفقرة صورة للشرير . فيرسم لنا بطرس ــ بمهارة فائقة وبلمسات نابضة من قلمه ــ الصفـات البارزة للانسان الذى يطلق عليه لفظ (الشرير) .

١ ــ انه يذهب وراء « شهوة الجسد » ، ان حياة الشرير تسودها شهوات الجسد الدنسة . ان شخصا كهذا متهم بخطيئتين :

(ا) فكل انسان يتميز بطابعين مختلفين . فهناك الجـانب المـادى أو الطبيعة المادية ، فله غرائز ودوافع وميول يشترك فيها مع الحيـوان . وهذه الغرائز صالحة ــ ما دامت تستخدم فى مكانها الصحيح ــ اذ انهـا ضرورية لحفظ النوع الانسانى واستمرار الجنس . ولـكن هذه الغرائز

يجب الا تتخطى حدودها . فالطبيعـــة البشرية خليط يدخل فى تركيبه عدة عناصر مختلفة . وواضح أن قيمة اى خليط وفائدته تتوقف على المهارة فى وضع كل عنصر بمقدار ثابت لايتجاوزه ، فأى زيادة أو نقص فى أى مادة من مواد الخليط يضعف من تأثيره . فالانسان له طبيعة مادية كما أن له طبيعة روحية ، والرجولة تتوقف على صحة المزج بين هاتين الطبيعتين فالانسان الذى تسوده الشهوة ، انسان سمح للطبيعة الحيوانية فيه أن تحتل مكانا غير مكانها الصحيح ، لقد اختل فيه التوازن ، وأساء فهم الرجولة الحقة . والانسان الذى يذهب وراء شهوة الجسد ، اذن لم يفهم النسب الصحيحة التى وضعها الله لتكوين الطبيعة البشرية المتكاملة .

(ب) ولكن سبب اختلال التوازن هذا ، مرجعه الأنانية . فأصل الشر فى الحياة التى تسودها الشهوة يرجع للافتراض القائل بأنه ما من شىء مهم سوى اشباع الرغبات الذاتية ،والتعبير عن الاحساسات الفردية. ان حياة كهذه لا تلقى أى اهتمام أو احترام من الآخرين ، اذ تضع ذاتها فى المركز . ان الأنانية والشهوة يسيران جنبا الى جنب .

ان الرجل الشرير هو الشخص الذى سمح لجانب واحد من طبيعته أن يطغى على الجانب الآخر ، وأنه فعل ذلك لأنه أنانى وغير مقدر لمصالح الآخرين واحساساتهم .

٢ ـــ انه « جسور » . والكلمة باليونانية هـــى (tolmètés) المشتقة من الفعل (tolman) الذى يعنى « يجرؤ » . هناك نوعان من الجراة :

الجراة النبيلة وهى دليل الشجاعة الحقة والاقدام . والجراة الشريرة التى تجعل صاحبها يقدم على عمل أشياء لا يحق لـــه الاقدام عليها . وقـــد عبر شكسبير عن ذلك بقوله : « ان كل ما أجرؤ عليه هو أن أكون رجلا ، ومن يجرؤ على شىء غير ذلك ، فهو ليس بشىء على الاطلاق » . فهنـــاك أشياء لا يحق لأى انسان أن يفعلها ، ومن يفعلهـــــا فانه يتحدى الضمير ويتحدى ناموس الله . ان الرجل الشرير هو من يجرؤ على تحدى ارادة الله برغم علمه بها .

٣ ـــ انه « معجب بنفسه » . ان الكلمة باليونانية هى (authadés) التى اشتقها اليونان من كلمتين (autos) اى نفس و (hadôu) اى «مسر» ، وقد استخدموها للتعبير عن الرجل الذى لا هم له سوى ارضاء ذاته . فالكلمة فيها دائما عنصر العناد ، فالذى يتميز بهذه الصفة لا يقنعه المنطق ولا الادراك ولا التوسل ولا الرقة من أن يبتعد عن عمل أشياء يريد أن يعملها وقرر أن يفعلها . كما قال ر . س ترنش : « ان شخصا كهذا يتمسك برأيه لدرجة العناد ولا يعترف سوى بحقوقه ، ضاربا صفحا عن حقوق وآراء ومصالح الآخرين » .

فالشخص « المعجب بنفسه » ، يصمم على المضىء فى طريقه باصرار وغرور وهمجية . ان الرجل الشرير هو الشخص الذى لا يعير التفاتا لتوسلات البشر ولا للارشاد الالهى .

٤ ـــ انه « يفترى على ذوى الأمجاد » . لقد رأينا من قبل كيف أن هذه العبارة اشارة للقصص والتقليد العبرى ، والتى تعتبر غامضة بالنسبة لنا ، ولكنها تحمل معنى أشمل من ذلك . فالرجل الشرير لا يعرف الا عالمه الذى يعيش فيه ، أما العالم الغير منظور فليس بذى أهمية له ، والعالم الروحى فى نظره غير موجود ، والمؤثرات السماوية لا تأثير لها عليه ، انه لا يسمع أى اصوات تأتيه من وراء هذا العالم . انه من الأرض ، فهو أرضى . انه الانسان الذى نسى وجود السماء ، والأعمى والأصم عن كل مناظر أو أصوات تأتيه من السماء .

خداع النفس وخداع الآخرين

أَمَّا هؤُلاَءِ فَكَحَيَوَانَاتٍ غَيْرِ نَاطِقَةٍ طَبِيعِيَّةٍ مَوْلُودَةٍ لِلصَّيْدِ وَالْهَلاَكِ يَفْتَرُونَ عَلَى مَا يَجْهَلُونَ فَسَيَهْلِكُونَ فِي فَسَادِهِمْ . آخِذِينَ أُجْرَةَ الإِثْمِ . الَّذِينَ يَحْسِبُونَ تَنَعُّمَ يَوْمٍ لَذَّةً . أَدْنَاسٌ وَعُيُوبٌ يَتَنَعَّمُونَ فِي غُرُورِهِمْ صَانِعِينَ وَلاَئِمَ مَعَكُمْ . لَهُمْ

عُيُونٌ مَمْلُوَّةٌ فِسْقاً لَا تَكُفُّ عَنِ الْخَطِيَّةِ خَادِعُونَ النُّفُوسَ غَيْرَ الثَّابِتَةِ . لَهُمْ قَلْبٌ مُتَدَرِّبٌ فِي الطَّمَعِ . أَوْلَادُ اللَّعْنَةِ .
(٢ : ١٢ — ١٤)

يكتب بطرس هنا قائمة اتهام مطولة ، فهى ملتهبة بأسلوب التحقير الجارح فالأشرار كالحيوانات ، انهم عبيــد غرائزهم التى يتقاسمونها مع الحيوانات . ولكن الحيوان مولود للاقتناص والموت ، هكذا يقول بطرس ، فليس له مصير غير ذلك . ومع ذلك ، فالملذات الجسدية مهلكة ، فأن تكون الحياة لا هدف سوى اللذة ، أمر يؤدى الى الهلال . ان لذة كهــذه فانيـــة وتحمل بذور الفناء والهلاك . ان اللذه هى هدف الشخص الذي يهب نفسه للأمـــور الجسديـــة ، ومشكلـــــته أنه فى النهايـــة يفقــد حتى اللـــــذه نفسـها . ان ما يريد أن يؤكده بطرس — وهو شىء حقيقى — أنه اذا كان الشخص يكرس ذاته لهذه الملذات الحسية ، ويجعلها هدفه الأوحد ، فانه فى النهاية يحطم ذاته جسميا وروحيا وعقليا ، حتى أنه يحرم من التمتع بها.

ولايضاح ذلك ببساطة نقول : ان الشره فى النهاية يفقـــــد شهيته للطعام ، والسكير يدمر صحته ، والشهوانى يهدم جسده ، والمدمن يحطم شخصيته ويقضى على سلامة عقله . ان الرجل الذى يهب ذاته لهذه الأشياء يبحث عن اللذة ، ود يتمتع بما يسميه لذة لمدة وجيزة ، ولكنه فى النهـــاية يخرب صحته ، ويقضى على كيانه ، ويذهب بعقله وشخصيته ، ويحس بأنه فى جهنم وهو ما زال على الأرض .

هؤلاء الناس يعتبرون تنعم يوم لذة ، وكذلك يجــرون وراء المسرات التافهة ويسعون خلف كل لذة رخصية . انهم يعكرون صفـــو العـــــلاقات المسيحية ، انهم كالعيوب التى ان وجدت فى الذبيحة أصبحت غير لائقــــة لتقديمها لله . ثم اننا يجب أن نلاحظ أن ما يقــوله بطــــرس ليس حقيقة دينية فقط ، انه أيضا حقيقة منطقية . فان ملذات الجسد ، وملذات التنعم والولائم ، ونشوة المسكر ، والتحلل من كل ضوابط أخلاقية تخضع لناموس الفناء ، انها تفقد جاذبيتها وسحرها شيئا فشيئا ، حتى أنه يلزم فى كل مرة الانغماس فيها أكثر للوصول الى الهدف . فالتنعم يجب أن يزيد ، والمسكر

يجب أن تترع كئوسه الى ما لا نهـــاية وكل شيء يجب أن يكثر حتى تصير اللذة أشد وأكثر حدة . وبمضى الزمن ، يصبح الانسان أقل تمتعا بها ، وتقل قدرته على التمتع بهذه الاشياء ، وهذا طبيعى . ان من يسلك هذا الطريق فانه يخضع نفسه لحياة لا تبشر بمستقبل ، وللذة يعقبها الألم .

ولذا فان بطرس يذهب فى عدد (١٤)الى القـــــول الذى يصعــب ترجمته ، ولكنه ترجم الى اللغة الانجليزية هكذا « لهم عيون مملوءة فسقا »، والعبارة كما وردت باليونانية تعنى حرفيا « لهم عيون مملوءة (زانية) » ويغلب أن يــكون المعنى هو أنهم يتمنون أن تــكون كل امرأة زانية . انهم ينظرون الى كل امرأة بعين الشهوة ، باحثين عن الوســـــائل التى يمكن اغراؤها بها لاشباع شهواتهم . قال معلمو اليهود : « ان اليد والعين هما سماسرة الخطية » ، كما قال يسوع ، انهم ينظرون لكى يشتهوا (متى ٥ : ٢٨) ، لقد بلغوا الحد الذى لا يمكن أن ينظروا فيه دون أن يحسبوا حساب الشهوة . كما قال بطرس عن ذلك ، ان قلوبهم متدربة فى الطمع فى الحصول على الأشياء التى لا يحق لهم تملكها . لقد سبق أن فسرنا الـكلمة لتعنى الرغبة فى تملك الأشياء التى لا يحق لهم مجرد اشتهائها ، لا تملكها . ان الصورة التى يرسمها بطرس مرعبة حقا . ان الكلمة (متدرب) تستخدم للتعبير عن الرياضى الذى يعد نفسه للألعاب ، فهؤلاء النـــاس قد دربـــوا وأعدوا انفسهم ، ودربوا عقولهم وقلوبهم لكى لا يفكروا سوى فى الشهوة المحرمة . لقد حاربوا ضمائرهم وصرعوها ، وصارعوا مع الله حتى أبعدوه عن ميدان حياتهم ، وكافحوا باصرار أيضا ضـــــد مشاعرهم الطيبة حتى خنقوها ، لقد دربوا انفسهم على التركيز فى الأشياء المحرمة . ان حيـــاتهم عبارة عن معركة حامية الوطيس ضد الفضيلة . وتدريب مستمر لتعلم فنون الخطيـــة .

بقى فى هذه الفقرة اتهام آخر . انه من الشر أن يخدع هــؤلاء الناس أنفسهم ، ولكن ما هو أشر من ذلك أن يخدعوا الآخرين . انهم يصيدون النفوس الغير ثابتة فى الايمان . والكلمة المستخدمة باليونانية للتعبير عن ذلك هى (deleazein) التى تعنى « يمسك أو يصيد بطعم » ان الانسان يصبح شريرا حقا عندما يحاول أن يجعل الآخرين أردياء مثله . ان كل انسان

يجب أن يحمل مسئولية خطاياه ، ولكن أن يضيف الى ذلك ثقل خطايا الآخرين ، فهذا ما ليس بوسع اى انسان .

طريق الضلال

قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ فَضَلُّوا تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أُجْرَةَ الإِثْمِ . وَلَكِنَّهُ حَصَلَ عَلَى تَوْبِيخِ تَعَدِّيهِ إِذْ مَنَعَ حَمَاقَةَ النَّبِيِّ حِمَارٌ أَعْجَمُ نَاطِقاً بِصَوْتِ إِنْسَانٍ .
(٢ : ١٥ و ١٦)

ان بطرس يشبه الأشرار فى عصره بالنبى بلعام . لقد ورد بلعام فى الفكر اليهودى والأساطير اليهودية كمثل على الأنبياء الكذبة الاشرار . لقد وردت قصته فى سفر العدد (٢٢ — ٢٦) . لقد انزعج بالاق ملك موآب عند تقدم الاسرائيلين المستمر ، ولكى يحاول ايقاف هذا التقدم ارسل لبلعام ليأتى ويلعن الاسرائيليين أمامه ، واعداً اياه بهدايا قيمة اذا أتى . ولكن بلعام رفض أن يلعن الاسرائيليين أولا ، ولكن القصة تبين بوضوح أن بلعام اشتهى الهدايا القيمة التى عرضها ، بالاق ، حتى وان كان خائفا من أن يأخذها .

ولكن عندما توسل بالاق لبلعام مرة أخرى ، لعب بلعام بالنار حتى أنه قبل ملاقاة بالاق . وفى طريقه لملاقاته وقف حماره فى منتصف الطريق لأنه راى ملاك الرب واقفا فى الطريق ووبخ بلعام .

واضح أن بلعام لم يأخذ ما أراد بالاق أن يغريه به ، ولكن أن أراد أى انسان أن يقبل رشوة فانه يسمى «بلعام» فى التقليد اليهودى . بعد هذه القصة فى عدد (٢٥) ، ترد قصة أخرى انها تحكى كيف أغرق الاسرائيليون لعبادة البعل والاندماج مع نساء موآب .

ومع أن سفر العدد لم يذكر من كان المغرى ، الا أن الاعتقاد اليهودى

يذكر أن بلعام كان وراء هذا الاغراء ، وانه المسئول عن ضلال بنى اسرائيل. وعندما امتلك الاسرائيليون الأرض قيل « وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف » (عدد ٣١ : ٨) . لقد أصبح بلعام لذلك يمثل النبى الكاذب . يتميز بلعام بصفتين نجدهما تتكرران فى الناس الأشرار فى زمن بطرس .

١ ــ لقد كان بلعام (طماعا) . توضح قصة سفر العدد كيف أن لعاب بلعام كان يسيل رغبة منه فى الحصول على ذهب بالاق ، وكانت عيناه تشتهيان هذا الذهب . صحيح انه لم يأخذ الذهب ؛ ولكن الرغبة الشريرة فى تملكه كانت مسيطرة عليه . ان الأشرار فى زمن بطرس كانوا طماعين ، وكل همهم السعى وراء الأشياء التى يمكن أن يحصلوا عليها ، فقد كانوا يحاولون انتهاز فرصة عضويتهم للكنيسة فى السعى وراء المكاسب الغير شريفة .

٢ ــ ان بلعام علم اسرائيل أن يخطىء . فقد عرف بلعام فى التاريخ على أنه الرجل الذى علم اسرائيل أن يخطىء . انه قاد الشعب وراءه بعيدا عن الطريق المستقيم الى الطريق الملتوى ، وحرضهم على أن ينسوا وعودهم لله ، واخلاصهم له . والناس الأشرار فى زمن بطرس ، كانوا يحرضون المسيحيين على أن يبتعدوا عن الطريق المسيحى ، وان يكسروا تعهداتهم التى تعهدوا فيها بالولاء للمسيح .

فالرجل الذى يحب المكاسب ، والذى يخدع الآخرين ويغرقهم بارتكاب الشر ، يقع تحت دينونة .

خطر الارتداد

هؤُلاَءِ هُمْ آبَارٌ بِلاَ مَاءٍ غُيُومٌ يَسُوقُهَا النَّوْءُ . الَّذِينَ قَدْ حُفِظَ لَهُمْ قَتَامُ الظَّلاَمِ إِلَى الأَبَدِ . لِأَنَّهُمْ إِذْ يَنْطِقُونَ بِعَظَائِمِ الْبُطْلِ يَخْدَعُونَ بِشَهَوَاتِ الْجَسَدِ فِي الدَّعَارَةِ مَنْ هَرَبَ قَلِيلاً مِنَ الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي الضَّلاَلِ . وَاعِدِينَ إِيَّاهُمْ بِالْحُرِّيَّةِ وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ

عَبِيدُ الْفَسَادِ . لِأَنَّ مَا انْغَلَبَ مِنْهُ أَحَدٌ فَهُوَ لَهُ مُسْتَعْبَدٌ أَيْضاً . لِأَنَّهُ إِذَا كَانُوا بَعْدَ مَا هَرَبُوا مِنْ نَجَاسَاتِ الْعَالَمِ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ يَرْتَبِكُونَ أَيْضاً فِيهَا فَيَنْغَلِبُونَ فَقَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْأَوَاخِرُ أَشَرَّ مِنَ الْأَوَائِلِ . لِأَنَّهُ كَانَ خَيْراً لَهُمْ لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الْبِرِّ مِنْ أَنَّهُمْ بَعْدَ مَا عَرَفُوا يَرْتَدُّونَ عَنِ الْوَصِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُسَلَّمَةِ لَهُمْ . قَدْ أَصَابَهُمْ مَا فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ وَخِنْزِيرَةٌ مُغْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمْأَةِ .

(٢ : ١٧ — ٢٢) .

ما زال بطرس يسرد فى قائمة الاتهام ضد الاشرار .

انهم يتملقون فقط لكى يخدعوا ، انهم كآبار بلا ماء ، وكغيـوم يسوقها النوء . تصور مسافرا يسير فى الصحراء يخبرونه بأن أمامه ينبوع ماء ليستطيع أن يطفىء ظمأه منه ، ثم تصوره وهو يصل الى هذا الينبوع ليجده جافا وعديم الجدوى . وتصور فلاحا يصلى لأجل سقوط المطر الذى تتعطش له محاصيله ، ثم يرى سحابة يتوقع أن تأتيه بالمطر ، ولكن الريح يدفعها بعيدا دون أن تروى محاصيله .

وقد عبر (بج) عن ذلك بقوله : « أن المعلم بـدون معرفة كالبئر بلا ماء » . ان هؤلاء النـاس هم كالرعاة الذين كتب عنهم « ملتون » : « ان أغنامهم الجائعة تنظر اليهم دون أن تجد طعاما » ، ان هؤلاء الناس يعدون بانجيل ، ولكنهم فارغين فليس لديهم ما يقدمونه للنفس المتعطشة .

ان تعاليمهم خليط من الغرور والعبث . فالحـرية المسيحية تتعرض للخطر من جرائهم . ان بولس يخبر شعبه أنهم قد دعوا للحرية ، فلا يصـح

أن يجعلوا الحرية فرصة للجسد (غلاطية ٥ : ١٣) . وبطــــرس يخبر الشعب انهم أحرار ، ولكنهم لا يصح أن يتخذوا الحــــرية سترة للشر (١ بطرس ٢ : ١٦) . ان هؤلاء المعلمين الكذبة قدموا للناس الحرية التى تجعلهم يخطئون كما يريدون ، هذه هى حريتهم . لا أن يثيروا فى الناس دوافع النبل، بل دوافع اشباع الشهوة . انهم أرضوا فى الانسان أردأ ما فيه، وليس أفضل ما فيه . وقد أوضح بطرس السبب فى ذلك . انهم فعلوا ذلك لأنهم هم أنفسهم عبيد لشهواتهم .

قال سينكا : « ان عبودية الانسان لنفسه أشق أنواع العبوديــة » ، وتحدث برسيوس عن معلمى عصره « الذين كانوا يرضعون الملذات »، التى كانت سائدة وقتئذ . ولقد قدم المعلمون للناس الحرية، بينما هم أنفسهم كانوا عبيدا ، والحرية التى كانوا يقــدمونها هى حرية الاستعباد للشهوة . ان رسالتهم كانت مملوءة بالغرور ، لأنها كانت ضد رسالة المسيح والكنيسة ، ان رسالتهم عبث لأن كل ما اتبعهم صار عبدا . هذه هى تعاليمهم ، وتلك هى هرطقتهم ، انهم يتخذون النعمة مسوغا وتبريرا للخطية ، بدلا من أن تكون دافعا محركا للترقى فى مسالك البر والفضيلة والحياة النبيلة .

وما داموا قد عرفوا طريق المسيح الحقيقى مرة ، ثم ارتدوا الى ما هم عليه ، فان موقفهم يكون أخطر . انهم كالرجل الذى قيل عنــه فى المثل ان أواخره أشر من أوائله (متى ١٢ : ٤٥ ، لوقا ١١ : ٢٦) .

لم ذلك ؟ . ان الشخص الذى لم يعرف الطريق الصحيح ، لا يمكن أن يلام بسبب عدم اتباعه له ، واذا لم ير الحقيقة ابدا ولم يسمع رسالة المسيح مطلقا ، لا يمكن أن يدان بسبب عدم قبوله وطاعته اياه . ولكن اذا عرفه ، ومع ذلك سار فى الطريق الآخر باختياره ، فانه يخطىء ضــــد النور ، انه عرف الطريق الأفضل ثم اختار الأردأ ، انه يكون قد أخطأ وهو عالم تماما بما يفعــل . فان كان الأمر كذلك ، كان من الأفضل له لــو لــم يعرف الحق ، لأن معرفته للحق هى سر دينونته . ان الانسان لا يصــح أن ينسى المسئولية التى تلقيها عليه معرفته .

وينهى بطرس حديثه بالاحتقار لأولئك النـــاس . ان الناس الأشرار يشبهون كلبا قد عاد الى قيئه (أمثال ٢٦ : ١١) ؛ أو كخنزيرة تنظفت ثم عادت لمراغة الحماة . ان هؤلاء الناس قد عرفوا المسيح ، ولكنهم اختاروا طريق الضلال بأنفسهـــم حتى أنهـــم يفضلـــون أن يتمرغـــوا فى أوحـــال الخطيئة من أن يرتقوا الى قمم الفضيلة . انه لشىء خطير حقا أن يجعـــل الانسان نفسه محاطا بأغلال الخطية التى لا يستطيع منها فكاكا ، وأن تفقد الفضيلة جمالها فى نظره فى آخر الأمر .

الأصحاح الثالث

مبادىء الوعظ

هذه أكتبها الآن إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء فيهما أنهض بالتذكرة ذهنكم النقي لتذكروا الأقوال التي قالها سابقاً الأنبياء القديسون ووصيتنا نحن الرسل وصية الرب والمخلص .

(٣ : ١ و ٢)

فى هذين العددين نلاحظ بوضوح ، مبادىء الوعظ الى اتبعها بطرس :

١ ـ انه آمن بضرورة التكرار . انه يعرف جيـدا أنه لتثبيت أى شىء فى الذاكرة يجب تكراره كثيرا . عندما كتب بولس رسـالته الى اهل فيلبى قال لهم ان كتابة هذه الأمور مرارا وتكرارا ليست ثقيلة عليه ، وأمالهم فهى مؤمنة (فيلبى ٣ : ١) . ان مبادىء المعرفة تنبت فى عقل الطفـل بتكرارها . هنا شىء يجدر ملاحظته . فقد يحدث غالبا أننا نشـتاق الى الأشياء الجديدة ، بينما تكون حاجتنا ماسة الى تكرار الحقائق الأبدية التى ينساها الناس بسرعة ولا يدركون أهميتها .

توجد بعض الأغذية التى لا يتضايق منهـا الناس ابدا ، انها لازمة للجسم ، ولذا فهى تقدم له يوميا . فنحن نتحدث عادة عن «الخبز اليومى»، وهكذا فان هناك بعض الحقائق المسيحية العظمى التى يجب تكرارها دائما والتى لا يجب ان يستعاض عنها بأشياء اخرى طلبا لما هو جديد .

٢ — انه آمن بالحاجة الى مذكر ، يوضح العهد الجديد مرارا وتكرارا أن الوعظ والتعليم فى اغلب الأحيان تذكير للناس بما يعرفونه من حقائق ، ومطالبتهم بأن يسلكوا وفق ما يعرفونه من هذه الحقائق .

يستشهد موفات بما قاله دكتور جونسون : « اننا غالبا مـا لاندرك جيدا أن الناس بحاجة الى التذكير مما هم فى حاجة الى معلومات جديدة » .

تحدث الاغريق عن زمن يأتى يمحو كل شىء فى عقول الناس ، فتصبح عقولهم بيضاء وكأن الزمن قطعـة من الاسفنج امتصت كل ما فى عقولـهم من معلومات . ان الناس فى حاجة ملحة لا الى تعليمهم أشياء جديدة بل الى تذكيرهم بما يعرفونه من قبل .

٣ — اعتقد بطرس أيضا بتأثير الكلمة الطيبة . انه يقول ان قصـده أن ينهض (بالتذكرة ذهنهم النقى) . والكلمة التى يستخدمها للتعبير عن كلمة نقى قد تحمل معنيين مختلفين : انهـا قد نعنى الشىء الذى قد غربل حتى لم يتبق فيه أى شىء من التبن ، أو قد يعنى الشىء الذى يظهر خاليا من العيوب فى ضوء الشمس . يستخدم أفلاطون نفس هذه العبارة بمعنى (الذهن النقى) أو الذهن الحاذق النقى الصـافى الذى لا يتأثر بمغريـات الحواس ، اننا قد نسميـه الذهن الذى لم تصبـه العـدوى بشىء . واذ يستخدم بطرس هذه العبارة ، فانه يطلب من الشعب أن لا تتأثر عقـولهم بالهوطقات ، أو بعدم الايمان ، أو بالشهوات . ان العبارة تعنى كما لو قال لهم : « انكم أناس ممتازون — لو كنتم تتذكرون » ان الواعظ يجب ألا يشعر سامعيه بأنهم تعساء لا يستحقون سوى اللعنة ، بل اناس ممتازون فى حاجة الى الخلاص . انهم لا يشبهون النفـــاية التى يجب أن ترمى بقـــدر ما يشبهون الجواهر التى يجب استخدامها من الطين والحماة . ان الحديث اليهم لا يصح أن يشير الى الخطية الموروثة فيهم بقـــدر ما يجب توجيهه لما فيهم من نبل وشهامة . يتحدث دونالد هانكى عن « القـائد المحبوب » الذى يتبعه أفراد فرقته حيثما حل . ويحكى كيف ينظر القـائد الى رجال فرقته وهم ينظرون اليه وكلهم تصميم أن يكونوا عند حسن ظنه بهم . اننا

نصل الى افضل ما فى الناس عندما نجعلهم يشعرون بأننا نثق فيهم بدلا من أن نشعرهم بأننا نحتقرهم .

٤ ـــ لقد كان بطرس يؤمن تماما بوحدة الكتاب المقدس ، فالكتاب وحدة لا تتجزأ . فهناك أولا ، الأنبياء الذين تنبأوا بالمسيح ، وهناك المسيح نفسه الذى جاء ، ثم الرسل الذين جاءوا بأخبار المسيح السارة . فبطرس كان يعتبر المسيح مركز الكتاب . ان العهد القديم بالمسيح ، والاناجيل تتحدث عن المسيح الذى جاء ، والرسل يقدمون رسالته للناس . ان الطريقة الوحيدة لدراسة الكتاب أن نضع المسيح فى المركز . فالكتاب يبدأ بالاستعداد لمجىء المسيح ، ثم يتحدث عن مجىء المسيح كحقيقة حدثت ، ثم يختم بتقديم انجيل المسيح للناس . فرسالة الكتاب من البداية الى النهاية هى تقديم المسيح للناس .

انكار المجىء الثانى

عَالِمِينَ هَذَا أَوَّلاً أَنَّهُ سَيَأْتِي فِي آخِرِ الأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ. وَقَائِلِينَ أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ .

(٣ : ٣ و ٤)

اشد ما كان يضايق بطرس من الهراطقة انهم كانوا ينكرون المجىء الثانى للمسيح . وكانوا يتساءلون « أين هو موعد مجيئه ؟ » ، وهذا تعبير عبرى يتضمن ان الشىء الذى يسأل عنه السائل غير موجود أبدا .

فقد كان يتسائل الناس الأشرار فى عصر ملاخى قائلين : « أين اله العدل » (ملاخى ٢ : ١٧) . وكان الوثنيون يسألون المرنم : « اين

الهك » (مزمور ٤٢ : ٣ ، ٧٩ : ١٠) ، وكان أعداء ارميا يسألونه : « أين هى كلمة الرب » (ارميا ١٧ : ١٥) ، وفى كل مرة كان السؤال يتضمن أن الشىء أو الشخص الذى يسأل عنه غير موجود . وكان الهراطقة فى عصر بطرس ينكرون أن يسوع المسيح سيأتى ثانية . ويجدر بنا هنا أن نلخص اقوالهم ، ثم نذكر رد بطرس عليها .

ان اقوال خصوم بطرس كانت ذات شقين (عدد ٤) :

لقد تساءلوا « أين هو موعد مجيئه ؟ » ، فالشق الأول من حديثهم يفترض أن موعد المسيح قد تأخر كثيرا حتى أنه يمكن القول انه لن يحدث . انهم اعتبروا أن المجيء الثانى كان يمكن أن يحدث من أمد طويل اذا كان لابد أن يحدث ، ولذا فانهم نبذوا الاعتقاد بامكانية حدوثه الآن . والشق الثانى من حديثهم هو أن آبائهم قد ماتوا ، وأن العالم يسير وكل شىء فيه على ما كان عليه بلا تغيير . انهم يدعمون الفكرة القائلة بأن هـذا الكون ثابت ، وأن التغييرات الفجائية كالمجيء الثانى لا تحدث فى عالم كهذا . ورد بطرس عليهم رد مزدوج أيضا . انه يرد على الشق الأول من حديثهم أولا فى (الأعداد من ٥ — ٧) . انه يقول لهم ان هذا العالم ليس ثابتا ، فقد سبق أن دمر هـذا العالم بالماء فى زمن الطوفان وأنه سيدمر مرة أخرى ، وهذه المرة بالنار . اذن فهذا العالم ليس ثابتا كما يظنون ، لقد دمر مرة ، وسوف يدمر ثانية .

والجزء الثانى من رده فى (عددى ٨ و ٩) . ان خصومه يتحدثون عن تأخير اتمام وعد الله ، وأنه ما دام الوقت أصبح متأخرا هكذا ، فان المجيء الثانى لن يحدث أبدا . ورد بطرس على ذلك مزدوج . (ا) اننا يجب أن ننظر الى الوقت بمقياس الله . فاليوم عند الله كألف سنة ، والألف سنة كيـوم واحد ، فالأبدية بطولها وعرضها ملك لله . فعندما نفكر فى الله يجب أن نترك كل ما يتعلق بالزمن لأن الزمن لا قيمة له عند الله . (ب) ان تباطؤ الله لا يعنى اخلاف الوعد . ان امهال الله هو فى الواقع من رحمة الله . انه يعطى الخطاة فرصة أخرى للتوبة وليجدوا الخلاص . ان الله اذ يكف يده لا يعنى ذلك عدم الاكتراث أو اخلاف الوعد ، بل ليعطى الناس فرصة ثانية ليتوبوا وينجوا من العقاب .

ويختم بطرس رده فى عدد (١٠) ، والخاتمة هى أن المجىء الثانى آت وأن حدوثه سيكون برعب وهلاك عظيمين ، سوف ينحل فيه العالم ويحترق بلهيب مروع . ثم يطلب نظرا لذلك شيئا عمليا . فما دمنا نعيش فى عالم سوف ينزل اليه يسوع المسيح ، وما دمنا نحيا فى عالم يسرع فيه الأشرار نحـــو هلاكهم ، فان ذلك مدعاة لنا أن نسلك فى التقوى والقداسة ، حتى ننجـــو ونخلص عند مجىء ذلك اليوم المريع . ان المجىء الثانى حافز لنا لكى نصلح أحوالنا ، وحتى نعد أنفسنا لملاقاة الهنــــا . هذه الفــكرة هى هدف هذا الأصحاح ، والآن لنحاول دراسته بالتفصيل :

الهـــلاك بالطوفان

لِأَنَّ هٰذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَالْأَرْضُ بِكَلِمَةِ اللهِ قَائِمَةً مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ . اللَّوَاتِي بِهِنَّ الْعَالَمُ الْكَائِنُ حِينَئِذٍ فَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَهَلَكَ .

(٣ : ٥ و ٦)

ان أول رد لبطرس أن العالم ليس ثابتا الى الأبد،وأن الأشياء التى فيه ليست كائنة الى الأبد . ان ما يريد أن يؤكده بطرس أن العالم قديما قـــد هلك بالماء ، كما أن العالم الحاضر سيهلك بالنار . ان التفاصيل الواردة فى هذه الفقرة صعبة نوعا ما . انه يقول ان الأرض تكونت من الماء وبالماء . فى قصة سفر التكوين نجد انه كان فى البدء نوع من الفوضى يسودها المـــاء « وروح الله يرف على وجه المياه ... وقال الله ليكن جلد فى وسط الميــاه وليكن فاصلا بين مياه ومياه » (تكوين ١ : ٢ ــ ٦) . وقد تــكون العـــالم فى البدء من هذه المياه ثم أن الماء هو أساس تكوين العالم لان المطر الذى نزل من السماء هو جوهر الحياة . ان ما يعنيه بطرس هو أن العالم خلق من الماء، وانه باق بسبب الماء ، وأن العالم قد هلك قديما بالماء .

ولتوضيح هذه الفقرة اكثر ، يجب أن نشير الى ما طرأ على قصة سفر

التكوين عن الطوفان من تطــــور . فقد أصبحت القصة لا تعنى مجرد هلاك الخطاة ، بل هلاك العالم كله . فكما نرى فى رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا أن ما ورد فيهما لا يرد مباشرة من العهد القديم بل من سفر أخنوخ . ففى (أخنوخ ٨٣ : ٣ ـــ ٥) يرى أخنوخ رؤيا . انه يقول : « رأيت فى رؤيا أن السماء سقطت على الأرض ، ورأيت الأرض تبتلع فى محيط كبير » ، وفى القصص التى تواترت بعـــد ذلك يذكر أن الطوفان لم يمح الخطاة فقط ، بل أهلك السماء والأرض ، ولذا فان تحذير بطرس يمكن وضعه بالصـــــورة الآتية : « إنكم تقولون ان الأشياء الكائنة ، كانت كذلك وستظل الى الأبـــد هكذا ، انكم تبنون رجاءكم على أساس أن العالم ثابت وغير متغير . انـــكم على خطأ ومخدوعون لأن العالم قـــد يكون قديما من المـــاء ، وهو محفوظ بالماء ثم أنه هلك بالماء فى الطوفان . ان آمالكم مبنية على فكرة خاطئة عمـــــا حدث قديما » ونحن نقول ان هذه أسطورة قديمـــة مدفونـــة فى مخلفـــات المـــاضى .

ولكننا لا يمكن أن نقول ان هذه الفقرة لا تعنى شيئا بالنسبة لنــــــا اليوم . فبغض النظر عن هذه الفقرة وعن الأساطير اليهوديـــة القـــديمة ثم القصص الحديثة التى رواها اليهود ، فهناك حقيقة ثابتة ـــ أن الشخص الذى يقرأ التاريخ بدقة وبعين مفتوحة يمكن أن يرى فى ثناياه الناموس الادبى يؤدى دوره ، ومعاملات الله مع البشر . قال فرود المؤرخ العظيم : ان التاريخ هو الصوت الذى يدوى على مر العصور بأن الخـــير للأبرار والشر للاشرار . وعندما كان «أوليفر كروميل» يدبر أمر تعليم ابنه ريتشارد قال«انى أود أنه يتعلم شيئا من التاريخ» فالواقع ، أن التاريخ يعلمنا أن العـــــالم يحكمه ناموس أدبى ، وأن من يتحدى هذا الناموس فانه يعرض نفسه للخطر .

الهـــلاك بالنـــار

وَأَمَّا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ الْكَائِنَةُ الآنَ فَهِيَ مَخْزُونَةٌ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنِهَا مَحْفُوظَةً لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهَلاَكِ النَّـــاسِ الْفُجَّارِ .

(٣ : ٧)

كان اعتقاد بطرس انه كما هلك العالم قديما بالمــاء ، فان العالم الحــالى سيدمر بالنار . انه يقول ان ذلك يتم بواسطة كلمــة الله « بتلك الــكلمة عينها » ، ان ما يقصده هو ان العهد القديم يتحدث عن قصة الطوفان التى حدثت فى الماضى ويحذر من الهلاك بالنار فى المستقبل . تــوجد فقرات كثيرة ذكرها الأنبياء لابد أنها كانت تجول بخاطر بطرس وقتئــذ . فيوئيل تنبأ عن الزمن الذى فيه يظهر الله عجائبه دما ونارا واعمدة دخان . والمرنم يذكر انه عندما يأتى الله يحدث أمامه لهيب يحرق (مزمور ٥٠ : ٣) ، ويتحدث اشعياء عن مجىء الرب بلهيب نار آكلة (اشعياء ٢٩ : ٦ ، ٣٠ : ٣٠) . ويقول ان الرب بالنار يأتى وبالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر (اشعياء ٦٦:١٥و١٦). ويقول ناحوم ان التلال تذوب والأرض ترفع من وجهه . غيظه ينكسب كالنار (ناحوم ١ : ٥ و ٦) .

ويصور ملاخى يوم الرب بأنه يتقد كالتنور (ملاخى ٤ : ١) .

فحين تفسر هذه النبوات حرفيا ، نجد أن بطرس يستند الى كثير منها. لقد آمن الرواقيون أيضا بتعليم هلاك العالم بالنار. ولكن التعليم الرواقى يعبر عن شىء كئيب . فالرواقيون يقولون ان الكون اكمل دورة كاملة وانه حرق بالنار ثم ابتدأ كل شىء من جديد كما كان تماما من قبل . وكانوا يعتقــدون بالفكرة الغريبة القائلة انه عند نهاية الدورة تكون الكواكب فى نفس موضعها كما كانت عند ابتداء العالم . يقـــول كرسيبوس « ان هــذا ينتج اشتعالا واحتراق كل شىء » . ثم يستمر قائلا : « ثم يستعيد العالم وضعه الأول . فيعود سقراط وأفلاطون وكل شخص من جديد ايحيا مع نفس الأصـــدقاء ونفس المواطنين ويمرون بنفس التجــارب ويــؤدون نفس المهــام . وكل مدينة وقرية وحقل تعود كما كانت . ويتكرر هذا ليس مرة واحدة بل مرارا وتكرارا — طوال الأبدية بلا نهاية . . . لأنه لن يكون هناك شىء جديد سوى ما كان من قبل ، ولكن كل شىء يتكرر حدوثه كمــــا هو بالضبط بدون أدنى اختلاف » .

فالتاريخ فى نظرهم كالعجلة التى تدور دورانا لا ينقطع ، مكررا نفس الأخطاء والآلام والآثام — وتعد هذه من أكثر وجهات النظر التى تخيلها العقل البشرى غرابة وكآبة .

اننا يجب الا ننسى ان هذا العالم سوف يبلك بلهيب الهى، كما عبر عن ذلك الأنبياء وبطرس ، ولكن النهـــاية لن تكون فناء أبديـــا ولا تكراراً لمـــا حدث من قبل ، ان النتيجة ستكون سماء جديدة وأرضا جديدة .

هناك حقيقة مؤكدة ـــ ان الرأى الكتابى يؤيد القول انه بعـــــد دمار العالم ستبرز خليقة الله الجديدة . ان الصورة كما يراها النبى لا تحوى فقط الألم الناتج عن فناء العـــــالم ، بل الألم النـــــاجم عن ميـــلاد عالم جـــديد .

مراحم امهال الله

وَلٰكِنْ لاَ يَخْفَ عَلَيْكُمْ هٰذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ أَنَّ يَوْماً وَاحِداً عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ . لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْـــدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ لٰكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ .

(٣ : ٨ و ٩)

توجد فى هذا الجزء ثلاث حقائق عظمى منيرة لاذهاننـــا ، ومريحـــة لقلوبنا .

١ ـــ الزمن نسبى ، فموقف الانسان منه يختلف عن موقف الله منه . انه كما عبر المرنم « الف سنة فى عينيه مثل يوم أمس بعد ماعبر وكهزيع من الليل » (مزمور ٩٠ : ٤) . عندما نفكر فى وجود العالم من مئات الآلاف من السنين ، نحس بضآلتنا وعدم أهميتنا ، وعندما نفكر فى بطء التقدم الانسانى نميل عندئذ لليأس والتشاؤم ، ولـــكننا نشعر بالارتياح عندما نعتقد بأن لله الأبدية كلها وان ألف سنة فى عينيه كيوم واحد . اننا لا نرى الأشـــــياء فى وضعها الصحيح ، ولا نقدرها حق قدرها سوى فى ظل الأبدية .

٢ — ولكننا نرى أيضا من هذه الفقرة أن الزمن ليس سوى فرصة ، وكل يوم نحياه هو هبة مجانية . فبطرس يرى أن كل يوم يحياه العالم، بمثابة فرصة أخرى للبشر لكى يتوبوا ويتجهوا الى الله . وكل يوم لنا هبة من الله ، كل يوم فرصة لنا لتنقية ذواتنا ونتقدبم العون للآخرين ، وللاقتراب أكثر من الله . يجدر بنا ألا ننسى هذه المنحة التى وهبنا الله اياها، هبة الوقت .

٣ — وأخيرا ، ترينا هذه الفقرة صدى آخر للحقيقة التى طالما ترددت فى العهد الجديد . فبطرس يقول ان الله لا يشاء أن يهلك اناس . وبولس يقول ان الله أغلق علي الجميع فى العصيان لكى يرحم الجميع (رومية ١١ : ٣٢) . وفى الرسائل الرعوية يتحدث بولس بعبارته البليغة عن الله الذى يريد الكل يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (١ تيموثاس ٢:٤) وحزقيال يستمع لصوت الله يقول له : « هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب . الا برجوعه عن طرقه فيحيا ؟ » (حزقيال ١٨ : ٢٣) .

فالكتاب المقدس يشع بنور الرجاء للجميع ، وليس هناك ما يمنع من الاعتقاد بأنه بكيفية ما وفى الوقت الذى يريده الله ، ويمكن لله الذى أحب العالم أن يرجع بالعالم كله اليه .

اليوم المريع

وَلَكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ يَوْمُ الرَّبِّ فِيهِ تَزُولُ السَّمٰوَاتُ بِضَجِيجٍ وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا .

(٣ : ١٠)

يتحدث بطرس هنا عن تعليم العهد الجديد ، عن المجىء الثانى ليسوع المسيح ، ولكنه يذكر ذلك مقتبسا العبارات التى وردت فى العهد القديم عن يوم الرب . ان يوم الرب مذكور فى كل أسفار العهد القديم . فاليهود كانوا يقسمون الزمن الى قسمين . فهناك الوقت الحاضر ، الذى

يتميز بالشر والخطية وانه لا علاج له . فلا فائدة من اصلاحه فهو مستحق للدمار . ثم الزمن الآتى والذى يعد عصر الله الذهبى . ولكن كيف يتم الانتقال من الوقت الحاضر الى الزمن الآتى؟! ان التغيير لا يمكن ان يحدث نتيجة مجهودات بشرية وكذلك لا يمكن أن يحدث نتيجة عملية تطور ، لأن العالم يسير فى طريقه نحو الدمار ، ولا علاج للشرور التى فيه .

ولكن اليهود رأوا طريقا واحدا يمكن أن يحدث التغيير ، ان التغيير يحدث بتدخل اللهالمباشر.والوقت الذى يحدث فيه التغيير سمى«يوم الرب». وقالوا انه يأتى فجائيا وبلا مقدمات . وعندما يحدث فان حدوثه ينقض العالم من اساسه . ان حدوثه يعنى دينونة الخطاة ومحوهم من على الأرض ، انه وقت الرعب « هوذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطاتها » (اشعياء ١٣ : ٩) . « يوم الرب قادم لأنه قريب . يوم ظلام وقتام يوم غيم وضباب » (يوئيل ٢ : ١ و ٢) . « ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدة ، يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام يوم سحاب وضباب » (صفنيا ١ : ١٤ — ١٨) . « تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل آن يجىء يوم الرب العظيم المخوف » (يوئيل ٢ : ٣٠ و ٣١) . «فان نجوم السموات وجبابرتها لاتبرز نورها . تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه ... لذلك أزلزل السموات وتتزعزع الأرض من مكانها فى سخط رب الجنود فى يوم حمو غضبه» (اشعياء ١٣ : ١٠ — ١٣) .

ان ما قرره بطرس وغيره من كتاب العهد الجديد عن مجىء يسوع المسيح ثانية ، طبق الأصل لما أعلنه كتاب العهد القديم عن يوم الرب . والعبارات التى استخدمها بطرس للتعبير عن مجىء المسيح ثانية تتفق مع العبارات التى وردت فى العهد القديم فى يوم الرب .

ثم أن بطرس يستخدم هنا عبارة نابضة حية . انه يقول ان السموات « تزول بضجيج » ، وهذه الكلمة فى اليونانية تستخدم للتعبير عن حفيف أجنحة الطيور أو صوت الحربة عندما تطير فى الهواء او الصوت الذى تحدثه النيران المشتعلة فى الغابة . ولا داعى للأخذ بالمعنى الحرفى لهذه

الكلمة ، فيكفى أن نرى ما يرمى اليه بطرس من أن المجىء الثانى هو وقت شدة ورعب على كل اعداء المسيح .

ولـــكن يجب الا يفوتنا شىء هام ، فعقيدة المجىء الثانى يحوطها كثير من الغموض ، ولكن هنـــاك شىء واحد أكيد ــ فالله سوف يتدخل فى حياة كل انسان ، لأنه لابد أن يأتى اليوم الذى نموت فيه ، ولذا فاننا يجب أن نتهيأ له . قد نشير الى مجىء المسيح الثانى على انه حدث المستقبل ، أو قد نحس أن هذا التعليم يجب أن يترك جانبا ، ولكننا لا يمـــكن أن نتهرب من حقيقة تدخل الله فى حياتنا فى اى وقت وكحقيقة مؤكدة .

الحـــافز الأخلاقى

فَبِمَا أَنَّ هٰذِهِ كُلَّهَا تَنْحَـــلُّ أَىَّ أُنَاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِى سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى . مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِىءِ يَوْمِ الرَّبِّ الَّذِى بِهِ تَنْحَلُّ السَّمٰوَاتُ مُلْتَهِبَةً وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبُ . ولـــكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمٰوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً يَسْـــكُنُ فِيهَا الْبِرُّ .

لِذٰلِكَ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ هٰذِهِ اجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ عَيْبٍ فِى سَلاَمٍ .

(٣ : ١١ ــ ١٤)

ان أكثر ما يركز عليه بطرس هى الدروس التى يجب أن نتعلمهــــا من حقيقة المجىء الثانى . فبما أن هذه الأشياء سوف تحدث ، وبما أن العالم يسرع نحو الدينونة ، فواضح أن الانسان يجب أن يحيا حياة التقـــــوى والقداسة . ان كنا ننتظر سموات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البر ،

فلابد أن يستعد الانسان بكل قــواه الفكرية والروحية ليكون مؤهــــلا للسكنى فى هـــذا العالم الجديد الذى لا مــكان فيه للأشرار . فبطرس كان يعتقد ـــ كما عبر موفات ـــ « بأنه لا يمكن أن يبطل الاعتقاد بالمجىء الثانى سوى على حساب التدهور الروحى » والواقع أن بطرس على صواب من الناحية العملية . فان لم يكن فى طبيعة المجىء الثانى شيئا محفزا ، وان لم تكن النهــــاية ذات هدف تسعى اليه الخليقة كلهـــــا ، تضحى الحياة عبثا . وهذا هو موقف الوثنى . ان لم تكن هناك نهاية ذات طابع معين أو هدف سواء بالنسبة للعالم أو للفرد ، سوى مجرد الفناء والانقراض ، فهناك اذن مواقف واتجاهات لا يمكن تجاهلها أو تجنبها . وهـــذه المواقف ظاهرة من الـــكتابات والنقوش على مقابر الوثنيين .

١ ـــ ان لم تكن هناك نهاية ، فيحسن بالانسان أن يعب من ملذات الحياة بقدر المستطاع . وهناك كتابة على أحد قبور الوثنيين تقول : « لم أكن شيئا وأنا لاشىء الآن . ولذا فيامن لازلت حيا ، كل واشرب وامرح ». ، فما دام لا يوجد عالم آخر يسعى الانسان للتمتع به ، فعليه أن يغنم مـــن هذا العالم الحاضر بكل ما يمكنه أن يحصل عليه .

٢ ـــ ان لم يكن هناك أى هدف يسعى الانسان إليه ، فانه يبقى غير مكترث . فلا شىء يهم اذن ما دامت النهاية هى الفناء ، وما دام الانسان لا يشعر حتى بفنائه . ولذا فمن هنا عثر على هذه الكتابة على أحد المقابر الوثنية : « لم يكن لى وجود سابق ، والآن لست موجودا ، انى لا أحس بوجودى . لا يهمنى شىء » . عندما تتجه الحياة والعالم نحو العدم ، تفقـــد الحياة قيمتها .

٣ ـــ ان لم يكن هناك ما يحيا الانسان لأجله سوى الفناء ، وان كان العــــالم مصيره الزوال ، فالحياة لا تعنى سوى الضياع .

ان الانسان لا يتجه عندئذ نحو وجهة معينة لانه لا يوجد هدف يسعى نحوه . انه يتجه نحو الضياع الذى يأتى من العدم ويتجـــه نحو العـــدم . وهذا يذكرنا بالقول المشـــهور الذى قاله كاليماكوس الوثنى : « يا كاريداس ، ماذا تجـــد فى الأمكنة السفلى ؟ » فيرد عليــــــه كاريداس : « ظلام دامس » ويقول له ثانية « وماذا تجد فى الأماكن العليا ؟ » فيقول « لاشىء » فيســـأله

« أين بلوتو ؟ » (اله العـــالم السفلى) فيقول له « كل ما قيل عنه مجرد كلام » فيرد عليه قائلا « اذن ، لد ضاع منا كل شىء » .

فحتى الوثنى لم يكن يستسيغ وجود عالم وحياة لا هـــدف لهما . فأهم ما يميز تعليم المجىء الثانى ــ بغض النظر عن التفاصيل المتعلقة به ــ الحقيقة العظمى ، وهى أن العالم والحياة يســـيران نحو هدف معين ــ وبدون هـــذا الاعتقاد فلا يتبقى لنا شىء نحيا لأجله .

سرعة مجىء يوم الرب

وتحوى هذه الفترة أيضاعقيدة عظمى.فبطرس يقول ان المسيحىينتظر ويطلب سرعة مجىء يوم الرب ، وكأنه بذلك يسرع بذلك اليوم . كيف يمكن للمسيحى أن يفعل ذلك ؟ يقدم لنا العهد الجديد عدة طرق يمكن بها اسراع مجىء ذلك اليوم :

١ ــ يمكن ذلك بالصـــــلاة . فالمسيح علمنا أن نصلى قائلين : « ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ١٠) . ان صـــلاة قلب المسيحى الملحـــــة تسرع بمجىء الملك . فكل من يصلى يفتح قلبه لدخول الملك اليها .

٢ ــ يمكن عمل ذلك بالكرازة . فمتى يقول ان يســـوع ذكر أنه « يكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شــــهادة لجميع الأمم ثم يأتى المنتهى » (متى ٢٤ : ١٤) .

فجميع الناس يجب أن نقدم لهم الفرصة لمعرفة المسيح ومحبته قبلأن يأتى مشتهى الأمم وأمل الشعوب.ان رسالة الكنيسة هى أن تساهم بأسراع مجىء الملك .

٣ ــ يكون ذلك عن طريق التوبة والطـــــاعة . ان ذلك أهم ما يريد أن يقوله بطرس . كان معلمو اليهود يقولون : « أن خطايا الشعب هى السبب فى تأخير المسيا.فلو تاب اليهود توبة حقيقية لمدة يوم واحدفقط لجاء المسيا» . وهناك مثل آخر فى صيغة أخرى يقول : « لو اتبع اسرائيل الناموس لمـــدة يوم واحد ، لجاء المسيا » .

فبالتوبة الحقيقية والطاعة التامة ، يفتح الانسان قلبـــه لمجىء الملك ، ويقرب هذا المجىء الى العالم . ويجدر بنا أن نذكر أن برود حالتنا وعدم طاعتنا تؤخر مجىء الملك .

تحريف الكتب المقدسة

وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلَاصاً . كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضاً بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ . كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضاً مُتَكَلِّماً فِيهَا عَنْ هٰذِهِ الْأُمُـــــورِ . الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً لِهَلَاكِ أَنْفُسِهِمْ .

(٣ : ١٥ و ١٦)

يستشهد بطرس ببولس على أنه يعلم نفس التعاليـــم . قد يكون أنه يستشهد ببولس على أنه يوافق على أن الحيـــــــاة التقوية المقدسة ضرورية ازاء قرب مجىء ربنا الثانى . والأمر الأكثر احتمالا هو أن بولس يوافق على أن الله يتأنى ليس عن تباطؤ وعـــدم اكتراث بوعـــده ، بل ليعطى الفرصة للناس للتوبة والايمان بالانجيل وقبول المسيح يسوع . فبولس يتحدث عن أولئك الذين يستهينون بغنى لطف الله وامهاله وطول أناته ناسين أن هـــذا اللطف يقتـــادهم للتوبة (رومية ٣ : ٢٥ ، ٩ : ٢٢) .فبطرس وبولس يتفقان على أن تأنى الله ليس عذرا لارتكاب الشرور ، ولكنه مدعاة للتوبة وفرصة للاستعداد .

تعتبر هذه الفقرة من أكثر الفقرات صعوبة فى العهد الجديد ، لأنهـــــا مثار لكثير من المشاكل ، اذ أنها تشير الى بولس ولكن بشىء من النقد .وهذا ما دعا جون كلفن الى التأكيد بأن بطرس نفسه لم يكتب الرســـــالة الثانية المسماه باسمه ، لأنه يقول ان بطرس لا يمكن أن يكتب هـــذا عن بولس . ما الذى يمكن أن نتعلمه من هذه الفقرة ؟ .

١ ـــ نتعلم من هذه الفقرة أن رسائل بولس كانت وقتئذ منتشرة فى كل

انحاء الكنيسة . فما كتب عنها فى هذه الفقرة يوحى بأنها قد جمعت ونشرت وكانت شائعة ، وسهلة التداول فى كل مكان . اننا واثقون ان هذا لم يحدث قبل سنة ٩٠ م . ففى تلك السنة جمعت رسائل بولس ونشرت فى افسس . وهذا يعنى أن هذه الرسالة المسماة باسم رسالة بطرس الثانية لم تكتب قبل ذلك التاريخ ، ولذا فانها لا يمكن أن تكون قد كتبت بيد بطرس الذى كان قد استشهد فى حوالى سنة ٦٠ م .

٢ — نعرف من هذه الفقرة ايضا ان رسائل بولس كانت معتبرة وقتئذ موحى بها . فبعض الناس كانوا يحرفونها كما كانوا يحرفون الكتب الأخرى .

وهذا يثبت أيضا أن رسالة بطرس الثانية ترجع لوقت متأخر من تاريخ الكنيسة الأولى ، لأن اعتبار رسائل بولس من الكتب الموحى بها جنبا الى جنب مع أسفار العهد القديم كان يتطلب زمنا طويلا .

٣ — يصعب تحديد موقف الرسالة هنا من بولس . تقول الرسالة هنا ان بولس قد كتب « بحسب الحكمة المعطاة له » . يقول (بج) معلقا على ذلك بأن هذه العبارة قد تعنى المديح أو التحذير . فالحق أن بولس كان له نقاد كما كان لعظماء الرجال . فمن يقول الحق بشجاعة ويقره بلا تردد لابد أن يواجه نفس المصير . فهناك نفر من الناس كان يعتبر بولس عظيما ولكن بنوع من التحفظ .

٤ — تقول هذه الرسالة بأن رسائل بولس تحوى أشياء (عسرة الفهم يحرفها غير العلماء لهلاك أنفسهم) . والكلمة المستخدمة للتعبير عن عبارة « عسر الفهم » هى التى تستخدم للتعبير عن أقوال الأوريم . لقد كانت أقوال الأوريم عند اليونان غامضة . فهناك الرواية التقليدية التى تحكى عن الملك الذى كان على وشك أن يذهب للقتال .

فسأل الأوريم فى (دلفى) ، وجاءه الجواب : « ان ذهبت للحرب ، ستقضى عى أمة كبرى » ، فاعتبر ذلك نبوة على أنه سيبيد أعداءه ، ولكن الذى حدث أنه هزم هزيمة منكرة فى الحرب ودمر بلده . هذا مثل للأقوال الغامضة التى كانت تقولها الأوريم قديما . والآن فان هذه هى نفس الكلمة

التى يستخدمها بطرس عن رسائل بولس ، فيقول ان فيها أشياء عسرة الفهم ، ويصعب تفسيرها كأقوال الأوريم .

ولا يقول بطرس ان فيها أشياء عسرة الفهم فقط ، بل أن بهـا أشياء يحرفها بعض الناس لهلاك انفسهم . ما هى الأشياء التى فى فكر بولس وتعاليمه والتى يمكن تحريفها الى اشياء مخالفة للعقيدة الدينية ؟؟ يخطر ببالنا لأول وهلة ثلاثة اشياء من هذا القبيل :

فتعليم بولس عن النعمة قد حرف كتبرير أو كسب للخطية . (رومية ٦) . وتعليم بولس عن الحرية المسيحية قد فسر على أنه فرصة للجسد (غلاطية ٥ : ١٣) . وتعليم بولس عن الايمان قد فسر على أن الأعمال ليست ضرورية ، كما نرى فى يعقوب (يعقوب ٢ : ١٤ - ٢٦) .

رسم شسترتون صورة مشهورة عن التعليم القويم حين قال ان التمسك بالتعليم القويم كالسير على حافة ضيقة حتى انها تشبه حد السكين ، فأى انحراف هنا وهناك يقود الى الدمار . فيسوع هو الله والانسان ، والله هو المحبة والقداسة ، والمسيحية هى النعمة والسلوك الحسن ، والمسيحى يحيا فى هذا العالم ويحيا كذلك لأجل العالم الآتى . فالمبالغة فى أى من هذه التعاليم والحقائق العظمى ينتج بدعا مهلكة . وانه لمن المحزن حقا أن يحرف المسيحى الحقائق العظمى والكتابية كتبرير أو كدفاع بل وكسب لعمل مايريد أن يفعله ، وعدم قبولها كنور يهديه لمعرفة الطريق الذى يريده الله أن يسيره فيه .

أساس متين ونمو مستمر

فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ إِذْ قَدْ سَبَقْتُمْ فَعَرَفْتُمُ احْتَرِسُوا مِنْ أَنْ تَنْقَادُوا بِضَلاَلِ الأَرْدِيَاءِ فَتَسْقُطُوا مِنْ ثَبَاتِكُمْ . وَلَكِنِ انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ . لَهُ الْمَجْدُ الآنَ وَإِلَى يَوْمِ الدَّهْرِ آمِينَ .

(٣ : ١٧ و ١٨)

ويختم بطرس هنا بايراد بعض الأشياء عن الحياة المسيحية .

١ — ان المسيحى قد سبق تحذيره . فالمسيحى لا يمكن أن يدعى الجهل ، انه يعرف الطريق الصحيح ونهايته ، ويعرف الطريق الخاطىء وأضراره . فليس له الحق فى ان يتوقع طريقا سهلا ، لأنه سبق أن أخبر أن المسيحية تعنى الصليب وعرف أن هناك أناسا يحاولون مهاجمة الحق وتحريفه . ان السبق بالتحذير يعنى التسلح ، ولكن هذا التحذير يعنى مسئولية خطيرة ، لأن من يعرف الصواب ويفعل الخطأ يقع تحت دينونة مضاعفة .

٢ — ان المسيحى شخص قد أعد إعدادا طيبا للحياة . انه يجب أن يتأصل ويثبت فى الأيمان . هناك أشياء مؤكدة فى الحياة. قال (جيمس أجات) أن هناك أشياء أكيدة لا يمكن أن يتزحزح فكره عنها . فالحياة المسيحية تتطلب الثبات فى العقائد التى لا يمكن أن تتغير . فالمسيحى لا يمكن ان يكف عن الاعتقاد بأن « يسوع المسيح رب » (فيلبى ٢ : ١١) ، ويدرك دائما أن من واجبه أن يجعل حياته ملائمة لاعتقاده .

٣ — ان المسيحى له حياة متطورة نامية . ان ثبات الحياة المسيحية لا يعنى الجمود ، والكف عن الحركة . ان المسيحى يجب أن يختبر عجائب النعمة كل يوم ، وينمو فى مواهب النعمة باستمرار ، ان المسيحى يجب ان ينمو فى معرفة الشخص العجيب يسوع المسيح . ان البناء الشامخ لا يمكن أن يرتفع الا على أساس متين ، والشجرة لا يمكن أن ترتفع بأغصانها الى السماء الا اذا كانت ذات جذور عميقة . ان الحياة المسيحية هى حياة ذات أساس ثابت ، ونمو دائم مطرد .



وهكذا ، تنتهى الرسالة بتقديم المجد [illegible] والى انقضاء الدهر .